مرآة الحقائق

في تفسير بعض الآيات والأحاديث والواردات واللطائف

تصنيف العلامة

سيدي إسماعيل حقّي البرسوي

المتوفى ١١٣٧ هـ

تحقيق

أحمد فريد المزيدي

الجزء الثاني

دار الآفاق العربية

حقي، إسماعيل حقي.....عبد الله المناستري ، 1912
مرآة الحقائق في تفسير بعض الآيات و الأحاديث
و الواردات و اللطائف2/1
تصنيف: إسماعيل حقي البر سوي
تحقيق:احمد فريد المذيدي
ط1 – القاهرة : دار الآفاق العربية 2009
884ص ، 24 سم
تدمك : 7 – 218 – 344 – 977
1- التصوف الإسلامي 2- القرآن-تفسير
3 الحديث-تفسير
أ- المذيدي ، فريد (محقق)
ب- العنوان
ديوى : 415.1
رقم الإيداع : 2008/13753

الطبعة الأولى
1430هـ – 2009

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار الآفـــاق العربيـــة
نشر – توزيع – طباعة
55ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر– القاهرة
تليفون : 22617339 تليفاكس : 22610164
EMIL: Daralafk@yahoo . com
Selimafak@live.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح بعض الأحاديث بطريق الحقائق

١- **في المتفق عليه**: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[1]:

هذا بإطلاقه شامل لجميع الأعمال وسائل كانت؛ كالوضوء، والسَّعي إلى الجمعة ونحوه ذلك، أو مقاصد، كالصلاة، واستماع الذِّكر يوم الجمعة وغير ذلك حتى أن التوحيد من حيث إنه ذكر لساني، وعمل خارجي لا بد له من النية، وقال العلماء: ما كان من قبيل الوسائل لا يحتاج إلى النية، فلو لم يُنوَ عند الوضوء لرفع الحدث، وإقامة الصلاة؛ صح وضوءه بخلاف ما كان من قبيل المقاصد؛ كالصلاة فإنه لا بد من النية؛ ليكون صحيحًا مقبولاً.

فصحة الصلاة المستصحبة بالنية مستلزمة لصحة الوضوء، ونيتها سارة لنيته؛ بمعنى أن نيته الشرط والمشروط نية واحدة.

وقال العرفاء: لا بد من استحضار الحق تعالى في مباشرة العمل المشروع فيه مطلقًا؛ فإنه روح ذلك العمل وسره، فكما أن البدن لا يقوم إلا بالروح، فكذا العمل لا يقوم إلا بالنية، واستحضار الحق على أن قد يدخل الرياء في العمل، فلا بد من النية؛ ليخلص لله تعالى.

وللعارفين شأن عجيب في باب النية: فإن نيتهم دفعية كلية سارية في مراتب جميع الأعمال، فليس لهم عمل بلا نية أصلاً، إذ هو ذهول عن الحق، وكيف يذهل عن الحق مَن ودُّوا حقه، والذين هم في صلواتهم دائمين، فدوام الشهود يغنيهم عن استصحاب النية الخاصة في كل خاص على أن الوضوء قد يكون قربة مشروعة مستقلة، كما دلَّ عليه ﷺ: «**دُمْ على الطهارة، يُوسع عليك الرزق**»[2].

فقد يلزم الطهارة في وقت، والصلاة غير مشروعة فيه، فعليك بالقربات، والدرجات، والصعود إلى المراتب العالية بخلوص النيات.

---

(١) رواه البخاري (٦٥/١٢)، وأبو داود (٢٦٢/٢).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٢٧٣/٤).

واعلم أن متعلّق نية الخواص: هو الحق تعالى؛ فهم محسنون متقون مقربون، ولهم النور التام يوم القيامة.

وإن متعلّق نية العوام: هو فضل الله ورحمته، فهم عاملون أبرار مقربون، ولهم الأجر التام يوم القيامة، ومقام الأولين: جنة عرضها السماوات والأرض؛ لاتساعهم وانشـــراحهم قلبًا وصدرًا، ومقر الآخرين: جنات تجري من تحتها الأنهار؛ لمتابعتهم العلوم أو سالتهم الدموع، فأين الأجير المحجوب من المحسن المحبوب؟ فعليك بإعراب المطلوب(١).

---

(١) قال الحكيم الترمذي: «باب في شأن النية»: حدَّثنا صالح بن عبد الله، حدَّثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يومًا: «هل تدرون مَن المؤمن» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «المؤمن مَن لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب، ولو أن عبدًا اتَّقى الله في جوف بيتٍ إلي سبعين بيتًا، علي كل بيتٍ بابٌ من حديد، ألبسه الله رداء عمله، حتى تتحدث الناس به ويزيدون» قالوا: وكيف يزيدون يا رسول الله؟ قال: «إن اتَّقى، لو استطاع أن يزيد في برِّه لزاد، وكذلك الكافر يتحدَّث الناس بفجوره ويزيدون، لو استطاع أن يزيد في فجوره لزاد».

وكان ثابت إذا حدَّث بهذا الحديث يقول: فبلغني أن رسول الله ﷺ كان يقول: «نيَّة المؤمن أبلغ من **عمله**».

حدَّثنا عمر بن أبي عمر عن نعيم بن حماد عن عبد الوهاب بن همام الحميري قال: سمعت وهبًا يحدِّث عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله ما أفضل الأعمال؟ قال ﷺ: «**النية الصادقة**».

وحدَّثنا عمر بن عمرو الربعي عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: لم نية المؤمن خير من عمله؟ قال: نية المؤمن لا يكون فيها رياء فيهدرها».

وحدَّثنا عمر عن فهد بن مالك بن دينار قال: رأيت رجلاً بمكة يقول: اللهم قبلت حجَّاتي الأربع، فاقبل هذه الحجة فتعجبت منه، وقلت: كيف علمت أن الله قبلها منك؟ قال: أربع سنين كنت أنوي كل سنة أن أحج، وعلم من نيتي، وحججتُ من عامي هذا وأنا خائف أن لا يتقبَّل مني، فيؤمئذ علمت أن النية أفضل من العمل.

قال أبو عبد الله- رحمه الله-: وجدنا من طريق الاعتبار عندما مثلنا بين النية والعمل أن العمل منقطع، والنية دائمة.

وتصديقه في حديث ثابت عن أنس: «**والعمل علانية والنية سرٌّ**».

=

٢- **في الحديث الصحيح**: «**حُببَ إليّ**»[١]: أي بالتحبيب الإلهي؛ ولذا لم يقل: أحببت؛ لأنه شيء عن حب اختياري، وذلك غير مقبول[٢].

ومن هذا المقام قالت امرأة العزيز: ﴿**ذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ**﴾ [يوسف:٣٢]؛ إذ العدل لا يجري في غير الاختياري، والله يفعل ما يشاء

(**من دنياكم**): أي الأمور الحاصلة في دنياكم، فحصل الجواب عما قيل: من أن الثالثة -وهي الصلاة- ليست من الدنيا، وسيتضح في محله، وأضيف الدنيا إلى ضمير المخاطب؛ إشارة إلى أن النبي ﷺ ليس من الدنيا في الحقيقة؛ بل تربة طاهرة مأخوذة من تراب الجنة.

ومَن لم يكن من الدنيا؛ فلا تعلُّق له بالدنيا إلا قدر ما أمر الله بالتعلُّق به؛ وهو تعلُّق حقيقي لا يكون إلا بالله، لا تعلق نفسًاني، فظهر أن الدنيا صورة الآخرة لَمن هو من أهل الآخرة، فلا يضر التعلُّق بها إذا كان معه تعالى.

(**ثلاث**) أنثها باعتبار أن أكثر المعدودات مؤنث، أو باعتبار الدنيا ونحو ذلك.

وبما فسرنا قوله: من دنياكم خرج الجواب عمَّا ذهب إليه الزركشي ونحوه: من أن لفظ ثلاث ليس من الحديث، وزيادته مخلَّة بالمعنى؛ فإن الصلاة ليست من

=

وتصديقه في حديث عطاء: «**أعمال السر مضاعفة**»، والعمل سعي الأركان إلي الله- تعالى- والنية سعي القلوب إلي الله، والقلب مَلك، والأركان جنوده، ولا يستوي سعي الملك وسعي جنوده، والعمل يوضع في الخزائن والنية عنده؛ لأنه الذكر الخفي، والعمل موقوف علي نهايته والنية لا تحصي نهايتها، والعمل بتحقيق الإيمان، والنية فرع الإيمان، بمنـزلة الشجرة فيه منصوبة، فبظهور ورقها هي شجرة وليس للورق نمو، وإنما هي زينة الشجرة، والثمر من الفرع، والفرع سقياه من الأصل.

وذلك قول الله- تبارك وتعالى- في كتابه: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فالأصل هو الإيمان الذي في القلب، والنية هي فرعها الذي في السماء والعمل هو للأكل. وانظر: منازل القربة (ص١٧٨) بتحقيقنا.

(١) رواه النسائي (٥/٢٨٠)، والطبراني في الكبير (٤/١٥٢).

(٢) فأشار إلى أن ذلك بتحبيب الله لأسرار وحكم ومصالح أرادها الله لا بحبه هو.

الدنيا؛ كالنساء والطيب؛ هو ما له رائحة طيبة، وإنما حبب الطيب إليه ﷺ؛ لأن فيه ذوق الأنس والمفاخرة؛ وهو حظ الروح، وظهر منه أن غير الطيب حظ النفس، والأنبياء والأولياء معصومون محفوظون عمًّا لا يستطاب؛ لأن نفوسهم طيبة طاهرة؛ ولذا كانت الطيبات للطيبين، والخبيثات للخبيثين، فطوبى للطيبين، والغبطة لأخلاقهم الطيبة، وويلٌ للخبيثين والنفرة عن أوصافهم الذميمة.

وجه التحبيب في النساء: إن فيهنَّ ذوق القربة والوصلة، وإن كُنَّ من حيث الظاهر حظ الجسم، فما كل ما هو من حظ الجسم ساقطًا عن درجة الاعتبار بالنسبة إلى الأرواح العالية، فربما يكون للشيء وجهان يختلف باعتبارهما.

ألا ترى أن الله تعالى جعل النساء من الشهوات في قوله: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ [آل عمران:١٤]، وقدمهنَّ على ما عداهنَّ؛ لأنهنَّ من شهوات نفسانية بالنسبة إلى النفوس الخبيثة، وشهوات حقانية بالنسبة إلى النفوس الطيبة.

لأن يُقال: نور المحبة، ثم نار العشق، ثم حرارة الشهوة؛ فيه إشارة إلى أن حقيقة حرارة الشهوة الحقانية؛ إنما تظهر بعد ظهور نار العشق الحقيقي، فمَن لم يكن عاشقًا؛ لم يكن أهل شهوة حقيقية.

ولا شك أن نبينا ﷺ رئيس المحبين، وسلطان العاشقين؛ ولذا أعطاه الله قوة أربعين نبيًا، ولذا كان لا يشبع من النساء على ما ورد في بعض الأحاديث.

ومن عجائب المقام: إن حروف النساء حروف الناس، فزين أحدهما للآخر؛ لأنه ليس هنا إلا ذكورة وأُنوثة ونتيجة، والأنوثة مستنبطة من الذكورة، كما أن النتيجة مستفادة منهما، والشيء يحنّ إلى جزئه وجنسه لا محالة، فإذا كان التزيين من الله من حيث اسمه الجميل؛ كانت الشهوة حقيقية، وإذا كان منه من حيث الجليل؛ كان نفسانية؛ لأنه امتحان محض يجب التحرز عنه، ولم يقل: (والمرأة) بدل (**والنساء**)؛ لأن النسء بمعنى التأخير، ووجود حواء متأخر عن وجود آدم تأخر القابلية عن الفاعلية.

ولفظ المرأة لا يدل على هذا، وإن كان يقال في وجه التسمية بالمرأة: إن ذلك

لكونها مأخوذة من المرء؛ وهو شخص آدم، إذ كل أخذ لا يدل على التأخر عن المأخوذ منه؛ بل قد يكون مقارنًا له، فسبحان مَن صور وجعل الأشياء أزواجًا، وجعل بينهم المودة والرحمة؛ ليسكن بعضهم إلى بعض مع رجوعهم إلى أصل واحد.

قال ﷺ: «**وقرة عيني في الصلاة**»(١): أي سرور قلبي، وفرح روحي في حال الصلاة لا في إقامتها؛ لأن مجرد الإقامة لا يستلزم السرور والراحة.

وقد قال ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**»(٢) أي: أذِّن وأقم حتى ندخل في الصلاة المشروعة التي هي قرينة الزكاة فنستريح؛ لأن الصلاة حظ القلب، وفيها ذوق المكاشفة والمساهمة؛ ولذا حرص النبي ﷺ على مرتبة الإحسان، ولو كان أدناه؛ وهو شهود الخيال، فمَن لا شهود له في الصلاة، ولو في الجملة؛ كان ساقطًا عن رتبة المناجين، فظهر أن الصلاة من الأمور الأخروية، وإن كانت حاصلة في الدنيا على أنها تحتاج في الظاهر إلى حركات الأعضاء؛ وهي من الدنيا، وعالم الشهادة، وإن كانت باعتبار التوجه القلبي ونحوه من الأمور الدينية، وعالم الملكوت(٣).

---

(١) رواه النسائي (٥/٢٨٠)، وأحمد (٣/٢٨٥).

(٢) رواه أبو داود (٤/٢٩٦)، والطبراني في الكبير (٦/٢٧٧).

(٣) قال الحكيم الترمذي: وأمَّا علة الصلاة: فإن القيام تسليم النفس إلى الله تعالى لأنه لمَّا أغفل جواره انتشرت في شهواتها ومُناها بما لم يؤذَن لها فيه، فجاء بها ليجدِّد تسليمًا؛ لأن الإسلام هو قبول العبد من ربه - تعالى - العبودية، وتسليم النفس إليه طواعية له فيما أمر به حفظ العبودية.

وهي ميثاقه الذي واثقه به، وواثق به جوارحه السبع وهي: السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرِّجل؛ ولذلك سمي نبذة بالأعجمي؛ لأنه أوثقه عمَّا حرَّم عليه، وأمره مع ذلك بأداء الفرائض.

فلما قبل العقد هذا من ربه، كان قد سلم نفسه إليه: فهو الإسلام، ثم اقتصاه الوفاء بذلك إلى انقضاء أجله، فلمَّا مرَّ في شهواته فيما لا يُحل له؛ احتاج إلى أن يجدِّد التسليم، كما أنه لو نقض الأصل فارتد إلى شهوة عبادة الأوثان؛ احتاج إلى أن يجدِّد الإسلام، فكذلك لمَّا ارتدَّ إلى شهوة المعاصي؛ احتاج إلى أن يجدِّد تسليم النفس طواعية له، فجاء مصليًا، والتصلية تذل النفس.

=

=

وانتصاب العبد بين يديه، فجاء فوقف بين يديه ممسكًا عن جميع الشهوات جامعًا لهذه الجوارح بين يديه؛ كهيئة العبد الذي يريد أن يفي بما ضمن من التسليم، وأن يتدارك ما فُرط منه فلمَّا فُرط منه ما فُرط مضى على تسلميه قلبًا وفعلاً؛ ولكنه لَمَّا فرَّط في الوفاء؛ احتاج إلى أن يقف بين يديه معتذرًا ممَّا فرَّط مُسلِّمًا نفسه إليه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «**جدِّدوا إيمانكم** قالوا: بماذا يا رسول الله؟ قال: **بلا إله إلا الله**».

وعنه قال ﷺ: «**قال ربكم الأعلى: لو أن عبادي أطاعوني لأمطرت عليهم بالليل ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد**».

فإنما احتاجوا إلى تجديد الإيمان؛ لأنه قد خلق بوله القلوب إلى الأسباب؛ لأن من صدق الإيمان أن يكون ولَهُ القلوب إلى الله - تعالى - الذي أوله الخلق إليه، فإذا ولهت إلى شيء دونه ذهبت قوة الإيمان وطراوته فاحتيج إلى تجديده.

وقال رسول الله ﷺ: «**الإيمان خُلو نزه فنـــزهوه**».

وكذلك قال رسول الله ﷺ لسلمان رضي الله عنه: «**قل اللهمَّ إني أسألك صحة في إيمان، وإيمانًا في حسن خلق، ونجاحًا يتبعه فلاح، ومغفرة منك ورضوانًا**».

فلا يُسأل الصحة في الإيمان إلا من سُقم، فإذا تعلق القلب بأسباب دونه افتتن وتعلق بغير معلقه، وكان ولهه إلى غير مَن هو إليه صائر.

فإن قوله: **لا إله إلا الله**، هذه مقالة من قلب خلق وإيمان سقيم؛ فلذلك قال: «**جدِّودا إيمانكم**»، وكذلك الإسلام.

كما أمر هاهنا بتجديد الإيمان قلبًا، كذلك أمر بتجديد الإسلام نفسًا في أن يقوم إليه معتذرًا، وقد جَمعت له جوارحك المنتشرة في شهواتك التي لم يؤذَن لك فيها فتجدِّد تسليمًا، ولم يكن انتشارك هذا نقضًا للعقدة: عقدة التسليم؛ ولكن كان نقضًا للوفاء: وفاء التسليم.

فإن هذه الجوارح السبع كانت عندك بأمانة وأُمرت بحفظهنَّ، فتوكُلّت برعايتهنَّ، والراعي إذا أهمل غنمه؛ حوسب وعوقب وغرِم، فإذا أصبحت انتشرت كلُّ جارحة منك ترعى في واديها، فالسمع في وادي الاستماع للأصوات، والبصر في وادي النظر إلى الألوان، واللسان في وادي المنطق، وكذلك كلُّ جارحة.

وفي هذه الأودية سموم قاتلة من المراعي، وذئاب ضارية، وأجراف هاوية فعلى الراعي أن يحفظ

=

وبطل ما ادَّعاه أكثر العلماء من أن الحديث من قبيل الطي، وإن الثالثة ليست معطوفة على ما قبلها؛ بل هي كلام مبتدأ، وقوله: إنه من قبيل الطي؛ معناه: إنه ﷺ لَّما ذكر الأولين؛ سقط في يده، وأعرض عن الالتفات إلى أمر دنياه، فطوى ذكر الثالثة فابتدأ بأمر هو من الأمور الدينية والأخروية هذا كلامهم؛ وهو كلام قطعي جدًا خارج عن الأدب قطعًا.

بل لفظ الثلاث من الحديث نفسه وزيادته ليست بمخلّة بالمعنى؛ لأن الصلاة من الأمور الحاصلة الواقعة في الدنيا، وقوله: «**وقرة عيني في الصلاة**»(١) معطوف على ما قبله، وبه يتم الثلاث لا منقطع عنه.

والكلام ليس من قبيل الطي؛ لأنه وصف للنبي ﷺ بالذهول والغفلة والندم

=

غنمه حتى يخلصها من هذه الآفات، فاحتال لها بما يحتال بمثلها حتى يخلصها، وكذلك هذا الموكّل بجوارحه يجنبها الآفات، فإن أصابته آفة عمل في تخليصها بالتوبة والاستغفار؛ كما عمل الراعي بأغنامه السبعة، فإن أصابها كسر جبَّر الكسر، وإن رعت في مراعي السموم سقاها البَادَزْهَر والترياق، وإن وقع الذئب بها أرسل الكلاب في استلابها منه، وميَّز شربها من مرعاها؛ كيلا تعطش فتهلك.

فالمواعظ للنفوس كالشراب للأغنام؛ لأن العلم حياة القلب والنفس، كما أن الماء حياة البدن والروح، فإذا عطشت النفس عن التذكرة هلكت الجوارح، والصلوات الخمس تكفّر السيئات.

ألا ترى إلى قوله – تعالى -: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ*وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:١١٤، ١١٥].

وقوله – سبحانه وتعالى -: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١].

قيل: بالصلوات الخمس: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

قيل: الجنة، فهذه علتها. وانظر: إثبات علل العبودية (ص٣٣) بتحقيقنا.

(١) تقدم تخريجه.

على ما قال حاشا عمَّن هو في أعلى منصب النبوة أن يتكلم بغير رؤية؛ بل عن اتفاق على ما عليه أكثر العامة، وأن يندم على ما قاله، وهو في مقام الحضور مع الله بحيث لا ينطق عن الهوى، وإنما كل كلامه حكمة محضة، ومعرفة حقة، وحقيقة مطلقة، وكيف ذهلوا عن صبغة التفضيل في قوله: «**حبب**» حتى تفوهوا ما تفوهوا، فإن الشيء إذا كان محبوبًا بالتحبيب الإلهي؛ كيف يكون من الدنيا حتى يندم عليه النبي ﷺ؟

فإذًا يكون النادم؛ هو الله تعالى فحاشا عنه؛ لأنه حبب إليه تلك الثلاث، ثم خذله عن ذكر بعضها لَّما بدا له، فنحن نستعيذ بالله تعالى عن مثل هذا الاعتقاد في حقه ﷺ على أن شهواته كلها كانت من قبيل التشريع، وفي حال انجذابه القوي إلى عالم القدس، فإذا كانت شهواته بهذه المثابة فما ظنك بما صد عنه في مقام محوه وتمكينه؛ وهذا هو الحق الصريح، ولا يحيد عنه إلا أهل الباطل القبيح، فطوبى لَمن نبَّهه الله على خطئه، وسامح الله مَن مضى عليه، ولم يبلغ قولي إليه، ومن الله الإرشاد والتوفيق بسم الله علينا الإحسان.

٣- **في الحديث الصحيح: «من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه»**(١):

العمل إشارة إلى الصفات، كما أن النسب إشارة إلى الذات.

والأول: إنما يشاء من الأسماء الحسنى الدالة على الصفات العليا.

والثاني: من نسبة قوله: « **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ».

ولا شك أن نفخ الروح مشترك بين الكل؛ ولذا لم يتميز العارف من غيره إلا بما فوق الروح من الكمال الخصيص بالسر بخلاف الصفات الإلهية؛ فإنها مختصة بالمؤمن المطيع المتقي حق الاتقاء، فمَن لم يستكمل من حيث الصفات الإلهية؛ لم ينفعه مجرَّد كونه منفوخ الروح؛ لأن المعتبر في الكمال أن يكون بالفعل لا بالقوة، فكان هذا نظير الشخص الحسن من حيث هيئات وجوده، مع اللباس القبيح، والصفة إذا كانت غالبة: يستحيل الذات إلى صورة الصفة، فيكون الذات والصفة قبيحين.

---

(١) رواه مسلم (٨/١)، وأبو دواد (٣١٧/٣).

أمَّا الذات فبحكم الجوار، وأمَّا الصفة فظاهرة، والأول نظير الشخص الحسن من تلك الحيثية مع اللباس الحسن، فإن للحسن مع الحسن شرفًا زائدًا على الحسن مع القبيح فاعرف.

ألا ترى أن غير الهاشمي أُلحق بالهاشمي من حيث صفاته الحسنة التي عُمدتها طهارة الباطن، فكان من أهل البيت تحقيقًا، والهاشمي أُلحق بغير الهاشمي من حيث صفاته القبيحة التي أعظمها خبث الباطن فخرج من عداد أهل البيت.

ومن هذا ظهر أن الصبيان ساقطوا عن درجة الكمال؛ لأن نسبتهم إلى الذات أقوى من نستهم إلى الصفات، ومن ثم كثر فيهم الأمراض والهلاك؛ إذ ليس لذواتهم قوة صفاتية، فهم كفرع ينجذب إلى الأصل بأهون شيء من الأسباب، وهو الاستحالة الناشئة عن قوة الانفعال وعدم الاستمساك، وتبين أيضًا أن حكمة الخروج من العدم إلى الوجود؛ إنما هي تكميل مرتبة الصفات، فمَن كان محرومًا عن هذه المرتبة؛ لم يكن على شيء.

ومن هنا نفع طول العمر إذ الكمال الإنساني تدريجي؛ وإنما جعل عمر هذه الأمة بين الستين والسبعين؛ لأن حقيقة التوبة والإنابة إنما تظهر في هذه المدة، كما يشير إليه كون ما بين مصراعي باب التوبة مسافة سبعين سنة؛ وهذا من كمال استعداد هذه الأمة؛ ولذا جعل مدة بقائهم ألف سنة، وأمَّا الأمم السالفة فقد دل طول أعمارهم، وامتداد مددهم على أنهم من أهل الإبطاء لا من أهل الإسراع.

٤- في الحديث الصحيح: «مَن أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا؛ طوقه إلى سبع أرضين»(١)

وفي بعض الأحاديث: «**خسف به**»(٢).

اعلم: أن الأرض لله تعالى يورثها مَن يشاء؛ لأن نماء الأرض إنما هو بالماء، والله الذي أنزل من السماء ماء فسالت أودية، فملك الأرض إنما هو لصاحب الماء

---

(١) رواه مسلم (٣/١٢٣١)، وأحمد (١/١٨٨).

(٢) رواه البخاري (٢/٨٦٦)، وأحمد (٢/٩٩).

في الحقيقة؛ ولذا لا تنكح الحاملة؛ لأن فيه سقي زرع الغير بماء الغير، فمَن غصب أرض الغير؛ فقد غصبها بمائها، والماء لا يكون مغصوبًا؛ لأنه سيال غير قار فلا يجوز على أنه جار مرة ومنقطع أخرى.

وكذا الروح ممد الحياة، وبه ينموا الجسد ويبقى وهو منفوخ من الله تعالى، وأرضه هو الجسد، وآثاره، فالقبض الذي يحصل من جانب الروح إنما لصاحب ذلك الروح؛ فالغير إذا ادعاه لنفسه؛ فكأنه أضاف الزرع المتبقى بماء غيره إلى نفسه؛ وذلك ظاهر البطلان، فالأرض لا تملك إلا بمائها؛ ولذا كان بيع الحر من أكبر الكبائر؛ إذ لا يجري فيه الملك إلا لله تعالى، فكل من التطويق، والخسف جزاء وفاق، فالتطويق باعتبار استعلاء الطبيعة عليه، والخسف باعتبار توغُّله في الأمور الطبيعة.

ولمَّا كان الظلم وضع الشيء في غير موضعه؛ كان جزاؤه من جنسه، فوضع الأرض على عنق الظالم؛ وهي ليست محلها الموضوع لها، وخسف بالأرض، وقد كان مقرُّه وجه الأرض وظاهرها، فالقلب من الظاهر إلى الباطن إلى عدم علمه بظاهر الأمر في تلك الغير.

(وسبع أرضين):

إشارة إلى طبقات الوجود، وقاراته السبع مع أنه منطوٍ على أعضاء سبع هي مفتاح الأبواب السبعة للنار التي تحت الأرضين؛ وهي: السمع، والبصر، واللسان، واليدان والرجلان، والبطن، والفرج.

وأمَّا القلب: فمن سماء الروح لا من أرض القلب، وكذا هو مشتمل على عناصر الأربعة، الجسد، والنفس النامية، والنفس الحيوانية.

وكل ذلك مما يلى ظاهر الوجود، فلمَّا اشترك هذه السبعة في المعصية؛ جوزيت بالسبع فكان المنتهى هو السجين؛ وهي الطبيعة الشاغلة، وفي الحديث نهي عن التعرض إلى الغير إلا بحقه؛ كالقصاص وسائر الحدود.

***

٥- في الحديث الصحيح: «مَن أدرك ماله بعينه عند رجل أفلس، أو إنسان قد أفلس؛ فهو أحق به من غيره»(١):

فيه إشارة إلى أن «**الحكمة ضالة المؤمن إينما وجدها أخذها**»(٢)، إذ بتلك الحكمة يتموَّل ويستغني.

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[البقرة:٢٦٩] (٣).

وفي قوله: (**عند رجل أفلس**): إشارة إلى قوله: «**خذوا العلم من أفواه**

---

(١) رواه البخاري (٢/٨٤٦)، ومسلم (٣/١١٩٣).

(٢) رواه الترمذي (٥/٥١)، وابن ماجه (٢/١٣٩٥) بنحوه.

(٣) تفسير الحكمة على خمسة وجوه:

فوجه منها:الحكمة: يعني المواعظ التي في القرآن من الأمر والنهي، فذلك قوله في البقرة ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب﴾ [يونس:٢٦]، يعني القرآن، ﴿والحكمة﴾ يعني المواعظ التي في القرآن من الأمر والنهي والحلال والحرام،كقوله في النساء: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ﴾ [النساء:١١٣]، يعني القرآن، ﴿والحكمة﴾، يعني الحلال والحرام الذي في البقرة، نظيرها في آل عمران: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:٤٨]، يعني المواعظ التي في القرآن من الحلال والحرام مثلها في آل عمران، كقوله عن يحيى في سورة مريم: ﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢]، يعني الفهم والعلم.

والوجه الثاني: الحكمة: يعني الفهم والعلم، كقوله عن لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، يعني الفهم والعلم، وقال في الأنبياء: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩]، يعني الفهم والعلم، وقال في الأنعام: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [الأنعام:٨٩]، يعني الفهم والعلم.

والوجه الثالث: الحكمة: يعني النبوة، فذلك قوله في النساء: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء:٥٤]، يعني النبوة، وقال في ص: ﴿وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ﴾ [ص:٢٠]، يعني النبوة ﴿وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾، وقال لداود في البقرة: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٣) [البقرة:٢٥١]، يعني النبوة.

والوجه الرابع: الحكمة: يعني تفسير القرآن، فذلك قوله في البقرة: ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

والوجه الخامس: الحكمة: يعني القرآن، فذلك قوله في النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، يعني القرآن. وانظر: الوجوه والنظائر لمقاتل (ص٢٦) بتحقيقنا.

الرجال»[١]؛ وهم الرجال الذين أفلسوا عن نفوسهم، وماها؛ فأغناهم الله تعالى بذاته، وماها.

كما قال: ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾ [الضحى:٨].

: أي وجدك خاليًا عنك فملئك به نفسه، والمال العين؛ إشارة إلى العلوم الحقيقة التي لا اختلاف فيها، بخلاف غيره من المال؛ فإنه علوم غير حقيقية متغيرة بحسب مشارب أهاليها، فالمطلوب بالذات؛ هو العلوم الإلهية اللَدنية، وبالتبعية وهو العلوم النظرية الاستدلالية.

وأمَّا العلوم الشيطانية، والمعارف النفسانية فليست بمال أصلاً فلا تُطلب قطعًا؛ بل (تحرهما) وأصحابها فضلاً عن الطلب، وأمَّا قولهم: مال أهل الحرب في المسلمين؛ فإنما هو في الرابح، فخذ ما صفا، ودع ما كدر فأنت المصيب.

٦- **في الحديث الصحيح: «مَن اقتنى كلبًا لا يغني عنه زرعًا ولا ضرعًا؛ نقص من عمله كل يوم قيراط»**[٢]:

أشار بالكلب إلى النفس، وبالزرع إلى حرث الآخرة؛ وهي الأعمال الصالحة الظاهرة.

كما يُقال: الدنيا مزرعة الآخرة، وبالضرع إلى الفيض الإلهي الجاري من ضرع القلب والروح، وبالنقص إلى قوله: «**مَن استوى يوماه؛ فهو مغبون**»[٣].

فالفائدة في النفس الإنسانية التي النفس الأمَّارة الكلبية قوة من قواها أعمالها في تحصيل الكمالات الظاهرة والباطنة.

كما قال تعالى: « **لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** » [المائدة:٦٦] أي: من طريق الكسب والوهب، فإذا عطلت جاء الغبن والخسارة.

كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام:١٨].

فالنفس: هي البضاعة وبها التجارة والربح، فمَن أعلمها، ربح، ومَن أهملها؛ خسر.

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (١/١٦١)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (١٠/٣٣٦).

(٢) رواه البخاري (٣/١٢٠٧) بنحوه، ومسلم (٣/١٢٠٣).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/٣٥)، والديلمي في الفردوس (٣/٦١٨).

وأول الخُسران: عدم الإيمان، والاعتقاد، ثم العمل، ثم الحال، ثم المقام؛ وفيه إشارة إلى أن الكلب إذا كان نافعًا؛ خرج عن الكلبية، وإن كان صورة الكلب الضار، كما أن الإنسان إذا كان ضار؛ أُخرج عن الإنسانية، وإن كان في صورة النافع، فالاعتبار بالمعنى لا بالصورة.

٧- **في الحديث الصحيح**: «**مَن أكل البصل والثوم والكرات**»[١]:

(والكرات): كرتان على ما في القاموس بقل من البقول يقال له بالفارسية: كندان الرائحة الكريهة، ودخل في هذه الثلاثة كل ما يشاركها في الرائحة، وذلك بطريق الدلالة والإشارة، وإن لم يساعدها اللفظ والعبارة؛ فلا يُنفى التخصيص بالثلاثة ما عداها، ونظائره غير واحدة.

قال ﷺ: «**فلا يقربن مسجدنا**»[٢]: أي مواضع العبادات في وقت حضور الجماعات: أي موضع كان من حرم مكي، أو مدني، أو سليماني أو غيرها، فلو حضر مواضع العبادات في وقت غير العبادات وحضور الجماعات؛ كان خارجًا عن النهي كما يقتضيه قوله: «**فإن الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه بنوا آدم**»[٣].

لم يقل: فإن الملائكة تتأذى منها إشارة إلى أصل العلة؛ هي تأذّي لكامل بني آدم وخواصهم من كل ما له رائحة كريهة، فإنهم إذا تأذّوا منه، وهم في الصورة أجسام كثيفة؛ كانت الملائكة أَوْلى به؛ وهم أجسام لطيفة على أن التأذّي من مثل ما ذكر صفة الروح والأرواح العالية مشاركون لخواص البشر في تلك الصفة وخواصها، وقد ثبت إنه ﷺ حُبب إليه الطيب كما حُبب إلى الملائكة، ومن ذلك سُن تبخير المساجد يوم الجمعة؛ لحضور ملائكة الرحمة فيه.

فظهر أن المراد بالملائكة هم الملائكة الحاضرون في أوقات مخصوصة في مواضع مخصوصة، وأمّا الملائكة الملازمون في الأوقات كلها؛ كالكاتبين ونحوهم؛ فإنهم وإن كانوا يتأذّون مما ذكر أيضًا؛ لكن أمرهم أهون؛ لقلتهم بالنسبة إلى الحاضرين في

---

(١) رواه مسلم (٣٩٥/١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

الأوقات المخصوصة في المعابد.

إذ لا بد لابن آدم من أكل ما هو مباح الأصل، وإن كان في بعض الأقات على أن العزيمة الترك مطلقًا؛ ولذلك كان ﷺ لا يأكل البصل ونحوه بتًا، وإن لم يقرب من المسجد؛ لكثرة نزول الملائكة عليه وحضورهم لديه.

فإنه إذا كان ظاهر المسجد لا يحتمل ما ذكر، فكيف باطنه؛ وهو القلب المطهَّر المبخَّر بالروائح الأنسية الغيبية، ومن هنا يعرف حال الضَّب ونحوه، فإنه -عليه الصلاة والسلام- لم يمنع العامة عن أكله مع أنه لم يأكله، ففرق بين الرجال الحاضرين محاضر الأنس والقرب، وبين الغائبين عنها.

ولمَّا أُهبط أبو البشر آدم ؑ إلى الأرض؛ أُغشي عليه من رائحة الدنيا المنتنة؛ لاعتياده بروائح الجنة العطرة، فإذا كان حال ما هو مباح الأصل هذا، فما ظنك بغيره؟

وإن كان يستطيبه أكثر العوام فإنه ليس الكلام معهم؛ بل مع الخواص؛ فإنهم هم الذين يعتبر استطابتهم واستخباثهم؛ ولذا عَدُّوا مَن استعمله مِمَّن هو في ذي المتصوِّفة شيطانيًا نفسانيًا؛ لأن الإسراف يوجب الحرمان من المناجاة، فكيف الإسراف في المحرمات والمشتبهات؟! وكل ما هو حجاب عن الله تعالى فهو حرام.

فإن قلت: أليس الله تعالى هو القائل: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ**﴾ [البقرة:٢٩].واللام للمنفعة.

قلت: بل اللام للعلة في الحقيقة: أي هو الذي خلق لامتحانكم كما قال: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الكهف:٧]، مع قوله: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**﴾ [الأعراف: ٣٢]، على أن قولهم: إن الأصل في الأشياء الإباحة؛ معناه في الأشياء النافعة لا في الضارة، ومن الضارة شرب الدخان؛ كأكل التراب، والفحم المحروق ونحوها مما فيه ضرر بيِّن للبدن الذي يقوم أمر الطاعة، وخدمة العبادة.

وأقوى أدلة حرمة الدخان قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]، وذلك أنه لا شك عند أهل العقول السليمة أن المعتاد

لشربه لا يزال يستثقل الصوم والصلاة ونحوهما من العبادات، واستثقال العبادات المشروعة كفر، فالمؤدي إليه الدخان ونحوه حرام لا محالة وخبيث لا شبهة.

وقد جعل الله الطيبات للطيبين، والخبيثات للخبيثين، فليختر الخبيثون لنفوسهم بنفوسهم ما شاءت نفوسهم، كما أنه ليختر الطيبون لنفوسهم بربهم ما شاء ربهم، فمَن لم يعرف القمح من الزّ من الزّوان؛ وقع في العناد والحرمان، وترك العمل بالآية والحديث؛ أذية لله ورسوله.

وقد قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [الأحزاب:٥٧].

والنفس السليمة تفرق بين الطيب والخبيث فلا تقرب من الخبيث، فكيف إذا أيّدها النصوص والشواهد والبينات؟! فإن من فقد شَمُّه؛ استوى عنده الخبيث والطيب، ولأمر ما أمر الشارع بالسواك، فإن كنت من أهل الفهم؛ طهِّرت الفم والفؤاد؛ فإنه لا يمس المراد إلا المطهَّرون من الأدناس والأوضار، ولا يليق بالمعاني إلا أهل الحقائق الأخيار.

٨- **في الحديث الصحيح**: «**مَن أنظر معسرًا**»(١):

أي أخَّر مطالبته ذي عسرة؛ وهو المديون الفقير.

قال ﷺ: «**أو وضع له**»(٢): أي حطّ عن دينه بعضه أو كله.

ولَمَّا كان في هذا إزاحة الغم عن القلب، وإراحة الروح عن الهم؛ جعل جزاءه الاستراحة الأخروية، كما قال ﷺ: «**أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**»(٣).

فإن الإظلال في الحقيقة(٤): عبارة عن الإراحة سواء كان هناك ظل حقيقة أو

(١) رواه البخاري (٢/٧٣١)، ومسلم (٤/٢٣٠٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٣)، وابن حبان في صحيحه (١١/٤٢٤).

(٣) رواه البخاري (٢/٥١٧)، ومسلم (٢/٧١٥).

(٤) قلت: (يظلهم الله تعالى في ظلّه) إضافة الظل إليه سبحانه وتعالى إضافة تشريف، (كناقة الله)، والله تعالى منــزَّهٌ عن الظل؛ إذ هو من خواص الأجسام.

=

لا، كما قال ﷻ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[النساء آية: (٥٧)]، وإنها رغبة في إمهال المديون في باب الأموال عملاً بإمهال المديون في باب الأعمال، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧].

فالفقير إذا فُتح له في مدته؛ يجب عليه أن يقتضى دينه حتى يستريح، وإلا كان مسجونًا، وسجن الله تعالى هو جهنم في الآخرة، والطبيعة في الدنيا.

فالعاصي مسجون في الدنيا والآخرة، وهو لا يشعر بحاله في الدنيا؛ لأنه نائم فكما أن النائم لا يستيقظ إلا عند الصباح، فكذا الغافل لا ينتبه إلا عند الموت؛ والموت طبيعي واختياري، والثاني هو المقبول المشار إليه بقوله ﷻ: (وإليه ترجعون) [البقرة:٢٤٥] على قراءة الفتح من الرجوع، لا على قراءة الضم من الرجع.

٩- **في الحديث الصحيح: «مَن أنفق زوجين في سبيل الله؛ دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب»**[(١)]:

أي كلهم، المراد بالتشبيه كثرة الأزواج لِما دلَّ عليه عموم الدعوة من جانب الخزنة؛ إذ لكل عمل من الأعمال الصالحة خصوصية في دخول باب من أبواب الجنة على ما تقتضيه الحكمة، فمَن له مع التوحيد كل عمل، وكل خلق؛ فهو يدخل الجنة من كل باب من أبوابها دفعة واحدة، فيكون له شرف زائد على غيره، ممن يدخلها من بعض أبوابها؛ لأن المطلق أعظم من المقيد.

فإن قلت: كيف يتصور الدخول الدفعي، ولا إمكان له في عالم الدنيا؟

قلت: لا يقاس النشأة الأخروية للطافتها، على النشأة الدنيوية لكثافتها، على أن الدنيا عين الآخرة للمتروحنين المطورين؛ ولذا تراهم يحضرون في وقت واحد في

=

فالمراد ظل عرشه، كما في حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسنادٍ حسنٍ.

وقيل: ظل طوبى أو ظل الجنة، وهذا يرده قوله: (يوم لا ظل إلا ظله)؛ فإنه المراد يوم القيامة، وظل طوبى أو الجنة إنما يكون بعد الاستقرار فيها وهذا عامٌّ.

والحديث يدل على امتياز هؤلاء على غيرهم، وذلك لا يكون في غير القيامة؛ حين تدنو الشمس من الخلق، ويأخذهم العرق، ولا ظل ثم إلا للعرش.

(١) رواه البخاري (١٠٤٥/٣)، ومسلم (٧١٢/٢).

مجالس متعددة من غير تكثر في ذواتهم، ويدخلون البيت من غير الباب والكوة، ولا يدرك حقيقة هذا الأمر إلا مَن ولج ملكوت السموات، والله الهادي.

١٠- في الحديث الصحيح: «مَن بنى لله مسجدًا»(١):

أفاد الكلام الإخلاص، وأخرج ما بُني رياءً وسمعةً، وأخرج المسجد معابد الكفار، ثم أكدَّ معنى الكلام بقوله:

«يبتغى به وجه الله»(٢)؛ فإنه يراد به الإخلاص؛ إذ وجه الله ذاته ورضاؤه عبر به عن الذات؛ لأنها أشرف الأعضاء، وعن الرضا؛ لأن أثر الرضا؛ إنما يظهر في الوجه، وفيه إشارة إلى أن ما بُني بطريق الرياء، ولأهل البدع والأهواء في حكم الكنائس؛ إذ هو عمل محبوط رأسًا؛ كعمل الكفار.

«بنى الله له مثله في الجنة» أي في الجنة الصورية الحسية في الآخرة، وأعاد له إشارة إلى المكافآت، والجزاء الوفاق إذ لا معنًا لبناء المسجد في الجنة، ودلَّ المثلية على مراتب الإخلاص(٣)، فإن كان الإخلاص في مرتبة القلب التي هي مرتبة العشرات؛

---

(١) رواه الترمذي (٢/١٣٤)، وابن ماجه (١/٢٤٣).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٢/٨٤)، وابن كثير في تفسيره (٣/٢٩٣).

(٣) قال الشرقاوي: قيل لسهل بن عبد الله ﷺ: أي شيءٍ أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، وكم أجهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت فيه على لون آخر.

قال أبو طالب ﷺ: والإخلاص عند المخلصين: إخراج الخلق من معاملة الخالق، وأول الخلق النفس.

وعند المحبِّين: ألا يعمل عملاً لأجل النفس، وإلا يدخل عليه مطالعة العوض، أو تشوف إلى حظ طبع.

وعند الموحدين: خروج الخلق من النظر إليهم في الأفعال، وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال انتهى.

فإذا حمل العبد في نفسه وألزمها التواضع والمذلّة، واستمرَّ على ذلك حتى صار له خلقًا وحيلة بحيث لا يجد لضعته ألمًا ولا لمذلته طعمًا زكت نفسه واستنار بنور الإخلاص قلبه، ونال من ربه أعلا درجات الخصوصية، وحصل أوفى حظ ونصيب من المحبة الحقيقية، فهذا لا يكره الذم من الخلق؛ لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم؛ لفقد القدر والمنـزلة في نفسه، فصارت الذلة والضعة صفة لازمة له، لزوم العرض للجوهر، فإن كان مع الله تعالى بالذل طلبه واستحلاه، كما يطلب المتكبر العز ويستحليه إذا وجده، فإن فارق ذلك الذل ساعة لغيَّر قلبه لفراق حاله، كما أن =

فله بمقابلة مسجد واحد عشرة بيوت جنانية لا يقادر قدرها؛ لأنها من الجواهر، وبيوت الدنيا من الأحجار ونحوها.

وإن كان في مرتبة الروح التي هي مرتبة المئات؛ فله بمقابلة مسجد واحد مائة بيت من البيوت الفردوسية لا يكتنه كنهها؛ لأنها من الدرر واللآلئ الصافية، وإن كان في مرتبة السرِّ التي هي مرتبة الألوف؛ فله بمقابلة مسجد واحد ألف بيت من البيوت العدنية المبنية على الأنوار، وإن كان فوق ما ذُكر؛ فله أجر بغير حساب على أن مَن بنى مسجدًا في الدنيا فإنما يبنيه لإقامة الصلاة، التي هي محلُّ المناجاة والمكاشفة

=

المتعزز إن فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه؛ لأن ذلك عيش، فإذًا لا بدَّ للمريد إسقاط جاهه وإهمال ذكره، وفراره عن موضع اشتهاره وتعاطيه أمورًا مباحة تسقطه من أعين الناس، كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء إليه، فلما علم بذلك السائح استدعى بقلاً وجعل يأكله أكلاً عنيفًا بمرأى من الملك، فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره فانصرف عنه ذا ماله.

وقد بالغ بعضهم في مداواة علة الجاه الذي علِقَ في القلوب، حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع، ورأوا فعل ذلك جائزًا لهم ولغيرهم، وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس، بحيث تظهر ومشي بذلك متمهلاً بحيث يُرَى ويُظَن بذلك السرقة، فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه، ورموا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة، حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام، فحينئذ وجد قلبه.

ومثل ما يُروى عن أبي يزيد ﷺ في قصة الشاهد، الذي أمره بحلق رأسه ومخلاته مغلقة في عنقه أيضًا، وإعطائه من ذلك لمن يصفعه من الصبيان، وطوافه على تلك الحال في المحافل والمحاضر ذكر ذلك أبو حامد الغزالي ﷺ وغيره.

وإذا جاز لمن غصّ بلقمة حلال أن يسيغها بالجرعة من الخمر إذا لم يجد غيره، مع أن تحريمه مقطوع به ولا يفوته بترك الجرعة إلا حياة فانية، فلأن يجوز مثل هذا إذا تعين عليه أولى؛ إذ يفوته بترك المنكر في ظاهر الشرع الحياة الباقية والقرب من الله تعالى، فإذا التزم العبد هذه الطريقة من الرياضات ماتت نفسه، وحيا قلبه وقرب من حضرة ربه، واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام.

وتلك الثمرة أخلاق الإيمان، التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفاته ذاتية له، وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة:٢٦٩].

والمشاهدة، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يُبنى له في الجنة بمقابلته بيوت لطيفة، هي محل التجليات الإلهية، إذ الجزاء من جنس العمل، ومماثل له، وفيه إشارة إلى بناء بيوت القلوب؛ فإن هذه البيوت أعظم من المساجد؛ لأنها منظر الحق سبحانه ومسكنه.

على ما ورد في الخبر القدسي الداودي عليه السلام: «فمَن طيَّب خواطر أهل الله، وقلوب أولياء الله؛ طيَّب الله خاطره، وعمَّره بما لا يخطر بباله من أنواع التطيُّب والعمارة».

فالقلب بيت الله وعرشه وسريره[1] وهو من الجنان المعجَّلة في الدنيا، فطوبى لعامره وداخله، وويلٌ لنادمه والخارج.

وفيه رمز أيضًا إلى أن بناء المسجد من المقامات الإبراهيمية عليه السلام؛ لأن الكعبة أول بيت وضع للناس في الافاق، كما أن القلب أول بيت وضع لهم في الأنفس.

وإنما جُوزي إبراهيم بأمثال الكعبة في الملكوت من حيث إنه لم يكن طبقة من

---

(١) القلب الذي قواه ربَّانية ملكية تكشف وتبين الأحكام الحكمية الروحانية هو بيت الله المعمور في السماء، والمرتبة السيادية، والنفس البشرية التي في مداركها تظهر أعيان معاني تلك الأحكام، وبقواها تصور أكوان صورها، هي الكعبة التي على حيال البيت المعمور في الأرض التبعية.

وقال أيضًا: القلب كتاب: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والقلب بيت الرب يزين فيه عرائس الإيمان، ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧]، والبيت سكن الساكن، فالسكينة روح كونه سكنًا، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فالسكينة روح الخلافة الربَّانية، فصاحب البيت سلطان بيته، ولذلك ما نزلت السكينة إلا حفَّها الجنود، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾ [الفتح: ٤] إلى قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الفتح: ٤].

فهي روح العلم والحكمة الإلهية الربَّانية، فالطمأنينة استواء القلب حتى صار مستوًى، والسكينة استواء ساكنه عليه، والاستواء هو الظهور التام في كل مقامٍ بحسبه، وباستواء الساكن يحيا السكن، حتى قيل: وإنما الناس نفوس الديار.

طبقات السموات إلا وفيها بيت معمور، ومثل الكعبة في حيالها جُوزي مَن اتبعه في ملّته التي من جملة آثارها بناء المسجد بمثل ما جُوزي إبراهيم من البيوت الملكوتية الجنانية؛ **فانطبق الفرع على الأصل**، وفيه تلويح إلى أن العمدة في خلق الإنس والجن هي العبادة التكليفية؛ ولذا رفعت بيوتها كما قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾ [النور:٣٦]: أي ذكرًا مطلقًا في ضمن الصلوات المشروعة أو غيره.

وعلم من ذلك أن الوسائل ملحقة بالمقاصد في التعظيم والإجلال؛ ولذا يُعظَّم أبدان الخواص، و توقرَّ أشباح الأولياء؛ لشدة تعلُّق أرواحهم الطيبة بها، وسريان بركاتها إليها، فمَن حقَّرهم في ظواهرهم؛ فقد حقَّرهم في بواطنهم؛ والباطن هو الحق المسجود له؛ لأنه تعالى قال: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ [الحجر:٢٩]: أي خلق آدم فتجلَّى فيه، فمَن أراد إطفاء نور الله تعالى؛ أطفأه الله، وكان من الكافرين؛ كإبليس عليه ما يستحق، والله الحافظ لعباده.

١١- **في المتفق عليه:** قال رسول الله ﷺ: «**مَن ترك صلاة العصر؛ فقد حبط عمله**»(١):

يعني: عمل اليوم؛ إنما يهتم بصلاة العصر؛ لأنها خاتمة فرائض النهار، فإذا لم توجد الخاتمة؛ كان العمل أبتر، وفي حكم الحبوط والبطلان، ووجه التشديد اشتغال أهل البلاد الحارة في ذلك الوقت بأمور المعاش؛ فكان ذلك من مظان ترك صلاة العصر، كما كان عليه المنام في ليالي الصيف في البلاد الرومية الباردة من مظان ترك صلاة الصبح.

وفيه إشارة: إلى أن ترك توبة القلب الأوسط؛ كترك الصلاة الوسطى، فمَن حُرِمَه؛ فكأنما حرم الصلاة الوسطى؛ لأن العمل إنما يتم بتوجه القلب وخلوصه؛ فهو مدار تمام الأعمال، وسبب نمائه؛ ففيه حث إلى الترقّي من الطبيعة والنفس إلى مرتبة القلب، وأيضًا فإن العصر هو الوقت كله من أول العمر إلى آخره، **فمَن فات منه**

---

(١) رواه البخاري (١/٢٠٣)، والنسائي (١/١٥٣).

الوقت، فقد فات الوصول، وأتمّ ما يوجد صلاة العصر في الأقطاب، فمَن (لم)[١] يلتحق بواحد منهم؛ فقد بطل حاله.

١٢- **في الحديث الصحيح**: «**مَن تطهّر**»[٢]: أشار بالتطهر إلى الانفصال عمّا سوى الله تعالى، وهو صفة القلب؛ ولذا قال:

«**في بيته**»[٣]: أي بيته المخصوص به الذي لا يكون إلا واحدًا ليتسع واحدًا.

كما قال تعالى: ﴿**مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ [الأحزاب:٤].

«**ثم مَشَى إِلَى بَيْت مِنْ بُيُوت اللَّه لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّه كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً**» أي: بعد تَطهُّر القلب عن دنس التعلُّقات يعني: حتى يقدم الخلوص، والإيقان، والشهود إلى بيت من بيوت الله أي: إلى مقام من مقامات المعنوية، كالاتصال، فإنه يجمع بين المناجاة والقربة، والشهود، والوصول، فيحصل الجمعية بعد التفرقة، والحضور بعد الغيبوبة، والتعبير بالبيت للمشالكة، أو للتعظيم، أو لأن المراد من دخول المساجد؛ إنما هو الصلاة المشتملة على المناجاة المقتضية للمجالسة مع الله وهي في البيت؛ والبيت في الحقيقة هو القلب؛ لأنه هو الذي فرع لسكنى ستر الله العظيم فيه.

ولمّا كان الصوفية المحققون من أهل القلوب المتجلّية بأنوار الغيب قيل: مَن أراد أن يجلس مع الله، فليجلس مع أهل التصوف: أي؛ لأن الله معهم في جميع المشاهد؛ بل هي متجلّى في صورهم، وإن جحدهم جاحد؛ ليقضي فريضة من فرائض الله، إشارة إلى قوله ﷺ: «**اللّهم اقضِ عني ديني**»[٤] وهي الأمانة الكبرى التي حملها الإنسان، وهي الوصول إلى الله تعالى، والأخذ عنه بلا واسطة، وذلك فرض على القلوب والأرواح والأسرار، فإنه الهدى الذي أتى إليه من الحق تعالى، فمَن تبع ذلك الهدى، خلص عن البرازخ كلها، ووصل إلى أعلى المنازل المحمودة، كانت خطوتاه.

---

(١) زيادة لتمام السياق.

(٢) رواه مسلم (٤٦٢/١)، وابن ماجه (٤٥٣/١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٥٢/٤).

أحدهما: تحط خطيئته؛ وهي خُطوة الانفصال؛ لأنها تحط خطيئته؛ هي ذنب الوجود إذ لا يتخلص السالك عن هذا الذنب إلا بعد الفناء التام الحاصل بطهارة الباطن عن دنس التعلُّقات، ووسع للمغيبات، ولوث الإثبات.

والأخرى: ترفع درجة؛ هي خُطوة الاتصال؛ لأنها ترفع درجة؛ هي درجة الظهور بالوجود الحقيقي في عالم الوحدة، وإلى هاتين الخطوتين الإشارة بالوضوء والصلاة، وكذا بالقدمين.

فإن الإنسان لَمَّا كان أجمع من الملك، وكان اجتهاده بالأمر والنهي؛ جعل له القدمان بدل أجنحة الملائكة؛ فالإنسان سائر بالقدمين في الظاهر، وطائر بالقلب والروح في الباطن، وأمَّا الملك فطائر بالأجنحة في الظاهر بدون طيران في الباطن؛ لأنه ليس له قلب بل روح فقط.

ولذا قيل للملائكة: الأرواح، كما قيل لأفاضل البشر: أهل القلوب، فربَّ طائرٍ ليس له مشي، كما أنه ربَّ ماشٍ له طيران؛ كالإنسان، فإن بعض الأبدال كما أنهم يمشون في الأرض فكذا يطيرون في الهواء على صفة الطيور.

ومنه: يعرف: إن اللطيف في صورة الكشيف؛ كالإنسان أعلى من الكشيف في صورة اللطيف كالملك؛ لأن الملك لا يعرج إلا ما يعرج إليه الإنسان؛ وهو في الظاهر ذروة العرش، كما وقع للحضرة النبوية ليلة المعراج، وفي الباطن الهُويَّة الذاتية [تصدر] من العرش منتهى عالم التركيب والكثرة.

وغيب الذات: هو منتهى عالم الفردانية والوحدة، والإنسان الكامل مشرف بهذين السرين؛ لأن له اليدين والقدمين، والملك لا قدم له في هذا الشأن؛ بل له السير في المقامات الجزئية، وإليه الإشارة بكثرة الأجنحة، فافهم جدًا.

وكن من أهل الوضوء(١) والصلاة الحقيقيين بعد أن تكون من أهل الوضوء

---

(١) قال الحكيم الترمذي: وأمَّا علَّة الوضوء فإن الوضوء: من موضع الحدث من بلة أو ريح يخرج من الجسد، وذلك أن آدم - صلوات الله عليه - كان منـزهًا معصومًا من أن يجد الشيطان إلى جوفه سبيلاً؛ إذ هو في الجنة، فلما افتتن آدم - صلوات الله وسلامه عليه - بالتناول =

والصلاة الشرعيين؛ لأن تجليات الحقائق إنما هي تحت تجليات الأحكام والشرائع، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

فمَن عصى في الشرائع؛ خرج عن حد الملك، ومَن عصى في الحقائق؛ خرج عن حد الإنسان الحقيقي، وبقى مع الحيوانات، فإن قلت على الملائكة: شرائع، قلت: أمَّا الملائكة السماوية فلهم أوامر يتعبدون الله تعالى بها؛ لأن مرتب مقامهم لا يقتضي النواهي، وأمَّا الملائكة الأرضية فلهم أوامر، ونواه كالإنسان، وذلك من حيث اتصالهم بمرتبة الإنسان المأمور بكل من الأمر والنهي.

لكن الإنسان في مرتبة الأمر والنهي أقوى منهم، كما أن هذه الأمة المرحومة

=

من الشجرة و لم يؤذن له، فإنما تناولها بخدع الشيطان، فوجد إلى جوفه سبيلاً مع تلك الأكلة التي نهاه الله – سبحانه – عنها، فاستقرت المعدة في موضع الفضول، فأنتن ذلك الموضع باستقرار هذا الرجس النجس هاهنا، فصار ذلك وراثة في ولده.

فهناك مستقرة في جوف الآدمي، فإذا خرج ريح الفضول أو بلة؛ فإنما يخرج من مستقره، وإن طريق إبليس من مواضع الحدث؛ فلذلك صار موضع الحدث؛ لأنه طريقة وليس له سبيل من قبل مخرج التوحيد والقرآن، فصار ذلك الطريق موضع حدث، فما خرج منها لزمها التطهير؛ لأنه ينجَّس بنجاسة الشيطان وكفره.

ولذلك قال أهل المدينة في الدم: إنه لا يجب فيه الوضوء، و لا في الرعاف ولا في القيء، من هاهنا أخذوه.

وقال أهل الفقه من أهل الكوفة: هذا كله نجس من طريق، فمن طريق النجاسة التزموه، ومن أجل هذه العلة صار نجسًا.

ألا ترى أن ما خرج من النصف الأعلى، والقيء إذا كان من الفمّ من النخامة والقيء والبلغم ليس بنجس، والدم والعذرة والبول هو من مستقرّه ومحله وهو نجس بنجاسته، فأينما خرج الدم فهو حدث، ولا يُنظر من أين خرج؟ إنما ينظر إلى نفس الشيء من أين جرى؟ هذا قول أهل الكوفة، وهو أشبه عندنا وأليق، فهذه علّة الوضوء.

أقوى من سائر الأمم في مرتبة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكذا في مرتبة الإيمان كما سبق، فكما أن الملك كجزء من الأجزاء الإنسانية؛ لأنه بعض قوى الإنسان التي تلي الملكوت، فكذا الأمم السالفة كعضو من الأعضاء بالنسبة إلى هذه الأمة.

فإن كمالاتهم بعض كمالات هذه الأمة؛ ولذا لم يكن خير الأمم إلا هذه الأمة، كما أنه لم يكن ختم الأنبياء إلا نبينا ﷺ؛ لأنه مبعوث للتكميل والتتميم، ولا شك أن المكمِّل بالكسر هو المكمَّل بالفتح، ولهذا المعنى دلائل، وشواهد كثيرة من القرآن والحديث لا تخفى على العالمين والعارفين.

فليحمد الملك على غناه التام كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد:٣٨]، وقوله ﷻ: ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ**﴾ [البقرة:٢٤٥].

وقوله ﷻ: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام:١٢٤].

وقوله ﷻ: ﴿**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ [البقرة:١٠٥].

١٣- **في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ**: «**مَن تطهَّر في بيته**»:

إشارة إلى التطهُّر القلبي عن لَوث الأغراض الفانية، وذلك لا يحصل إلا بإخلاص النية؛ التي هي الأساس في جميع المراتب.

فالتطهُّر الجسد الذي هو التوضؤ والاغتسال؛ إنما هو صورة التطهُّر الباطني الروحاني، فما لم يكن حقيقة؛ لم يكن شريعة، وما لم يكن شريعة؛ لم يظهر حقيقة، فمَن تطهَّر في باطنه بالنية؛ فلا بد له من التطهُّر في ظاهره بالوضوء ونحوه، ومَن تطهَّر في ظاهره؛ فلا بد من أن يبنيه على ما يقتضيه مقام الحقيقة، وإلا فيبقى طاهرًا ونجسًا.

وقوله ﷺ: «**ثم مضى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله**».

: أي ليؤدي حقًا من حقوق الله الواجبة عليه.

وفيه إشارة إلى أن أداء هذا الحق؛ هو الذي بعثه على التطهُّر أولاً، ثم على المشي ثانيًا، وأضاف البيوت إلى الله؛ لأن الطهارة لا تقتضي المشي إلى بيوت الغير؛

لأنها بيوت شيطانية مُتلوِثة بألوات الزوائل، وبيوت نفسانية متنجِّسة بنجاسات القبائح؛ فالأصل إذا كان طيب؛ لا يثمر إلا الطيب، وكذا إذا كان خبثًا؛ فلا يظهر منه إلا الخبيث.

ألا ترى إلى النفقة التي تُوضع في الطين؛ فإنه ليس لها فائدة من الطين الطبيعة، وما كان من مقام الطبيعة؛ فلا يتجاوز إلى مقام القلب والروح؛ الذي هو السماء العلوي المعنوي، فبين السماء والأرض بَوْن بعيد؛ إلا أن يكون بينهما علاقة روحانية، فإن تلك العلاقة تُجرُّ العمل من الحضيض الأسفل، وترفعه إلى الأوج الأعلى.

قوله ﷺ: «**كانت خطوتاه أحدهما: تحُط خطيئة، والأخرى: ترفع درجة**»[1]؛ إشارة إلى خطوتي الجسد والروح، فالخطيئة المضافة إلى الجسد مُنكرات الشريعة، فبالحركة الجسدية تنمحي تلك المنكرات؛ لأن أعمال الشريعة مضافة إلى الجسد، والدرجة المضافة إلى الروح مستحسنات الحقيقة، فبالنيَّة الروحانية؛ ثُبِّت تلك الحسنات؛ لأن أعمال الحقيقة مضافة إلى الروح.

والحاصل: إن الخطيئة المخطوطة سبب خطها عن الجسد وحركته؛ لأن الجسد منبعها، والدرجة المرفوعة سبب رفعها عمل الروح وحركته؛ لأن الروح مبدؤها، فالخطوة الظاهرة تحطّ ما يناسبها، وكذا الخطوة الباطنة ترفع منا يناسبها، كل يعمل على شاكلته.

فمَن أراد أن يتطهّر من الألوات؛ فليكن على حسن النية أولاً، وعلى عمل الشريعة ثانيًا، فحسن النيَّة يجر العمل الشرعي إلى مقام القبول، وعنده الوصول، ومَن عمل بما علم: أي بشرط حسن النيَّة؛ ورَّثه الله علم ما لم يعلم؛ وهو علم اللَدني؛ لأنه نتيجة ذلك، فلا بد لتحصيل هذا العلم العزيز من تقوى، وسلوك، وعمل صالح.

وفي الحديث إشارة أخرى وهي أن بيوت الله هي قلوب أوليائه؛ لأنها مسكن الأنوار، ومقر الأسرار، وزيارتهم، والدخول في قلوبهم، وخدماتهم من كل وجد حق

---

(١) رواه مسلم (٤٦٢/١)، وابن ماجه (٤٥٣/١).

واجبٌ في ذمة السالكين؛ لكن لا بد من التطهُّر قبل الزيارة، والخدمة؛ وهو ألا يبني ذلك على الأغراض، كحصول الجاه الدنيوي أو الأخروي أو نحو ذلك؛ بل يجعله خالصًا عن الشوائب النفسانية، فإنهم مظاهر الحق تعالى، وجلساؤهم جلساء الحق تعالى، وجليس السلطان لا يطلب من السلطان إلا نفسه؛ بل يُلاحظ قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨].

فيطلب منه أن يفني من الطلب عن أصله، وبتلك الزيارة والخدمة تُحطُّ التلوينات، وتحصل التمكينات، ولا درجة فوق اليقين، والاطمئنان، والتمكين، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]: أي حقيقته وكماله.

١٤- في حديث مسلم: «مَن توضأ فأحسن الوضوء؛ خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»(١):

اعلم أن الوضوء عبارة عن: الانفصال عمَّا سوى الله تعالى؛ وهو الخطوة الأولى، كما أن الصلاة عبارة عن: الاتِّصال بالله تعالى؛ وهو الخطوة الثانية؛ ولذا قيل: خطوتان، وقد وصلت: أي إذا حصل الإدبار والإقبال؛ حصل الوصول والوصال.

وإحسان الوضوء عبارة عن: تكميل مرتبة الفناء، والتبتل، والانقطاع، فإذا كان السالك محسنًا في وضوئه؛ خرج أصل خطاياه كلها؛ لأن فروع المعاصي تابعة لذلك، وإنه أصل فيمتلئ الوجود إذًا من الحسنات.

وأسمى الحسنات كلمة التوحيد، وإلى هذا الخلق، والاعتلاء الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧].

وبقوله ﷺ: «**يقول الله على لسان عبده: سمعَ الله لمنْ حَمدَهُ**»(٢).

وقوله ﷺ: «**ومَن مسَّ الحصى يوم الجمعة؛ فقد لغا**»(٣)؛ لأنه مسٌّ للعناصر، والأركان عند مقام الجمعية والفناء؛ فهو لغو، وصاحبة أهل لغو لا كمال لجده في

---

(١) رواه مسلم (٢١٦/١)، وأحمد (٦٦/١).

(٢) رواه مسلم (٥٨٨/٢) بنحوه، وأبو داود (٢٧٦/١).

(٣) رواه مسلم (٤٠٣/١).

مرتبة فنائه، ومَن توضأ؛ فلينشتر: أي على نية إخراج الخيالات عن الدماغ، ومَن استجمر؛ فيؤثر؛ لأنه لا بد من الطهارة في مرتبة الأفعال، ومن النقاوة في مرتبة الصفات، ومن النظافة في مرتبة الذات.

فإذا حصلت هذه الطهارات الثلاث؛ حصل مسَّ مصحف الوجود، وأسراره، وحقائقه كما قال تعالى: لا يمسه إلا المطهرون، وإنما قال ﷺ: «**حتى تخرج من تحت أظفاره**»[1]؛ لأن تابع الحي حي، والمتصل بالمذنب مذنب، وأول ما اتصل به الروح؛ هو الدماغ، وأول ما ينقطع عنه ذلك؛ هو الظفر، فكما سرى من الدماغ إلى الأظفار ينجذب من الأظفار إلى الدماغ واللسان، فلا يبقى إلا الجسد الخالي صورة المملوء بالروح معنى، وما يعقلها إلا العالمون، وإلى الله المصير لكل قليل وكثير.

وفي بعض الأحاديث: «**لا يحدث فيهما نفسه**»[2]:

يعني: أن الركعتين اللتين لا يحدث المصلّي فيهما نفسه باختياره، وصرف توجهه بسبب لمغفرة ذنوبه بخلاف، فإذا كان الحديث وارد باختياره؛ فإنه معذور فيه، فقد لا يقطع عليه الصلاةو ولا ينقص ثوابها إن لم يكن متماينًا فيها، فإن كان متماينًا فيها؛ فلا بد من نفيه؛ لأنه امتحان، وإن كان بخلقه تعالى، وهو من قبيل؛ لأن الصلاة لا تسع غير المناجاة؛ وهي ما كان بين العبد وبين ربه.

فإذا توسَّط في البين ما كان بين العبد وبين غير ربه؛ خرج العبد عن مقام المناجاة، ودخل في الحجاب، والله تعالى في قبلة العبد، فإذا احتجب العبد عما قبلته؛ كان كأنه قد تحوَّل عن القبلة لما أن ظاهر وجهه إلى القبلة، وباطن وجهه إلى غير القبلة؛ ولذا شُرط الإحسان في الصلاة؛ وهو مرتبة المكاشفة وأدناها المكاشفة الخيالية؛ فهو سبب القبول والشفيع، وبه يزول الشرك، ويرتفع البين، ويظهر العين.

١٥- **في أحاديث البخاري**: «**مَن حجَّ لله**»[3]:

: أي قصده قصدًا صحيحًا معنويًا لا انحراف فيه أصلاً لا إلى الأجسام، ولا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١/٧١)، ومسلم (١/٢٠٤).

(٣) رواه البخاري (٢/٥٥٣)، والطبري في تفسيره (٢/٢٧٧).

إلى الأرواح، ولا إلى ما فوقهما من المراتب العلمية الشهادية، والطبقات الشئونية الغيبية[(١)].

---

(١) قال سيدنا العلواني: فصل في روح وصل في الحج[(١)]: روح فرقاني في روح الحج: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران:٩٧].

وفي روح آخر: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾.

فالحج فيه من أرواح الفصل وهي أرواح المفارقة لروح البلد والوالد والولد فروح الحاج روح مفارق لكل عائق عن أرواح الوصل وله أرواح وصل على قدر المراحل والمنازل، وعلى مقدار أرواح الخطوات، وأرواح الحركات والسكنات فكل حركة وسكون ووصل وفصل في أرواح الحج أرواح قرب من الله وبذل الأموال والأنفس أرواح حب لله وأرواح تعظيم لله ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

روح بيان في روح الأركان في أرواح الحج الإحرام وهو روح نية الدخول في الحج بأن يقول نويت الحج وأحرمت به لله تعالى أي قصدت الدخول في أعماله.

الروح الثاني: من أرواح أركانه طواف الركن ثم الثالث: من الأركان السعي بين الصفا والمروة ثم الرابع: من أركانه الوقوف بعرفة ثم الركن الخامس: الحلق.

وبه يكون التحلل من الإحرام مثل ما أن التحلل من الصلاة بالسلام وروح الحج روح تجريد من الأرواح المكروهة فلا رفث أي فلا روح فحش في قوله ولا عمل ولا فسوق وهو ارتكاب الكبائر وإصرار على الصغائر ولا جدال ولا خصام في الحج ليكون روحا مجردًا لله.

وروح البسط في أرواح الحج طويل وروح القصد من روح الحج تجريد الروح لله مع روح التوجه إلى إقامة أرواح المناسك على الأرواح المحمدية ومن أرواح السنن الزكية كثرة أرواح الطواف فإن أقل شيء يجده العامل في كتاب أعماله يوم القيامة.

ومنها مشاهدة روح الكعبة وشرب ماء زمزم، والنظر في روح البئر وكل روح من أرواح الصلوات المفروضات في الحرم بمائة ألف صلاة وزيادة الروح المحمدي من أرواح الندب فلا يترك زيارته مع روح الاستطاعة إلا من أراد الله أن يحرمه من روح الأنس وقد يحرم من أرواح الشفاعة فعلى ذلك الروح الأطهر (ألف، ألف، ألف، ألف) روح من الأرواح إلا قمر والنور الأحمر.

والحج فيه روح كشف عن الروح الإنساني من أرواح الكبائر فيكون له بذلك روح من الخفة فيخف في سيره إلى الله وروح الهداية وأرواح العناية من الله.

ولذا قال: «**فلم يرفث**»(١): أي بالميل إلى الأمور الطبيعية، وقال ﷺ: «**ولم يفسق**»(٢): أي بالنـــزوع إلى الأمور النفسانية؛ فانقطعت علاقته عن طبيعته الأصلية، وشهواتها، وعن مزاجه الفرعي وهواه، فلم يبقَ له إلا أن يتوسل إلى وصول رب بيت الوجود من قلبه وروحه وستره.

قال ﷺ: «**رجع كيوم ولدته أمه**»(٣): أي ولدته أم هويته التي هي فيض نور الله تعالى؛ لأنه لم يكن وقتئذ تعلّق إلى شيء مما سواه تعالى، فكان هو والربّ.

فهذه الأم هي آدم الأول الحقيقي الذي خلق الله حواء الطبيعة منه، وما ينتشئ من ازدواجهما من الأشياء، أو ولدته أم طبيعته وعناصره؛ وهي آدم الثاني.

إذًا كان الإنسان وقتئذ محمول الملائكة مقرَّبًا عند الله تعالى، منتشأ كنشأة الجنان حتى إذا خُلقت حواء من ضلعه الأيسر، ووضع في موضع الضلع الشهوة؛ كان منه الميول بحسب المراتب إلى أن اصطفاه الله تعالى.

وهذا الاصطفاء أكمل من المرتبة الأولى؛ ولذا قال في الحديث: (**رجع**)، فمَن رجع إلى الله، فليرجع بكليته، وليطف بالبيت كما طاف آدم يعني: إن الحج الأكبر المعنوي مخصوص بآدم؛ ولذا أُضيف إليه طواف البيت أصالة، وإلى غيره تبعية؛ بل هو الباني الأول للبيت إشارة بطوافه الدوري إلى التوجه الإطلاقي الذي لم يذقه إلا الأكمل، والله القاصد وهو المقصود، وإليه يرجع أمر كل موجود.

١٦- في صحيح البخاري: «من حجَّ لله، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»(٤):

قوله: (**لله**): إشارة إلى إخلاص النية؛ لأنها أساس الأعمال.

وقوله: (**ولم يرفث**): إشارة إلى إصلاح اللسان الذي هو ترجمان الجنان.

وقوله: (**ولم يفسق**): إشارة إلى إصلاح الأركان، ففي إصلاح النية إصلاح

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٥٣/٢)، وأحمد (٢٤٨/٢).

الدين من حيث الحقيقة والمعرفة، وفي إصلاح اللسان والأركان إصلاحه من حيث الشريعة والطريقة.

فإذا كان الحج على وصف الإخلاص والإصلاح؛ رجع الحاج إلى بيته الصوري الذي هو مقر جسمانية، وإلى بيته المعنوى القلبي الذي هو مقر روحانية؛ بل مسكن الحق الذي أُمر بتفريغه لسكون سرِّه.

وحكمته كيوم ولدته أمه، وهي أم طبيعته المزدوجة بروحانيته، فالروح إذًا تعلّق بالجسد؛ تعلّق الزوج بالزوجة، حصل منه ولد القلب وقواه، كما حصل من ازدواجهما طفل الجسد وقواه: أي الطفل الجسداني الحامل للقوى الحسية الحيوانية الطبيعية، وذلك اليوم مطلقًا يوم فارغ عن المنازع الذي يحصل منه البعد، والردى؛ فظهر أن مَن حجَّ لله، إلى الله، بالله، في الله؛ خرج عن ذنوبه المبعدة له عن ربه، وأعظمها ذنب الوجود؛ وهو إثبات الوجود لنفسه، ورؤية الوجودين؛ فإنه مُنافٍ للتوحيد الحقيقي.

وفيه إشارة إخرى وهي: إن اليوم الذي ولدته أمه هو الآن الغير المقسم الذي تجلّى الله فيه للأشياء بالأسماء خصوصًا باسمه النور في النكاح، الحاصل بين عالم المعاني والأرواح، وذلك اليوم يوم ملكي روحاني لم يهب فيه ريح بشرية جسدانية، ولم يظهر فيه سلطنة اسم جلال، وقهر إلا بالقوة، فمَن حصل له الوصول إلى ذلك اليوم بالرجوع إلى المقام الروحاني بعد العبور من عالم الحس والبشرية، الذي هو عالم الغزو والجهاد، فقد خرج عن ذنبه، الواقع في عالم الأكوان الحسِّ؛ الذي يُوجب الشرك الحقيقي بإثبات الوجودين في الصورة[1].

---

(١) قال الحكيم الترمذي: وأمَّا علَّة الحج: فإن الله - تعالى - جعل للعباد مَعلمًا في أرضه، ولقلوبهم مظهرًا يسيرون إليه بقلوبهم ويسيرون نحوه؛ فالمظهر: العرش، والمَعلم: الكعبة.
لمّا ارتفع بخار الماء فصار سماء ظهر فوق الماء بياضٌ كالقبة فجمد، ثم مُدَّت الأرض من تحتها؛ فالبياض مَعلمه، وهو موضع البيت، فملك الأرض شرقًا وغربًا عباده، ولم يُملك ذلك الموضع أحدًا فهو عتيقة أعتقة مَن أن يملكه أحدٌ سواه؛ فلذلك سُميّ البيت العتيق، ثم دعا العباد إلى أن يؤمنوا به قلبًا، ويسلّموا له نفسًا فيما يأمرهم به، فأجابه الموحدون بمنِّه =

ورحمته، ثم جعل لقلوبهم طريقًا إلى مظهره؛ لينظروا بقلوبهم إلى عظمته وجلاله، فيعظِّموه به ويجلو أمره وشأنه، وجعل لهم فجاجًا وسبلاً إلى مَعلمه؛ ليحجوا بيته، ويحطُّوا به الأوزار والذنوب، فيطوفوا حوله ويلوذوا به.

فإن ذلك البياض خفي عن أعين الخلق، وبقي هواء، فبنى على حد ذلك الهواء بنيانًا يعرفه الخلق؛ فهو مَعلم لِمَن قصد إلى الله - سبحانه وتعالى - بدنًا، والعرش مظهرًا لِمَن قصد إلى الله - تبارك وتعالى - قلبًا، فجاءت شهوات النفس فأظلمت الصدور، فحالت بين عيني الفؤاد، وبين عين السير إليه، والنظر إلى جلاله، وتشبثت النفس بهذا الطَّللِ، فحالت بينه وبين السير إليه ظلمة، ولا يتخلص من النفس إلا مَن يُجاهدها في الله حق جهاده، فوعدَ المجاهدين الهداية إلى سبيله.

فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

ففتح لهم السبيل إليه بعدما أدَّى حق المجاهدة، وصدق الله - تعالى - فيها، وقد بيَّنَّا شرح هذه المجاهدة في كتاب «صفة القلوب ومنازلها»، والَّذي ترك السير إليه متأخرٌ عن مظهره، والذي ترك السير إلى مَعلمه منقطع من رحمته، فدعا العباد إلى إتيان مَعلمه ليسلِّموا إليه أبدانهم بالعبودة، فيتخذهم عبيدًا ويغفر لهم، ويُنيلهم الكرامات، ويُنجح لهم الحاجات، فأول مَن أجابه أبونا آدم ﷺ، ثم لَمَّا ذهب رسم البيت زمن الغرق، ابتعث الله - تعالى - خليله ﷺ وأمره ببناء الرسم؛ ليُعلم العباد موضعه، وأمره أن يؤذِّن في الناس بالحج، فأجابه بالتلبية، فكل مَن أسلم واستطاع إليه سبيلاً، أوجب عليه أن يأتيه ويُظهر إسلامه عند مَعلمه.

والإسلام هو: تسليم النفس إلى الله - تعالى - انقيادًا وعبودةً؛ ولذلك قيل: حجة الإسلام، فإذا حجَّ مرة بعد أخرى، فإنما يجدِّد في كل مرة تسليمًا إلى الله - تعالى - لأنه كلما أذنب دخل الخلل في تسليمه إليه.

فالعاكفون والطائفون حول بيته بدنًا، والعاكفون حول مظهره قلبًا، والوالجون بيته ندبًا، والوالجون بمجالس ملكه قلبًا، فدلَّ العباد على تجديد الإسلام كلما أخلق بالذنوب، وانتقضت عُراه، وأمر خليله ﷺ بإظهار رسمه، ثم أمره أن يُؤذِّن في الناس بالحج، ثم جرت السُّنة والسنة الصورة: صورة الإتيان واللوذان، فجعل من دونه ميقاتًا من كل ناحية إذا أتاه لباه، فإذا لباه صار محرمًا، وأمر أن يخرج من زينته وهو اللباس؛ لأنه قد قال ﷻ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١].

=

فاللباس زينة الإنسان مُخرجٌ من زينة إلى ما لا بد منه، وهو الإزار والرداء يستتر بهما، فإن كان حرٌّ أو بردٌ رُدَّ في الاستتار من الحرِّ والبردِ، وأُمر بأن يجتنب إلفه، والإلفُ: كل أنثى من حرَّة أو أمة؛ لأن النساء سكن الرجال، وإلفهم هكذا خُلقن، فأُمر بأن يفارق سكنه وإلفه في المباشرة؛ لينفرد إلى الله – تعالى – فيوحِّد مَن خلقه، وتفرَّد بمننه، وأن يخرج من زينة اللباس؛ ليكون بين يديه كهيئة العبد الأسير الذي لا يدري ما يُعمل به، يريد أن يتقدَّم إلى مولاه ليتخذه عبدًا.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «**إن الله اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولاً**».

والاتخاذ هو الافتعال مأخوذ من الأخذ أي: يأخذه، فإذا أخذه أقبل عليه بالعطف وأسباب السعادة، ولبَّى من الميقات إجابة لدعوته، ولا يؤدي روحانيًا إلا بحق؛ لأنه في تلبية مولاه قد دعاه، فأجابه حتى تنتهي الدعوة منتهاها، فسُميت هذه الحال منه إحرامًا؛ لأنه أحرم عن كل ظلم وأذى بغير حق وعن الزينة والأليف، فأمر أن يأتي مكانًا خارجًا من الحرم تجاه البيت فيقف به متنصلاً معتذرًا يُسلِّم بدنه إليه طاعةً وعبودةً معترفًا إليه بذلك في ذلك المكان، فسُميت عرفات، فهو يقف موقف الاعتذار مستأذنًا له في إتيان معلمه واللوذان به، حتى إذا غربت الشمس وجب الإذن فأفاض والإفاضة سرعة القلب وإنصابه كفيض الماء قاصدًا لمعلمه، فحسبته مظالم العباد؛ لأنه اعتذر إلى الله – سبحانه وتعالى – في هذا المقام فقبل عذره وغفر له، وبقيت تبعات العباد، فمضى حتى بلغ المشعر الحرام وهو: المزدلفة، وسُميت مزدلفة؛ لأنه ازدلف إلى ربه زلفة.

والزلفة: القطعة، أي: تقرب إليه قطعة من المسافة التي كانت بينه وبين معلمه، ومعني المشعر:شعور القلب بربه في هذا المكان الذي وقف به ثانيًا إلى طلوع الفجر، فاعتذر وتضرَّع ورفع إليه فقره وقلة حيلته في شأن التبعات، فغرها له على أن يرضى عنه أهل التبعات، فتلك مغفرة أعم من الأولى، فمضي على إذنه بالأمس، وإنما حبسه تبعات العباد هاهنا حتى احتاج إلى وقفه ثانية بمَعلمه يوم النحر، فلمَّا تخلص من الذنوب ومن تبعات الناس تخلص من الأدناس، وأسرع في إتيان مَعلمه، فلمَّا أتى المضيق وجد العدو، وقد سدَّ عليه الطريق حسدًا وغيرة، فأُمر أن يرميه ليخسأ، ففي كل حصاة يرمي ويكبر يخسأ أرضًا أرضًا حتى يبلغ به سبع تكبيرات وسبع حصيات الأرض السابعة، لم يبقَ في الطريق إلى مَعلمه مانع، وإلى هذا الموضع كان ممنوعًا من مَعلمه مرة بالذنوب، ومرة بالتبعات، ومرة بالعدو، فإلى هذا الموضع أمر بالتلبية، فلمَّا رمى قطع التلبية؛ لأنه لم يبقَ مانع.

=

ثم إذا ترقّى من ذلك المشهد إلى عرفات الغرب، والوصال بالسير الواجبي، والسلوك الحقيقي، والمعرفة التامة التي ليس فيها إلحاد في الأسماء، والصفات والأفعال؛ فقد خرج عن ذنبه الواقع في عالم الأرواح، الأرواح الذي هو عالم الكون الموجب المعنوي للشرك الحقيقي بإثبات الوجودين في المعنى، وبذلك يتمُّ حجه ووقفته في: مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويكون مظهرًا لسرٍّ قوله تعالى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ فما تقدَّم من ذنبه هو الوجود المضاف إلى روحانيته الموجب للأثنية في عالم العقل، وما تأخَّر من ذنبه هو الوجود المضاف إلى جسدانية الموجب للإثنينية في عالم الحس.

فإذا كان هذا الذنب مطلقًا مغفورًا مستورًا بنور الروح؛ بل بنور القدس والوحدة؛ خرج العبد عن البشرية، وفنى عن الجسدانية، وبقى مع الرب الباقي؛ بحيث لا بقاء هناك، ولا معية في الحقيقة، وإنما هو وجود واحد، ونور مطلق يتلألأ أضواؤه للعوالم، فانظر هل وقع لك حج مثل هذا الحج إلى هذا اليوم؟ فإن لم يقع؛ فانظر إلى كلام القوم، واعمل بالصوم، وترك النوم.

=

وهاهنا كان رسول الله ﷺ يقطع التلبية في أول حصاة يرميها؛ لأن العبد قد أُذن له، وقد ذهبت العلل والموانع، فقيل له: ضع عنك هذا الشين والدرن والدنس، وتطّهر وخذ الزينة: أي اللباس، وأنت مَعلم ربك ولُذْ به وحجه، فيأخذ من أظفاره ويحلق رأسه، ويلبس ثيابه، فقيل له: طفْ بالبيت أسبوعًا واحدًا، فكذلك لا يستحب أن يطوف بالبيت زيادة على أسبوع واحد؛ وذلك طواف الزيادة، والزيادة الميل إلى - الله - تعالى وإلى مَعلمه، قد تم حجة، ثم أُمر أن يأتي مِنى لحال الذكر، فيقم بها ثلاثًا، ويرمي الجمرات غيظًا للعدو، وإن وجد قربانًا فقربه كان أفضل، وإن لم يجد فليس عليه شيء.

ومن هاهنا قال علماء السلف - رضي الله عنهم -: إذا لم يقف بعرفات فقد فاته الحج؛ لأنه قد فاته الإذن، وإذا وقف بعرفة و لم يطف طواف الزيادة لم يفته الحج، ولو أتى البيت بعد سنين كثيرة فطاف طواف الزيادة أتم حجه، وعليه بدنة لتأخره ذلك، ومَن طاف فقد أجزأته حجته. وانظر: إثبات العلل (ص١١١) بتحقيقنا.

١٧- في الحديث: «مَن حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله»[١]:

أشار باللات إلى الشيطان؛ لأنه كان صنمًا لأهل الطائف؛ والطائف هو الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وأشار بالعزى إلى النفس؛ لأنها لكمال عزّتها تدّعي الألُوهية والعزة، وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]: أي وللروح العزة؛ لأنه مظهر كمالات العزيز الحكيم، ولرسوله الذي هو القلب لا مرسل إلى القوى؛ كالسلطان إلى الجند.

ولا بد للخليفة من العزّة الذاتية والإضافية، ثم إن الحلف؛ إنما هو عمل اللسان، وهو مرتَّب على عمل القلب؛ إنما هو بالشرك كما أن فساد اللسان؛ إنما هو بقول الشرك، والحلف بالشيطان، والنفس عبارة عن تعظيمهما، ومن المقرر أن تعظيمهما كفر، والكفر لا يزول إلا بالتوحيد[٢].

---

(١) رواه ابن المنذر في الأوسط (١/٢٣١).

(٢) قال الشيخ أبو المواهب: قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]:

حقيقة: أحدية الذّات غيب في الأزل ووحدانيتها ظهور في الأبد، والواحد القديم ما لا أول له ولا آخر.

دقيقة: عمَلُ التوحيد علْمُه، وعلمه عمَله، لذلك مَن علمه عَمَلٌ، ومَن عَمَل، ومَن عَمِل به عَلِم.

وما عَمَلُ التوحيدِ عند محقّقٍ ... سوى فافهم لحكمةٍ وحدةٍ

تُشاهدُ أنوارَ تلوح وتجتلي ... وكثرتها تبدو مِن الفردِ فأثبت

حقيقة: توحيد هو تعداد، وتوحيد أنا إفراد.

فإنْ أردت أنْ تستغرق في بحر الإفراد، وتقف على الساحل مع الأفراد، فاجعل توحيدك هو بلا هو، فهناك تذهب بينونة البين، برفع نقطة الغين عن العين بلا أين، في حضرة الغيب والحضور، ويقابل البطون الظهور.

دقيقة: ليس بتوحيدك يتوحَّد الواحد؛ بل هو على كل حال واحد، كما أن العالم عالم كذلك[٢].

ما وحَّد الأحَدَ أحد، سبحانك من حيث أنت ما وحَّدك حقيقة إلا أنت، سبحانك لا نحصي ثناء عليك كل ذلك منك وإليك.

=

=

راحَ الموحَّــدُ والتوحــيدُ حين فَنى وصـــفُ الموحَّــدِ والتوحيدِ بالأحدِ

حقيقة: توحيد الذات في الأزل بشهود الأحدية.

لا تشهد حقيقة بمشاهد أبد الواحدية؛ لأن بالأحدية كان التجلّي الأوّل في حضرة أحدية الجمع، وبالواحدية كان التجلّي الثاني في تعين فرقها؛ لذلك اختلف الشهود لتباين المشهود.

دقيقة: التجلّي الذّاتي غير التجلّي الصفاتي؛ لهذا كان في أحكام التجريد لكل حقيقة ما يخصها من التوحيد.

حقيقة: وجوب الذّات، هو وجوب الصفات، وتعدادها لا يوجب تعديد الذات بذوات، نعم لا هي عَيْنُها، ولا هي غيرها، فقد اتحد المسمَّى، وتعددت الأسماء.

مَـا في التَّكـثرِ في الأوصافِ مِن بـلْ كونهـا عينها مع ماترى عجبَ

دقيقة: تعداد الأسماء يدل على تنـزيه المسمَّى، حيث تكثر أسماؤه في حضرات سبحانه، وهو موحد في غيب قدس ذاته.

حقيقة: تجلّي ذات الحق تمحق الكائنات، وتجلّي صفاته توجب لها الثبات؛ لذلك لم تُطَقْ رؤية الذات بالأبصار، ولا يدرك كنهها بالعقول والأفكار، كيف وأنّى لجائز حادث سقيم أن يثبت لوجوب الوجود القديم؟!

كــلُ المعــارفِ والعــوارفِ أغرقت في بحـرِ إجــلالِ الوجــوبِ الأولِ

يــا طالــبا لجـــوازه بجـــوازه هــذا الجــوازُ قــد استحال بمعزلِ

دقيقة: القديم غير الحادث، فإذا اختلفت الحقائق، فقد تعسرت الطرائق.

كـيفَ الوصـولَ إلى سعادِ ودونها قـنن الجـبالِ ودونهـن حـتوفٌ

الــرجْلُ حافــية ومــا لِيَ مركــب والكــفُّ صــفرٌ والطريقُ مَخُوفٌ

لكن إذا أراد وصولك إليه أفناك عنك، فتراه به كما هو حقيقة يراك.

ومخطوبـــةُ الحسْـــنِ محجوبـــةٌ فــلا تــألفَنَّ سِــوىَ ألفهـــا

إذا مَــا تجلّــت عــلى عاشـــق وأهــدت إلــيه شــذى عــرفَها

تغيــب الصــفاتُ وتُغــني الذواتُ بمــا أبــرزَ الحُسْــنُ مِــن لُطفِهــا

فــإنْ راه عاشـــقُها نظـــرةً لَم يســـتطع إذ عـــلا وصـــفها

=

=

أعارتـــه طرفًـــا رآهـــا بـــه فكـــان البـــصيرُ لهـــا طرفهـــا

حقيقة: لما تنـزَّه الواحد بكل وجه عن النهاية انتفى الضدُّ والندُّ عند الغاية.

لا تنتـــهي فيـــه النُّهـــى لنهايـــةٍ مَن شَاء يُطنبُ فيـه أو لا يُطنـب

دقيقة: نفي السلوب وإثبات الوجوب هما حضرة التنــزيه، فيما عليه سبحانه استحال من جائزات المحال.

حقيقة: توحيد الهوية، لا يدرك كُنه الماهية، فوحَّده من حيث هو بما هو على ما هو تكن ممن وَحَّد، ولا في الحقيقة أَلْحد.

دقيقة: إشارة هو في التوحيد خاص للخواص، كما أنَّ الإثبات بعد النفي عام للعوام؛ لذلك كانت تلك الإشارة في حضرة محاضر العيان، وهذه العبارة في مقام الدليل والبرهان.

حقيقة: الواقف مع رتبة الدليل بالكائنات محجوب عن عيان المشاهدات قانع بالقشر عن اللباب وإن كان من أولي الألباب.

ألا ترى أنه شتان بين واقف بالباب وبين من هو أهل لكرامة فحوى الخطاب.

ومـــا البحـــثُ في الآثـــارِ إلا مبعـــد عن المقصِد الأسنَى مِن الغايةِ القـــصوى

فـــلا تقـــنعنْ بالقـــشرِ دون لبابـــه ولا تحتجب بالبابَ عن حضرةِ النجوى

دقيقة: شقائق أبحاث الجدال أوهام في مهام الخيال لا تفيد صاحبها غير قعقعة اللسان، مع خلو من الجنان مَن قنع بها زلَّت به القدم، ومَن وقف معها أورثته الندم.

لعمرى لقد طفتُ المعاهدَ كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم

فلمْ أرَ إلاَّ واضعًا كف حائرٌ على ذقنه أو قارعًا سنَّ نادمِ

حقيقة: كل حقيقة أخذهَا عن الغير، ودلتك على سواء في السير فهي لك حجاب في الحال والمآل هذا، وإن دققت أفكار الأنظار فطيْر العناء في جو الخيبة بك قد طار، فاترك العقل المعقول، وكثرة الأبحاث والفضول.

عقـــلُ عقلـــك بالأوهـــامِ معقـــولُ قد قلَّب القلبُ منك القـــال والقيـــل

هِيمُ في مهمه الأوهـــامُ مـــن ولـــهِ أفـــاده فيـــك معقـــولٌ ومقـــولُ

نحت بـــالفكرِ معبُـــودًا وقلـــت بـــه وذاك عقد بكـــفِّ الحـــقِّ محلـــولُ

=

=

قــد عشــتَ مثلك دهرًا في مكابدةٍ ولي فــؤاد بهــذا الــداءِ معلــولُ

دقيقة: ما شهد الحقَّ من استدلَّ عليه، وما وصل إليه من زعمَ أنه يسير إليه؛ إذ لو شهده لكان برؤيته في طرب، ولو وصل إليه لزال عنه التعب.

حقيقة: الموحِّد من فنيت رسومه في حضرات التوحيد، وأنسَ بالواحد في مقامات التفريد غلب عليه الشهود بمرايا الكائنات، وجلّى ما تجلّى له فيها من حقائق الأسماء، والصفات، فأنشأ لسان تحقيقه في مسالك طريقه.

هــذا الوجــودُ وإن تعــدَّد ظاهرًا وحــياتكم مــا فــيه إلا أنــتم

دقيقة: علامة الموحِّد يا قوم وجدانه في اليقظة والنوم.

جمــالُك في مُخــيلتي وطــرفي مقــيم لــيس يخفــى بعد كشف

إذا اســتيقظت كــان بك ابتدائي وإنْ أغفيــت كــان علــيك وقفي

حقيقة: وجود المعارف في أهل العوارف تكسبهم إدراك لحقائق الذوقية، بل العنايات الكشفية وغيرهم ليس له هذا الاتِّصاف ولا خلق الإنصاف.

لو شئتَ أنصفت والإنصاف محمدٌ عــند الــرجالِ بنورِ الحقِّ كالقبس

باشــرْ بعقلــك هــذا الأمر مجتليًا مــنه حقــيقة حــق غير ملتبسِ

دقيقة: شهدت شواهد التوحيد لمن استدلَّ به عليه، وانجلت حضرات التغريد لمن إليه، فطوبى لمن رُفعت عنه الأستار، واستغنى عن الجدال والانتظار.

رفعــت لــنا عــن وجهها الخِباَ أهــلاً وســهلاً بالحبيبِ ومرحبًا

حقيقة: غلبة نور الظهور هو الذي أوجد الستور: أيْ ستور النور بالنور.

ومــا احتجبــت إلا برفع حجابها ومــن عجــب أنَّ الظهور تسترُ

دقيقة: ما من شيء إلا دلّك عليه لكنك لا تدري كيف تسير إليه دلت مصنوعاته على وحدانيته، وبرهنت آياته على فردانيته.

وفي كــلِ شــيءٍ لَــه آيــة تــدلُّ عــلى أنّــه الواحــدُ

حقيقة: قيام القيومية بالمخلوقات هو الذي أوجد لها قيام الصفات، فلو انمحى من عينيك خبال الخيال شهدت في الكون من لم يزل ولا يزال.

=

=

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

دقيقة: إذا عظم نور المشهود عزَّ إدراكه في الشهود.

ألا تـــرى الخفـــاشَ في الحـــسِّ لا يطـــيقُ رؤيـــةَ الشـــمسِ

مـــثل الـــنهارُ يزيد أبصار الورى نـــورًا ويعمـــي أعـــين الخفـــاشِ

حقيقة: ظهور تجلّي الحقيقة الإلهية، إذا تجلى للحقيقة الإنسانية محا منها ثنوية الناسوت، وأثبت فيها فردانية اللاهوت.

تجلّـــى لي الـــرحمنُ في كـــلِ ذرةٍ مِـــن العالِم العلوي إلى العالم السفلي

وقـــال كمـــالي حـــيَّر الـــناسَ جملةً وأعجـــز مَـــن ينشي الكتابةَ أو يملي

فإيـــاك لا تشـــهدُ لغـــير جمالـــه وقُدســـه إجـــلالاً عـــن البعدِ والقبلِ

دقيقة: صنعة الفنا هي التي أوجبت لبعضهم النطق بأنا.

حقيقة: تجلّي وصفه الباقي أوجب فناء العالم والمعالم، ولسان فردانيته في الإفراد حيَّر المتعلم والعالم.

دقيقة: من الفاعل بالاختيار كانت البداية، وبوصف قيوميته قامت الأكوان إلى غاية لها ونهاية.

فالحظْ بنظر بصيرتك أيها الملحوظ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ﴾ [البروج: ٢٠، ٢١، ٢٢].

حقيقة: حيطة حضرة ذاته محيط بصفاته، وحيطة صفاته محيطة بسبحات أسمائه، وأسمائه فعالة في الكائنات بما أودعها من بدائع التجلّيات.

دقيقة: من حكمته ستر ظهور الذّات بحجاب مظاهر الصّفات، واختفي بما به ظهر من الكائنات، وغاب بما به حضر، وحاضر من التعرفات.

حقيقة: حضور العبد حضور العجز عن محاضرته في حظيرة مشاهدته، ومطالعته هو نهاية من اعترف وذاق الشراب واغترف.

والعجـــزُ عـــن دركِ الإدراكِ شمـــسٌ جـــرت بهـــا فـــوق جو الشكِ أفلاكُ

دقيقة: العجز سلب، والإدراك وجود، فكيف جعل الصديق ذلك غاية المقصود؟!

نعم تفهمه إذا أدركت حقيقة الفنا، وتتحقق به إذا تجلّت به لك الحسنى بأسمائها الحسنى.

حقيقة: تجلّي الحقيقة الإلهية للأكوان يتفاوت بحسب الاستعداد والإمكان، لذلك من القوم من يملك الحال، ومنهم من يملك المقام، ومن يملك المقام؛ يثبت له التجلّي على الدوام.

=

فمَن تعلَّق بشيء مما سوى الله؛ فقد أشرك بالله، وحط درجته عن درجة القربة والوحدة، فعليه بالتوحيد القلبي؛ لأن القلب هو الذي يشاهد ربه بالوحدانية والربوبية.

وأشار بالأُلوهية إلى أن الشرك؛ إنما هو خطأ النفس بالميل إلى الصفات المختلفة، فلو مالت إلى الصفة الحقيقية لله تعالى، وهو صفة الأُلوهية التي انفرد بها عن الخلق؛ كانت مستقيمة في طريق الحق لا منحرفة، فكان خطؤها في صفة الذَّاتية خطأ منها في الذَّات الأحدية، فسرى الشرك من الصفات إلى الذَّات، ومن ثم لم يكن الشيطان من أهل الذَّات قطعًا، وكذا النفس إذ لو كان من أهله كان مؤمنًا، ومَن كان مؤمنًا في مرتبة الذات؛ خلص من الإلحاد في مرتبة الصفات، وإنما عُدَّ الحلف

=

دقيقة: لما تجردت الحقيقة الذاتية عن الاتِّصاف تكون معناها في القابل لها من الأوصاف، لون الماء لون إنائه، يسقي بماء واحد ونُفضل بعضها على بعض في الأكل.

على قدركِ الصهباءُ تعطيــك نــشوةً ... ولست على قدرِ الــسلاف تُــصابُ

ولو أنها تعطيــك يومًــا بقــدرِ مــا ... لضاقت بك الأكوانُ وهــي رحــابُ

حقيقة: تجلي الحال في المشاهد بحسب ما أعطِي المشاهد، فالعوام لا يشهدون غير مشهد حسن الصورة الحسية، والخواص رفع لهم الستر عن صورة الحسّ المعنوية. التي تجلّى بها اسمه تعالى الظاهر في جميع الأكوان بكل المظاهر.

تراه إن غاب عــني كــل جارحــة ... في كل معنى لطيــفٍ رائــقٍ بهــجِ

في نغمةِ العودِ والنــاي الــرخيمِ إذا ... تألَّفــا بــين ألحــانٍ مِــن الهــزجِ

وفي مــسارحِ غُــزلانِ الخائــلِ في ... بردِ الأصائلِ والإصــباحِ في الــبلجِ

دقيقة: المزاحم على برقشة الجمال السفلي محجوب عن شهود الجمال العلوي، فاترك المضايقة في طريق المركز الأدنى، وارق بهمتك إلى الأوج الأعلى.

ومــا نحــنُ إلا خطــوط وقعــت ... علــى نقطــةِ وقــعِ مــستوفزِ

محــيطُ العــوالمِ أولى بنــا ... فمــاذا التــزاحمُ في المركــزِ

وانظر: قوانين حكم الإشراق (ص٢٠) بتحقيقنا.

باللات والعزى شركًا منافيًا للتوحيد.

وقد أقسم الله تعالى بغير ذاته وصفاته في مواضع كثيرة من القرآن؛ مثل: **والشمس، والضحى، والتين والزيتون، والعصر** ونحو ذلك؛ لأن ذلك قسم من المتعين بتعيناته الواقعة في طريق الهدى.

وأمَّا القَسم بما في طريق الضلال فلم يرد؛ لأن القَسم من قبيل القول، والقول من قبيل العمل، وفرق بين عمل الشيء، ومعرفته على ما هو عليه، ومن ثم قالوا: إن أهل الحق لا يفرقون بين شيء وشيء: أي في العلم بخلاف العمل، فإن الحكمة تقتضي الوقوف عند الشرائع الظاهرة لا عند الحقائق الباطنة، ثم إن كلمة التوحيد طُويَ عنها النقطة؛ لأن النقطة للتمييز: ﴿**وَقَد شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ**﴾ [آل عمران:١٨].

ودلَّت الآيات التكوينية والتنـزيلية على وحدة الوجود الواجبي والإمكاني(١).

---

(١) قال الشيخ الكتاني: ذكر المتكلمون على وحدة الوجود أن هاهنا وحدات ثلاثًا:

الأولى منها: وحدة كل موجود على انفراده ومعناها أن كل فرد من أفراد الموجودات الظاهرة والباطنة من حيث هو له من الله تعالى وجه خاص يلقي إليه منه ما يشاء لا يشاركه فيه أحد وله منه أيضًا وجهة معينة وصفة مخصوصة لا تكون لغيره بها يتميز عن غيره من سائر المخلوقات وهذه الوجهة هي حقيقته المختصة به وصفته المخصوصة.

قال في «الفتوحات» في الفصل الخامس عشر من الباب الثامن والتسعين ومائة ما نصه: وأما الله تعالى فهو مع كل شيء فلا يتقدمه شيء ولا يتأخر عنه شيء وليس هذا الحكم لغير الله تعالى ولهذا له إلى كل موجود وجه خاص لأنه سبب كل موجود وكل موجود لا يصح أن يكون اثنين، انتهى.

يشير إلى هذه الوحدة وإن شئت زيادة بيان لها فقل إنه ما من عين مخلوقة إلا ولها من الله خاصية وعلامة تميزها عن غيرها من كل ما خلقه الله من الأعين من ابتداء الوجود إلى انتهائه كما أن لها منه مادة مخصوصة لا يشاركها فيها عين أخرى، وإن قلنا: إن هذه العين مثل هذه كزيد مثلا مثل عمرو أو هذه الحبة من البر أو غيره مثل هذه فما هي مثلية حقيقية إذ كل واحد منهما لابد له من مميز يدرك ذلك من خالطه المخالطة الخاصة أو تأمله كذلك أو فتح الله عين بصيرته وذلك المميز هو وجهه المختص به وهو حقيقته الخاصة وصفته المخصوصة فهذه هي وحدة كل موجود.

الثانية: وحدة جميع الموجودات الكونية من حيث جملتها وهي وحدته ﷺ ومعناها أن العالم كله من =

=

أوله إلى ما لا نهاية له منه شيء واحد بالذات أعني نورانيته واحدة وحقيقة متحدة متضمنة لجميع الحقائق وهي نورانيته ﷺ وحقيقته المفاضة من الذات العلية فيضانا متحدا بالفيض الأقدس أولاً في العلم ثم بالفيض المقدس ثانيًا في العين والخارج وما لها من التفاصيل والوجوه والقيود والاعتبارات والخيالات العارضة لا يعددها ولا يكثرها كالذات الواحدة الإنسانية فإنها حقيقة واحدة لا يكثرها ويعددها ما لها من الأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة وإن كانت متعددة، وهذا معنى ما بلغنا عن بعضهم من أنه كان يقرر وحدة الوجود فيه ﷺ وكان بعض أشياخنا ممن جمع بين الظاهر والباطن يومئ إليها فيقول: إذا رأى إنسانا مقبلاً عليه أي إنسان كان مرحبا بالنور المحمدي حتى صار يلقب بهذا اللقب فيقال له: النور المحمدي وكان يشير بذلك إلى أن الأكوان كلها إنما هي مظاهره ﷺ وأنوراه المتحدة بالذات، وإن تعددت بالاعتبارات، وأن وجوده إنما هو بوجوده ﷺ وإمداده المستمد من الحضرة العلية التي هي حضرة الأحدية.

وفي «الجامع» لأبي عبد الله محمد بن المشري نقلاً عن شيخه أبي العباس التيجاني قال: الحقيقة المحمدية هي الكون بأسره فلو رفع الحجاب لم تر إلا الحقيقة المحمدية بارزة وحدها عليها أفضل الصلاة والسلام انتهى.

يريد أنها سارية فيه كسريان الماء في العود الأخضر بحيث لو زال هذا السريان لصار عدما محضًا في الحال قبل المآل ولو زالت هذه المظاهر التي هي الحاجبة عنها لم تر إلا هي بارزة وحدها وإلى هذه الوحدة يشير في «الفتوحات» عقب ما مرَّ عنه في الوحدة قبلها بقوله: وهو واحد فما صدر عنه إلا واحد فإنه في أحدية كل واحد وإن وجدت الكثرة فبالنظر إلى أحدية الزمان الذي هو الظرف، فإن وجود الحق في هذه الكثرة في أحدية كل واحد فما ظهر عنه إلا واحد، فهذا معنى لا يصدر عن الواحد إلا واحد ولو صدر عنه جميع العالم لم يصدر عنه إلا واحد فهو مع كل واحد من حيث أحديته، وهذا لا يدركه إلا أهل الله، وتقوله الحكماء على غير هذا الوجه وهو مما أخطأت فيه، انتهى منه بلفظه.

وقد ذهب الأشاعرة والمتكلمون إلى جواز استناد آثار متعددة لمؤثر واحد بسيط لأنهم قائلون بأن جميع الممكنات المتكثرة كثرة لا تحصى مستندة بلا واسطة إلى الله تعالى مع كونه منزها عن التركيب والحكماء منعوا هذا أعني جواز استناد الآثار المتعددة إلى المؤثر البسيط الواحد الحقيقي من جميع الجهات، وقالوا: إنه لا يجوز أن يستند إليه إلا أثر واحد، وقالوا في معنى ما صدر عن الواحد إلا واحد أن الحق تعالى ما خلق إلا واحدًا وهو العقل الأول، والعقل الأول أوجد الفلك الأول بمادته وصورته ونفسه الناطقة المدبرة له وأوجد العقل الثاني ثم العقل الثاني أوجد فلكه ومادته وصورته ونفس والعقل الثالث، وهكذا إلى العقل العاشر، ثم خلق العقل العاشر العناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة بأنواعها الكثيرة ونفوسها وقواها، وغير ذلك إلى ما شاء الله. هذا ما قالوا.

=

=

وحمل الأكثرون كلامهم هذا على الظاهر من إثبات فاعل ومؤثر غير الله تعالى عما لا يليق به وحقق المحقق الدواني في بعض رسائله أن تحقيق مذهبهم أنه لا فاعل في الوجود إلا الله تعالى وبين ذلك بالبيان الشافي فلينظر.

وأهل الله تعالى يقولون معنى ما صدر عن الواحد إلا واحد أن وجوده تعالى في أحدية كل واحد وأنه مع كل واحد من حيث أحديته كما قاله الشيخ الأكبر، أو أنه ما صدر عن الحق تعالى إلا واحد وهو الوجود المفاض من الذات العلية فيضانا متحدا والعقل الأول وغيره من سائر الموجودات سواء في هذا الوجود المفاض كما قاله غيره.

وقال العارف الجامي في «الدرة الفاخرة الملقبة بحط رحلك» في ترجمة القول في صدور الكثرة عن الوحدة: الظاهر أن الحق ما ذهب إليه الحكماء من امتناع صدور الكثرة عن الواحد الحقيقي ولذا وافقهم الصوفية المحققون في ذلك لكن خالفوهم في كون المبدأ الأول كذلك فإنهم يثبتون له تعالى صفات ونسبًا تغايره عقلاً لا خارجًا كما سبق فَيُجَوِّزُون أن يصدر عنه باعتبار كونه مبدءا للعالم كثرة من حيث كثرة صفاته واعتباراته وأما من حيث وحدته الذاتية فلا يصدر عنه إلا أمر واحد من تلك الصفات والاعتبارات أي وهو نسبة العموم والانبساط للوجود المفاض المعبر عنه بالعما قال وبواسطته يلحقه سائر الاعتبارات وبواسطة كثرة الاعتبارات كثرة وجودية حقيقية انتهى منه بلفظه.

وقال صدر الدين القونوي في رسالة «مفتاح الغيب» في ترجمة فصل شريف يشتمل على علم غزير خفي لطيف ما نصه: الوجود في حق الحق عين ذاته وفي من عداه أمر زائد على حقيقته وحقيقة كل موجود عبارة عن نسبة تعينه في علم ربه أزلا وتسمى باصطلاح المحققين من أهل الله عينًا ثابتة.

وفي اصطلاح غيرهم ماهية والمعدوم الممكن والشيء الثابت ونحو ذلك والحق سبحانه من حيث وحدة وجوده لم يصدر عنه إلا واحد لاستحالة إظهار الواحد غير الواحد وإيجاده من كونه واحدًا أكثر من واحد لكن ذلك الواحد عندنا هو الوجود العام المفاض على أعيان الممكنات ما وجد منها وما لم يوجد معًا سبق العلم بوجوده وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذي هو أول موجود عند الحكيم المسمي بالعقل الأول وبين سائر الموجودات وليس كما يذكره أهل النظر من الفلاسفة بأنه ما ثم عند المحققين إلا الحق والعالم، والعالم ليس بشيء زائد على حقائق معلومة لله تعالى أولاً كما أشرنا إليه من قبل متصفة بالوجود ثانيًا فالحقائق من حيث معلوميتها وعدميتها لا توصف بالجعل عند المحققين من أهل الكشف والنظر أيضًا؛ إذ المجعول هو الموجود فما لا وجود له لا يكون

=

=

مجعولاً، ولو كان كذلك لكان للعلم القديم في تغير معلوماته فيه أزلاً أثر مع أنها غير خارجة عن العـــالم بهـــا، فإنها معدومة لا نفسها، لا ثبوت لها إلا في نفس العالم بها، فلو قيل بجعلها لزم إما مساواتها للعالم بها في الوجود، أو أن يكون العالم بها محلاً لقبول الأثر من نفسه في نفسه، وظرفًا لغـــيره أيضًـــا، وكل ذلك باطل؛ لأنه قادح في صرافة وحدته سبحانه أزلاً، وقاض بأن الوجود المفاض عرض لأشياء موجودة لا معدومة، وكل ذلك محال من حيث أنه تحصيل للحاصل، ومن وجوه أُخر لا حاجة إلى التطويل بذكرها فافهم، فثبت أنها من حيث ما ذكرنا غير مجعولة، وليس ثمـــة وجـــودان كما ذكر بل الوجود واحد، وهو مشتركٌ بين سائرها مستفاد من الحق سبحانه وتعالى.

ثم إن هـــذا الوجود الواحد العارض للممكنات المخلوقة، ليس بمغاير في الحقيقة للوجود الحق الباطن، المجرد عن الأعيان والمظاهر، إلا بنسب واعتبارات، كالظهور والتعين والتعدد الحاصل له بالاقتران، وقبول حكم الاشتراك، ونحو ذلك من النعوت التي تلحقه بواسطة التعلق بالمظاهر انتهى المراد منه بلفظه، وقد نقله ببعض حذف منه الجامي في «الدرة الفاخرة».

وفي «لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام» في الكلام على الأمر الوحداني ما نصه: هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وأمره الواحد عبارة عن تأثيره الوحـــداني بإفاضة الوجود الواحد المنبسط على الممكنات القابلة الظاهرة به، والمظهرة إياه متعددًا متنوعًا بحسب ما اقتضته حقائقها المتعينة في العلم الأزلي، وذلك لأن الحق من حيث وحدة وجوده لا يصـــدر عـــنه إلا واحد؛ لاستحالة إيجاد الواحد من كونه واحدًا ما هو أكثر من واحد إلا أن أرباب النظر العقلي من الفلاسفة، يرون أن ذلك الواحد هو العقل الأول، وعلى قاعدة الكشف هـــو الوجـــود العام، وينبغي أن تعلم أنه ليس المراد بالعموم أنه كلي، لا يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه، فإن ذلك مما لا يصلح أن يكون موجودًا في الأعيان، بل المراد بالعموم اشتراك جميع الممكنات في أنه هو المفاض عليها، المضاف إليها ما وجد منها، وما لم يوجد مما سبق العلم بوجـــوده، وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذي هو أول موجود المسمى بالعقل الأول، وبين سائر الموجودات؛ إذ ليس ثم إلا الحق والعالم، العالم ليس بأمر زائد على حقائق معلومة الحق أولاً متصفة بالوجود ثانيًا انتهى منه بلفظه.

وقد تعرض في «جواهر المعاني» في الفصل الثالث من الباب الخامس نقلاً عن شيخه أبي العباس التجاني لإيضاح هذه الوحدة، وبيانها على مذهب القوم، وإبطال ما قاله أهل الظاهر من إحالتها، وإبطال ما ألزموه لمن قال بها، وهو أنها تستلزم تساوي الشريف والوضيع، واجتماع المتنافيين والضدين إلى

=

=

غير ذلك مما قالوه.

وحاصل كلامه: إن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، وهي إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية، وما ذكروه لا يلزم؛ لأنه وإن كانت الخواص متباعدة، والأحكام مختلفة، فالأصل الجامع لها ذات واحدة كذات الإنسان، سواء بسواء، وأيضًا فلوحدته وجه ثان وهو اتحاد ذاته في كونه مخلوقًا لله تعالى، وأثرًا لأسمائه وصفاته، فلا يخرج فرد من أفراد هذا العالم عن هذا الحكم، وإن اختلفت أنواعه، فإن الأصل الذي برز عنه واحد، ووجه ثالث، وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه من حضرة الحق فيضانًا متحدًا، ثم اختلفت خواصه وأجزاؤه بحسب ما تفصل ذلك الوجود، فإنه يتحد في عين الجملة، ويفترق في حال التفصيل. راجع كلامه، وراجع أيضًا كتاب «الجامع» لابن المشري، فإنه تعرض فيه أيضًا لهذه الوحدة وبيانها نقلاً عن شيخه المذكور.

الثالثة: وحدة الوجود الذي به يتحقق حقيقة كل موجود، وهي وحدة الحق سبحانه، ومعناها أن الوجود من حيث هو حقيقة واحدة، وهي لله تعالى وحده لا مشارك له فيها، فهو الموجود على الإطلاق، ووجود هذه الكائنات إنما كان باستنادها إليه، واستمدادها منه، واستنشاقها لروائح الوجود من وجوده، وإشراق شعاع وجوده عليها، فهي موجودة بهذا الوجود الذي له تعالى لا بوجود آخر ثان، فلم تكن غيرًا من كل وجه؛ لأن الغير في عرفهم هو الذي يكون له الوجود من ذاته، ويتصور أن يكون له بنفسه قوام، وهي وجودها ليس من ذاتها، ولا يتصور أن يكون لها قوام بنفسها.

وقد قال الشيخ الأكبر في كتاب «التجليات» له: من لم يكن له وجود من ذاته فمنزلته منزلة العدم، وهو الباطل قال: وهذا من بعض الوجوه التي بها يمتاز الحق تعالى عن الخلق، وهو كونه موجودًا أعني وجوده من ذاته انتهى.

كما أنها ليست عينًا لما بين التقييد والإطلاق من تقابل التضاد، وعليه فإثبات الوجود لها توهم؛ لأنه يتوهم الجاهل بحالها، وحقيقتها أن لها وجودًا وفي الحقيقة ونفس الأمر ما ثم إلا وجوده تعالى؛ لأن به ظهرت الأشياء كلها، ولذا قيل:

هذا الوجود وإن تعدد ظاهرًا … وحياتكم ما فيه إلا أنتم

أنتم حقيقة كل موجود بدا … ووجودها ذي الكائنات توهم

في باطني من نوركم ما لو بدا … أفتي بسفك دمي الذي لا يعلم

=

=

ولـــو أنـــي أبـــدي ســـرائر جودكم قـــال العـــواذل لـــيس هـــذا مسلـــم

وفي «الإحياء» في كتاب التوحيد والتوكل في الكلام على قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ما نصه: أي كل ما لا قوام بنفسه، وإنما قوامه بغيره، فهو باعتبار نفسه باطل، وإنما حقيقته، وحقيقته بغيره لا بنفسه، فإذًا لا حق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء، فإنه قائمٌ بذاته، وكل ما سواه قائم بقدرته، فهو الحق وما سواه باطلٌ انتهى.

وقال القاشاني في «لطائفه» في مبحث التحقيق ما نصه:

التحقـــيق هو رؤية الحق بما يجب له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، قائمًا بنفسه، مقيمًا لكل ما ســـواه، وأن الوجـــود بكمالات الوجود: أي التي هي القوى والمدارك، إنما هو له تعالى بالحقيقة والأصـــالة، ولكل ما سواه بالمجاز والتبعية، بل تسميته غيره غير أو سوى مجاز أيضًا؛ إذ ليس معه غير، بل كل ما يُسمّضى غيرًا، فإنما هو فعله، والفعل لا قيام له إلا بفاعله، فليس هو بنفسه، لِيُقال فـــيه غيرًا وسوى، فكان مرجع التحقيق أن ليس في الوجود إلا عين واحدة، قائمة بذاتها، مقيمة لتعيـــناتها، الـــتي لا يتعين الحق بها؛ لاستحالة الانحصار عليه أو التقييد، فهو تعالى الظاهر في كل مفهوم، والباطن عن كل فهمٍ، إلا عن فهم من قال: إن العالم صورته وهويته، فلهذا صار صاحب التحقـــيق، لا يثبـــت العـــالم ولا ينفيه: أي لا يثبت العالم إثبات أهل الحجاب، ولا ينفيه نفي المستهلكين، فافهم. انتهى منه بلفظه.

فهـــذا المعنى هو مراد أهل الله بوحدة الوجود، وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبارات التي يذكرها العـــارفون مـــن أهل التحقيق، وليس مرادهم المعنى الفاسد الذي عند أهل الزندقة والإلحاد، وقد أنكـــرته عليهم علماء الأمة، وقد كشف عن هذا الشيخ عبد الغني النابلسي في رسالةٍ له سمّاها: «إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود».

وفي «الحكم العطائية»(1): الكون كله ظلمة: أي عدم صرف بالنظر إلى أصله، وحقيقة ذاته، قال: وإنما أنـــاره يعـــني أظهره، وأزال ظلمة العدم عنه ظهور الحق فيه: أي تجليه عليه أولاً بأنوار الإيجاد، وتوجهه إليه ثانيًا بما يقوم به، ويدوم به وجوده من أنواع الإمداد، فلم يكن وجوده لنفسه وذاته حـــتى يعـــد وجودًا مستقلاً، وإنما كان وجوده تعالى، وبظهور هذا الوجود في الأشياء ظهرت، وبإشـــراق شعاعه عليها أشرقت على حسب ما تقتضيه طبائعها وقابليتها، واستعداداتها الثابتة في العـــلم، ثم قال في الحكم، فمن رأى الكون و لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار يعني أن من نظر إلى الكون، و لم يشهد الحق

=

=

تعالى ببصيرته فيه، أو عنده أو معه كما هو حال أهل التوسط الذين يرون الله في الأشياء، أو عندها أو معها ويقولون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه أو عنده أو معه أو يشهده قبله، كما هو حال أهل الشهود والعيان الذين يرون الأشياء بالله، ويقولون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله أو يشهده بعده، كما هو حال أهل الدليل والبرهان الذين يرون الله بالأشياء، ويقولون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعده، كان معدودًا من أهل الظلام، محجوبًا عن الله تعالى بسحب الكون أو الجهل والغفلة والآثام، ومن شهده في كل شيءٍ أو عنده أو معه أو قبله أو بعده أو فيه، **وعنده ومعه وقبله وبعده كان من أهل الأنوار، وممن لم تنحجب عنهم شموس المعرفة بسحب الآثار**، ومن زال عنه الوهم والعناء، وكان في مقام المحو والفناء، وغلب عليه شهود الوجود الحق الحقيقي، الذي به كل شيءٍ موجود يرى الله وحده، ولذا ينفي ما عداه، ولا يثبت شيئًا سواه، ويقول: ما رأيت شيئًا سوى الله.

ومن قول بعضهم في الدار غيره ديار وقول آخر سوى الله والله ما في الوجود ويقول عما سواه أنه ظل، وأنه خيال، وأنه سراب، وأنه هالك، وأنه مضمحل زائل أو لا وجود له أصلاً، وهو صادق في ذلك كله؛ لأن وجود ما سوى الحق إنما هو بالفرض والتقدير، أو الوهم والتخييل، والوجود الحق الحقيقي إنما هو وجوده تعالى، ووجود ما عداه بوجوده لا بوجودٍ آخر، مما عداه ليس له من نفسه وجود أصلاً، فهو بالنظر إلى نفسه عدم صرف، وبالنظر إلى إشراق شعاع الوجود المطلق عليه كالظل له تابع له، والتحقق بهذا المعنى هو زبدة التوحيد، وعمدة أهل التفريد، وفي ذلك يقول قائلهم:

الله قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتادًا بلوغ الكمال

فالكل دون الله إن حققته ... عدم على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك والعوالم كلها ... لولاه في محو وفي اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ... شيئًا سوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا ... في الحال والماضي والاستقبال

وقد حُكي عن الصديق ﷺ أنه كان يقول ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله.

وعن عمر ﷺ أنه كان يقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعده.

وعن عثمان ﷺ أنه كان يقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله معه.

=

=

وعن علي ﷺ أنه كان يقول: لا نعبد ربًا لم نره يعني لم نشهده.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «كان الله ولا شيء معه، وكان الله وحده بلا شيء».

وفي «الإحياء» في كتاب المحبة والشوق في ترجمة بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى ما نصه:

وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته: أي قوته، فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى، ولا يعرف غيره، ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله تعالى، وأفعاله أثر من آثار قدرته، فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها، ومن هذه حاله فلا ينظر في شيءٍ من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل، ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق، فلا يكون نظره مجاوزًا له إلى غيره، كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه، ورأى فيها الشاعر والمصنف، ورأى آثاره من حيث أنه أثره لا من حيث أنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف، وكل العالم تصنيف الله تعالى، فمن نظر إليه من حيث أنه فعل الله، وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله، لم يكن ناظرًا إلا في الله، ولا عارفًا إلا بالله، ولا محبًا إلا لله، وكان هو الموحد للحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث أنه عبد الله، فهذا هو الذي يُقال فيه: إنه فني في التوحيد، وإنه فني عن نفسه أيضًا، وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا، وبقينا بلا نحن. انتهى منه، وقد نقله السيوطي أيضًا في «تأييد الحقيقة العلية».

وفي كلام بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله، لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية.

وقال بعضهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع؛ فإنه لا غير معه حتى أشهده معه.

ومن كلام مولانا عبد السلام بن مشيش لوارثه أبي الحسن الشاذلي: حدد بصر الإيمان تجد الله تعالى في كل شيءٍ، وعند كل شيءٍ، ومع كل شيءٍ، وقبل كل شيءٍ، وبعد كل شيءٍ، وفوق كل شيءٍ، وتحت كل شيءٍ، وقريبًا من كل شيءٍ، ومحيطًا بكل شيءٍ بقرب هو وصفه، وبحيطة هي نعته.. إلى آخر ما قال.

وقال بعض العارفين: الحق تعالى منزَّهٌ عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة، ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض؛ لأنه للطفه سار في كل شيءٍ، ولنورانيته ظاهر في كل شيءٍ، ولإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيفٍ، غير متقيدٍ بذلك،

=

=

ومن لم يرَ هذا و لم يشهده فهو أعمى البصيرة، محروم من مشاهدة الحق انتهى.
ومن كلام القطب سيدي علي وفا ﷺ:

هو الحق المحيط بكل شيء ... هو الرحمن ذو العرش المجيد
و النور المبين بغير شك ... هو الرب المحجب في العبيد
هو المشهود في الأشياء يبدو ... فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو العين العيان لكل غيب ... هو المقصود من بيت القصيد
جميع العالمين لَه ظلال ... سجود له في القريب وفي البعيد
وهذا القدر في التحقيق كاف ... فكف النفس عن طلب المزيد

واعلم أن الإيمان بالله هو التصديق الجازم بوجوده أولاً، وبوحدانيته ثانيًا، وباتصافه بصفات الكمال اللائقة به ثالثًا، وبتقديسه عن سمات الحوادث رابعًا، وهذا التصديق له مراتب ذكر في «القوت» و «الإحياء» أنها ثلاثة وهي في الحقيقة تسعة لأن كل مرتبة من المراتب الثلاث منقسمة إلى ثلاثة، وذكر الغزالي في آخر كتابه: «إلجام العوام» ستة منها وهي أقسام المرتبتين الأوليين، وأما المرتبة الثالثة فذكرها بأقسامها في كتابه «مشكاة الأنوار»، ونحن إن شاء الله تعالى نذكر خلاصة المرتبتين الأوليين مع التوسع في المرتبة الثالثة؛ لأنها المقصودة هنا.
فنقول المرتبة الأولى: مرتبة إيمان العوام، وهو إيمان التقليد المحض.
وفيها ثلاث مراتب لأنه:
١- إما أن يكون مستندًا إلى السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق عليه كالعلماء والأولياء.
٢- أو إلى أمارة يظنها العامي دليلاً كالقرائن الشاهدة له.
٣- أو غير مستند إلى شيء أصلاً كأن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر إلى التصديق به لمجرد موافقته لطبعه.
وهذه أضعف التصديقات لأنه فيما قبله استند إلى دليل ما وإن كان ضعيفا.
المرتبة الثانية: مرتبة إيمان المتكلمين وهو الإيمان الممزوج بنوع من الاستدلال وفيها أيضًا ثلاث مراتب لأنه:
١- إما أن يكون حاصلاً بالبرهان المحرر المستقصي لشروطه بأصوله ومقدماته.
٢- أو بالأدلة الرسمية الكلامية المبنية على أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة إنكارها.

=

=

٣- أو بالأدلة الخطابية التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات.

المرتبة الثالثة: مرتبة إيمان العارفين، وهو المشاهد بنور اليقين وفيها أيضًا ثلاث مراتب.

الأولى: مشاهدة أن الوجود كله لله وأنه لا شريك له فيه أصلاً لأن كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته فهو من حيث ذاته لا وجود له بل وجوده مستعار من غيره، ولا قوام لوجود المستعار بنفسه بل بغيره ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض فإذا انكشفت هذه الحقيقة للعبد بنور اليقين علم أن الوجود كله له تعالى لا مزاحم له فيه أصلاً وأن نسبته لغيره مجاز لا حقيقة.

الثانية: ترقى أصلها من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله وأن كل شيء هالك إلا وجهه أزلا وأبدًا لا يتصور فيه إلا ذلك لا أنه يصير هالكا في وقت من الأوقات لأن كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم صرف، وإذا اعتبرت من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول فهو موجود لا من وجهه وذاته، بل من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود هو وجه الله فقط وحينئذ فلكل شيء وجهان وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم، وباعتبار وجه ربه موجود، فإذًا لا موجود إلا الله ووجهه كما قال: ﴿كُلُّ شيء هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] يعني فليس بهالك.

وهؤلاء يفتقروا لقيام القيامة ليسمعوا نداء الباري لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدًا، و لم يفهموا من معنى قوله الله أكبر أنه أكبر من غيره حاش الله إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه، بل ليس لغيره رتبة المعية، بل رتبة التبعية، بل ليس لغيره وجود إلا من الوجه الذي يليه، فالوجود وجهه فقط، فمحال أن يكون أكبر من وجهه، بل معناه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الإضافة والمقايسة، وأكبر أن يدرك غيره كنه كبريائه نبيًا كان أو ملكًا بل لا يعرف كنهه إلا هو تعالى.

الثالثة: أهلها بعد ما عرجوا إلى سماء الحقيقة، و لم يروا في الوجود تحقيقا إلا الواحد الحق وأفعاله، لكن منهم من كان له هذا الحال عرفانا علميا، ومنهم من صار له ذلك ذوقًا حاليًا، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية استغرقوا في الفردانية المحضة واستلبت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيها، و لم يبق فيهم متسع لذكر غير الله، ولا لذكر أنفسهم أيضًا ، فلم يكن عندهم إلا الله ، فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق.

وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شاني.

وقال الآخر: ما في الجبة إلا الله.

=

=

وكـــلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى، فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الـــذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط عشقه: أنا من أهوى، ومن أهوى أنا.

وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء، بل فناء الفناء لأنه فني عن نفسه، وفني عن فنائه، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال، ولا بعدم شعوره بنفسه، ولو شعر بعدم شعوره كان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالنسبة إلى المستغرق بها بلسان المجاز اتحادًا وبلسان الحقيقة توحيدًا وانظر: «مشكاة الأنوار» لأبي حامد الغزالى، و «شرح الإحياء» للشيخ مرتضى الزبيدي في أول نصفه الثاني وفي مبحث السماع.

وفي «لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام» للقاشاني بعد ما ذكر فيه الاتحاد وأنه يطلق ويراد به عدة معـــاني ما نصه: ومنها أن يراد بالاتحاد جميع الموجودات في الوجود الواحد من غير أن يلزم من ذلـــك ما يظن من انقلاب الحقائق أو حلول شيء في شيء، بل المراد من ذلك أن كل ما سوى الحق سبحانه لا حقيقة له إلا بالحق سبحانه بمعنى أن الوجود الذي صار به كل موجود موجودا إنمـــا هـــو الوجـــود الواجب، وهذا منكر عند أرباب العقول المحجوبة بظلمة الأكوان، فإنهم لا يشاهدون وجهه تعالى في الأشياء لوقوفهم معها، وإلى وحدة الوجود المشترك بين جميع الماهيات المتكـــثرة أشار الأكابر بقولهم الوحدة للوجود والكثرة للعلم أي للمعلومات فإنها هي التي كثرت الوجود الواحد المظهر لها بها انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضًا ما نصه: وحدة الوجود، يعني به عدم انقسامه إلى الواجب والممكن وذلك أن الوجود عند هذه الطائفة ليس ما يفهمه أرباب العلوم النظرية من المتكلمين والفلاسفة، فإن أكثرهم يعتقد أن الوجود عرض، بل الوجود الذي ظنوا عرضيته هو ما به تحقق حقيقة كل موجود، وذلك لا يصح أن يكون أمره غير الحق عز شأنه انتهى المراد منه بلفظه أيضًا.

وقـــال السعد في شرح المقاصد بعد أن أبطل الحلول والاتحاد ما نصه: وها هنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه في شيء.

الأول: السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله، وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاتـــه وصـــفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد، وإليه يشير الحديث الإلهي:

«فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ».

وحينـــئذ فربما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال، وتعذر

=

أمَّا الوجود الواجبي: فما دلَّ عليه كلمة لا إله إلا الله، وإمَّا الوجود الإمكاني: فما دلَّ عليه كلمة محمد رسول الله، فإذا لم يكن في البين ما يُوهم الشركة؛ لم يحتج إلى التمييز؛ فإن التمييز إنما هو بين الشيئين، فشيء واحد لا يمكن تمييزه لبساطته، انصرف هذا عند المحققين.

وأمَّا عند غيرهم فلابد من النقاط، وتعدد الحروف، إمَّا حقيقة أو ضمنًا، فعالم الإمكان مملوء حروفه من النقاط؛ وهي الحروف الإضافية بخلاف الحروف الحقيقية، ولا يعرفها إلا الكُمَّل الغائصون في بحر الذات الأحدية.

فقولنا: لا إله إلا الله، كما أنه يفيد معنى قولنا: لا معبود بحق إلا الله، فكذا قولنا: محمد رسول الله يفيد معنى قولنا: لا رسول الله إلا محمد؛ فهذا الانحصار أهو حقيقي أم إضافي؟ مفوِّض علمه إلى أهله، فعليك بالتوحيد؛ فإن به يحصل إسقاط الإضافات والقيود.

وأمر بالقول في قوله:(**فليقل: لا إله إلا الله**)؛ لأن الحلف المذكور كان رشحة من رشحات الباطن خرجت من الباطن إلى الظاهر، فكان من حق القول مقابلته بالقول؛ ليدل الإسلام على الإيمان، كما دلَّ عدم الإيمان على عدم الإسلام، فاعرف جدًا، وفيه ترغيب في الحضور مع الله ولو في حال الفسق، فإنه يجر إلى الصلاح إن شاء الله تعالى.

وكان بعض العلماء يشرب الخمر، ويتوب بعد كل قدح، وكان يتعجب من حضوره بعض أهل الله حتى آلى أمره إلى التوبة الحقيقية، والنجاة الكلية، فكان من المقربين.

=

الكشف عنه بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق غيرنا فيه العيان دون البرهان.

الثاني: إن الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً وإنما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنـــزلة الخيالات والسراب إذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة والانضمام ويتكثر في النواظر لا بطريق الانقسام ولا حلول هنا ولا اتحاد لعدم الاثنينية والغيرية انتهى على نقل شارح الإحياء والله أعلم. انتهى.

ومن هذا القبيل كان فضيل بن عياض؛ فإنه كان كلما قطع الطريق في أوائل حاله، يقيد مقدار المال في دفتر، واسم صاحبه وبلده حتى وفقه الله للتوبة، وخرج عن عهدة الحقوق كلها، فانظر إلى الربِّ الكريم بماذا يعامل العبد من القرب، وهو في بعده بُعد؟ ومنه الرشاد لجميع العباد.

واعلم أن مرتبة الأُلوهية المفهومة من لا إله إلا الله، ومرتبة العبودية الملحوظة من محمد رسول الله مرتبة واحدة في الحقيقة، وإنما تميَّزت إحداهما عن الأخرى بالتعينات والتنـــزلات.

ألا ترى أن هاء الجلالة هاء هوية غيبية بالنسبة إلى الله تعالى، فإذا مدَّ طرفه ظهر شكل الميم المحمَّدي الذي هو شكل مرتبة الشهادة؛ ولذا قارن الهاء الجلالي بالميم الجمالي، إشارة إلى الارتباط بينهما، وأنهما لا تمايز بينهما إلا المدّ المذكور وهو البسط الشهادي.

فمرتبة المحمَّدية: مرتبة الرسالة الشهادية.

ومرتبة الأحمدية: مرتبة النبوية الغيبية الإضافية، وفوقها مرتبة الأحدية الإطلاقية بطي الميم الإمكاني من البين، فمحمد أحمد، وأحمد أحد، فقد تنــزَّل الأحد إلى مرتبة العقل الأول، فكان أحمد، وإلى مرتبة الشهادة، فكان محمدًا.

فإذًا لا طريق إلى الله تعالى إلا محمدًا ﷺ بجميع تعيناته، وهو العلم في صورة العين، والجمع في صورة الفرق والغيب، والغيب في صورة الشهادة، ومنها يعلم أن كونه ﷺ طريقًا إلى الله تعالى إنما هو بالنسبة إلى المحجوب عن الجمع في الفرق، وأمَّا المكاشف الواجد فهو في عين الحقيقة.

ألا ترى أن داخل الحرم الإلهي لا يحتاج إلا آلة يعرف بها القبلة؛ لحضور القبلة عنده، فمعنى أن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق أن كل نفس من أنفاس السالك طريق موصل إلى الله.

وأمَّا الواصل فكل نفس منه؛ إنما هو الله فهو في كل نفس في عين الهُويَّة ولمَّا كان مقام الإطلاق الأحدي الذاتي الذي تفرَّد به السابقون لا ينال إليه أصحاب التقييد إلا بإثبات طرق شتى من الأسماء الإلهية الجزئية، تشعبت الطرق الحقة السالكة بالأسماء الاثنى عشر، وذلك لم يكن في الصدر الأول بحسب المعنى.

ثم لمَّا كثر القاصرون عن إدراك الحقائق، وتأخَّروا عن الرياضات والمجاهدات التي عليها الصحابة والتابعون؛ توسلوا إلى البواطن، والحقائق بالأسماء، والظواهر؛ فكان الطريق الجلوتي بالجيم خاتمة الطرق على سرّ ﷺ:

«**نحن الآخرون السابقون**»[(١)]؛ فكان حال أهلها حال الصدر الأول في الاتِّباع النبوي في الرياضة، والمجاهدة من غير شغل كثير بالأسماء؛ لأن هذا الشغل يطوِّل الطريق إلى الله، ويبعد المطلوب، فيحتاج الطالب إلى أزمنه متطاولة إلى أن يخرج عن دوائر الأكوان؛ لأن الأسماء الإلهية ناظرة إلى الحقائق الكونية، ولا نهاية لفروع هذه الحقائق، وربما لا يجد إلى مَن يشير إليه بالترقِّي في المراتب الأسمائية، فيبقى في البرزخ واقفًا لا إلى وراء ولا إلى قُدَّام؛ بل ربما يستحلي مقامًا من المقامات الأسمائية، فيظن أنه لا غاية وراءه؛ فينقطع عليه الطريق.

ومن ثم قالوا: إن الآلام في هذه الطريقة أولى من اللذات، ومَن تقيَّد باللَّذَّة قبل الوصول إلى المطلوب؛ وقع في الألم في آخر الأمر، فليكن أول فتوحاتك كشف سر الحياة السارية في جميع العوالم، ثم الوصول، ثم الوصال في مرتبة أو أدني الأحدية مع جميع مرتبة قاب قوسين الواحدية، وقد رأينا من معاصرينا مَن يدَّعي الأسرار في مراتبها، وقد استمر من أول عمره إلى آخره على حالة واحدة إلى أن مات على تلك الحال، والحكمة الإلهية لا تُقتضى في أربعين سنة إلا الاستكمال من جميع الوجوه.

إن كان السالك مستعدًا؛ فيرجع بعد تلك المدة التي هي النهاية إلى البداية، وإلا فلم يصلح حال العمر الكثير، إذ مَن لم يهدِ الله ما له من هاد، وربما يقع الفتنة بين الخلوتية بالخاء المعجمة، وبين الجلوتية بالجيم من عدم تسليم أُحديهما الأخرى، وأمَّا نحن فنقول: إن الجلوة بالجيم لا تحصل إلا بعد الخلوة؛ فهي نهاية الخلوة.

فمَن وصل من الخلوتية بالخاء المعجمة إلى نهاية المراتب؛ فهو خلوتي بالاسم، جلوتي بالمعنى، ومَن لم يصل من الجلوتي بالجيم إلى غاية الغايات؛ فهو جلوتي بالاسم، خلوتي بالمعنى؛ إذ لم يظهر بعد بالأوصاف الإلهية في مرتبة البقاء فكيف يكون

(١) رواه البخاري (١/٩٤)، ومسلم (٢/٥٨٦).

جلوتيًا؟ فله شرف الاسم المجرد فقط، فليلازم الباب إلى أن يفتح الله عليه ما أراد. ويكون جامعًا بين الخلوة والجلوة، حافظًا لحقوق الأسماء الليلية، والتوحيد النهاري؛ فذلك تجلٍّ واستتار؛ بل تجلٍّ في عين الاستتار أبدًا.

١٨- **في صحيح البخاري:** «مَن رآني؛ **فقد رأى الحق**»[1]:

معناه الظاهري: مَن رآني في المنام؛ فقد رأى الرؤيا الحقة الصادقة[2].

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٥٦٨)، مسلم (٤/١٧٧٥).

(٢) أي: رأى الله على قول بعض أهل الإشارات حيث جعل رؤية العبد له ﷺ يقظة أو مناماً رؤية للحق سبحانه.

ولما كان قيامه بحق التجليين تجلي الذات وتجلي الصفات، وتوفيته بأدائهما عبَّر عن ذلك في الصلاة البكرية بقوله: (عبدك من حيث أنت كما هو عبدك من حيث أسماؤك وصفاتك) .

وقوله: بالحق: أي بذاته لا بشيءٍ دونها، بتجليه لَه كان عن الذات العلية لا عن غيرها. ذكره في الجواهر والرماح.

وما أخرجه الترمذي وقال حسن غريب عن جابر قال: دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله ﷺ : «**ما انتجيته ولكن الله انتجاه**». حيث جعل انتجاءه ﷺ لعلي انتجاء منه تعالى له.

ولهذا نظائر في الكتاب والسنة ينـــزل الحق تعالى فيها عبده حالة قيام بعض الأوصاف والحالات به منـــزلة نفسه ويضيف أوصافه وحالاته إليه حتى كأنها حالة به وهو المنـــزه عن اتحاده بغيره أو حلوله به أو قيام أوصاف خلقه به تعالى عن ذلك علوا كبيراً وإنما ذلك كله إشارة إلى مظهريته تعالى عن ذلك وتجليه في خلقه فيصير العبد مرآة لظهور ذاته تعالى وصفاته من غير اتحاد به ولا حلول فيه ولا تشبيه ولا تكييف ولا تغير لذاته العلية عما هي عليه من التنـــزيه بل على حسب ما يليق به ويعلمه هو سبحانه، ومعلوم أن أكمل مظاهره تعالى وأعلاها على الإطلاق مظهريته ﷺ فهو المظهر الأتم والمجلى الأعظم ﷺ فلذا كان في مجاز القول هو هو وكانت ذاته من ذات الله وأوصافه من أوصافه وبيعته بيعة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وحكمه حكم الله وأمره كله أمر الله ومن انتجاه فقد انتجاه الله فأي تمليك أعلى من هذا وأي تحكيم أرفع منه وأي استخلاف يصل إليه، وقد عد في تحفة الأخيار من أسمائه ﷺ «المبايع» أخذا من هذه الآية ثم قال في تفسيره ما نصه: وأما المبايع فلقوله تعالى:

=

وقد جاء في بعض الأحاديث: «**فإن الشيطان لا يتمثّل بي**»(١)؛ وذلك لأن الشيطان مظهر الاسم المضل بالفعل، وهو ﷺ مظهر الاسم الهادي بالفعل، فلا يظهر أحدهما في صورة الآخرة صونًا للحقائق، وضبطًا للمراتب.

وأمَّا الله سبحانه وتعالى فهو وإن لم يكن له مثل، كما دلَّ عليه قوله تعالى:

=

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] وقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع النبيين لئن جاءهم ليؤمنن به ويتبعوه وينصروه، وأخذوا العهد بذلك على أممهم فقد بايعه الناس أجمعون من السابقين واللاحقين قال: ولم أر من ذكر هذا في الأسماء.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] أي عقدك عليهم هو عقد الله يعني المبايعة مفاعلة من البيع لأن ﴿اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١] ثم قال: وفي هذه الآية تصريح بعين الجمع كما قال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧].

قال شيخ شيوخنا أبو محمد عبد الرحمن أي ابن محمد الفاسي يعني وكما في حديث: فإذا أحببته كنت سمعه ويديه وسائر قواه الذي هو سر الخلافة والبقاء بالله. والله أعلم. وقال الإمام الورتجيي في الآية المذكورة صرح تعالى بأنه ﷺ مرآة ظهور ذاته وصفاته كما أشرنا يعني في قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ [الأحزاب:٤٥] وهو مقام الاتصاف والاتحاد بأنوار الذات والصفات في نور الفعل فصار هو هو إذ غاب الفعل في الصفة وغابت الصفة في الذات وإلى ذلك يشير الحلاج وغيره.

وقال الشيخ أبو طالب المكي في كتابه القوت هذه أن آية في كتاب الله عز وجل، وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله ﷺ لأنه جعله في اللفظ بدلا عنه وفي الحكم مقامه، ولم يدخل بينه وبينه كاف التشبيه فيقول كأنما ولا لام الملك فيقول لله، وليس هذا المقام من الربوبية لخلاف رسول الله ﷺ، انتهى كلام صاحب تحفة الأخيار بلفظه.

وفي الإلمام والإعلام بنقله من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكرى الفاسي ما نصه: قال الورتجيي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح:١٠] جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته وقال في قوله: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح :٩] أي ليشاهدوا بأسرارهم الله ويدركوك في محل الجلال والجمال ويعرفوا قدرك في قدرى وقدرى في قدرك حيث صرت مرآتى أتجلى منك لهم لذلك قال عليه الصلاة والسلام من رأني فقد رأى الحق انتهى.

(١) رواه مسلم (١٧٧٥/٤)، والترمذي (٥٣٥/٤).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وذلك في مرتبة ذاته الأحدية؛ لكن له مظاهر من حيث أسمائه المختلفة، وصفاته المتفاوتة، ومن ذلك الاسم المضل الذي ظهر الشيطان بحقيقته فدلَّ على أن الشيطان ظهر في صورة الحق من حيث اسمه المضلّ، كما أن النبي ﷺ ظهر في صورة الحق من حيث اسمه الهادي(١).

فلله تعالى أن يتجلّى بكل صورة من الصور الأسمائية من غير مزاحمة؛ لأن له الإحاطة التامة بالكل بالفعل.

وأمَّا الشيطان: فله الإحاطة بجزئيات الاسم المضلّ، بالفعل وبالاسم الهادي وجزئياته بالقوة.

وأمَّا النبي ﷺ: فله الإحاطة بجزئيات الاسم الهادي بالفعل، وبجزئيات الاسم المضل بالقوة؛ لأن له الاسم الجامع؛ لكن فرق بين القوة والفعل.

ولذا يُقال: إن النفس لأمَّارة بالسوء: أي بالفعل في المظاهر الجلالية، وبالقوة

---

(١) الهادي: هو الذي يوصل من يشاء من عباده إلى معرفة ذاته وصفاته، ويدل من يشاء منهم إلى حسن معاده، وإلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته، والهداية الصادرة في الظاهر من الأنبياء وورثتهم الأولياء صادرة في الحقيقة منه سبحانه تعالى على ألسنتهم بوحيه وإلهامه إليهم؛ لكونهم مسخَّرين تحت قدره وتدبيره غير مستقلين في الإرشاد وتأثيره.

ألا ترى أنه إذا كان خطاب لا تهدي من أحببت مع المحبوب، فكيف حال غيره في الإيصال إلى المطلوب؟ فإن شئت تحقيق معنى الهداية وتدقيقه على النهج الغريب والأسلوب العجيب، فارجع إلى ما حققناه في شرح الحاشية الزاهدية على جلالية التهذيب، وها هنا في هذا القدر كفاية، وحظ العبد منه أن يهدي العباد إلى طريق الرشاد بقدر استطاعته ومقدار استعدادهم في الاسترشاد.

الخواص: هذا الاسم جمالي، فمن أكثر من ذكره كان موفقًا في أعماله، وأقواله، وأفعاله الظاهرة والباطنة، وتزايد نور قلبه وهداه الله تعالى إلى سرائره ومعرفته، ومن دخل في بيت مظلم، وقال: (يا هادي اهدني) إلى أن يغلب عليه منه حال، فإنه يرشد إلى مطلوبه، وإذا أكثر من ذكر مالك أطاعته البلاد، وانقادت إليه أمور العباد، ومن وضعه في خاتم فضة والقمر في شرفه، وتمتم به وفقًا للأعمال الصالحة، ومن اشتبه عليه أمر من الأمور، ولا يعرف خيره من شره، فليتوضأ وليصل ركعتين في كل منهما بعد الفاتحة آية الكرسي والإخلاص، وذكر هذا إلى أن ينقطع النفس أو عشرة آلاف مرة فيهتدي إلى ما هو الخير في دينه ودنياه، وفيه معنى بديع لمن أراد أن يرتقي بروحه إلى عالم البقاء من السالكين.

في المظاهر الجمالية، وإلا لما كانت الحقيقة الإنسانية أجمع الحقائق الكونية والإلهية، وكما أن الشيطان لا يتمثَّل بصورة النبي ﷺ وأن مَن رآه بهيئته الأصلية، فقد رآه في الصورة الخيالية المتصلة بصورته الحقيقية، فافهم جدًا.

فكذا لا يتمثَّل في صور المظاهر الجمالية من أكامل الإنسان؛ لأنهم خلفاؤه ﷺ ونوابه، والخليفة لا يظهر إلا في صورة المستخلف، فمَن رأى واحدًا منهم بحليته الذاتية؛ فقد رآه تحقيقًا، وإن كان لا يدري المرء أنه ظهر للرائي؛ وذلك لأن ظهوره للرائي إنما هو بالواسطة: أي بالصورة الخيالية التي تحكم على الرائي في المنام أو الانسلاخ؛ لأنها هي الصورة البرزخية، وقلَّ مَن تفطَّن لهذا المقام من العارفين.

وأمَّا المعنى الحقيقي للحديث فهو: إن مَن رآه ﷺ في المنام، أو في اليقظة؛ فقد رأى الحق سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى خلق آدم على صورته؛ وهو ﷺ أكمل أفراد آدم، فقد خلقه على صورته الحقيقية الأسمائية والصفاتية، فمَن رآه، وهو مظهر تام الحقائق جميع الأسماء والصفات؛ فقد رأى الحقيقة الإلهية متجلية بجميع الحقائق.

وكذا مَن رأى خليفة من خلفائه ونوابه؛ فقد رآه؛ لأنه صورة من صورة الكلية؛ وبوساطة رؤيته رأى الله تعالى، فالله تعالى مرئي أبدًا في الصورة المحمَّدية الكلية الصورة الإنسانية؛ ولكن المحجوبين لا يرونه في عين رؤيتهم؛ لاحتجابهم بأنفسهم عنه، ولو كُوشفوا عن حقائقهم لرأوا أن حقائقهم عين الحقيقة المحمَّدية، ولو من وجه الجزئية، كما أن الحقيقة المحمَّدية عين الحقيقة الإلهية من وجه الكلية؛ لأن لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، فالله تعالى ظاهر لأُولي الأبصار، باطن عن أعين الأغيار، وليس في البين إلا حجاب الغفلة.

١٩- في حديث مسلم: «من سأل الناس أموالهم تكثُّرًا؛ فإنما هي جمر؛ فليستقل منه، أو ليستكثر»(١):

اعلم أن سؤال الأموال عن الناس على أنحاء شتى كل منها حرام إذا كان على وجه التكثير لا للاحتياج في الحقيقة؛ لأن فيها إذلالاً للنفس، ورفعًا لجلباب الحياء،

---

(١) رواه مسلم (٢/٧٢٠)، وأحمد في المسند (٢/٣٢١).

وشكاية من الله ذي النوال، وإظهار للحرص والطمع، وتحريضًا للناس على المنكر الذي هو السؤال بلا ضرورة، وحملاً للمعطي على الحرام؛ فإنه إذا كان بطريق الصدقة لا بطريق الهبة؛ كان إعانة على المعصية، فمن تلك الأنحاء والوجوه السؤال؛ كسؤال السائلين.

ومنها: التعريض لا التصريح؛ فإنه أيضًا حرام، ومن ذلك التفقر عند الأكابر والأغنياء؛ فإنه في حكم السؤال.

ومنها: دور الأبواب، والمُدّروزون ملعونون، كما يفعله كثير من الناس خصوصًا منهم مَن يدَّعي العلم أو الطريقة؛ فيدخل أبواب الأكابر، ورجال الدولة؛ وهو على هيئته جلبًا لأموالهم؛ بل ربما يسأل عنهم ولو بطريق المزاح.

ومنها: الإقدام على فعل في محضر الناس، ووجوه القوم لا يفعله في الخلوات؛ كالتواجد ليظن الخلق أنه من أرباب الأحوال، فيحسنوا الظن به ويعطوه الأموال.

ومنها: الرياء بصفرة الوجه والصوم ونحو ذلك، يسأل الزكاة والصدقات بسبب اعتقاد الناس كونه من الصلحاء، أو كونه من الفقراء، وعلى هذا فقس سائر الوجوه المستشعة، وإلحقها به، وتجنب عن أصحابها، واعتصم بالله، وتوكَّل على الله، واجتهد حتى لا يراك الله حيث نهاك.

ولقد كثر في زماننا هذا وجوه المنكرات بحيث لا تعد ولا تحصى، وربما تلاقي شخصًا ذا هيئة رفيعة وهو يفتخر بالانتساب إلى فلان وفلان، ويدَّعي محبته إليه، وهو غافل عن الله تعالى، وعن قوله: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس:٥٨]: أي ما يجمعه الكفار، ومَن في حكمهم من الغافلين، فإن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وإن رزق آل محمد إنما كان كفافًا، وإن الفقر أرجح عند الله من الغنى؛ ولذا لم يكن السلف إلا على التعفف والورع والقناعة والتوكل ونحو ذلك.

وقالوا للدنيا: حبلك على غاربك.

فكانوا أغنياء؛ بل ملوكًا تحت الأطمار؛ ولأن الغنى إنما هو بال،له فعليك به قبل يوم فقرك.

هذا إذا كان السؤال متعلّقًا بالأموال.

وأمَّا إذا كان متعلقًا بالعلوم والأحوال؛ فليستكثر منه.

قد ورد في الخبر: «**فإن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها**»(١).

وقيل: «**خذوا العلم من أفواه الرجال**»(٢).

وفي حديث: «**واطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**»(٣).

فالحرص في هذا ليس كالحرص في طلب الأموال؛ لأن الأموال تبقى في هذا الموطن، وأمَّا العلوم النافعة، والأحوال الشريفة فتذهب معه، فهي خير وأبقى، وقلّما يطلبها أهالي الزمان؛ بل جل قصودهم الخروج إلى السكك، والأسواق؛ لاختلاط الفسَّاق، وجلب أعراض الدنيا على الإطلاق، ففيه إسراف العمر الذي الخسارة فيه ليست كالخسارة في غيره، والنفس كالبضاعة تقلبها في الأوقات للطاعات لا للأوقات، فإنها لا تشبع إلا بالتراب، وقال ﷻ: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء:٢٢٧].

٢٠- في حديث مسلم: «مَن سأل عرَّافًا؛ لم يقبل له صلاة أربعين ليلة»(٤):

هذا محمولٌ إمَّا على التغليظ والتخويف، وإمَّا على الإخبار عن دعم القبول في نفس الأمر؛ فتضرب على وجه المصلّي كما تضرب سائر الصلوات الغير المقرنة بشروطها المشروعة، والعدد للتكثير فإن استمر على اعتقاده الباطل؛ لم نقبل له صلاة أبدًا؛ لأن الله تعالى غني عن العالمين، وعن العالمين بغير الوجه المشروع، فإذا لم تقبل؛ لزم الإنابة، والرجوع، وقضاء الصلوات التي أُديت على تلك الحال.

واعلم أن أحدًا، وإن كان أعرف في المعرفة، وأعرف من كل عارف، فقد ورد: «**وفوق كل ذي علم عليم**»(٥)؛ فالعليم والعلام المطلق؛ هو الله تعالى، فإن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) حديث لا أصل له سندًا.

(٤) رواه أحمد (٦٨/٤).

(٥) رواه مسلم (٦/١)، والبيهقي في الشعب (٢٦١/٢).

علمه من ذاته لا من خارج، وبسببٍ جلي أو خفي؛ كما هو علم الناس.

فالناس لا يُعرفون إلا بتعريف الله تعالى؛ فينحصر علومهم في مرتبة التعريف، فادِّعاء علم الغيب إن كان من مرتبة التعريف الالهي؛ لم يضره، وإن كان ادِّعاه مطلقًا كان كافرًا؛ لأنه ادِّعاء المشاركة مع الله تعالى في صفته الخاصة به، فإذا كان هذا حاله في الكفر؛ كان حال مَن اعتقده كذلك، ومن هذا التقرير عُلم أن الإنسان محل التعريف الإلهي؛ ولذا مَن قال: إن نبي الله لا يعلم الغيب؛ فقد أخطأ فيما أصاب؛ لأن الله تعالى قال: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا*إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾** [الجن:٢٦، ٢٧] (١).

---

(١) قال ابن ناصر الكيلاني ﷺ: فعلم المحقِّقون من خاصته، والمعتني بهم من أهل قربه وكرامته بما كشف لهم، وأطلعهم عليه من أسرار وجوده أولاً، وبما أخبر ثانيًا: أنَّ المراتب وإن كثرت فإنَّها ترجع إلى هاتين المرتبتين؛ وهما الغيب والشهادة والحقيقة جامعة بينهما، فكل شيء له ظاهر، فهو صورته وشهادته وباطن، وهو روحه وغيبه.

فنسبته جميع الصور على اختلاف أنواعها الخفيَّة والجليَّة إلى الاسم الظاهر المنعوت بالشهادة، ونسبة جميع المعاني والحقائق المجرَّدة؛ التي هي أصول لما ظهر من الصور الجزئيَّة المتعيِّنة، أو أسباب وشروط كيف شئت؟ قلت: إلى الغيب والاسم الباطن، فإذا عرفت هذا. فاعلم أنَّ العالم عالَمان ما ثم ثالث عالَمٌ يدركه الحس وهو: المعبَّر عنه بالشهادة، وعالَمٌ لا يدركه الحس وهو: المعبَّر عنه بعالم الغيب المطلق.

فإن كان مغيّبًا في وقتٍ للحسِّ فلا يسمَّى ذلك غيبًا، وإنَّما الغيب ما لا يمكن أن يدركه الحس أصلاً؛ لكن يُعقل بالعقل؛ إمَّا بالدليل القاطع، وإمَّا بالخبر الصادق وهو إدراك الإيمان، فالشهادة مدركها الحس وهو طريق العلم ما هو عين العلم، وذلك يختص بكل ما سوى الله ممن له إدراكٌ حسّي، والغيب مُدرك العلم عينه فافهم.

فهذا الغيب الذي أثبتناه: هو الغيب المطلق الحقيقي الذي لا يظهر لأحد أصلاً ولا لمن ارتضى من رسولٍ؛ لأنه حضرة ذاته وهويته تعالَت وتقدَّست عن أن يحاط وأن يتعلّق بها بها الإدراك أصلاً من حيث هي هي، فإنه من المتفَّق عليه أن حقيقته لا تُحاط بالعلم ولا تتقيَّد بالوصف، سبحانك! ما عرفناك حق معرفتك.

وهذا القدْرُ من المعرفة المتعلقة بهذا الغيب المطلق؛ إنما هي معرفة إجماليَّة حاصلة بالكشف الأجليِّ والتعريف الإلهيِّ الأعلى الذي لا واسطة فيه غير نفس التجلِّي المتعيِّن من هذه الحضرة الغيبيَّة =

=

المطلقة الغير متعينة؛ فالغيب المتعلّق صار دليلاً على الغيب المطلق؛ لأنه الأصل، فالمتعين منه دليل عليه من حيث غير متعين، فكان هو الدليل والمدلول.

قال تعالى إشارةً إلى هذا المقام: أي الغيب المتعين المقيَّد عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا.

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن:٢٦،٢٧].

وإنما قلنا بالغيب الحقيقي المطلق؛ لأنه ﷺ ذكره في الباب السابع والأربعين وأربعمائة من «**الفتوحات**»: إن له في نفسه ما لا يصح أن يُعلم أصلاً هو الذي له بنفسه المشار إليه بقوله: ﴿اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

فقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر:٢٢] أراد الغيب بالنسبة إلينا وإلا لا غيب له، والذي هو غيبٌ بالنسبة إلينا يكون علم الشهادة له تعالى، أو نقول: إنه عالِم الغيب أو عالِم بأنه غيبٌ لا يصح أن يُعلم أصلاً.

قال ﷺ: وهذا الذي نبَّهناك عليه من العلم بالله ما أظهرناه اختبارًا؛ ولكن حُكم الخبر علينا، فتحفَّظ ولا تغفل عنه فإنه يعلّمك الأدب مع الله، انتهى كلامه ﷺ.

هذا هو الغيب الحقيقي وبقية الغيوب كلها إضافي، فافهم.

فإن الإنسان إذا أراد إدراك الغيب والشهادة الإضافيين اللذين نحن بصدد بيانهما، وأراد أن يتميَّز في عِلْمَيهِمَا، فينبغي ألا يقيِّد نفسه إلا بالله وحده؛ وهو التقييد الذاتي الذي لا يصح له الإنفكاك عنه جملةً واحدةً؛ وهي عبوديَّة صرفة محضة لا تقبل الحريَّة أبدًا.

فإذا قيَّده بالله الذي ﴿خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس:١٩،٢٠] فلا يقف إلا في البرزخ وهو المقام المتوهَّم بين عالم الشهادة والغيب مطَّلعًا على الطرفين؛ كأصحاب الأعراف فلا يخرج منها شيء إلا وهو مطَّلع عليه، فإذا وقف في هذا المقام وهو محل العثور على الطرفين، استشرف على الغيبين؛ الغيب الذي يوجد منه، واستشرف على عالم الشهادة؛ لأنه إذا وقف في المقام المتوهَّم على أنه معتنى به؛ حيث شغله الله تعالى بمطالعة الانفعالات عنه تعالى، وإيجاد الأعيان من قدرته تعالى، واتِّصافها بالوجود في حضرة إمكانها، وما أخرجها منها، ولا حال بينها وبين موطنها، ولكنه كساها خَلقةَ الوجود وحلّة الظهور، فاتَّصفت بهما بعد أن كانت موصوفة بالعدم مع ثبوت العين في الحالتين، وبقي الكلام في ذلك الوجود الذي كساه الحقُّ فيك الآمر؛ وهو كالصورة التي في المرآة ما هي عين الرائي ولا غير عينه، ولكنه المحلُّ المرئي مع الرائي، والمواجهة أعطت هذا الحكم الذي تراه، فعلمْتَ المرآة والرائي والصورة الحادثة بينهما، فأدركْتَ بالغيب الباطن

=

=

وبالشهادة الظاهر، وحصل المقصود.

وهنا مبحثٌ آخرٌ؛ وهو من لطائف الغلم بالله، فأذكره لك:

لا يفوتك علمًا فإنه ورد في الخبر: «**إن أفضل الهديَّة وأكمل العطيَّة الكلمة من كلام الحكمة يسمعها العبد ثم يعلمها أخاه خير له من عبادة سنة على نيَّتها**» رواه تمام، وابن عساكر ﷺ، ذكره في جمع الجوامع.

فاعلم أيَّدك الله وإيَّانا بروحٍ منه أن العالم ينقسم إلى: ظاهرٍ وإلى باطنٍ.

فـ (**الظاهر**) هو عالم الشهادة، و(**الباطن**) هو عالم الغيب، وقد سُمَّى الله تعالى الباطن بالأمر والظاهر بالخلق، وقال: ﴿ **أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال تعالى: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء: ٨٥].

فـ(**عالم الأمر**) هو عالم الغيب الذي هو الأسماء الذاتيَّة، ويليها أمهات أسماء الألوهيَّة وتوابعها، وكل واحدٍ منها حجابٌ عن الآخر، وصف نفسه تعالى باعتبار هاتين العالمين: أي الظاهر والباطن، أو الغيبَ والشهادة بأن له الْحُجُب النوريَّة التي هي الأرواح، والظلمانيَّة التي هي الأجسام، فكل واحدٌ منهما حجابٌ عن الآخر، فإذا اعتبرهما خلقًا وأمرًا، ولطيفًا وكثيفًا؛ إنما اعتبرهما من حيث الأسماء، وهي سلسلةُ الترتيب والوسائط المتكثّرة.

فبهذا الوجه يكثر الوجود؛ وهو ظاهر الخلافة التي منه تكثر، وأمَّا إذا اعتبرهما؛ أي العالمن الخلق الأمر، وإن شئت قلت: عالم الغيب والشهادة حقًّا؛ أعني من الوجه الخاص زالت الكثرة وارتفعت الوسائط، وذلك باعتبار أن (الاسم) عين المسمَّى، و(الذات) هي السارية في الكل؛ كتعيُّن الأسماء من حيث عدم التَّغايُر، فاتَّحدّ الكل من حيث أن الساري في الكل هو الذات، فهذا باطنُ الخلافة، والتجلِّي منه تجلٍّ أقدس.

وعلى هذا صحَّ أن القرآن غير مخلوق من حيث ارتفاع الوسائط، ومن حيث الإضافة إلى الاسم الذي عين المسمَّى، فصحَّ له الوحدة مع تكثُّر الألفاظ والحروف والآيات والسور، وبذلك تكثر في وحدته ولم يوصف بالمخلوقيَّة مع التكثُّر؛ لأنه ظهور الذات في المراتب بلا كيف.

فالعالمان؛ الغيب والشهادة أو الخلق والأمر إذا أُضيفا إلى الذات بلا واسطة بطريق الوجه الخاص فهما واحد، وإذا أُضيفا إلى الأسماء؛ فالشهادة: الخلق، والغيب: الأمر، فبهذا الاعتبار قلنا: إن الإنسان الكامل له الأخذ من الله تعالى بواسطة؛ باعتبار الإضافة إلى الاسم، وبلا واسطة؛ باعتبار الأخذ من الوجه الخاص، وإنما قلنا: الوجه الخاص؛ لأنه مخصوصٌ بالإنسان الكامل من دون الموجودات؛ كالملك وغيره، فإن له الإطلاق في الأخذ وغيره لكل منهم مقامٌ معلومٌ لا يتعدُّون مقاماتهم؛ وذلك

=

فإذا سألت فسأل نبينا ذا وحي الإلهي، أو وليًا ذا كشف صحيح؛ فإنه رحماني دون الذي يقال له: عرَّاف؛ فإنه إمَّا نفساني، أو شيطاني، والنفس والشيطان كل منهما غافل عن الله تعالى، وقد ورد في الخبر: «**فإن مَن لا يعرف نفسه؛ لا يعرف ربه**»(١)، فكيف يعرف عنه؟.

٢١- في الأحاديث: «يا علي أنت مني بمنـــزلة هارون من موسى»(٢).

=

لأن الإنسان الكامل كل الوجود، فافهم.

(**لندرك الباطن بغيبنا، والظاهر بشهادتنا**) فلمَّا أراد تعالى ظهورنا بالصورة: أي بصورة الحق ولها الغيب والشهادة، فأوجدنا ذا غيبٍ وشهادةٍ؛ ذا جسمٍ وروحٍ؛ فعالم الجسوم شهادتنا، وعالم الأرواح غيبنا؛ فالكون كله جسمٌ وروحٌ وبهما قامت نشأة الوجود، فالعالم للحق؛ كالجسم للروح فلا يُعرف الحق إلا من العالم كما لا تُعرف الروح إلا من الجسم.

فإنَّا لما نظرنا فيه، ورأينا صورته مع بقائها؛ تزول عنها أحكامٌ كنَّا نشاهدها من الجسم وصورته من إدراك المحسوسات والمعاني، فعلمنا أن وراء هذا الظاهر معنى آخر هو الذي أعطى أحكام الإدراكات معرفتنا غيبنا بشهادتنا، وسمَّيناه روحًا لهذا الجسم الظاهر، وكذلك ما علمنا أن لنا أمرًا يحرِّك أرواحنا كما كانت الأرواح تحرِّك أجسامنا؛ وهو روح الأرواح يحكم فيها بما يشاء حتى نظرنا في أنفسنا، وعرفنا منها وبها ربَّنا.

وبهذا أخبر الوحي النبوي: «**مَنْ عَرف نفسه فقد عَرف ربَّه**».

وقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت:٥٣].

حتى عرفنا الغيب بالغيب، والشهادة بالشهادة، فمَن جمع هذين العِلْمين فظهر بالصورتين، وعَلِمَ علم الغيب والشهادة قال تعالى: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد:٣].

قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً*إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**﴾ [الجـــن:٢٦،٢٧].

لتعلم أنه تعالى بالحكم الذي صحَّت به الربوبيَّة الموجبة للمكاسبة؛ الرابطة بينه وبين خلقه أثر في العالم من الأحوال، فيتَّصف تعالى عند ذلك بالرضا والسخط.

(١) ليس بحديث، و لم أقف له على أصل.

(٢) رواه البخاري (١٣٥٩/٣)، ومسلم (١٨٧٠/٤).

وقوله ﷺ: «**يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة**»[١].

٢٢- وقوله ﷺ: «**يا علي هي**- أي فاطمة - **أحبُّ إلي منك، وأنت أعزُّ علي منها**»[٢]:

كل من هذه الأحاديث الصحيحة يدلُّ على فضل علي كرم الله وجهه[٣].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣٤٣/٧)، وذكره الهيثمي في الزوائد (١٧٣/٩).

(٣) وهو سيدنا ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ وكرَّم وجهه، يُكنَّى أبا الحسن، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية وُلدت هاشمية، وهو أوَّل ذَكر أسلم.

قال ابن إسحاق: أول من آمن بالله ورسوله من الذكور عليُّ بن أبي طالب، وهو قول ابن شهاب والزهري.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: استنبئ النبي يوم الاثنين وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء، أسلم ﷺ وهو ابن ثمان سنين، أو عشر سنين، أو ثلاث عشرة سنة قال ﷺ:

سَبَقْتكمُوا إلى الإسلامِ طُرًّا غُلامًا مَا بلغتُ أوانَ حُلُمي

وهو أحد العلماء الربَّانيين، والشجعان المشهورين، والزهَّاد المعروفين، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والحديبية، وسائر مشاهد رسول الله ﷺ ما خلا تبوك؛ فإن رسول الله ﷺ خلَّفه على المدينة، وقال: «**أنت منِّي يا عليُّ بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**».

«وكانت بيعته في أول العشر من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، وتخلَّف عن بيعته نفرٌ منهم فلم يهجهم، وسُئِل عنهم؟ فقال: أولئك قومٌ قعدوا عن الحق و لم يقوموا مع الباطل».

و لم يحجّ ﷺ في شيءٍ من خلافته لاشتغاله بالحرب، وكانت وفاته في شهر رمضان من سنة أربعين من الهجرة، ضربه ابن ملجم لعنه الله ليلة الجمعة، السابع عشر من شهر رمضان، وقُبض في أول ليلة من العشر الأواخر.

واختلفوا في سنِّه يوم وفاته فقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان وخمسون، وقيل: ثلاث وستون، قاله أبو نعيم.

وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام. ودُفن في أرض النجف ﷺ وأرضاه.

=

=

وكان ﷺ وكرَّم وجهه ربعة من الرجال، إلى القصر ما هو أقرب، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر، حسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكف، أصلع ليس في رأسه شعرٌ إلا من خلفه، كبير اللحية، بمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يُعرف عضده من ساعده، إذا مشي تكفَّى، وإذا أمسك بذراع رجل فكأنما أمسك بنفسه، وهو إلى السمن ما هو أقرب، شديد الساعد واليد، وإذا مشي إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قويٌّ، شجاع، منصورٌ على من لاقاه.

وسُئِلَ الإمام محمد الباقر عن صفة عليٍّ ﷺ؟ فقال: كان رجلا آدم، شديد الأدمة، ثقيل العينين، عظيمهما، ذا بطنٍ أصلع، ربعة إلى القصر، لا يخضب.

وكان ﷺ يقول: «**الدنيا جيفةٌ، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على مخالطة الكلاب**».

قال العلماء: والمراد بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية، بخلاف ما دعت الضرورة إليه.

وقال أبو عبيدة ﷺ: ارتجل الإمام عليٌّ ﷺ تسع كلمات قطع الأطماع عن اللحاق بها حدةً، منهن ثلاثٌ في المناجات، وثلاثٌ في العلم، وثلاثٌ في الأدب. فأما التي في المناجات فهي قوله:

«**كفاني عزًّا أن تكون لي ربًّا، وكفاني فخرًا أن أكون لك عبدًا، أنت لي كما أحب، فوفِّقني لما تحبُّ**».

وأما التي في العلم فهي قوله: «**المرء مخبوءٌ تحت لسانه، تكلَّموا تُعرفوا، ما ضاع امرؤٌ عرف قدره**».

وأما التي في الأدب فهي قوله: «**أنعمْ على من شئت تكنْ أميره، واستغنِ عمَّن شئت تكنْ نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره**».

وكان يقول: «**لا يحبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يبغضني إلا منافقٌ**».

وكان آخر كلامه قبل موته: «**لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله**».

وكان يقول: «موتُ الإنسان بعد أن كبر وعرف ربه خيرٌ من موته طفلاً ولو دخل الجنة بغير حساب؛ لأن أقل ما هناك أن العبد يُجالس ربَّه في الجنة بقدر ما عمل من العبادات».

وكان يقول: «**أعظمُ الناس معرفةً بالله أشدُّهم حبًّا وتعظيمًا لأهل لا إله إلا الله**».

وقيل له مرةً: ألا نحرسك يا أمير المؤمنين؟! فقال: «**حارس كل امرئ أجله**».

وكان يقول: «**كونُوا لقَبول أعمالكم أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمل؛ فإنه لم يقل عملٌ مع التقوى، وكيف يقلُّ عملٌ متقبَّلٌ**».

وكان يقول: «إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها».

=

=

ثم قالت: يا رب هبني لبعض أوليائك، فيقول الله تعالى لها: اذهبي بلا شيءٍ؛ فلأنتِ أهون من أن أهبك لبعض أوليائي، فتُطوى كما يُطوى الثوب الخَلِق، فتُلقى في النار».

وكان يقول: «لا يرجونَّ امرؤٌ إلا ربه ولا يخافنَّ إلا ذنبه».

وكان يقول: **«لا يستحي جاهلٌ أن يسأل عمَّا لا يعلم، ولا يستحي عالمٌ إذا سُئل عمَّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم»**.

وكان يقول: **«إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتِّباع الهوى وطول الأمل، فأمَّا اتباع الهوى فيُضلُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة»**.

وكان يقول: **«الفقيهُ كل الفقيه من لا يقنِّط الناس من رحمة الله، ولا يؤمِّنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبةً منه إلى غيره»**.

وكان يقول: **«لا خيرَ في عبادةٍ لا علم فيها، ولا خير في علمٍ لا فهم فيه، ولا خير في قراءةٍ لا تدبُّر فيها»**.

وكان يقول: **«كونوا ينابيع العلم ومصابيح الدُّجى، خُلقان الثياب، جُدد القلوب، تُعرفون به في ملكوت السموات، وتُذكرون به في ملكوت الأرض»**.

وكان يقول: **«لو حننتم حنين الوالد الثكلان، وجأرتم جؤار مبتلي الرهبان، ثم خرجتم عن أموالكم وأولادكم في طلب القرب من الله وابتغاء رضوانه وارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة كان ذلك قليلاً فيما تطلبون»**.

وكان يقول: **«القلوبُ أوعيةٌ وخيرها أوعاها، ثم يقول: ها ها إنَّ ها هنا، وأشار إلى صدره علمًا لو أصبت له حملةً»**.

وأُتي بفالوذج فوُضع قدامه، فقال: **«إنَّك لطيبُ الريح، حسنُ اللون، طيبُ الطعم، لكنِّي أكره أن أعوِّد نفسي ما لم تعتد»**، ولم يأكل منه شيئًا.

ولم يأكل طعامًا منذ قُتل عثمان ونُهبت الدار إلا مختومًا حذرًا من الشبهة، وكان قوته وكسوته شيئًا يجيئه من المدينة، ولم يأكل من طعام العراق إلا قليلاً، وكان يرقِّع قميصه ويقول: **«لبسُ المرقَّع يخشِّع القلبَ ويقتدي به المؤمن»**. وكان يقطع من كمِّ قميصه ما زاد على رفس الأصابع.

وكذلك كان الإمام عمر رضي الله عنهما، وكان يبرد في الشتاء حتى ترتعد أعضاؤه من البرد، فقيل له: ألا نأخذ لك كساءً من بيت المال، فإنه أوسع؟! فقال: **«لا أُنقص المسلمين من بيت مالهم شيئًا»**.

وكان يقول: **«أشدُّ الأعمال ثلاثةٌ: إعطاء الحقِّ من نفسك، وذكر الله تعالى على كل حال،**
=

=

ومواساة الأخ بالمال».

وكان يقول: «لا يرضى الحق تعالى من أهل القرآن الإدهان في دينه والسكوت على معاصيه».

وكان يقول: «ما نلتَ من دنياك فلا تكثر به فرحًا، وما فاتك منها فلا تيأس عليه حزنًا، وليكنْ همُّك فيما بعد الموت».

وكان يقول: «إنَّ مع كلِّ إنسانٍ ملكين يحفظانه ما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنَّةٌ حصينةٌ».

وكان ينشد ويقول:

حقــيقٌ بالتواضــعِ مَــنْ يموتُ ... ويكفــي المــرء مــن دُنْيَاه قوتُ
فَمَــا لــلمرءِ يصــبحُ ذا هموم ... وحــرصٍ لــيس تُدْرِكــه النعوتُ
فَــيَا هَــذَا ســترحلُ عَنْ قريبٍ ... إلى قــومٍ كلامُهــم الســكوتُ

ومناقبه ﷺ كثيرةٌ، أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «أنت منّي بمنــزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيَّ بعدي».

وقال عليٌّ ﷺ: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلَيَّ ألا يحبني إلا مؤمنٌ، ولا يبغضني إلا منافقٌ»، رواه مسلم.

وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، فلما أصبح غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يُعطاها، فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأُتِيَ به، فبصق النبي ﷺ في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: أنفذ على رسلك حتى تنـزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون حمر النعم».

وعن البراء ﷺ أن النبي ﷺ قال لعليّ: «أنت مني وأنا منك».

وقال عمران بن حصين ﷺ: إن النبي ﷺ قال: «إن عليًّا مني وأنا منه، وهو وليُّ كل مؤمنٍ»، رواه الترمذي.

وعن زيد بن أرقم ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه»، رواه الترمذي والإمام أحمد.

=

وعن حبشي بن جنادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**علي مني وأنا من عليّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاءه عليّ تدمع عيناه، فقال: آخيت بين أصحابك و لم تؤاخِ بيني وبين أحدٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**».

وعن أنس ﷺ قال: كان عند رسول الله ﷺ طيرٌ فقال: «**اللّهُمَّ ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه**»، رواه الترمذي.

وقال عليّ ﷺ وكرَّم وجهه:«كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أجابني، وإذا سكتُّ ابتدأني»، رواه الترمذي.

وعنه أيضًا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا دارُ الحكمةِ وعليّ بابها**».

وعن جابر ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ عليًّا يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما انتجيته ولكنَّ الله انتجاه**».

ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره، والوحي ينـزل عليه، وعليّ ﷺ لم يصلّ العصر فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس.

فقال ﷺ: «**اللّهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت**».

وحديث (ردّها) صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء، وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره.

وأخرج البخاري ومسلم عن سهل ﷺ أن النبيَّ ﷺ وجد عليًّا مضطجعًا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه ترابٌ، فجعل يمسح عنه.

ويقول: «**يا أبا تراب**»، فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه.

قال بعضهم في ذلك وأحسن:

إذَا مــا رمــدتْ عيني فكحلي   تــراب مِــنْ نَعْــلِ أبي تــرابِ

=

ووصفه ضرار بن حمزة ﷺ فقال:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبةً له، يعظِّم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضًا على لحيته الكريمة، يتململ تململ السقيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «يا دنيا غري غيري، إليّ تعرضتِ، أو إليّ تشوقتِ، هيهات هيهات! قد بايعتك ثلاثًا لا رجعة لي فيك: فعمرك قصير، وخطرك كثير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، رضي الله عن تلك النفس الزكيَّة».

ولما وصل إليه فخرٌ من بني أمية قال لغلامه: اكتب إليهم ثم املأ عليهم:

محمدٌ النبيُّ أخي وصِهْرِي ... وحمزةُ سيدُ الشهداءِ عمِّي
وجعفرُ الذي يمسي ويضحى ... يطيرُ مع الملائكةِ ابن أمي
وبنتُ محمدٍ سكني وعُرْسِي ... متشوبٌ لحمها بِدَمِي ولحمي
وسبط أحمدَ ولداي منها ... فمن منكم له سهمٌ كَسِهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طرًّا ... غلامًا ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خمٍّ
أنا البطلُ الذي لن تنكروه ... ليومِ كريهة واليوم سلمِ
وأوصاني النبي على اختيارِ ... ببيعته غداة غد برحمِ
إلا من شاء فليؤمن بهذا ... وإلا فليمت كمدًا بغمٍّ

قال البيهقي: إن هذا مما يجب على كل متوانٍ في عليّ ﷺ حفظه؛ ليعلم مفاخره في الإسلام، ومناقبه ومحاسنه ﷺ أكثر من أن تُحصى، قال فيه بعضهم:

مولى تلوت مديحه فوجدته ... أحلى من الرشفات بالأفواهِ

=

أمّا الأول: فلأن من اتصاليته: أي أنت متصل بي اتصال هارون بموسى، ونحن من جنس واحد، وأصل واحد، وصف واحد، وسر واحد، ولذا قيل له: سر الأنبياء والمرسلين؛ لأن نبينا ﷺ لمّا كان سر جميع الأسماء الإلهية، كان المتصل به اتصالاً شديدًا، كذلك إلا أنه لمّا لم يكن بعده نبي لا مشرع ولا متاح، كان المراد بالاتصال: اتصال الولاية، والنبوة التحقيقية، لا اتصال النبوة التشريعية، كاتصال هارون بموسى عليهما السلام، وعلى هذا سائر الأولياء أجمعين.

=

فطلبت مجتهدًا نهاية وصـــفه فوجدته مــــا لـــيس بالمتنـــاهي

قال الإمام الشافعي ﷺ:

قالوا ترفّضت قلـــت كـــلاّ ما الرّفض ديني ولا اعتقـــادي
لكن توليـــت غـــير شـــكٍّ خـــير إمـــامٍ خـــير هـــادي
إن كان حب الولي رفـــضًا فإنني أترك أرفـــض العبـــادي

وقال أيضًا:

إذا نحـــن فـــضّلنا عليًّـــا فإننـــا روافضٌ بالتفضيلِ عند ذوي الجهـــلِ
وفضلُ أبي بكر إذا مـــا ذكرتـــه رميت بنصبٍ عِنْدَ ذكري المفـــضل
فَلاَ زلت ذا رفضٍ ونَصْبٍ كلاهما بحبّهمـــا حـــتى أُوســـد في الرَّمـــلِ

ولما أُصيب ﷺ دعا الحسن والحسين -رضي الله عنهما- فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيءٍ زوى منها عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم أنصارًا، واعملا لله، ولا تأخذكما في دين الله لومة لائم، ثم نظر إلى ولده محمد ابن الحنفية ﷺ فقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك، قال: نعم، قال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، ولا تؤثر أمرًا دونهما، ثم قال: أوصيكما به فإنه أخوكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، ثم لم ينطق إلا بـــ(لا إله إلا الله) إلى أن قُبض رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

قلت: أفرد كثير من أهل العلم تصانيف في فضائله، ولا يعول إلا على ما ثبت منها، وانظر: خصائص علي للنسائي، والأسد الغالب لابن الجزري، والاستيعاب (١٨٧٥)، والحلية (٢/٦١).

فادعاء نبوة بعضهم خرق الإجماع؛ بل ردٌّ للنص، وكفر بالتنـــزيل، عصمنا الله وإياكم من سوء الفهم، وقلة العقل، والكشف السفلي.

ثم إن معنى اتصال الولاية: ظهور نور الحقيقة في مرآة علي ﷺ أكثر من ظهوره في غيره، إذ لا يخفى أن كل واحد من الأولياء؛ بل من الكائنات محتمل نوره ﷺ؛ «لكن أين السهى من الزبرقان؛ وهو من يوح(١)».

وفيه إشارة بأن كل مَن هو أقوى اتصالاً به ﷺ في ولايته؛ كان أشد تأييدًا لدينه؛ لكمال الراجح، ودعائه البالغ، وندائه القاصي، وظهر من هذا التقرير أن قوله ﷺ: «**فاطمة بضعة مني**»(٢)؛ إنما أراد به كونها قطعة من بشريته وجسمانيته، وإن كان مشعرًا بفضلها في الجملة إذ لا كلام في كمالها في نفسها على ما دلَّ عليه بعض الأحاديث الصحيحة.

وأمَّا **الحديث الثاني**: فمعناه أنا أبو هذه الأمة كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب:٦]، فإذا انتقلت أنا من هذا الموطن؛ فأنت أبو هذه الأمة بطريق الخلافة، والإرث الحقيقي، إذ لا يجتمع صديقان وقطبان في زمان واحد؛ لأن الله تعالى فرد في اسمه الأعظم.

وأشار بتخصيص أبوة علي بالذكر مع أنه الخلفاء الحقيقيين المتسلسلة كلهم آباء الأمة،كما أن أزواجهم أمهاتهم إلى أن أبويته أبوة كاملة؛ ولذا لم يكن طريق من الطرق الحقة إلا وقد كانت مغربة ومنتهية إليه، فهو ﷺ مصدر جميع الأسرار، ومنحة جملة الأطوار، ومطلع عموم الأنوار، وأول طالع يدًا بالإشراق من مطلع الولاية، وأول لامع أخذ بالإضاءة من شرق الهداية، وكان له نهاية إضافية هو الختم المكتوم، ونهاية حقيقية الختم المعلوم، والكل نور على نور، وسرٌّ مقسوم.

أمَّا **الحديث الثالث**: فمعناه: إن فاطمة رضي الله عنها، وإن كانت أحب إليه ﷺ من علي كرم الله وجهه؛ لكن حبه لها لا يستلزم عزَّها في نفسها؛ لأن ذلك يرجع في الحقيقة إلى البشرية والطين، وإن كان لها كمال ظاهر في الدين، وأمَّا علي

(١) السهى: اسم نجم خفي، والزبرقان: القمر، ويوح: اسم من أسماء الشمس.

(٢) رواه البخاري (١٣٤٦/٣)، ومسلم (١٩٣/٤).

فدلَّ عزته على وحدته على قطبيته المثلى؛ لأن العزيز هو ما قلَّ وجوده؛ فهو الواحد كالشمس، وفيه رمزًا إلى أن كمال المرأة؛ إنما هو من حيث الصديقية، وهي في نفسها لا تقتضي الخلافة المستلزمة للظهور.

وإن كمال الرجل إنما هو من حيث الخلافة، ومن ههنا لم تظهر امرأة بالنبوة، ولو كانت مريم عليها السلام، كما دلَّ عليه قوله ﷺ: «**لن يفلح قوم تملكهم امرأة**»(١).

ومن عظمة الإمام علي رمز له بأن جعله ﷺ باب مدينة العلم، وإضافة إلى المعنى، وجعله متصلاً به اتصال الباب بالبيت؛ فهو معه كحلقة مفرغة فاعرف جدًا.

٢٣- **في الحديث الصحيح**: قال رسول الله ﷺ: «**مَن صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال؛ كان كصيام الدهر**»(٢).

الصيام: الإمساك، ومطلق الإمساك يشمل الإمساك الصوري؛ وهو إمساك الأعضاء والجوارح، وكل منها عمَّا لا ينبغي له، والإمساك المعنوي؛ وهو إمساك القوى الباطنة كل منها أيضًا عمَّا لا يليق له، ولا شك إن مَن قدر على هذا الإمساك؛ كان له مرتبة الصمدية، فله الإفطار عند الله تعالى بلقاء الله تعالى، و لم يقل: شهر رمضان مع أنه هو المراد مبالغة في الإمساك؛ لأن ما كان الله تعالى ينبغي أن يكون بجميع شروطه وقيوده حتى يقع في محل القبول عند الله تعالى(٣).

---

(١) رواه أحمد (٤٣/٥)، والحاكم في المستدرك (٥٧٠/٤).

(٢) رواه مسلم (٨٢٢/٢)، والترمذي (١٣٢/٣).

(٣) قال الحكيم الترمذي: أمَّا علّة الصوم، فإن النفس مطبوعة معدودة بهذا الغداء والعشاء، وكذلك هذا لهم في الجنة، قال – تعالى -: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِياً﴾ [مريم:٦٢]. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال له رجلٌ: في الجنة ليل؟ قال: وما هيجك على هذا؟ قال: سمعت – الله – تعالى يقول: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦] فقال رسول الله ﷺ: «**إنما الغدو الرواح على المقادير، فالنفس مطبوعة على أن تتغدى وتتعشى، فأمره بفطمها عن هذا، فأمَّا الأمم الماضية، فحظر عليهم الغداء ونزل عليهم العشاء؛ فذلك صومهم**، وأمَّا هذه الأمة، فعطف الله – سبحانه وتعالى – عليها، وأكرمها بأن ترك عليهم الغداء والعشاء في صومهم إلا أنه حظر عليهم الغذاء في وقته، وأطلق لهم تقديمه سحرًا، =

=

وسمَّاه رسول الله ﷺ: الغذاء المبارك فسُمِّي هذا صومًا»(.

والصوم هو: الكفُّ عن عادة تعتادها، فإذا مُنعت النفس تلك العادة، اشتد عليها، فكان في ذلك تسليم الجسد إلى الله – تعالى – لأن النفس إذ مالت إلى الشهوات فقد مالت بأركانها عن الله – تعالى – إلى دنياها، فعلى قدر الميل عن – الله – تعالى والتباعد عنه تنقص البركة، وتنـــزوي عنه، وإذا انحلت البركة عن شيء قلَّت وذلَّت، وصارت مدخولة، وإذا مالت إلى الله – سبحانه وتعالى – بمنعها عادتها وشهواتها ازدادت قربة إليه، وإذا ازدادت قربه إليه حلت بها البركة، فإذا حلت البركة زكَت وربَت، والزكاة: النمو، والاحتشاء من الخير والازدياد.

والآدمي خُلق أجوف، ووُضع في جوفه الإيمان، والعلم، والحكمة، والعقل، والفهم، والسكينة، والوقار؛ وهذه كلها جنود القلب، والرغبة، والرهبة، والشهوة، والغضب، والمكر، والحرص، والجبن، والبخل في ناحية؛ وهذه كلها جنود النفس، فإذا امتنع من عادة النفس، كان في ذلك بذل النفس لله – تعالى – والتسليم إليه، فإذا قبلها زكت بما أُعطيت من الإيمان، والعقل، والعمل، وما ذكرنا من الخيرات، ووفرت فصار هذا الصوم زكاة الجسد.

ألا ترى أن الصائمين كيف يجدون لذة العبادة، وكيف يجدون نفوسهم ساكنة هادئة، ومن هاهنا قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام».

فإذا صام؛ حلَّت البركة ونَما فيه كلُّ شيء من الخير، واحتشى، وازداد فضلاً بحلول البركة، فإذا امتنعت البركة من هذه الأشياء؛ بقيت كلها معطَّلة لا تعمل شيئًا وكأن الله – تعالى – جعل هذا الصوم سببًا لحلول البركة؛ فربَا وزَكَا ونَما كل خير فيه، واحتشت النفس من الخير، وقد عظَّم ربنا – تعالى – فعل هذا العبد حيث منع نفسه هذه العادة.

فرُوي لنا في الخبر أن رسول ﷺ قال: «يقول – الله – تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، عبدي يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحه حين يلقى الله تعالى».

فهذا موافق لقوله ﷻ: «إن تقرَّب إليَّ عبدي شبرًا تقرَّبت منه ذراعًا» شكرًا له هذا القدر حيث مال إليه وترك طعامه وشرابه ساعات من النهار حتى يحكي فعله في الملإ الأعلى، فيقول: «عبدي ترك طعامه وشرابه من أجلي»، ثم يقول: «هذا لي وأنا أجزي به» أي: لا أكل ثوابه إلى غيري.

وإنما صارت الأعمال له، وهذا لله؛ لأن نيَّته وإضماره على أن يمنع نفسه عادة اعتادها، وليس هو بفعل الأركان.

ثم قال النبي: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره».

=

وفي قوله: (ثُم): إشارة إلى تفاوت ما بين صيام رمضان، وست شوال؛ لأن الفرض: إشارة إلى الوجود الحقيقي الوجوبي القدمي، والنفل: إشارة على الوجود الخلقي الإمكاني الحدودي، وتخصيص شوال إشارة إلى ارتفاعه عن شهور السنة بمزيد فضل يختص به؛ وهو التجلِّي الذاتي الذي وقع لنبينا ﷺ ليلة القدر، فاستمر إلى ست من ذلك الشهر.

فكان شهر رمضان الذي هو ثلاثون يومًا كل يوم منه ألف سنة عند الله تعالى بمنــزلة ثلاثمائة ألف سنة، وست شوال بمنــزلة ستين ألف سنة، فالمجموع ثلاثمائة، وستين ألف سنة؛ وهي من عمر الدنيا من أولها إلى آخرها، وعمر آدم منها جمعه من جمع الآخرة؛ وهي سبعة آلاف سنة، فكان الست منها إشارة إلى عمر الأمم المتقدمة، وجُعل تابعًا لعمر هذه الأمة المرحومة؛ لقوله ﷺ:

«**نحن الآخرون السابقون**»[1] فهم متأخرون صورة، متقدمون معنىً؛ لتقدمهم في الأرواح، وفي دخول الجنة أيضًا؛ ليتطابق الأبد بالأزل.

وأمَّا الأمم الماضية فهم متقدمون صورة وشبحًا، متأخرون معنًى وروحًا؛ لتأخرهم في الأرواح، وفي دخول الجنة أيضًا؛ ليتوافق الأبد بالأزل أيضًا، فمدة هذه الأمة جامعة لمدد الأمم الخالية، ومَن قبلهم إلى أول الزمان؛ وهو زمان الكون والحدوث، فكان من عناية الله تعالى بهذه الأمة أن جعلهم أمة وسطًا، فكان من آثار

=

فتلك فرحة حلول البركة، وزكاة الجسد، وذلك بحلول البركة بفرحه؛ لأنه قد زال عنه ثقل النفس.

قال النبي ﷺ: «وفرحة عند لقاء ربه»حين يري ثوابه.

فأمر العبد أن يصوم شهرًا، ويصوم بعده ستة من شوال حتى يكون الدهر كله صائمًا؛ لأن الحسنة بعشر.

فثلاثون يوم بثلاثمائة سنة، وستة أيام بستين يومًا، فإذا كان محسوب عمره في الصوم على ما ذكرنا؛ كانت البركة حالة به جارية عليه، فمَن رغب في تلك السُّنة، فإنما طلب للنفس دوام هذه البركة؛ ليكون جسده بما فيه زاكيًا ناميًا. وانظر: إثبات العلل (ص٩٤) بتحقيقنا.

(١) تقدم تخريجه.

فضلهم أن جعل الله تعالى صوم ستة وثلاثين يومًا بمنـــزلة صوم الدهر؛ وهو الزمان المطلق الساري في ثلاثمائة وستين ألف؛ فكانوا كأنهم صاموا من أول الدهر إلى آخره، وإن لم يبلغ أعمارهم تلك المدة؛ لأن الفضل إنما هو بالحكم لا بالعمر، فهذا سر التضعيف في الحديث.

ومَن لم ينتبه له؛ جعل الدهر بمعنى السَّنة، وفيه أيضًا قوله تعالى: **﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** [الأنعام:١٦٠] يستدعي أن يكون صوم كل يوم: أي يوم كان مجزيًا بالحسنات العشر فلا يبقى لتخصيص رمضان فائدة، ثم إن فضل الزمان ليس بذاتي؛ بل إنما هو لمّا وقع فيه من التجلّي الذاتي الساري سره إلى ما قبله وما بعده؛ لأنه كما أن للتجلي الذاتي أحديته، فكذا للدهر؛ لأنه في الحقيقة عبارة عن الآن الغير المنقسم.

٢٤- في مسلم: «مَنّ صَامَ رَمَضَانَ».

: أي شهر رمضان لما ورد في الأثر: **«لا تقولوا جاء رمضان؛ فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى»**(١)؛ والمراد بصيامه: الإمساك فيه بشروطه الظاهرة والباطنة حتى يكون صومًا كما يقتضيه الشريعة، والطريقة، فإن الأجر الموعود الآتي لا يترتَّب إلا على ذلك.

قال ﷺ: **«ثم أتبعه ستًا من شوال»**؛ في ثم: إشارة إلى فضل الأتّباع المذكور، ووجه العدد: إن التجلّي الذاتي الذي وقع لنبينا ﷺ ليلة القدر استمر إلى الست من شوال؛ فكانت الست في حكم شهر رمضان، فإن ليلة القدر في الحقيقة، ويوم العيد عبارة عن: الزمان الذي يتشرَّف فيه العبد بألطاف الله الخفية.

فكل ليلة وقع فيها التجلّي الذاتي لباطن العبد فهي ليلة القدر، ثم الأفضل عند أهل الحقيقة وصل الإمساك بيوم الإفطار الذي هو يوم العيد، كما يقتضيه أيضًا، ثم إذا حُملت على التراخي وتنكير ست فاعرف؛ ففيه دليل لكل مَن ينتحي الاستدلال.

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٢٠١/٤)، والديلمي في الفردوس (٥٢/٥).

كان المذكور من الصيام والإتّباع كما في قوله ﷺ: «**كصيام الدهر**»[1]: أي السنة أو العمر، فإن الدهر هو الله تعالى، وصيامه إشارة إلى صمدانيته التي لا تقتضيه الأكل والشرب ونحوهما؛ يعني: كان ذلك اتصافًا بصفة الله تعالى، وهو التنــزُّه في مدة العمر عن الأمور الطبيعية البشرية؛ ولذلك أورد الست على التأنيث؛ إشارة إلى الليالي، فإن الست مع ثلاثين.

وكذلك الست معها تبلغ إلى الاثنين وسبعين؛ وهي مدة العمر لهذه الأمة غالبًا، وعندها يُغلق باب التوبة الذي بين مصراعيه سبعون سنة، هذا من خواص شهر رمضان.

وأمَّا صوم غيره فليس بهذه المثابة؛ بل كل يوم عشرة على مُقتضى قوله تعالى: **﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** [الأنعام: ١٦٠].

فالحديث المذكور يُخصِّص هذه الآية، ففرَّق بين عموم الحسنة وخصوصها، وربما يكون الحسنة الواحدة من واحد من المقرَّبين تملؤ ما بين السماء والأرض بخاصتها التي هي الإخلاص، فإن الإخلاص سرٌّ من أسرار الله أيضًا لا يودعه الله إلا في قلب مَن يشاء من عباده.

ولا شك أن السر أوسع من الروح، أوسع من الجسد، وذلك إن الجسد من عالم الملك، والروح من عالم الملكوت.

كما دلَّ عليه قوله تعالى: **﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** [يس: ٨٣]: أي روحه الذي يلي الحق؛ ولذا يقبضه الحق بيده.

وأمَّا السرُّ فمن عالم الجبروت، وسرُّ السرِّ من عالم اللاهوت، وربما يطلقون السرَّ ويريدون به سرَّ السرِّ؛ وهو السرُّ المطلق الساري في الأرواح الإنسانية، وهو مكشوف عند الإكليل، مُخفى عند غيرهم، وبه يظهر الفرق بين العارف والجاهل.

فطوبى لمَن صام الدهر كله؛ وهو مفطر.

فإن الصوم الحقيقي ليس بصوم الوصال صورة؛ بل بصومه معنى، كما قال

(١) رواه مسلم (٢/٨٢٢)، وأبو داود (٢/٣٢٤).

تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣].

فعليك بإدامة العمل حتى يبقى ذكرك، وتكون أنت الحي الباقي إلى يوم التلاقي.

٢٥- في حديث مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**مَن صلَّى في يوم اثنتي عشرة سجدة تطوعًا؛ بني له بيت في الجنة**»[1]:

المراد بالعدد المذكور عدد السنن المؤكدة التي يقال لها: سنن الهدى؛ وهي في اليوم والليلة ثنتا عشرة ركعة: أربعة قبل الظهر، واثنتان بعدها، واثنتان بعد المغرب، واثنتان بعد العشاء، واثنتان الفجر، وما عداها فغير مؤكدة؛ بل مستحبة، ويقال لها: سنن الزوائد؛ ولكن لا تنحصر سنن الهدى والزوائد فيما ذُكر؛ بل لهما جزئيات كثيرة.

والمستحبات أيضًا ثنتا عشرة ركعة وهي: سنة العصر، والسنة الأولى للعشاء، والشفعان المنضمان إلى شفع الظهر والعشاء؛ هذه كلها تطوُّع: أي زائدة على الفرض ألحقها النبي ﷺ بالفرض؛ ليدلَّ كل منهما على مرتبة مخصوصة من المراتب الحقية والخلقية.

فالفرائض: إشارة إلى الوجود الحقاني المنبسط في الأشياء الساري في المخلوقات كلها؛ فإقامتها شكر لله تعالى في مرتبة هذا الوجود الحقاني.

والواجبات: إشارة إلى الوجودات الخلقية الأخصية؛ فإقامتها شكر لله تعالى في مرتبة هذا الوجود الخلقي الأخصي.

والسنن: إشارة إلى الوجودات الخلقية الخاصية؛ فإقامتها شكر لله تعالى في مرتبة هذا الوجود الخلقي الخاصِّي.

والمستحبَّات: إشارة إلى الوجودات الخلقية العامية؛ فإقامتها شكر لله تعالى في مرتبة هذا الوجود العامي.

فأهل الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات إنسان أكمل؛ ولذا لم يزل

(١) رواه النسائي (٤٦١/١)، والطبراني في الأوسط (٣٤٠/٧).

أهل الله الكُمَّل من المواظبة عليها كلها، فإن المستحبات طريق لتكميل السنن، وكذا السنن منهاج لتكميل الواجبات، وكذا الواجبات سبيل لتكميل الفرائض.

ومنه يعلم الفرق بين حال النبي ﷺ، وبين حال غيره من أمته؛ لأن من خاصته **عليه السلام أن يدخل على الله تعالى في كل عمل بما يليق بذلك المقام على الوجه الأكمل؛** ولذا كان يفعل شيئًا مرة، ويترك أخرى ما عدا الفرائض، والواجبات بخلاف حال غيره، فما فعل ﷺ مرة في عمره؛ ينبغي أن يفعله الأمة مرارًا متصلة بآخر أعمارهم، فإن به يتصل الفيض، ويقوم التوجه، ويدوم الصلاة.

وفي ذكر السجدة: إشارة إلى أن أفضل أحوال الصلاة حال السجدة؛ لأنها إشارة إلى الفناء عن التعينات، والبقاء بالمتعين المطلق المنـــزَّه عن التعين، واللام تعيُّن في الحقيقة، وأشار بالتطوُّع إلى المروءة الإنسانية، وإن رتبة الإنسان من أعلى رتب الوجود.

ولمَّا كانت الصلاة عماد الدين، والبيت لا يقوم إلا بالعماد؛ أشار بالبيت إلى الجزاء المجانس للعمل، الموافق للكسب، فمَن أقام الصلاة في الدنيا؛ أقام الله تعالى له بيتًا عظيمًا في الآخرة بحيث لا يوصف عظمته.

وقال: «في الجنة» إشارة إلى ما أعطاه تعالى من البيت، إنما هو بمقابلة الأفعال الظاهرة في الصلاة، وأمَّا ما أعطاه في مقابلة الحركات الباطنة فيها؛ فهو باطن عن العقول خفي عن الأذهان كما قال تعالى:

﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠].

وقال: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧]؛ لأن النفس لا تدرك إلا الظواهر المشهودة لا البواطن المخفاة في غيب الحق، جعلنا الله وإياكم من القائمين بأمره، الدائمين على صلواته آمين.

٢٦- في حديث البخاري: «مَن صوَّر صورة؛ فإن الله معذِّبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبدًا»[(١)]:

---

(١) رواه البخاري (٢/٧٧٥)، ومسلم (٣/١٦٧١).

اعلم أن الأشياء كلها حيها وجمادها حاملة للروح الإلهي؛ لكن لمّا كان الحياة ظاهرة حسية في الأحياء؛ عبَّر عنها بالنفخ في القرآن، كما قال في الإنسان: «**ونفخت فيه من روحي**»(١)؛ فإن الأثر أظهر في النفخ من غيره، ولمّا كانت باطنة معنوية في الجمادات؛ أُشير إليها بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ**﴾ [الإسراء:٤٤].

فإن المسبِّح لا بد وأن يكون حيًّا؛ فالمكاشفون أدركوا الحياة في الجمادات أيضًا دون غيرهم؛ ولذا لم يكونوا يصوُّرون صورة لا صورة ذي الروح، ولا صورة غيره إلا بإذن الله تعالى؛ كعيسى عليه السلام لمّا صوَّر الخفاش من الطين بإذن الله تعالى نفخ فيه الروح؛ فصار يطير كسائر الطيور.

فإن المصوِّر - بالكسر - حينئذ إنما هو الحق تعالى في صورة عيسى، وكذا النافخ للروح؛ كالرامي في قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى**﴾ [الأنفال:١٧]، وذلك أن الهُويَّة إنما هي هوية الحق تعالى، وليس للعبد هوية غير التشخُّص، وليس التأثير من جانب التشخُّص؛ بل من طرف الهُويَّة.

فالمصوِّر إذا صوَّر شيئًا من طرف تشخُّصه من غير أن يأذن الله له من طرف هويته؛ عجُز عن نفخ الروح فيه، وصار عُرضة للعذاب؛ لأنه شبَّه نفسه بالخالق، والذي صوَّره بخلق الله تعالى.

وقد قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ**﴾ [النحل:١٧] يعني أن العبد لا يقدر على الخلق مادام مخلوقًا، فإذا تجلَّى فيه سرَّ الخالقية على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:١٤].

وأذن الله له في الخلق والنفخ، كان الأمر كما شاء الله تعالى بهويته المضافة إلى العبد.

وقد نفخ أبو يزيد البسطامي قُدِّس سرُّه في نملة ميتة؛ فحييت بإذن الله تعالى لا بنفخه المجرَّد؛ فإن نفخه المجرَّد ريح نفسانية لا تؤثّر إلا بسريان الروح الإلهي فيها،

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١/١٧٢)، والديلمي في الفردوس (٣/٤٢١).

فالعبد يفعل ما يفعل بالحق لا بالنفس، فمَن فعل بالنفس؛ وقع في العذاب الجسماني؛ لأن النفس مضافة إلى الجسم الطبيعي، ومَن فعل بالنَفَس بالفتح؛ وقع في الرحمة، وفيه إشارة إلى ألا بد للعبد من معرفة حدِّه، فإنه إذا لم يعرف حدَّه؛ تجاوز إلى حده من قوله.

والكاذب لا يدخل مقام الصادق؛ بل كلَّما أراد ذلك؛ ردَّه يد الغيرة الإلهية إلى حدِّه؛ بل إلى أسفل منه؛ لتركه الأدب مع الله تعالى.

قال تعالى: **﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾** [السجدة: ٢٠]؛ ولذا قال ﷺ: «**وليس بنافخ فيها أبدًا**»(١): أي ما دام على حالته النفسانية.

إذ مَن كان في النار؛ فهو لا يحيا ولا يموت، فكيف يُحي الغير ويُميت، وكذا مَن بقى في سجن الطبيعة؛ فإنه لا يخرج منها أبدًا إلا أن يخرجه الله منها كما قال: يخرجهم من الظلمات إلى النور، فالأشخاص ظلمات، والأرواح أنوار.

فإذا سَرت الأرواح في الأشخاص؛ كان كسريان الأنوار في الظلمات، إلا أن يكون في البين حائل؛ كالنفس الحائلة بين الأرواح والأشخاص، وكالجبال والجدران الحائلة بين الأنوار والظلمات، فليبكِ على نفسه مَن بقى في الظلمات النفسانية الجسمانية، وليضحك وليفرح بفضل الله تعالى مَن خرج منها إلى الأنوار الروحانية الإلهية.

٢٧- في حديث مسلم: «مَن فاتته صلاة العصر؛ فكأنما وترَ أهله وماله»(٢):

يقال: فاته الأمر: أي ذهب عنه، فمعنى فاتته الصلاة: فاتت عنه الصلاة بمعنى وقتها.

وفي رواية البخاري: «**مَن ترك صلاة العصر**»(٣):

فدلَّ على أن التفويت محمول على العمد، إذ لا يترتَّب الوعيد والخسارة على الخطأ والنسيان، وإن كان يرد الخطاب بالعقاب يعني: إن مَن ترك العصر متعمدًا؛

---

(١) ذكره ابن حجر (٣٩٤/١٠)، والزرقاني في شرحه (٤٧٠/٤).

(٢) رواه البخاري (٢٠٣/١)، ومسلم (٤٣٥/١).

(٣) رواه البخاري (٢٠٣/١)، والنسائي (١٥٣/١).

فكأنما كان موتور الأهل والمال: أي منقوصهما ومسلوبهما: أي كان كمَن بقي بلا أهل ولا مال؛ وهو خسارة عظيمة دنيوية، وأعظم منها الخسارة الدينية الأخروية.

وفيه إشارة بالعمر إلى زمان كل واحد من أفراد الإنسان؛ وهو أيام حياته المعدودة المقدَّرة، وبالصلاة إلى التوجه المعنوي، والحضور القلبي الحاصل في العمر، فمَن فاته هذا المعنى؛ كان كمَن بقي بلا أهل ولا مال: أي بلا قوى روحانية، وبلا أعضاء جسمانية؛ فكأنه في صورة وسيرة غير صورة الإنسان وسيرته.

لأن المقصود الأصلي من الآلات، والأسباب الخارجة، والداخلة؛ إنما تحصيل الكمال الإنساني المنوط بحال القلب، فإذا فقد التحصيل؛ فكأنما فقد الآلات، فليبكِ على نفسه مَن ضاع عمره وعصره، ولم يكن على طائل، وفائدة من الصلاة، والتوجُّه، والحضور الحاصلة لأهل الكمال الذين هم الإنسان الحقيقي.

أمَّا غيرهم فهم الإنسان والحيواني؛ بل هم أضلٌ من الأنعام؛ لأن الحيوان مهتدٍ إلى ربه بما جُبل عليه من التسبيح، وله رتبة الفطرة حيث لم يتدنَّس بشيء من المخالفة؛ لكونه خارجًا عن حدِّ التكليف، وحمل الأمانة، فالإنسان منهم أسفل وأعلى، فانظروا منهم الخاسر، والرابح فاعرف.

دلَّ على ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢].

وقد أقسم الله تعالى بالعصر مطلقًا؛ لشرفه العظيم، وجعل مَن لم يعرف قدر العصر في خسارة، فلا ربح إلا لَمن آمن إيمانًا حقيقيًا عيانيًا، وعمل عملاً صالحًا يصلُح للتَّسبب للعروج إلى مواطن أهل الصلاح المطلق في علِّيين؛ بل إلى مَساعد يبقى عندها العلِّيون كأسفل درجات المرقَّات، وتواصى بالحق:

أي بشهوده في المشاهد، والثبات على ما أراد الله تعالى في المعاهد، وتواصى بالصبر على ستر الحال، وكتم سر الغيب، فإن ذلك الربح أيضًا.

ألا ترى أن كل مَن أظهر البطون؛ فقد أبطن الظهور؛ بجعل نفسه عُرضه للآفات والفناء(١) والهلاك.

(١) قال الشيخ أبو المواهب الشاذلي: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦].

=

=

ويقول تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

منــزع: حقيقة الفناء محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال.

وإن شئت قلت: فناء المريد طهارة النفس من التدنيس، وفناء المراد تخلُّقه بأوصاف التقديس.

وإن شئت قلت: فناء السالك عن السكون إلى الأنوار، وفناء العارف عن شهود لمحة الأغْيار.

وإن شئت قلت: الفناء محو النية، وذهاب الأنيَّة.

وإن شئت قلت: الفناء التخلي لنور التجلّي.

مشرع: فناء عوام الطريق بهجة أهل التحقيق، فإن حصلت لهم العناية، سلكتهم مسلك الهداية.

منــزع: فنا المحب بمحبة الحبيب، وفناء المحبوب بالوصل عند غيبة الرقيب.

مشرع: اجتاز قوم ببعض طرق الفَنا، ولم يحصل لهم ما طلبوا من المنى، وإنما حرِموا الرشاد لعدم الاسترشاد.

منــزع: أهل الصدق في الإرادة في باب الأعمال فَانون أدبًا مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات:٩٦].

وأهل المعرفة فناؤهم في حضرة الصفات والأسماء وذلك لهم أسْمى؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧].

مشرع: فناء المريد بشهود التوحيد، وفناء المراد بالخروج عن المراد، وفناء العارف بشهود الأحدية في حضرة الواحدية، وفناء الفرد بتجلّي الأحد بالغيبة عن كل أحدِ.

منــزع: كوْن مشهد الحسّ هو محلّ جريان الشمس، إذا استوت شمسك عند الزوال أفنت ما كان موجودًا من الظلال، فاحرص على استواء شمسك بذهاب ظل غمامة حسّك.

كــان لي ظــل رســوم فاســتوت شمــسٌ فــزالا
عشــت بالمحــبوبِ حقًّــا بعــد مــا كانــت خــيالا

مشرع: أفْنىَ التائب المهلكات، وأفنى السالك العادات، وأفنى المسلك القواطع، وأفنى العارف المطامع، وأفنى الواصل الأكوان، وأفنى الموصّل ما سِوىَ حضرة الإحسان.

منــزع: إذا غلب الفناء بشهود التجلّي، عند صدْق التخلّي، لا ترى الأكوان إلا كالخيال في حضرة هذا المثال.

إنمـــا الكـــون خـــيالٌ وهـــو في حـــقِ الحقـــيقةِ
كـــل مَـــن يشـــهد هـــذا حـــاز أســـرارَ الطـــريقةِ

=

كما وقع للحلاّج، والنسيمي، والسهروردي المقتول وغيرهم، وأيضًا وتواصى بالحق: أي بالأمر الثابت الذي هو الدين الباقي إلى آخر العمر؛ بل إلى ساعة القيام إذ لا ينتهي العبد، وإن كان حرًّا عمًّا سوى الله تعالى إلى حد يَسقط عنه التكاليف؛

=

مشرع: فناء الفناء أعلى من الفنا؛ لأنه دهليز البقا عند أهل التقى، فإياك أن تقف مع بداية الفنا؛ فتقع في الخلط والدعوى، وتخالف أهل الأدب والتقوى.

وانظر حال الحسين الحلاج لما قنع ووقف عند أوائل الفناء، كيف وقع في العناء[1].

بقوله: ها هو أنا ومَن أيْسر أقواله ما أعرب به عن بعض أقواله.

عجبـــــت مــــــنك ومــــــني أفنيـــــــتني بـــــــك عــــــني

أدنيـــــتني مــــــنك حـــــتى ظننـــــــت أنـــــــك أني

قوله: (حتى ظننت أنك أني) فيه شعور بأدب فناء الفَنا، لكنه لم تكمل له حقيقة هذا المعنى؛ إذ لو كملت لتخلّص من غلظ البشرية، وتأدب بكمال الأدب مع الربوبية.

يـــــا نـــــزهتي في حـــــياتي وراحـــــتي بعـــــد دفـــــني

مـــــا لي بغـــــيرك أنـــــسٌ إذ كنـــــت خـــــوفي وأمـــــني

منـــزع: الفاني المحقق عند المحققين؛ من شَعر بوجوده عند الغيبة والحضور، وعلمه وإن لم يشهد في ظلمة فناء ذلك الديجور.

ألا ترى أن من طلعت عليه الشمس فاشتغل بصره بنور شهودها لا ينكر بقاء نور الكواكب، وإن لم ينظر حقيقة وجودها، كذلك الفاني إذا غلب عليه شهود أنوار الحق، استشعر وجوده ووجود الخلق، فذلك سلوك الكُمَّل الأنبياء، والسادات الأتقياء.

مشرع: قال غير واحد في الفناء (أنا) وفي البقاء قالوا: (أنت)، فقيل: يا فاني في الأول ما كذبت، ولكن في الثاني أحسنت.

منـــزع: مقام الفناء به الوصول إلى المنى، كلما توالى على صاحبه دَنَا، واصطلمه السنا في المقام الأسنى.

ويَـــزيدني تلفًـــا فأشـــكرُ فعله كالمســـكِ تســـحقه الأكـــفُ فيعبقُ

مشرع: الفناء هو أساس الطريق، وبه يتوَصَّل إلى مقام التحقيق، ومَن لم يجدْ بَمهر الفنَاء لم يستجْل طلعة الحَسْنَا، وليس له في غد واليوم نصيب مع القوم.

لبقاء مدار الأمر والنهي الذي هو النفس الإنسانية المختلفة المراتب.

وتواصي بالصبر في أوائل الأمر، وهو حال المبتدئ، وبالشكر في أواسطه، وهو حال المتوسط، وبالفناء عن كل منهما في أواخره، وهو حال المنتهي، فبالصبر يصير الحضرم حلوًا، والمرّ سكرًا، **فاصبر كما صبروا؛ تظفر كما ظفروا، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**: أي اليقين المطلق الذي لا يقين فوقه، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**اللّهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي، ويقينًا ليس بعده كفر**»[1]، رحمنا الله تعالى وإياكم بذلك.

٢٨- في المتفق عليه بين البخاري ومسلم: «مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله»[2]:

إرشادٌ عظيمٌ للسالكين إلى ما يحصل به الفتوح الإلهية، والوصول إلى مقام القرب والوصال، وحاصله إن مَن قاتل نفسه التي هي أعدى الأعداء؛ ليكون التوحيد الروحاني ساريًا في الطبيعة، وقواها؛ فيكون الدين القلبيُّ عاليًا على الدين الذي يدعوا إليه النفس والشيطان؛ فهو فقط في السبيل الموصل إلى سر الله تعالى.

وأمَّا مَن قاتل شيء من الأغراض السالفة، أو العالية دون الله تعالى؛ فهو في سبيل ما سوى الله، والطريق إذا أوصل إلى الكون؛ فهو ليس بطريق؛ بل الطريق هو ما يوصِّل إلى الله تعالى فوق الكون؛ بل فوق عالم العلم؛ لأن العلم من الإضافات أيضًا؛ فقد ظهر من هذا أن أهل الوقفة إنما وقفوا في الطريق، ولم ينته بهم ذلك إلى المقصد؛ لفتور عزائمهم، وقصور نيَّاتهم وقصودهم، فلا بد لأهل الإخلاص من قطع الأماني أية أمنية كانت؛ بل من مطلق الطلب؛ لأنه من الإضافات؛ لكن لا يظهر حقيقة هذا المقام إلا لأهل النهاية.

وغاية ما في الباب أن ههنا أمرين:

أحدهما: ما يرجع إلى جانب الحق تعالى.

والآخر: إلى جانب العبد.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦/١١٨)، وذكره الهيثمي في الزوائد (١٠/١٨١).

(٢) رواه البخاري (١/٥٨)، ومسلم (٣/١٥١٢).

فما يرجع إلى جانب الحق ينبغي أن يكون هو الغرض لا ما يعود إلى جانب العبد، فالعبد إذا طلب الدنيا أو الآخرة والفتح أو نحو ذلك؛ فهو إنما يطلب خط نفسه في الحقيقة لإرضائه تعالى في امتثال أمره، فعليه أن يرجع عن المطالب الفانية؛ بل المقاصد الباقية، ويقوم مع مراد الحق الباقي، فإن ذلك هو العبودية التي لا يشوبها شيء مما يخالفها ويغابرها، ومن الله الإمداد على ذلك.

٢٩- قال البخاري: «مَن قال حين يسمع النداء»[١]:

المراد بالنداء: الأذان[٢] لأنه لا بد فيه من رفع الصوت؛ ليسمعه الدَّاني

---

(١) رواه البخاري (١/٢٢٢)، وأبو داود (٢/٣٠٤).

(٢) قال العلواني: فصل في أرواح وصل من أرواح الأذان الذي هو روح كبير من أرواح الإسلام فهو روح الفتح في أرواح الصلاة وهو روح جامع في أرواح الأذكار.

وروح المؤذن لها روح سبح في أرواح الملك والملكوت «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا**» لأنهم أوسع إطلاقا من الأرواح الشيطانية والمطلق الحلول له طول ﴿ **إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا** ﴾ [المزمل: ٧] أيها المؤذنون في أرواح العناصر بأرواح الأذكار فاذكر آي ربك في روح الأذان وتبتل إليه تبتيلا بعد الفراغ منه بأرواح الدعوات وأرواح الصلوات على الروح المكرم برفع روح ذكره وشرح مدره على كل الأرواح ثم بروح سواك الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ثم بروح النافلة من الصلاة.

ففي الروح المحمدي: بين كل أذان وإقامة صلاة فروح التكبير بروح الله أكبر روح فتح في الأذان وروح فتح في الصلاة، فهو مكرر في الأذان لأنه على روح الدعاية روح فكر في روح الفتح على سبيل الروح الركني كغيره من أرواحه فإنها كلها أرواح دعاية إلى روح الصلاة المكتوبة في أرواح الأوقات.

فأرواح الأذان أرواح دعاية من المؤذن وأرواح إجابة من السامع على نحو ما قرر في الأرواح المحمدية والأرواح الفقهية فإذا قال المؤذن في روح الوقت: الله أكبر الله أكبر كان ذلك طلبا لإقبال الأرواح على أرواح الطهارة والصلاة.

وكان روح المعنى لا شيء أكبر من الله عظمة ولا أوسع بركة ولا أكثر موهبة، فأقبلوا على أرواح المواصلات التي أمركم بها من أرواح الطهارة وأرواح التي هي أرواح وصلتكم بأرواح الرحمة وأرواح الرضوان برفع الأغطية من أرواح الشيطان ومفاتيح الجنان، بأرواح الأذان التي إن كان لك روح تأمل وجدتها أرواح الصلاة.

=

=

ومن أرواح الأذان أرواح الإجابة فإذا قال المجيب: الله أكبر الله أكبر فروح المعنى صدقت أيها المؤذن بأنه لا شيء أكبر من الله عظمة، ولا أوسع بركة ولا أكثر موهبة فإذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله فتلك روح هداية، فيها روح دعاية وروح المعنى روح اعتراف بأن أرواح العبادة لا يستحقها إلا الروح المالك لسائر أرواح الوجود المعروف بأرواح الكرم والجود الذي بسط روح الرحمة لكل مقرب ومبعود.

فيقول المجيب أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله وروح المعنى حق ما تقول أيها المؤذن فلا تكذيب، ولا رد بل أنا مقبل على روح ما تقول بأرواح الصدق والجد، فإذا قال المؤذن أشهد أن محمدًا رسول الله أشهد أن محمدًا رسول الله، فذلك روح دعاية.

وفيه روح هداية إن هذه الأرواح أرواح محمدية دلنا عليها، وهدانا إليها فدعايتنا من دعايته، وهدايتنا من هدايته فهو رسول الله بهذه الأرواح، وهو سيد أرواح الرسالة وسيد كل روح من أرواح الهداية، والدعاية، وهو المؤيد بأرواح التنزيل من الأرواح الفرقانية، والأرواح الكشفية والأرواح الإلهية الطاهرة في أرواح المعجزات فهي الأرواح الخارقة للعادات.

وكم جاءنا بأرواح من البركات حتى ملأ الوجود بأرواح الجود:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] بأرواح الهداية وأرواح الدعاية وأرواح المعروف وأرواح العفو، وأرواح التبشير مع أرواح الإنذار وما أنت إلا السراج المنير في الروح الأول والروح الآخر والروح الباطن والروح الظاهر بإرشاد بأرواح الإرشاد إلى أرواح السداد بأرواح الذكر وأرواح الفكر التي بها التعرف بالأرواح الإلهية.

فأنت باب الله ومفتاح خزائن المعرفة بالله وأنت الروح المحبوب المقرب في كل ملة وروح وطريق ومذهب فيقول المجيب: أشهد أن محمدًا رسول الله أشهد أن محمدًا رسول الله وروح المعنى أني معترف بأرواح ما ذكرت وشاكر بكل روح شكرت بها.

هذا الروح الأعظم في أرواح المرسلين، والروح الأكرم في أرواح الواصلين والروح المقدم في أرواح المقربين، فله روح الإجابة إلى ما دعانا إليه وروح الدخول إلى ما هدانا إليه، فإذا المؤذن قال: حي على الصلاة، حي على الصلاة فروح المعنى إذا كان لك روح إقرار.

أيها المجيب السامع فأقبل على هذه الأرواح إليها الروح الإلهي بالأرواح الفرقانية، والروح المحمدي بالسنن الزكية، وأرواح السنن من الأرواح الإلهية ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣] فالروح المحمدي، لا يكون منه روح نطق إلا بروح حق.

إما من أرواح الوحي وإما من أرواح الحال الفائض من أرواح الكمال الفائضة من أرواح الجمال،

=

=

فيقول المجيب السامع: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلا روح إقبال على أرواح الأعمال التي وقعت بها أرواح المعرفة، وأرواح التصديق، وأرواح الإقرار بأنها أرواح وصله إلى أرواح إلى.

والأرواح التي هي مفاتيح الجنان وكلها أرواح رضوانية مخلصة من الأرواح الشيطانية وهي الأرواح الخذلانية فكل روح شيطاني روح خذلاني وغطاء ظلماني فلكثرة أرواح الشياطين المعيقة عن السرعة إلى أرواح الغفران المزيلة لأرواح العصيان للداعين بأرواح الأذان إلى أرواح التقريب من أرواح الحق.

وأرواح المجيب لا حول ولا قوة إلا بالله على الانسلاخ من الأرواح الشيطانية والدخول في الأرواح الرحمانية والأرواح المحمدية فروح الحق هو الروح الجامع في كل الأرواح فأرواح الحول له وأرواح القوة بأرواح من أرواحه الرحمانية.

وهذا روح كمال في روح التوحيد من هذا الروح المجيب فيستحق أن يدعى إلى روح الفلاح من أجل روح الصلاح بروح التبري من الحول والقوة فيقول المؤذن: حي على الفلاح حي على الفلاح.

روح المعنى أقبل إلى ما ادخر لك الروح الإلهي في أرواح الطهارة وأرواح الصلاة أرواح الفلاح الكاملة وأرواح الرحمة العميمة الشاملة.

فيقول المجيب السامع: لا حول ولا قوة إلا بالله، روح المعنى أن روح الطهارة وروح الصلاة، وإن كان فيهما من أرواح الفلاح فإن روح الصلاة فيها روح المناجاة وروح لقاء الرب وذلك روح عظيم لا يقوى عليه الروح البشري والجسد العنصري إلا بروح من الله بسلخ الأرواح الشيطانية.

والأرواح الخذلانية وهي أرواح الخيال مما يكون من أرواح الوساوس بأرواح الاشتغال بما يكون من أرواح المكاسب السفلية من صور المباحات وأرواح المكروهات.

فيقول المؤذن: الله أكبر الله أكبر روح المعنى أقبل فإنك لا مشقة عليك فإن هذا الملك الجليل له روح الكشف وأرواح التحويل، فيقول المجيب السامع: الله أكبر الله أكبر روح المعنى إني أذهبت بالروح الأعظم كل روح من الأرواح الشيطانية، وما يكون منها من الأرواح الخذلانية وأقبلت على هذا الروح بالروح.

فيقول المؤذن لا إله إلا الله روح المعنى إن هذا المقبل قد ذهبت روحه وغابت في الأرواح الإلهية من روح الطهارة، وأرواح الصلاة وفي الأرواح المحمدية وهي السنن المرضية والأرواح الذكية للأرواح المتحققة بها، والمقبلة عليها والداخل إلى أرواح معانيها بصور مبانيها.

فيقول المجيب السامع: لا إله إلا الله روح المعنى إن الأرواح كلها لله فليبين بكثير أن يذهب في أرواح طاعته التي فيها روح المألف للأرواح الإنسانية بأرواح التعظيم والإجلال وأرواح الحب الفائضة

=

=

من أرواح القرب بالصور الجمالية.

والأرواح الكمالية وإلى الله المصير بروح هذا التعيين روح أمان في روح الأذان من الروح الفرقاني: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

روح بيان في هذا الروح الفرقاني تفسر الاتخاذ للولد ينفي أن يكون ولدا، وإنما يكون عبدًا لأنه إذا اتخذه فإنما يتخذه بروح من الإيجاد بأرواح من الإمداد فلا يكون ولد، وإنما هو كغيره من أرواح الوجود العنصرية والبشرية.

وكل روح من أرواح الحيوان في معنى روح هذا الإنسان فما روح الفصل، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١] يخرج روحا من الأرواح الغيبية ويركبها في هذه الصور العنصرية والمساكن البشرية ولا في صورة يعوضه ولا في روح نملة أو نحلة أو ذبابة فهو المنفرد بإيجاد أرواح الموجودات وكل صورة من صور أرواح الكائنات و لم يكن له ولي من أرواح الوجود ينصره من الذل يكون في الصور والأرواح فلا ذلك إلا على الروح المقيد بالأرواح الإلهية لا على الأرواح الإلهية المطلقة.

فإنه أرواح القهر: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨] فكيف يكون له روح ذل من الأرواح القهرية،وهو القاهر في كل روح وصورة ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١] يليق بأرواح قدسه.

وكل أرواحه الذاتية واعلم أنه لا إله إلا الله وفي روح آخر محمد رسول الله، وفي روح من الفرقان: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] ففي هذا الروح روح بيان في روح حي على الصلاة في روح حي على الفلاح، فإن روح حي على الصلاة روح دعاية لما يجيء من أرواح الغفلة.

ومن أرواح الحدث ومن أرواح الجنابة ومن أرواح القاذورات، وأرواح النجاسات بأرواح الطهارة المدعو إليها الروح الإنساني بأرواح الأذان في ضمن الدعاية إلى روح الصلاة وبالأرواح الفرقانية.

والأرواح المحمدية وما أرواح الأذان إلا من الأرواح المحمدية والأرواح الفرقانية وحي على الفلاح روح دعاية لما يجيي من أرواح المشي إلى الجماعات، ومن أرواح السعي إلى أرواح الذكر في أرواح الجماعات، من الخطبة ومن أرواح الصلوات والتسليمات ومن أرواح الدعوات بأرواح الإقبال على روح القبول في روح الجمعة. ومن أرواح الفرقان في أرواح الأذان أرواح نداء لأرواح الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩] والنداء هو رفع المؤذن أرواح صوته بأرواح الأذان.

=

=

فأرواح الأذان كما هي أرواح دعاية فهي أرواح إعلام بأرواح الأوقات وأوائل الأرواح الوقتية وهي أرواح الرضوان وأرواح أواسط الأوقات أرواح عفو وأرواح الأواخر أرواح غفران وأرواح الأذان معينة على أرواح من الدين بأرواح من التذكير.

وروح المؤذن من أرواح الدعاة إلى الله، وفي الروح الفرقاني: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت: ٣٣] أي بأرواح التذكير والأذان فيه أرواح من التذكير بأعظم الأرواح، وأرواح الفلاح في أرواح الإجابة للأرواح الداعية إلى الله بأرواح من التذكير.

ومنها أرواح الأذان وأقسم بالروح الأعظم مالك الأرواح أن من لا يكون له أرواح تذكر بالأذان فما له من روح توصله إلى الله فلا روح وصلة إلا بأرواح من الإجابة بعد أرواح التذكير وعمل صالحا من المشي إلى أرواح الجمع والجماعات فكل من الأرواح الساعية بأرواح الوصلة إلى أرواح الفلاح.

وفي أرواح الفلاح أرواح الانشراح وفي الأرواح المحمدية روح بشارة بأرواح الشهادة على أرواح الأذان لروح المؤذن لا يسمع صوت المؤذن حجر ولا شجر ولا إنس ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة.

فكل روح من أرواح الموجودات من أرواح الجماد وما كان من الأرواح العنصرية والأرواح البشرية من أرواح الجان من يعشق أرواح الأذكار.

وإذا كان الروح السامع من أرواح الشياطين فر من أرواح الأذان حتى لا يكون شاهدًا بأرواح الأذان لروح المؤذن فهي لا بد أن تسمع بعض أرواح الأذان فتشهد فإن أرواح الشهادة على الأرواح الخفية من أرواح الأذان وغيرها غير موقوفة على أرواح الإيمان وفي الروح المحمدي: «**إن الله يغفر للمؤذن مدى صوته**» في أرواح الفضاء ومن أرواح الأذان أن يكون على أرواح الطهارة فلو وقعت أرواحه على أرواح الحدث، أو على أرواح الجنابة كان على أرواح من الكراهة.

وكذلك أرواح الإقامة مع أرواح الصحة والروح الأعظم في أرواح الأذان روح الإيمان فلا يكون له روح من أرواح الكفران، وبقية أرواحه أرواح الكلمات الموجودة فيه من روح الشارع، وفيه من روح الترتيب، ومن روح الموالاة فلو أسقط روحا من أرواحه خرجت روحه من أرواح الصحة أن يكون في روح الوقت وروح الوقت، في روح الصبح يدخل من روح نصف الليل فاعرف الأرواح في المساء والصباح من أرواح الأوقات لإقامة أرواح الطاعات من أرواح الطهارة ومن أرواح الأذان، ومن أرواح المفروضات من أرواح الصلوات على أرواح العباد من الأرواح الإنسانية الساكنة في الصور البشرية.

=

والقاصي؛ فيتهيأ للصلاة؛ وليشهد له يوم القيامة كل مَن سمعه من ذَوي الروح وغيرهم، فإن الجمادات أيضًا لها حياة حقانية خفية عن إدراك المحجوبين، جليَّة عن المكاشفين؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾ [الإسراء:٤٤]: أي ينـــزِّه الله عن العجز، ويحمد الله على نعمة الوجود.

وقوله ﷻ: **﴿وَلَــكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** فضلاً عن استماعه والإصغاء إليه؛ إنما يفقهه ويسمعه الخَواص المطَّلعون على ملكوت السماوات والأرض، وفيه إشارة إلى أن الأعمال لا تُقلَّد إلا لمَن استحقها واستأهلها؛ بأن يكون المؤذِّن مثلاً أرفع الناس صوتًا؛ لينتفع الخلق بصوته، وأن يكون الإمام أفقه الناس؛ ليتمَّ الاقتداء به ويصح، وعلى هذا.

في الحديث: **«مَن قلَّد إنسانًا عملاً، وفي رعيته مَن هو أولى منه؛ فقد خان**

=

والمساكن العنصرية فأرواح الطاعات أرواح وصلة بأرواح الرضوان والفتح بها من الأرواح الرحمانية.

والمواهب الإحسانية وبها يكون أرواح السرور للأرواح المؤمنة ففي الروح المحمدي «**المؤمن**» أي الذي على روح كمال في روح الإيمان «**من سرته حسنته**» لأنه يراها من إحسان الله «**وساءته سيئته**» لأنه يراها من أرواح البعد عن أرواح الرحمة.

وفيها أرواح ظلمانية من الأرواح الشيطانية وهي أرواح الأغطية التي تحول بين المرء وروحه فلا يرى روحا طيبا من أرواح الحق المبشرة بأرواح الرضوان فكل روح من أرواح الحسنات له روح رضواني، لأنه من الروح الإحساني.

وكل روح من أرواح السيئات له روح شيطاني لأنه من الروح الرضواني الظلماني ونهاية أرواح العصيان أرواح العذاب ولو بأرواح الخذلان فأرواح الأذان فيها أرواح الوصل وأرواح من الفصل وأرواح من الحركة، وأرواح من السكون فروح الوصل الله أكبر وفيه من روح الفصل لكل روح شيطاني، وأرواح الشهادات أرواح وصل بأرواح الفتح في أبواب الرحمة.

ومنها أبواب الجنة وحي على الصلاة حي على الفلاح أرواح وصل بأرواح طاعة والحركات بأرواح اللسان وفيه حركتان عند روح حي على الصلاة في روح اليمين.

وعند حي على الفلاح في روح الشمال وروح السكون في روح القبلة تكون في بقية الأذان وهذا روح السنة في هذا الروح المحمدي، وفي كل روح من أرواح الإحسان وروح سكون بالجنان إلى أرواح الرضوان.

الله ورسوله وجماعة المؤمنين»[1]:

والمراد بسماع النداء هاهنا: السماع المطلق الكامل، وهو لا يحصل إلا عند تمامه.

فالدَّاعي إنما يدعو بالدعاء الآتي بعد تمام الآذان: اللّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة.

أخَّر الربوبية؛ لأنها تلو الألُوهية، فهي منها بمنــزلة الوزير من السلطان، والكرسي من العرش، والقمر من الشمس، والصدر من القلب فهي أن الربوبية محل صدور الآثار بالفعل؛ ولذا نقول: إن الاسم الله اسم إلهي باطن، والاسم الرب اسم إلهي ظاهر، وكل منهما أعظم.

كما أن العرش اسم باطن كوني، والكرسي اسم ظاهر كوني؛ لأنه محل انقسام الوحي إلى الأمر، والنهي للذين هما القدمان المتدليان من العرش، وأضاف الربوبية إلى الدعوة؛ لأن تشريع الدعوة من باب الربوبية لِما فيها من تربية العباد بسرٍّ الانفصال والترقّي إلى سر الاتصال، ووصف الدعوة بالتامة، كما وصف الصلاة القائمة؛ إشارة إلى أن كلاً منهما تتم وتقوم إلى قيام الساعة؛ لأنهما من الأحكام القرآنية، والقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

فالأذان لكونه بين يدي الصلاة لا يعتريه النقصان، كما أن الصلاة التي خلفه لا يعتريها الانقطاع فإنه من شعارها؛ ولذا جاء في الشرع إن أهل بلدة لو اتفقوا على ترك الأذان؛ يحاربهم الإمام، فبقاء التوحيد في العالم؛ يقتضي بقاء الآذان والصلاة ونحوهما فيه، فالله تعالى متمّ نوره الذي هو الآذان والصلاة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢] المنكرون لهما، ولأمثالهما من الأحكام الشرعية، وفيه معجزة نبوية؛ لبقاء شرعه مدَّ الدهر.

كما قال وأفاد: «**آت محمدًا الوسيلة والفضيلة»**[2]:

---

(١) ذكره ابن حجر في الدراية (١٦٥/٢)، والزيلعي في نصب الراية (٦٢/٤).

(٢) تقدم تخريجه.

عطف الفضيلة على الوسيلة التي هي المقام المحمَّدي المخصوص به في ذروة عالم الجنان؛ إشارة إلى تفضيله بذلك المقام على سائر أهل المقامات من الأنبياء والأولياء عليهم السلام؛ كتفضيله بمرقده اللطيف على سائر أهل المراقد، فمرقده عين الوسيلة، وصورتها في هذا الموطن؛ ولكن لا يعرفه إلا أهل المراقد العالي، فاعرف.

وقال ﷺ: «**وأبعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته**»[1]:

: أي بقولك في التنـــزيل: ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء:٧٩].

: **أي يقيمك فيه، وهو المقام الكلي الجامع لجميع مقامات الكمال.**

ومنها مقام الشفاعة العظمى[2]، فعسى أطماع، والأطماع من الكريم:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال الرصاع: صاحب الشفاعة: اسم من أسمائه ﷺ، وردت به الآثار، ومشهور الأخبار.

وقد قدمنا أنَّ من أسمائه الشفيع المشفع، ولكل اسم منها معانٍ تخصه مما دل على أنه عند مولاه بالمحل الأرفع.

فصاحب الشفاعة: أي المنفرد يوم القيامة بالسيادة وقضاء الحاجة، وتنفيس الكربة، وإظهار الكرامة حيث يعظم الهول، ويشتد الأمر، وتكثر الندامة.

والألف واللام في الشفاعة: يحتمل أن تكون للعهد، أي صاحب الشفاعة المعهودة في الموقف العظيم، والخطب الجسيم، والهول الشديد في يوم الوعيد؛ يوم: ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

فإذا جثت الخلائق على الركب، وتميزت في العالم الأخروي أهل المكانة والرتب، والتجأ أهل المحشر إلى سيد العجم والعرب، أبرز مالك الملوك مكانة حبيبه في أعين العالمين؛ وأبان قدرة وفضله وشفاعته على سائر الخلائق أجمعين.

ويحتمل أن تكون الألف واللام للجنس: أي صاحب كل شفاعة احتاج الخلق إلى الله تعالى فيها، فلا يجدون أقرب، ولا أعلى من حبيبه وصفيه وخليله ﷺ؛ الذي لا ينازعه أحد فيها.

وقد قدمنا حديث الشفاعة في اسميه الشفيع المشفع، وذكرنا شفاعته ﷺ، وبيَّنا أقسامها بكلام مختصر أجمع.

ومما يناسب ذكره في هذا الاسم الكريم ويزيد القلوب حبًّا وشوقًا إلى النبي العظيم، ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾ [الحجر: ٤٤].

=

=

قال أنس ﷺ لما نزلت: «جاء جبريل الطَّيْلاَ إلى رسول الله ﷺ في ساعة لم يكن يأتيه فيها، متغير اللون.

فقال له النبي ﷺ: ما لي أراك متغير اللون؟

فقال له: يا محمد جئتك في الساعة التي أمر الله نافخ النار أن ينفخ فيها.

فقال النبي ﷺ لشفقته على أمته، ورحمته بهم: صفها لي يا جبريل.

فأخذ يصف له جهنم وأهلها، وما فيها من الأغلال، والأنكال، وشدة أهوالها، وحرارة نارها، ونتن رائحتها».

بكلام فيه طول لا يسعه هذا وقد أوجزنا من ذلك اللباب، ثم بين للنبي ﷺ صفة أبوابها وطبقاتها وسكانها حتى انتهى إلى الباب السابع الأعلى منها، فأمسك عن ذكر سكانه شفقة على قلب نبي الله وحبيبه.

فقال له النبي : «ألا تخبرني عن سكان الطبقة السابعة؟

فقال له: يا محمد لا تسألني عن ذلك. فقال له: بلى يا جبريل أخبرني عنه.

فقال له: يا محمد فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا مُصرِّين على الذنوب، و لم يتوبوا منها.

فلمَّا سمع ذلك نبي الله بكى، ووضع وجهه بالأرض شفقةً، وحزنًا على أمته.

فأخذ جبريل برأسه، ووضعه في حجره، فما زال معه حتى سكن وأفاق.

فقال له: يا جبريل عظمت مصيبتي، واشتدَّ حزني على أمتي، أيدخل أحد من أمتي النار؟

قال: نعم أهل الكبائر منهم، فبكى ﷺ، وبكى معه جبريل بكاء شفقة ورحمة، ثم إن النبي ﷺ دخل منـــزله، واحتجب عن الناس، فكان لا يخرج إلا للصلاة، واشتغل بنفسه و لم يكلم أحدًا.

فلما كان في اليوم الثالث، أقبل أبو بكر الصديق حتى وقف بالباب.

فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، فهل إلى رسول الله ﷺ من سبيل؟ فلم يجبه أحد.

فتنحى وهو يبكي، فأقبل سلمان فوقف بالباب.

فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة؛ فهل إلى مولاي رسول الله ﷺ من سبيل؟

فلم يجبه أحد، فذهب يبكي، يقع مرة ويقوم أخرى حتى أتى بيت فاطمة رضي الله عنها فوقف بالباب.

فقال: السلام عليكم يا أهل بيت المصطفى، وكان عليّ غائبًا.

فقال سلمان: يا بنت رسول الله إنَّ رسول الله ﷺ قد احتجب عن الناس، فلم يكلم أحدًا.

فاشتملت فاطمة بثوب لها، وذهبت حتى وقفتْ على الباب، باب رسول الله ﷺ، ثم سلمت، فقالت: يا رسول الله أنا فاطمة، ورسول الله ﷺ ساجد يبكي، ورفع رأسه، وسلَّم من الصلاة.

=

=

وقال: ما بال قرَّةُ عيني فاطمة حُجبت عني، واحتجبت عنها؟ افتحوا لها الباب، ففتحوا لها، فدخلت فكلّمها.

فلما نظرت إلى أبيها ﷺ بكت بكاءً شديدًا لما رأت من حاله، ووجهه مصفر، ولونه متغيِّر، ولحمه مذاب من البكاء والحزن.

فقالت: يا رسول الله ما الذي نزل عليك من الوحي؟

فقال لها: إنَّ حبيبي جبريل، وصف لي جهنم، وما فيها وأبوابها، وطبقاتها، وأخبرني في أعلاها أهل الكبائر من أمتي فأبكاني وأحزنني.

فقالت: يا رسول الله أو لم تسأله كيف يدخلونها؟

فقال: قد سألته.

فقال: تسوقهم الملائكة إلى النار، ولا تسود وجوههم، ولا تزرق عيونهم، ولا يختم على أفواههم، ولا توضع عليهم السلاسل والأغلال إكرامًا لهم؛ لأنهم أمة لأبيك ﷺ.

قالت: يا رسول الله كيف تسوقهم الملائكة؟

فقال لها: أما الرجال فتقودهم باللحى، وأما النساء فبالذوائب والنواصي.

فيا فاطمة كم من ذي شيبة من أمتي قد قبض على شيبته يُقاد به إلى النار، وهو يقول: واشيبتاه، واضعفاه.

وكم من شاب من أمتي قد قُبض على لحيته يُقاد به إلى النار، وهو يقول: واشباباه، واحسن صورتاه.

وكم من امرأة قبض على ناصيتها تقاد إلى النار، وهي تقول: وافضيحتاه.

حتى ينتهي بهم إلى مالك خازن النار، فإذا نظر إليهم تعجَّب منهم في كونهم لم تسود وجوههم، ولم توضع السلاسل في أعناقهم.

فيقول لهم: ما لكم يا معاشر الأشقياء، من أنتم؟

فيقولون: نحن من أمة نزل عليهم القرآن، ونسوا اسم محمد ﷺ من شدة الهول والدهشة.

فيقول لهم مالك: ما نزل القرآن إلا على محمدٍ ﷺ، فإذا سمعوا اسم محمد الحبيب صاحوا وضجوا بالبكاء والنحيب. وقالوا: نحن من أمة محمد.

فيقول لهم: أمَا كان لكم في القرآن زاجر عن معاصي الله ﷻ؟

فإذا أوقفهم على شفير جهنم، نظروا إلى النار وزبانية العذاب.

وقالوا: يا مالك! ائذن لنا أن نبكي على أنفسنا، فيبكون الدم حتى يفنى.

فيقال لهم: ما أحسن هذا البكاء، لو كان في الدنيا من خشية الله.

=

=

فيقول مالكٌ للزبانية: ألقوهم في النار، فإذا ألقوهم فيه نادوا بأجمعهم: لا إله إلا الله، فترجع عنهم النار.

فيقول مالك للنار: خذيهم يا نار، فتقول له: كيف وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

فيقول لها مالك: بذلك أمرنا ربنا جلّ جلاله، فتأخذهم النار.

فمنهم مَن تأخذه إلى قدميه.

ومنهم مَن تأخذه إلى ركبتيه.

ومنهم مَن تأخذه إلى حلقه.

فإذا هوت النار إلى وجوههم يقول لها مالك: لا تحرقي وجوههم طال ما سجدوا لله في دار الدنيا، ولا تحرقي قلوبهم طال ما عطشوا في نهار رمضان، فيلبثون ما شاء الله ثم ينادون: يا أرحم الراحمين.

فإذا أنفذ الباري جلّ جلاله حُكمه، نادى: يا جبريل ما فعل العاصون من أمة محمد؟ وهو سبحانه أعلم.

فيقول: يا رب أنت أعلم بهم.

فيقول له: انطلق، وانظر إلى حالهم، فينطلق جبريل فيدخل على مالك خازن النار، وهو على منبر من نار في وسط جهنم، فإذا نظر مالك إلى جبريل قام تعظيمًا له.

فقال له: ما أتى بك إلى هنا يا جبريل؟

فيقول له: ما فعل العاصون من أمة محمد؟

فيقول له: ما أسوأ حالهم، وأضيق مقامهم، وقد أحرقت النار أجسادهم، وأكلت لحومهم، وبقيت وجوههم يتلألأ فيها الإيمان.

فيقول له: ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إلى حالهم، فإذا نظروا إلى جبريل وحسنه، علموا أنه من ملائكة الرحمة.

فيقولون: مَن هذا العبد الذي لم نرَ أحسن منه؟

فيقول لهم مالك: هذا جبريل الكريم على رب العالمين الذي كان يأتي محمدًا، فإذا سمعوا ذكر محمد صاحوا بأجمعهم.

وقالوا: يا جبريل: اقر محمدًا منا السلام، وأخبره أنّ معاصينا فرّقت بيننا وبينه، وأخبره بسوء حالنا.

فينطلق جبريل حتى يأتي إلى رب العالمين، فيخبره وهو أعلم، ثم يقول المولى جلّ جلاله: انطلق فأخبر محمدًا بسلام أمته، فينطلق جبريل حتى يأتي محمدًا ﷺ، وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب من زبرجد وذهب مرصعًا.

فيقول: يا محمد جئتك من عند أمتك الذين يعذبون في النار، وهم يقرؤونك السلام، ويقولون لك: ما

=

﴿وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

ووصف المقام المحمود؛ لأن محمدًا ﷺ محمود قربه، فمقامه أيضًا محمود(١).

=

أسوأ حالنا وأضيق مكاننا.

فيأتي رسول الله ﷺ إلى العرش، ويخر ساجدًا، ويثني على الله ثناءً لم يثنه أحد مثله.

فيقول له أرحم الراحمين: يا محمد ارفع رأسك، وسلْ تُعطَ، واشفع تشفع.

فيقول: يا رب إنَّ الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك، وانتقمت منهم، فشفعِّني فيهم.

فيقول المولى جلَّ جلاله: قد شفعتك فيهم، فيأتي ﷺ إليهم؛ ليخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

فيقبل ﷺ فإذا نظر إلى مالك قال: يا مالك ما حال الأشقياء من أمتي؟

فيقول: ما أسوأ حالهم، وأضيق مكانهم.

فيقول له نبي الله: افتح الباب، وارفع الطبق، فإذا نظر أهل النار إلى النور الساطع والقمر اللامع محمدًا ﷺ صاحوا بلسان واحد: وامحمداه قد أحرقت النار جلودنا، ووصلت إلى أكبادنا، فيتعلقون بنبي الله ورسوله، وحبيبه؛ فيخرجون معه، وقد صاروا حممًا، فينطلق بهم إلى نهر عند باب الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون منه شبَّانًا جُردًا مُردًا كأنَّ وجوههم القمر ليلة البدر».

ويجب على مَن علم أنَّ نبينا محمدًا ﷺ صاحب الشفاعة أنْ يتخذ عنده اليد العظمى والبضاعة، وعلى آله وصحبه في كل وقت وساعة، والصلاة عليه أفضل ما تجدون في قيام الساعة.

فأكثروا يا أمة محمد من الصلاة على نبيكم وحبيبكم، فإنها مناجاة لكم.

قال رسول الله ﷺ: «**رأيت رجلاً من أمتي يتعلق بالصراط المنصوب على جهنم فمرَّة يحبو حبوًا، ومرَّة يسحب سحبًا، ومرَّة يمشي على وجهه، فجاءته صلاته وسلامه عليّ، فأقامته على الصِّراط حتى اجتاز عليه**».

فمن أكثرَ من الصلاة عليه ﷺ أقامته صلاته على الصراط ونَجَّته مِن جهنم وصارت عليه بردًا وسلامًا، فضلاً من الله وإنعامًا.

فيا أيُّها العاصون توبوا إلى الله قبل الممات، وتشفَّعوا إليه بأفضل البريات، وخاطبوا مولانا جلَّ جلاله بالابتهال إليه في السر والعلانيات، قائلين بلسان حالكم ومقالكم، راغب على الله كل واحد منكم: وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا، وزاده مولانا شرفًا وتعظيمًا.

(١) صاحب المقام المحمود: اسم من أسمائه ﷺ، ورد بمعناه الآثار، ومشهور الأخبار، وقد أشار إلى
=

=

ذلك مولانا جلَّ جلاله في كتابه العزيز الذي أتى إليه بالخيرات ركوعًا وسجودًا.

فخطاب نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسرا: ٧٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية، قال: «**هي الشفاعة**»(١).

وروى كعب بن مالك، عنه ﷺ أنه قال: «**يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تلٍّ، ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يُؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**المقام المحمود هو قيامه عليه السلام عن يمين العرش مقامًا لا يقومه غيره، فيغبطه فيه الأولون والآخرون**».

وبالجملة فالمقام المحمود هو: كل مقام عظيم لا يناله أحد من مخلوقات الله، وإنما خصَّ الله تعالى به نبي الله، وحبيب الله ﷺ.

والأحاديث أكثرها دال على أن المقام المحمود هو: **شفاعته العظمى لأهل المحشر في يوم لا مانع فيه ولا وزر.**

وقد رُوي في بعض الآثار: إنَّه إذا كان يوم القيامة ينصب كرسي عن يمين العرش من نور، وينصب كرسي من نور عن يسار العرش، وينصب كرسي من نور أمام العرش، فيقعد نبينا وحبيبنا، ومولانا، محمد ﷺ عن يمين العرش، ويقعد إبراهيم الخليل عن يسار العرش، ويقعد أبو بكر أمام العرش، ويأذن الله ﷻ في النظر إليه، فينظرون إلى الله ﷻ وينظر إليهم.

ثم ينادي منادٍ: يا لك من صدِّيق بين خليل وحبيب.

فهذا أيها المحبون مقام نبينا المحمود، وهذه منـــزلته عند الملك الإله المعبود، وإياكم رحمكم الله أن يخطر ببالكم بما لا يليق بربي، وربكم من الجهة، والكيف، والمكان، والآن، والزمان؛ فإنه سبحانه قديم أزلي لا يشبهه شيء من المخلوقات، ولا يشبه شيئًا منها في جميع موجوداته.

فالعرش والكرسي: خلق من خلقه، كان الله ولا شيء معه في أزله فهو الأزلي على أزليته، لا يتبدَّل، ولا يتغير، ولا ينتقل من مكان، ولا يحلُّ في جهة ولا يتقدَّر.

ولكن لما كان العرش أعظم المخلوقات وحفَّت به ملائكة الله من جميع الجهات، ولا يصل إليه إلاَّ مَن اختاره الله من البريات، ولم يكن في الوجود عند الله أكرم، ولا أعظم من رسول الله، فذكر ذلك؛ لمنـــزلة العزيز القدر عند الله.

والنظر إلى مولانا، ورؤيته جائزة عند أهل الحق، كما يجب للكبير المتعال من نفي الجهة، والمكان، والعلو، واليمين، والشمال؛ بل يُرى سبحانه بالأبصار رؤيةً حقيقيَّةً يستحيل فيها المقابلة والجهة، يتعالى عن ذلك الملك القهَّار.

وإذا سمعتم شيئًا من ذلك فقولوا: آمنَّا بالله وبما جاء عن الله على لسان رسول الله ﷺ.

=

=

وهذا الأثر العظيم دلّ على علو منـــزلة أبي بكر الصديق المؤانس لنبينا في كل صحب ورفيق ﷺ، وحق له ذلك، فإنّ مَن أحبَّه أقام الدِّين، ومَن توالت محبته في قلبه تمكّن في اليقين.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ذُكر ذات يوم أبو بكر عند رسول الله ﷺ.

فقال: «ما لكم في أبي بكر، والله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت ليلة أُسريَ بي مكتوبًا حول العرش آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

إلى قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ثم رأيت مكتوبًا: محمد رسول الله، قبل أن يخلق الله الشمس والقمر بألفي عام، ورأيت أبا بكر الصديق مكتوبًا اسمه على أثري».

وفي رواية عنه ﷺ من طريق ابن عباس رضي الله عنهما: «إنَّه كان في مناجاة حبيب الله ليلة الإسراء من قول الله تعالى: حبيبي محمد حب مَن أُحبُّ.

فقلت: يا إلهي وسيدي مَن تُحبُّ؟

قال لي: أحبُّ أبا بكر حِبَّهُ فإني أُحبُّه، فلما هبطت عارضني جبريل عند سدرة المنتهى وهو مقامه، ولو جاز ذلك المكان لما أطاق لقوّة النور.

قال لي: يا محمد ماذا قال لك ربك؟

قلت: قال لي: حِبَّ أبا بكر فإني أُحبُّه، فتبسَّم جبريل، ثم قال: يا محمد والذي بعثك بالحق لو أحبَّه أهلُ السموات والأرض لَما عذَّب الله أحدًا منهم بالنار».

فاشكروا الله عباد الله على محبتكم، وتوسلوا إلى مولاكم بنبيكم.

ومن آداب مَن علم أنّ نبينا ﷺ صاحب المقام المحمود، وتحقق أنه حبيب الملك المعبود، وأن الله تعالى أعطاه هذه المنازل، وحبّاه أكرم الخُلُق، وخصَّه بها وبجميع الفضائل، علم أن ذلك لسبقيته الخلائق في طاعة الله، وسعيه في مصالح عباد الله وبذل جهده في شفقته على خلق الله.

وتأمّلوا رحمكم الله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

كيف أمره المولى جلّ جلاله بدوامه على التهجد مع ما كان عليه ﷺ من الجد في قيام الليل، وأيُّ عبد يطيق من العبادة ما كان ﷺ يطيق؟ ثم رتب تعالى بعده المقام المحمود على جده وطاعته وتهجده.

فكيف تطمع أيها الكسلان في رفع الدرجات مع التواني، وتقليل الحسنات؟

فبادروا رحمكم الله بالجد في طاعته، وبالشفقة على خلق الله، خصوصًا بالضعفاء والفقراء فإنهم عيال الله.

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «يُؤتى يوم القيامة بالعبد الفقير، فيعتذّر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في دار الدنيا.

=

وفيه إشارة إلى شرف الافتقار، وإظهار الرغبة في حصول الموعود، وإلا فالله تعالى يُخبر وعده دعا به العباد أولاً.

قال ﷺ: «**حلّت له شفاعتي يوم القيامة**»(١):

المراد بالحلول: الوجوب والثبوت، أو النـــزول، وبالشفاعة خصوصها لا عمومها؛ لأن عموم الشفاعة لا يحتاج إلى الدعاء بالدعوة المذكورة، ومعنى خصوص الشفاعة راجع إلى سرِّ الوسيلة، فإن مَن دعا في حق نبيه ﷺ بمقام لا أخص منه مقامًا؛ استجلب من صاحب المقام بخصوص عمله جزاء مناسبًا له؛ وهو المذكور من خصوص الشفاعة، وهو سرٌّ بينه وبين النبي ﷺ.

إذ الأحوال متباينة، والناس في الاستعدادت متفاوتة؛ ولذا نقول: إن استغفار

=

فيقول: وعزتي وجلالي ما زويتُ الدنيا عنك لهوانك عليّ، ولكن لما أعددت إليك من الكرامة والفضيلة، اخْرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمَن أطعمك فِيّ، أو كساك فِيّ يريد وجهي، فخذ بيده فهو لك، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق، فيتخلل العبد الصفوف، وينظر مَن فعل ذلك به فيأخذه بيده ويدخله الجنة».

وقال ﷺ: «أكثروا من معرفة الفقراء، واتخذوا عندهم الأيادي، فإنّ لهم دولةً فقالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟

قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم كِسرةً، أو سقاكم شربةً، أو كساكم ثوبًا، فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة».

فإذا أعطى مولانا جلّ جلاله هذه الفضيلة للفقراء مِن سائر خلْقه، وأمر باتِّخاذ الأيادي عندهم، فكيف أيُّها المحبون في هذا النبي الشريف لا تتخذون الأيادي عند من أعطاه الله المقام المحمود، وخصه بمزايا الكرم والجود، وحباه بالمِنَن، وشرَّفه على سائر الوجود؟

فاجهدوا جهدكم في تعظيمه وتوقيره، وإكرامه وتبجيله، واقدروه قدره، وعظموا ذكره، فإنَّه السيد الكامل الفاتح الخاتم، المسمَّى في الجنة أبا القاسم.

فأكثروا من الصلاة عليه، وادَّخروا من الصلاة هذه الغنيمة لديه، تردوا يوم القيامة عليه متعلقين بلوائه، محشورين مع خاصة أصفيائه، مستنصرين بجنابه الرفيع، مستمسكين بحصنه المنيع، فهو الكريم على الله فلن يخيب طالبه، وهو العزيز القدر عند مولاه فلا يحرم سائله:

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا، وزاده مولانا شرفًا وتعظيمًا.

(١) تقدم تخريجه.

النبي ﷺ لنفسه ليس كاستغفار أحدًا منا لنفوسهم، فإن الزّلّات والتلوينات على مراتب، فالاستغفار مشترك فيه؛ لكن المغفرة إنما تجيء من الله تعالى بحسب حال المستغفر.

وكذا الشفاعة في الدّارين(١).

---

(١) اختص ﷺ بأنه أول من تنشقّ عنه الأرض، وأول من يفيق من الصعقة، وبأنه يُحشر في سبعين ألف ملك، ويُحشر على البراق، ويؤذّن باسمه في الموقف، ويكسى فيه أعظم الحلل من الجنة، وبأنه يقوم عن يمين العرش وبالمقام المحمود، وأنه بيده لواء الحمد، وآدم فمن دونه تحت لوائه، وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم، وأول من يؤذن له في السجود، وأول من يرفع رأسه، وأول من ينظر إلى الله تعالى، وأول شافعٍ وأول مُشَفَّعٍ، ويسأل الله في غيره، وكل الناس يسألون في أنفسهم، **وبالشفاعة العظمى في فصل القضاء، وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وبالشفاعة فيمن** استحق النار ألا يدخلها، وبالشفاعة في رفع الدرجات بأناس في الجنة، كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به، وورد به الأحاديث في التي قبل، صرح به القاضي عياض وابن دحية، وبالشفاعة في إخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحدٌ، ذكره السبكي، وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات، ذكره القزويني في العروة الوثقى، وبالشفاعة في الموقف تخفيفًا عمن يحاسب، وبالشفاعة فيمن خلد في النار من الكفار أن يخفف عنهم العذاب، وبالشفاعة في أطفال المشركين ألا يعذبوا، وسأل ربه ألا يدخل النار أحدٌ من أهل بيته فأعطاه بذلك، وأنه أول من يجيز على الصراط، وأنه أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها وبعده ابنته، وبالكوثر، زاد أوب سعد وابن سراقة: وبالحوض.

قلت: لكن ورد أن لكل نبيٍّ حوضًا، وفي إثر في خصائصه: «وحوضه أعرض الحياض وأكثرهم وارد»، وبالوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة.

وقال عبد الجليل القصري في شعب الإيمان: الوسيلة التي اختص بها في التوسل وذلك أن النبي ﷺ يكون في الجنة بمنـــزلة الوزير من الملك بغير تمثيلٍ لا يصل إلى أحدٍ شيءٌ إلا بواسطته، وقوائم منبره رواتب في الجنة.

ومنبره على ترعة من ترع الجنة، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة، ولا يطلب منه شهيدٌ على التبليغ، ويطلب من سائر الأنبياء، ويشهد لجميع الأنبياء بالبلاغ، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه، فقيل معناه: أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة، وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل: ينتفع يومئذٍ بالنسبة إليه، ولا ينتفع بسائر الأنساب، ويكنى به آدم عليه السلام في الجنة دون =

وأيضًا فإن حلول الشفاعة للداعي المذكور؛ إشارة إلى زيادة تعلُّقها به، وفرط اتصالها، إذ لا شك أن الأسباب الموجبة للمسبب إنما من بين قوية وضعيفة، ثم سر التحريض على الدعاء المذكور من باب الغيرة الإلهية، فإنه ﷺ وإن كان معدن جميع الكمالات، ومنبع جملة الفيوض والكرامات إلا أن الأمة من حيث وقوفهم في موقف التفصيل لتلك الجملة الشريفة؛ كان لهم حكم مخصوص من الله تعالى.

وإليه يشير أن السلطان إنما يجلس في السرير في ابتداء السلطنة باتفاق الرعية وإجلاسهم، وإن كان هو آمرًا لهم، وناهيًا، ومتصرِّفًا، وحاكمًا.

فالأفضلية من وجه لا ينافي المفضولية من وجه آخر، وعليه إطباق كُبراء الصوفية، ولله الحمد، ولرسوله وآله وصحبه الصلاة والسلام.

وفي الحديث: إشارة إلى أن الدعاء يستجاب عند الأذان؛ لأنه يُنفتح أبواب الملكوت عنده، ويفرُّ الشيطان منه، ويجذُّ النفس إلى الرحمن، وتخصيص الدعاء بالأذان لما فيه من الشهادتين، ورفع لذكر النبي كما قال تعالى: **﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** [الشرح:٤]، فكان أنسب أن يُطلب له الدرجة الرفيعة في الآخرة أيضًا، فهو في الدنيا أرفع كل رفيع من حيث الكمال، وفي الآخرة أعلى كل عَلي من حيث المقام والحال، فله صورة العُلو ومعناه على التمام.

ولذا كان شجرة طوبى محمدية المقام، منه انقسمت الكمالات في الدنيا، ومنه

=

سائر ولده تكريمًا له، فيقال له: أبو محمد، ووردت أحاديث في أهل الفترة: أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار.

قال بعضهم: والظن فيهم كلهم أن يطيعوا عند الامتحان لتقرهم عينه، وورد أن درجات الجنة بعدد أي القرآن، أو أنه يقال لصاحبه: اقرأ وارق، فآخر منــزلة عند آخر آية يقرؤها، ولم يرد في سائر الكتب مثل ذلك، ويخرج من هذا خصيصةٌ أخرى، وهو أنه لا يُقرأ في الجنة إلا كتابه، ولا يتكلم أحدٌ في الجنة إلا بلسانه، وفي تفسير ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال: أنه بلغه أن المقام المحمود أن رسول الله ﷺ يوم القيامة يكون بين الجنان وبين جبريل فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجمع. وانظر: مرشد المختار لابن طولون الدمشقي (ص٢٤٧) بتحقيقنا.

تشعبت الراحات في الآخرة، وقد خلق الله الجنان على طبقات مختلفة؛ مراعاةً لمقامات أهاليها، ومحافظة على أحوال ساكنيها، فيا أعظم سعادة للأعالي، ويا أفضل سيادة للموالي، فمَن تحرَّكت نفسه؛ فلتتحرك إلى المعالي، فإن تلك الحركة من عُلو الهمة لا كامل الأهالي، والله العالي، وإليه رجوعي في مصعدي، وعليه اتِّكالي.

ثم لَمَّا كانت حال الآخرة على طبق حال الدنيا في بعض الصور؛ كالشفاعة كالترقيات الجليَّة، والعفو عن الجرائم العظيمة؛ كان مَن خصَّ الشفاعة النبوية في الآخرة بالترقيات، وزيادة الثوبات؛ جاهلاً عن أسرار التنــزُّلات والمنازلات؛ فقد يصعد العبد إلى ربه، وقد ينـــزل الرب إلى عبده.

وقد قال: «**ألا تحبون أن يغفر الله لكم**»(١)، فقد علَّق مغفرته لمغفرة الناس بعضهم لبعض، وقد كانت الأسماء الجمالية أقتضت سعادات العباد دنيا وآخرة، فمن سعادة وقعت في الدنيا بالشفاعة العظمى، ومن سعادة وقعت في الآخرة بها، وآخر الشفعاء أرحم الراحمين ولا يعرفه إلا الكبراء من العارفين المحققين.

٣٠- **في الحديث**: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون بالروحاء**»(٢):

الروحاء: موضع بينه وبين المدينة المنورة ستة وثلاثون ميلاً على أن يكون كل ميلين منها ساعة نجومية؛ فيكون المجموعة من الأميال ثماني عشرة ساعة؛ هي مدة السفر عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله، يعني: إن الشيطان المأخوذ من البُعد إذا سمع الآذان بالمدينة أبعد إلى مدة السفر؛ ليستريح من الألم كما دلَّ عليه لفظ الروحاء.

وفيه إشارة إلى مَن خرج عن مجلس العلم، ولو خُطوة؛ فإنه كمَن سافر منه إلى مدة السفر، إذ لم يخرج إلا لراحته الطبيعية، وبين الراحة الطبيعية، والراحة القلبية بَوْن بعيد، فسحقاً لأصحاب السعير، وبعدًا للقوم الظالمين؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بالبعد عن مجلس العلم؛ فأبعدهم الله تعالى عن المعلوم الحقيقي الذي هو ذاته تعالى،

---

(١) رواه البخاري (٩٤٥/٢)، ومسلم (٢١٣٦/٤).

(٢) رواه أحمد (٣١٦/٣)، والبيهقي في الكبرى (٤٣٢/١).

وكانوا من أصحاب السعير، إذ الجزاء من جنس العمل.

وذلك إنهم خرجوا عن مجلس العلم؛ ليبـــرِّدوا حراراتهم الطبيعية بالمأكولات والمشروبات، وبكلام الدنيا والمساوئ؛ فأدخلهم الله تعالى في سعير أشدٍّ من نارهم المسعورة في بواطنهم؛ لأنها تَطَّلع على الأفئدة، والأفئدة هي قوام الأجساد، فإذا احترقت؛ احترقت الأجساد كلها.

فعُلم من هذا التقرير: إن الشيطان مُظهر البعد، فكل مَن كان مُظهرَ البعد؛ فهو شيطان أضلَّه الله تعالى على قرب منه وعلم، فإن المحجوب الجاهل لا يرى إلا ما سواه تعالى، ولا يعرف إلا الأغيار، عصمنا الله وإياكم من نار البعد، والقطيعة، وعذاب السعير.

وإنما خصَّصنا مجلس العلم بالإشارة؛ لأن نداءه أعم من النداء الحسي والمعنوي.

أمَّا النداء الحسي: فكالدعوة إلى مرتبة الشريعة، وآثارها آثار حسِّية جنائية؛ هي نعيم حسِّي من مأكول، ومشروب، ومنكوح حسِّي، وفيه يدخل الآذان، والدعوة الصلواتية.

وأمَّا النداء المعنوي: فكالإرشاد إلى مرتبة الحقيقة، وآثارها آثار معنوية رحمانية روحانية؛ هي نعيم باطني من مأكول، ومشروب، ومنكوح حقيقي دلَّ عليه قوله ﷺ **«إنكم مثلي إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»**(١).

٣١- **في المتفق بين الصحيحين:** قال رسول الله ﷺ: **«مَن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات؛ كان كمَن اعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»**(٢):

المراد بالوحدة المطلقة التي هي مبدأ نفي الشركة لا الوحدة المقابلة للكثرة(٣):

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥/٢٣٥١)، ومسلم (٤/٢٠٧١).

(٣) قال السيد مصطفى البكري: وأمَّا قول أهل الحق القائلين بوحدة الوجود على الوجه الأحق، فإذا قالوا: ما في الوجود إلا الله مثلاً فمرادهم من حيث القيومية فإن به تعالى قيام كل شيء وهو =

=

القائم على كل نفسٍ بما كسبت ومن حيث تجلّيه وإمداده وتولّيه، لا أن هذه الصور الحادثة الفانية المقيَّدة المحدودة وجوده، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وتختلف أذواق أهل هذه المشاهد، فمنهم مَن يكون ذوقه صديقيًّا، فيقول: مَا رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله.

فأولاً رأى قيوميَّة الحق وتجلّيه على الشيء، ثم رأى الشيء ولم ينفه ولو نفاه؛ لكان سُكرًا، فكان مشهده كاملاً حيث جمع بين شهود الحق والخلق في آنٍ، لكنه غلب عليه شهود الحق، فرآه أولاً ثم رأى الخلق.

ومنهم: مَن يكون مشهده فاروقيًّا، فيقول: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه: أي متجلّيًا بقيوميته عليه، وهذا المشهد دون الأول من حيث الذوق.

ومنهم: مَن يكون مشهده مشهدًا عثمانيًا، فيقول: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله معه.

ومنهم: مَن يكون مشهده مشهدًا عَلويًّا، فيقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعده.

وثمَّ فوق هذه الأذواق أذواق كثيرة لا حدَّ لها ولا نهاية، قد ذاقها الأصحاب والأحباب، ساروا على منهج السنَّة والكتاب.

ولقد سألت شيخنا الهمام سيدي الشيخ عبد الغني حفظ الله وجوده للأنام عن مقام المعرفة الخاصة، هل يكون بدون جدٍّ واجتهاد.

فقال: لا، فقلت: ولا بد فيه من الذوق والوجدان، والقال لا يكفي دون الحال.

فقال: نعم، فقلت: وكيف السبيل إلى طريق الذوق والوجدان.

فقال: بملازمة الطاعات ونوافل الخيرات والاشتغال بالله والإقبال عليه، كما نصَّت عليه الأشياخ.

فبهذا يحصل الذوق لطالبه أو ما هذا معناه، وسألته عن أهل مقام الجمع.

فقال: أولئك قومٌ سُكارى، فالسكران لا يعول على قوله فإنه يقول: أرى كذا وكذا والصاحي ينكر قوله؛ لعلمه أن ما يدَّعيه غير صحيح في نفس الأمر، وإنما تخيَّل لفرط سكره، إن الأمر كما أخبر وليس كذلك؛ بل الأمر كما هو عند الصاحي فإن السكر حال مدهش يُذهب بعقل صاحبه فلا يعتد بكلامه) بما معناه.

فقول السكران: ما في الوجود إلا الله حق من وجه؛ لأن الوجود الحادث قائمٌ به تعالى، فالوجود على الحقيقة له؛ إذ قيام الكل به، لكنه لما أنكر وجود الخلقيَّة بالكليَّة.

قلنا: بسكره، ورددنا قوله: فإنها ثابتة حسًّا وشرعًا وعقلاً، وقد يقول الصاحي مثل قول السكران، لكنه يعني من وجه دون وجه، فمن حيث أن الكل هالك بالنظر لنفسه فإن الشيء لا يعطى لنفسه وجودًا، فإنه معدومٌ بالنظر لها أيضًا، وأمَّا بالنظر؛ لمفيض الوجود عليه فهو ثابتٌ به باقٍ بإبقائه.

فقول سيدي محي الدِّين قَدَّس الله سرَّه: (فلولاك ما كنَّا): أي من حيث ان وجودنا بك، ولولاي لم

=

فإنها مخلوقة لا بيوصف الله تعالى بها، وعلى هذا يدور الوجود المطلق، والوجود العام،

=

تكن: أي آثار أسمائك الحسنى، فإن الأسماء تطلب الآثار، فإن المانع يطلب من يمنعه، والمعطى كذلك ولا ظهور للآثار إلا بظهور المؤثرات.

ولهذا لم يكن ظهور الكون إلا عن الأسماء وطلبها، كما ذكره الشيخ في «إنشاء الدوائر»، وفي «عنقاء مغرب».

وأمَّا بالنظر إلى الذات العليَّة المتعزز درك كنهها بالكليَّة؛ فهي مُطلقة غنيَّة حتى عن الإطلاق والكل في قيد وفي وثاق، فلا تعلّق لها بشيء إلا من حيث الإمداد، ولا يتعلق بها شيء إلا من حيث الاستمداد، والأسماء الحسنى هي الوسائط التي لولاها كنَّا من البسائط.

ثم قال: «فكنت: أي كنــزًا مخفيًّا» ولم تزل على ما كنت عليه إلى الأبد في الأزل وكنَّا بك أعيان ثابتة في العلم ثم أبرزت صورة ما في علمك لا الذي في علمك، فإنه قديمٌ لا تحلّه الحوادث، وهذا معنى قول الشيخ الأعيان الثابتة: أي في العلم ما شمت رائحة الوجود: أي في العين.

ثم قال: والحقيقة لا تدري إلا بمنحة منك وكشف عنها، فهناك يكون الإدراك بك وإذا كان بك فلا إدراك، أو يكون أراد بالحقيقة الحقيقة الإلهية.

وهي كما قال ﷺ: فالأنبياء والمرسلون لايدركون كنه الذات العلية؛ بل عمَّ بالنظر إلى الكنه في حيرة جليَّة، وأمَّا التجليات الواقعة في الدنيا والآخرة فلا تخرج عن رتبة التقييد والتجليات المطلقة، فلا حظَّ للعبد فيها إلا أن رتبة التقييد وإدراك التجلّي المطلق لا يتخلص للعبد على ما حققه الشعراني ﷺ في «ميزان الذرية» إلا عند فنائه لا في حال بقائه مع الحق، وحينئذٍ فما رأى إطلاق الحق إلا الحق فافهم.

قال: وإيَّاك والغلط، فإنه لا حلول ولا اتحاد ولا يلحق عبد رتبة الحق أبدًا ولو صار الحق سمعه وبصره وجميع قواه، فإن الحق تعالى قد أثبت عين العبد معه بالضمير في قوله في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»، إلى آخر النسق، فإن قيل أن كلام الحق تعالى قديم.

وقد قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

وهذا يُشعر بأنَّا معه في الأزل، كما يقول بذلك الفلاسفة.

قلنا: التحقيق أن العالم قديم في العلم الإلهي، حادث في الظهور، فشهود الحق في رتبة التقييد، يخص الحق تعالى به أفراد العبيد، ولشهود الحق علامة فمن شهدها في نفسه كان في قوله صادقًا، وإلا كان مبطلاً لدعاويه الكاذبة موافقًا.

قال سيدي محيي الدين ﷺ في باب «الوصايا»: «اعلم أن علامة مَن يدَّعي أنه يشاهد الحق تعالى إذا عكس مرآة قلبه إلى الكون؛ يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدق الناس على ذلك الكشف».

فإن الله تعالى موجود بوجود حقيقي مطلق؛ وهو مبدأ الوجود العام الساري في الموجودات لا بوجود عام مقيَّد مأخوذًا في ضمن المشخَّصات، فلا يلزم ما يقوله الوجودية؛ ولكمال صعوبة هذا المعنى خاض فيه مَن خاض؛ فطعن على أهل الله تعالى في قولهم: بالوجود المطلق؛ وهم أهل الرسوم، وبعض المكاشفين القاصرين.

وإنما قُدِّم النفي على الإثبات كما في قوله: (**سبحان الله وبحمده**)؛ لأن النفي والتنـــزيه صفة الروح؛ ولذا كان من شأن الملائكة التسبيح؛ وهم أقدم وجودًا من البشر، كما أن الروح أسبق من الجسد الأشبة إلى الخواص، فكان البشر من الملائكة بمنـــزلة التحميد من التسبيح؛ لكن لَمَّا كانت هذه الأمة المرحومة أكمل استعدادًا من الأمم السالفة؛ جمعوا بين كمالي التسبيح والتحميد؛ لأنهما لباسان جميلان للروح الذي طرفه الذي يلي الحق يقتضي التسبيح والتنـــزيه، وطرفه الذي يلي الحق يستدعي التحميد والتشبيه، فلم يتحقق، ولم يتلبَّس بهذين اللباسين على وجه الإحاطة(١) والكمال إلا هذه الأمة.

فكان من شأنهم: كمال التوحيد والتسبيح على ما يقتضيه نشأة أرواحهم الطيبة المجرَّدة المنسلخة عن الفواشي، وكمال التحميد والتشبيه على ما يقتضيه نشأة أجسادهم النظيفة المتعلِّقة بالملابس، كما ينبئ عن كلا هذين الكمالين قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

وإنما رتب ﷺ الجزاء المذكور وهو: إعتاق أربعة أنفس من ولد إسماعيل على القول المذكور عشر مرات؛ لأن العشرة هي العدد الكمال، كما قال تعالى: ﴿**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾ [البقرة:١٩٦].

وسرُّ العدد هو أن الجزاء المذكور مكتوب في اللوح المحفوظ الذي هو المرتبة

---

(١) قال سيدي محمد وفا في الشعائر: الإحاطة هي تكثير الواحد بالتجلي في هيئات متنوعة، كالماء ينعقد بردًا.

وحقيقة الإحاطة أن يكون المحيط بالذات محاط به بالشخص في العين، وفي المعنى أن يكون المحيط بالعلم محاط به بالمعلوم الأول بالوجود والاستغراق، والثاني بالشهود والاستهلاك.

العاشرة من المراتب العلوية؛ وهي السموات السبع، والكرسي، والعرش، واللوح، والقلم، ولمَّا كان اللوح المحمَّدي الذي هو قلب الوسيع مقابلاً للوح الخارج؛ أخذ الجزاء المذكور عنه فرتَّبه على القول المذكور، ومنه يعلم أن وضع الحديث باطل، إذ وضع الأجور مفوَّض إلى الشارع؛ وهو الله تعالى، والأخذ من اللوح؛ وهم الأنبياء؛ لأنهم أصحاب الشرائع.

وأمَّا كُمَّل الأولياء فإنهم وإن كانوا آخذين منه أيضًا؛ لكن إنما يأخذون العلوم الحقيقية لا ما يتعلَّق بالشرائع؛ إذ ليسوا بأنبياء مشرَّعين؛ وإنما هم أولياء مبلِّغون متابعون لحضرة النبوة.

ووجه العدد في الإعتاق: إن التهليل المذكور أربع جمل في الحقيقة؛ لأن قوله: «لا شريك له» بيان للحال قبله، فكان في مقابلة كل جملة إعتاق نفس، وسرُّ تخصيص الجزاء به؛ هو أن الروح يتخلَّص من رقِّ الجهل بذلك التهليل؛ فيسري حاله إلى القلب، والنفس، والطبيعة؛ فيكون جملة الوجود حرَّة عن عبودية ما سوى الله تعالى شريعةً، وطريقةً، ومعرفةً، وحقيقةً.

فإذًا الجزاء المطابق لما في الأنفس من الحال إعتاق الأنفس في الإنفاق من المال، فتفطَّن لهذا السرِّ السري، وإنما قال: «**من ولد إسماعيل**» تقريبًا للقائل من جنابه ﷺ؛ فكأنه قال: كان كمَن أعتق كذا من قرابتي، فكان هذا المقال تقرُّبًا إلى الله تعالى من جهة العلم، وتقرُّبًا إلى الجناب النبوي من جهة العمل، فطوبى لمَن قال صدقًا وإخلاصًا، وعمل بما أرشده إليه الشارع رحمةً له ورأفةً، والله الهادي، ورسوله المرشد إلى طريق مستقيم.

٣٢- **في حديث مسلم**: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال: لا إله إلا الله**»(١):

لم يقل: محمد رسول الله؛ لأن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسول الله ﷺ، وبسائر الأنبياء عليهم السلام.

دلَّ عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء:

(١) رواه مسلم (٥٣/١)، والطبراني في الكبير (٣١٨/٨).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً* أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فإن المقصود من هذه الآية: إن الإيمان ببعض الأنبياء، والكفر ببعضهم؛ كالكفر بالأنبياء كلهم، والكفر بالأنبياء كفر بالله تعالى؛ لأن الأنبياء مبلِّغون عن الله تعالى، ومساوون في النبوة والمعجزة، فمَن استهان بهم؛ فقد استهان بالذي أرسلهم إلى الناس.

ألا ترى أن مَن أَزور واسطة السلطان في عرض الأمور؛ فقد أَزور السلطان، فلا يغتر المؤمن بالله بإيمانه تعالى مع كفره برسولٍ من رسله؛ فإنه لا يقبله الله تعالى، فإن الإيمان أمر أَحدي لا يقبل التجزيء والتفرُّق.

فالأمر إمَّا إيمان، وإمَّا كفر، كما أن الإيمان بالأولياء أيضًا كذلك، وأعني بالأولياء الكُمَّل منهم؛ وهم أعلى المقرَّبين، وأمَّا مَن دونهم، فقد تختلف كشوفهم وكلماتهم(١) فيعرض المتعرِّض لهم، وذلك لا يقدح في إثبات ولايتهم في نفس الأمر،

---

(١) قال الشيخ ابن ناصر في سبب الاختلافات الواقعة في الكشوف والأذواق:

اعلم أن سبب الاختلافات التي وقعت في الكشوف والأذواق حتى طَعنوا فيهم وقالوا: لو كان كشفًا صريحًا وعلمًا صحيحًا لما وقع الاختلاف بينهم، فحملوا مسائلهم الكشفية على المسائل النظرية الفكرية التي هي تخطئ وتصيب، هو عدم الاستشراق على أمهات الحقائق وأصول المقامات، بل يتكلمون على تفاصيل منتقلين من بعض الفروع إلى بعض آخر، فلذلك يقع الخلاف بينهم ويرد النقض عليهم، ويبدوا حكم الحيرة فيهم عند المحاققة، كما يقع بين المتوسطين وأهل البدايات من أهل الله أصحاب المكاشفات الظاهرة، الذين تبرز لهم الحقائق والحضَرات وغيرهما، مما لا يدرك إلا كشفًا، ولكن بحكم الطبيعة فإن لها حكمًا عليهم ما داموا في ربقة الطبيعة، فتختلف الكشوف باختلاف الطبائع فيخطئ ويصيب، بل الكشف لا يخطئ أبدًا، فإن المتكلم في مدلوله يخطئ ويصيب كالرؤيا، فإن كشفه صحيح فما يقع من الغلط إلا في التعبير.

ذكره ﷺ في باب إحدى وثلاثمائة من «**الفتوحات**» بخلاف المتمكنين من أهل الله رضي الله عنهم في علمهم الموهوب، وكشفهم التام المطلوب، يعرفون غاية ما أدرك كل بفكره، واطَّلع بحسبه ونظره، ويعرفون سبب تخطِّيه الناظرين بعضهم بعضًا، وما الذي أدركوه وأصيبوا ما الذي فالذي =

=

فافهم، ومن أي وجه أصابوا ومن أي وجه أخطأوا، وهكذا حالهم رضي الله عنهم مع أهل الأذواق والمكاشفين الذين لم يتحققوا بالذوق الجامع، ويعرفون أيضًا حال المتمكنين، ومن غلب عليهم من الأسماء والأحوال والمقامات، التي أوجب لهم تعشُّقهم وتقيدهم بما هم فيه، ومن الذي له أهلية الترقّي من ذلك، ومن ليس له ذلك فيقيّمون رضي الله عنهم أعذار الناس وهم لهم منكرون، وبمكانكم جاهلون، وعن مقامهم عمون.

ولهذا التحقق والإشراف لم يقع بين الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلاف في الأصول من أحكام الحضرات الأصلية الإلهية، وإن تفاضلوا في الإطلاع وما نقل من خلاف عنهم صلوات الله عليهم إنما ذلك في جزيئات الأمور والأحكام الفرعية الشرعية؛ لكونها تابعة لأحوال المكلفين وأزمانهم، وما تواطئوا عليه، وما اقتضته مصالحهم فتتعيَّن الأحكام الإلهية في كل زمان بواسطة رسول ذلك الزمان، بما هو الأنفع لأهله، وأما هم صلوات الله عليهم مما عدا الأحكام المذكورون فمتفقون، وكل تال يقرر قول من تقدمه ويصدقه، لاتحاد أصل مآخذهم صلوات الله عليهم أجمعين وصفاء محلهم حال التلقي من الحق سبحانه عن أحكام العلوم المكتسبة، والعقائد المقيَّدة، والتعلقات الطبيعية ونحو ذلك.

أما ترى قوله تعالى يشير إلى هذا المقام ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فليس بين القوم بحمد الله خلاف فيما يتحققون به، بل هم في شغلهم أحقّ وأصح منْ أهل الحسّ فيما يدركونه بحواسهم، بل ولا نقول أن الحق مع أحد القولين أو مع إحدى الطائفتين، بل نقول: إن الحق مع كل طائفة، وكلهم صادقون في قولهم ولكن باعتبار المواطن والمصارف، فإن كنت عارفًا بالمواطن وعرفت صدق كل من هذا، وعرفت أن كل مجتهد مصيب ما معناه فقم في كل موطن باستحقاقه تحمدك المواطن، والمواطن شهد أحق عدل عند الله، فإنها لا تشهد إلا بصدق فافهم.

فإني أدَّيتك الأمانة مع السلامة من البشاعة.

اعلم أنَّ الحق سبحانه وتعالى ربط العوالم والموجودات جليلها وحقيرها، كبيرها وصغيرها بعضها ببعض، وجعل بعضها مرائي ومظاهر للبعض، فالعالم السفلي بما فيه مرآة للعالم العلوي، ومظهر لآثاره، وكذلك العالم العلوي مرآة تتعيَّن فيه أرواح أفعال العالم السفلي تارة وصورها تارة أخرى، والمجموع تارة أخرى، وعالم المثال الكلي من حيث تقيده في بعض المراتب، ومن حيث عموم حكمه وإطلاقه أيضًا مرآة لكل فعل وموجود، ومرتبته وانفراد الحق سبحانه بإظهار كل

=

=

شيء على حد علمه به لا غير، وجعل ذلك الإظهار تابعًا لأحكام النكاحات الخمس التابعة للحضرات الخمس، فظهور الموجودات على اختلاف أنواعها وأشخاصها متوقف على سر الجميع النكاحي على اختلاف مراتبه المذكورة، وأحكامها المشار إليها، **فإن قيل**: ما الحضرات الخمس وما بيانها؟.

قلنا: اعلم أن الحضرات الكليَّة التي إليها الاستناد والمرجع هي الخمسة التي **أولها**:

الغيب الإلهي الذي هو معدن الحقائق والمعاني المجردة الإجمالية.

وثانيها: الغيب الإضافي وهو عالم الأرواح المجردة.

وثالثها: عالم المثال يتصور فيها الأرواح كالأشباح.

ورابعها: عالم الشهادة ولها الصور المركبة الطبيعية والبسيطة.

وخامسها: الأمر الجامع وكل موجود لابد أن يستند إلى أحد هذه المراتب الخمس، أو يكون مظهر الحكم الجميع كالإنسان الكامل.

ولها باعتبار آخر تفصيل آخر وهو هكذا عيب الغيب، وهو التعين الأول الإجمالي، والغيب الثاني هو التعين الثاني حضرة حقائق الأسماء والأعيان الثانية، والشهادة الإضافية وهي عالم الأرواح والشهادة الحقيقية، وهي عالم الأشباح وعالم المثال ما بين الشهادتين، وهي عالم تنـزل فيه الأرواح على صورة الأشباح، وتتروحن الأجسام إليه وتصير أجسادًا، فالأمر الجامع بهذا الاعتبار تصير المرتبة السادسة الجامعة للكل فافهم.

ثم اعلم ثانيًا أن أوَّل المراتب والاعتبارات العرفانية المحققة لغيب الهويَّة هو الاعتبار المسقط لسائر الاعتبارات، وهو الإطلاق الصرف عن القيد والإطلاق، وعن الحصر في أمر من الأمور الثبوتية والسلبية كالأسماء والصفات، وكلما يتصور ويعقل ويفرض بأي وجه تعقل وتصور وفرض فهو غير ذلك، وليس لهذا المقام لسان فغاية التنبيه عليه هذا، وأمثاله هذا هو حقيقة الحق التي لا تدرك ولا تعلم ولا يحكم عليها، لا بسلب ولا بإيجاب، وتسمى هذه المرتبة مرتبة لا تعين، وإنما سموها بهذا الاسم لضرورة البيان والتواصل إلى الإفهام، وإلا فهي منـزَّهة عن الإحاطة علمًا وشهودًا ووجودًا سيَّما عن التسمية، وكيف لا والمسمى مدرك، وقد قررنا أنها ما تدرك، **فإن قيل** فكيف اتَّصل علمنا بهذا المشهد الأنـزه الغريب والمقام الأنوه العجيب.

قلنا: ذكر صدر الدين القونوي قُدِّس سرُّه في شرح الفاتحة إن هذا القدر من المعرفة المتعلقة بهذا الغيب ولا غيب إنما هي معرفة إجمالية حاصلة بالتعريف الإلهي الأجلى الأعلى، أو بالكشف الأجلى الذي لا واسطة فيه غير نفس التجلي المتعين من هذه الحضرة الغير المتعيِّنة، وكوشف صاحب

=

=

الكشف الأوسع الأتم أن كل تعيّن مسبوق بلا تعيّن، ثم الاستدلال عليه ثانيًا بما ظهر منه وامتاز عنه من الأسماء والآثار الوجودية والتجليات النوريَّة فإنه أصل كل غيب فافهم .

واستخلص المقصود من الكلام غير متقيِّد بالألفاظ وأدوات التوصيل، فإن المقام ما هو مقام المحاققة فافهم فإذا فهمت هذا فلنرجع ونقول: أول الاعتبار اعتبار علمه نفسه بنفسه، وكونه هو بنفسه هو فحسب من غير تعقُّل تعلق، أو اعتبار حكم، أو تعين أمر ثبوتي أو سلبي كان ما كان مما يقبله غيره بوجه من الوجوه ما عدا هذا الاعتبار الواحد المنفي حكمه عن سواه، وهو مستند الغنى والكمال الوجودي الذاتي والوحدة الحقيقة الصرفة وقوله: «**كان الله ولا شيء معه**» ونحو ذلك وهو أول ما يصح أن يعلم المسمَّي بالتعين الأول، فعلَّم نفسه بنفسه غنيٌّ عن العالمين فافهم.

والاعتبار الثاني: شهوده نفسه في مرتبته سواه من غير أن يدرك ذلك الغير نفسه؛ لقرب نسبته وعهده ممن امتاز عنه، ولغلبته حكم الغيب المطلق والتجلي الوحداني، ثم ظهر حكم تعلق الإرادة بنسبتي التفضيل والتدبير؛ لاتحادي عالم التدوين والتسطير، وإبراز الكلمات الإلهية التي هي مظاهر نوره وملابس نسب علمه ومرائي أسمائه وتعيناتها في رقٍّ مسطور.

فكانت ثمرته شهود الظاهر نفسه في مرتبة الغير والسوي الممتاز عنه في الشهادة الأولى المسمَّى بها خلقًا، وسوى هذا غاية الخلق وحكمه الإيجاد وهي قوله ﷻ: «**أحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**».

وهذا معنى قوله ﷺ في أوَّل الكتاب: إن رؤية الشيء نفسه بنفسه ليس مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون كالمرآة، فشاء أن يخلق الخلق حتى يكون مرآة يرى فيها فافهم.

ونص متم لأمر وحدة الوجود، والذي هو العين المقصود، واعلم أيَّدك الله وإيَّانا بروح منه أن كل ما ظهر في الوجود، وامتاز من الغيب على اختلاف الظهور، والامتياز في التحقيق الأتم، ليس إلا تجلٍّ واحدٍ يظهر له بحسب القوابل ومراتبها واستعداداتها تعينات، فيلحقه لذلك التعدد، والنعوت المختلفة والأسماء والصفات؛ لأن الأمر في نفسه متعدد، وروده طارٍ ومتجدد، هذا حقيقة معنى مقول القوم لا تكرار في التجلّي.

ذكر الشيخ ﷺ في «**الفتوحات**» هذه الكلمة عن أبي طالب المكّي قُدِّس سرُّه: وإنما التقدم والتأخر وغيرهما من أحوال الممكنات يوهم التجدد والطريان والتقيُّد والتغيُّر ونحو ذلك كالحال في التعدد، وإلا فالأمر أجلّ أن ينحصر في إطلاق أو تقييد أو اسم أو صفة أو نقصان أو مزيد، وهذا التحلّي الأحدي المشار إليه ليس غير النور الوجودي، ولا يصل من الحق تعالى إلى الممكنات بعد الاتصاف بالوجود، ولا قبله غير ذلك، وما سوى ذلك فإنه أحكام الممكنات وآثارها تتصل من

=

=

بعضها بالبعض حال الظهور بالتجلي الوجودي الوحداني المذكور، ولما لم يكن الوجود ذاتيًّا لسوى الحق سبحانه؛ بل مستفاد من تجلِّيه اقتضى العالم في بقائه إلى الإمداد الوجودي الأحدي مع الأنات دون فترة ولا انقطاع؛ إذ لو انقطع الإمداد المذكور طرفة عين لفني العالم دفعة واحدة، فإن الحكم العدمي أمر لازم للممكن، والوجود عارض له من موجده فافهم لتفهم سر وحدة الوجود، وهذا هو الأصل في كل موجود، فإذا أشرق نور التجلّي الوحداني على القلب الوحداني توحَّدت أحكام الأحديات، واختفت آثار الكثرات فيها، وشهد أن التجلّي هو التجلّي الذاتي والفيض فيض الأقدس دون المقدس، وأن ما في العالم سواه؛ بل هو المتجلى والمتجلّي له، والتجلّي هذا هو: المعتمد والمعتني والمعوَّل عليه وغير هذا الذوق لا تمل إليه ولا تحول لديه فافهم.

واشكر هذه النعم؛ حيث جعلك الله ممن قرع سمعك أسرار الله المخبوءة في خلقه، يخص الله بها من يشاء من عباده، وأثبت لما يلقى.

قال تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾ [المزمل:٥].

فتبتَّل إلى إصغائه وإذعانه تبتيلاً جميلاً، وكن له من القابلين المؤمنين القائلين بها ولا تحرم التصديق بها فتحرم مخيرها، وتجمع بين الحرمانين عدم الاتصاف وعدم الإيمان والإنصاف.

قال تعالى:﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة ١١].

ورد في الحديث الصحيح: «**إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله**» ذكره الديلمي عن أبي هريرة ﷺ وهو من العلم الذي يكون تحت النطق والبيان فما ظنك بما عندهم مما هو خارج عن حكم الدخول تحت النطق والبيان، فما كل علمٍ يدخل تحت السيارة وهو علوم الأذواق كلها، فإذا رأيت فيك شعرة من قابلية قبول كلامهم، فأبشر فإنك سعيد فإنهم قومٌ لا يشقى جليسهم فكيف من يجد في نفسه رائحة ذوقهم وبارقة فهم كلامه؟! وما ذلك إلا لمناسبة موجودة، وأنت ما تدري كما قيل أن المناسبة علة الضم.

قال الشيخ الإمام خواجة عبد الله الأنصاري قُدِّس سرُّه: إن أول علامة القبول قبول كلامهم وعدم الإنكار عليهم.

وقال ﷺ في «**الفتوحات**»: إذا حسن عندك كلامهم وقبلته، وآمنت به فأبشر فإنك على كشف منه ضرورة، وأنت لا تدري لا سبيل إلا هذا؛ إذ لا يثلج الصدور إلا بما يقطع بصحته وليس للعقل هنا مدخل؛ لأنه ليس من دركه إلا إن أتي بذلك معصوم حينئذٍ يثلج صدر العاقل، وأمَّا المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلا صاحب ذوق.

فلهذا قال سيد الطائفة الجنيد قُدِّس سرُّه: «الإيمان بعلمنا ولاية».

=

ومعنى الإيمان بالأولياء: الإقرار بهم، والانقياد لهم، ولأحوالهم، والتسليم لمذاهبهم ومسالكهم.

ولمَّا كان القول بكلمة التوحيد لا يكفي في إيمان القائل: أروقه ﷺ بقوله: «**وكفر بما يعبد من دون الله**»(١): أي أنكره بقلبه، وصدَّق كلمته بالعبادة له تعالى بالإخلاص والإعراض عن المعبودات الباطلة؛ بل عمَّا سوى الله تعالى بالكلية، فإنه ما من شيء من الأشياء الموجودة الملكية والملكوتية إلا وهو معبود بوجه من الوجوه من حيث إن فيه تجلِّي بعض الأسماء الإلهية.

ولذا قال تعالى: (قل الله): أي لا تتعلّق إلا بالله الذي له جميع الأسماء الجمالية اللطيفة والجلالية القهرية، فإن الحجاب إمَّا حجاب الكون والظلمة، وإمَّا حجاب

=

وقال ﷺ في «**الفتوحات**» في الباب الثالث والسبعين عن أبي يزيد البسطامي قُدِّس سره أنه قال لأبي موسى الديبلي: يا أبا موسى إذا رأيت مَنْ يؤمن بكلام هذه الطائفة، فقل له: يدعو لك فإنه مجاب الدعوة، وهو أبو يزيد من أحد النوَّاب، ثم قال ﷺ: وكيف لا والمسلم في بحبوحة الحضرة، ولكن لا يدري أنه فيها لجهله بها ولا يغرَّك أيُّها الناظر قول العموم أن كل علم لا يكون عن حال فليس بشيء كما يتخيله الجهَّال، والعوَّام فإنه ﷺ ذكر في الفصل الرابع في المنازل من «**الفتوحات**»: إن الرجولية ليست فيما يتخيله الجهَّال من عامة الطريق بطريق الله، فيتحجَّبون بالحال عمَّا يقتضيه العلم والمقام يقولون: كل علمٍ لا يكون بالحال، فليس بشيء فقل له: لا تقل ذلك يا أخي فإنه خلاف الأمر وإنما الصحيح أن تقول: كل علم لا يكون عن ذوق فليس بعلم أهل الله، فأراك لا تفرِّق بين الحال والذوق، وما تم علمٌ قط إلا عن ذوقٍ لا يكون غير هذا والمتمكّن في العبودية لا حال له البتة مخرجه عن عبوديته، فلو لم يكن في الأحوال من النقص إلا أن يخرج من مقامه إلى ما لا يستحقه، وهو لا حق له حتى أنه لو مات في حال الحال لما مات صاحب نقصٍ وحُشر صاحب نقص، فليست الأحوال من مطالب الرجال لكن الأذواق من مطالبهم، وهي لهم فيها من العلوم بمنـــزلة الأدلَّة لأصحاب النظر فيها انتهى كلامه ﷺ.

فلا يصرفنكم صارف عما تلوته عليكم ولو شاء الله ما فعلته.

قال تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:٢٩].

قال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ [النحل:٩].

(١) تقدم تخريجه.

حجاب الإله والنور، فكما أن عالم الحدوث يشتمل الحجب العائقة للسالك عن الترقّي إلى عالم الإله؛ فكذا عالم القدم يشتمل الحجب المانعة له عن الصعود إلى عالم إله الألهة، فقد يُحتجب بالظلمة، وقد يُحتجب بالنور، فمَن توقف في مرتبة من مراتب الكون أو مراتب الإله؛ كان ناقصًا غير واصل إلى أعلى المطالب.

ثم إن هذا الكفر وهو الكفر بما سوى الله تعالى؛ هو الإيمان الحقيقي دلّ عليه قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقدَّم الكفر بالطاغوت؛ لأنه من باب التخلية؛ وهو أساس الإيمان، فإن الإيمان بالله قبل الكفر بالطاغوت لا يعتدُّ به أصلاً، وقول مَن قال: إن جنة الفردوس للكافر إشارة إلى ما ذكرنا من الكافر الحقيقي، وهذا الكفر لا يناله إلا الكُمَّل من أولياء الله، و لم يكن إيمان مثل إيمانهم.

فيا أصحاب السلوك قوموا إلى منـــزل المنازل، ولا تحتجبوا بشيء مما سوى الله، فإنه عائق الطريق، ومانع التوفيق، حُرِّم ماله، ودمه ظاهره وباطنه على الخلق، وعلى النار، وعلى الأرض؛ فلا يتعرض له بسوء؛ بل يتبرَّك به، وبملابسته ولا يحرقه النار؛ لأنه النور، ولا تأكله الأرض؛ لأنه الروح.

وفيه إشارة إلى حُرمة الإيمان الذي يحصل بالقرآن، والقرآن إذ جعل في أهاب ما مسَّته النار، وما في حكمها، وحسابه على الله: أي حساب سرِّه؛ وهو أن يُرزق بغير حساب، كما هو شأن أهل الجنة المعنوية؛ إذ هم السلاطين تحت الأطمار، ولا شك أن السلاطين أغنى الناس.

٣٣- في البخاري: «مَن قتل معاهدًا»[(١)]:

: أي بعدما قتله سيف الذمة والجزية،قال: «**لم يرح رائحة الجنة**»[(٢)]، كما لو قتل غير المعاهد، فإن القتل عند الله عظيم؛ ولذا كان هو نفسه ديَّة مَن قُتل فأعرف.

قال ﷺ: «**وإن ريحها**»[(٣)]: أي نسيمها الفاشي.

---

(١) رواه البخاري (٣/١٥٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٨/١٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

قال ﷺ: «**توجد من مسيرة أربعين عامًا**»[1]؛ المراد التكثير بالاعتبار الظاهر في لا التحديد، فإن تجليّات الله تعالى لا حائل لها، وإنما عدم ظهورها من جانب المحجوبين عن حقائق الحواس، وقد وقع للأنبياء والأصفياء إنهم كانوا يستشمُّون وهم في الأرض روائح الجنان؛ وهي في أعلى السموات السبع مع ما بينهما ألوف من السنين من جهة المسافات فاعرف هذا، واتَّهم نفسك المحجوبة في عدم الإدراك.

وقد كان ﷺ برهانًا من الله تعالى: أي كل جزء من أجزائه الداخلة والخارجة؛ لِما فيه من الخوارق الخارجة عن غيره.

وفي الحديث: إشارة إلى أن النفس إذا أسلمت، وأصلحت حالها بما تعطيه من **الطاعة والانقياد، وكالذّمي فلا تقتل مرة أخرى بإفنائها بالمرة، وإلا لم يرح صاحبها،** وريح الجنة المعنوية التي هي جنة القلب، فإن استشمام ريحتها إنما هو مع بقاء النفس في الجملة: أي بأصلها وذاتها لا بفرعها وصفاتها.

وريح هذه الجنة المغبوطة عند أهل التذكية توجد من مسيرة أربعين عامًا؛ لأنه لا يحصل كمال التزكية إلا في أربعين عامًا من أدلِّ السلوك؛ بل من ابتداء الكشف، والدخول في حضرات الأسماء؛ بمعاينة حقائقها، ومشاهدة ملكوتها، فإذا تمّت الأربعون؛ فالرفق بالنفس؛ لأنها المطيَّة أبدًا، فمَن أراد الإنسلاخ الكلي؛ فالذوق لا يوجد في الفناء الكلي، ومنه الاستشمام بكذا ذاقوا، واستشموا في الكشَّاف.

٣٤- في آخـــر سورة البقرة: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل الله آيتين هما: قوله ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾** [البقرة:٢٨٥] إلى آخر السورة»[2]، **وأنزلهما ليلة المعراج بلا واسطة المَلك.**

وكل وحيٍّ يُعتبر فيه النـــزول من العُلو على الوجه العام إلا هاتان الآيتان ونحوهما؛ فإن نزولهما وإن كان يُعتبر فيه العُلو المعنوي؛ لكنه من الوجه الخاص لا من الوجه العام؛ والمراد بالوجه الخاص ما لم يكن بواسطة المَلك، كما أن الوجه العام هو ما كان بوساطته.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٥/٢٢١).

وكل وجه عام يستلزم الوجه الخاص دون العكس؛ ومعناه أن ما نزل به المَلك؛ فهو حاصل في قلبه ﷺ وقت نزوله؛ لأن علم الإنسان ليس بخارج من ذاته، وإنما ظهوره على التدريج، فالقلب حقيقة اللوح فما ينـــزل من اللوح فهو صورة ما في القلب، وإنما نزل الملك تشريفًا للمنـــزَّل عليه على ما هو عادة الملوك في الدنيا.

وأسند الإنزال إلى الاسم الجامع لِما أنه مما يقتضيه الألُوهية كما يُعرف من **محصول الآيتين من كنوز الجنة: أي من خَزانات العالم العُلوي بين العرش والكرسي؛** فكانتا من مكنونات الغيب التي لا يمسها العقول والعلوم.

وفيه إشارة إلى أنهما من نفائس الآيات القرآنية، وجوامعها؛ كالأموال النفيسة المدَّخرة لوقت الحاجة، وإلى أن لكل علم مخزنًا من مخازن الملكوت خزانة الله تعالى فيه إلى أن يظهر قابله في الأرض، وإلى أن جميع العلوم الإلهية مما يتنافس فيه المتنافسون، وإن اختلفت طباقها وطبقاهم، إذ ليس كل قابل يقبل جميع العلوم؛ وإنما يقبله مَن هو أكمل استعدادًا من غيره، وربما يدَّعي إن المراد بالجنة الغيب؛ لأن الاجتنان الاستتار.

قال ﷺ: «**كتبهما الرحمن بيده**»(١): أي قدر كتابتهما بيده الجمالية؛ لأنهما **من الآيات الجمالية، وأسند الكتب إلى الاسم الرحمن؛ لأنهما من الرحمة العامة للمؤمنين.**

قال ﷺ: «**قبل أين يخلق الخلق بألفي سنة**»(٢)؛ المراد بالخلق العرش وما يحويه، وبالألفين اليومان؛ لأن كل يوم عن الله تعالى كألف سنة، **فظاهره يوم ممدود مفصَّل،** وباطنه يوم مقصور أتى كلمح بالبصر.

فإن أفعال الله تعالى لا تتوقف على الأمور العادية والأسباب، فالتأنِّي من قبيل التعليم والإرشاد على ما يقتضيه عالم الصفات، وأُشير باليومين إلى يومين: القلم واللوح، فإن كلاًّ منهما وضع إلهي قد اعتبر فيه تلك المدة ونظيره خلق الأرزاق قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، فإن الكرسي متنـــزَّل المقدرات، وفوقه العرش، وفوقه

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٨٤/٧)، وذكره الجرجاني في تاريخ جرجان (٢٦٥/١).

(٢) تقدم تخريجه.

اللوح، وفوقه القلم، وكما أن الله تعالى كتب الآيتين بيده: أي بلا توسُّط قلم وملك، فكذا أنزلهما على النبي ﷺ بلا توسُّط شيء أيًا كان.

قال ﷺ: «**مَن قرأهما بعد العشاء الآخرة، أجزاتاه عن قيام الليل**»[١]؛ لأن نزولهما كان في الليل؛ فكان من فوائدهما الإجزاء المذكور، وأشار بالعشاء الآخرة إلى الفرق الثاني الذي يحصل بعد شهود الحق بلا خلق؛ وهو المقبول من الفريقين؛ لأن الفريق الأول؛ وهو شهود الخلق يلاحق من قبيل الحجاب، كما أن العشاء الأولى؛ وهي المغرب من قبيل النهار، والليل ظاهره الظلمة، وباطنه النور، كما أن النهار بالعكس.

فمَن قرأهما قراءة سرية بعد الفرق الثاني، وتحقق بحقائقهما، ووصل إلى ملكوهما؛ كفتاه عن قيام الليل؛ لأن نوم العارف عبادة، ونفسه تسبيح، وحاله مناجاة، ووقته كليلة الإسراء، والله مشهود له على كل حال.

٣٥- **في المتفق بين البخاري ومسلم**: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كانت له أرض ينتفع بها**؛ فليزرعها لينتفع بها» أي: نفسه، ومَن يتعلَّق به- **أو ليمنحها أخاه**»[٢]:

أي: ليعطها أخاه المؤمن إمَّا بالهبة، أو بالإجارة، أو بالعارية.

قوله ﷺ: «لينتفع بها» هو ومَن يتصل به، «فإن أبى»: أي صاحب الأرض.

قال ﷺ: «**من الزرع والمنحة**» ولم يكن له نصيب من الاسم النافع المعطي الجوَّاد- **فليمسك أرضه**».

وفيه توبيخ له، وتنبيه على أنه صار بخيل ممسك خسيس؛ لأن إمساكه إنما وقع على الأرض الخسيسة السفلية، فكان من شأنه أن يرفع له عمل عالٍ إلى السماء من الأرض؛ لكنه من حيث الخضار لنفسه، وضيقها الجنس في الأرض الضيقة؛ فكان سفليًا؛ كالأرض.

وفيه إشارة إلى حال السالك، فإنه ينبغي له أن يزرع أرض وجوده، وتراب نفسه بما يمكن له من الأعمال الصالحة الشرعية، ويسقيه بماء الصدق والخلوص؛

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢/٨٢٥)، ومسلم (٣/١١٧٦).

لينتفع بها يوم لا ينفع مال من الصفات، ولا بنون من القوى، فإن لم يكن له معرفة بكيفية الإصلاح والزرع، ولم يقدر على ذلك؛ فليسلِّم نفسه إلى مَن يقدر عليه من أرباب الإرشاد، فإنه يعرف كيفية الزرع من جهة أعمال الشريعة، ومن جهة أحوال الطريقة إلى أن ينبت نباتًا حسنًا بإذن الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**﴾ [الأعراف: ٥٨].

وذلك أن أكثر السُّلَّاك قاصرون عن الاستفادة الروحانية، أو السرية من غير توسُّط واسطة، وأعني بالاستفادة الروحانية: أن يأخذ بالروح من روح بقدر الطاقة، وبالسرية: أن يأخذ بالسر من الله تعالى.

فالاستفادة الأولى بلا واسطة جسم من الأجسام وهو نادر، والثانية بلا واسطة روح من الأرواح، وهو أندر، وعليه أويس القرني رحمه الله، ومَن يتصل به في ذلك ونظيره في القرن الموسوي برخ الأسود؛ فإنه مثل أُويس في هذه الأمة.

ويُقال: لا مثال له الذاتيون، ولغيرهم الصفاتيون، ولكل منهم مشرب مخصوص، وما يقال: من أن أُويسًا، وبرخ الأسود كانا يأخذان من الأرواح بالقلوب، والأرواح بلا واسطة صحبه جسمانية، ومكالمة لسانية، فليس بمسلمٍ عند كُمَّل أرباب الحقائق، فانحصر السلوك في ثلاثة الأخذ بواسطة صحبة جسمانية، كما هو الغالب، والأخذ بواسطة صحبة روحانية كما هو النادر، والأخذ بلا واسطة شيء من روحاني وجسماني وهو الأندر.

ففي قوله ﷺ: (**فليزرعها**): إشارة إلى القسم الثالث كما كان حال النبي ﷺ؛ حيث كان يجتهد في جبل حراء إلى أن فاجأه الوحي والفيض.

وفي قوله: (**أو ليمنحها**): إشارة إلى القسم الأول، وفي التعبير عن الواسطة الجسمانية بالأخوة إشارة إلى حال النبي ﷺ مع المؤمنين الذي جاءوا بعده حيث عدَّهم من إخوانه، كما عدَّ معاصريه من أصحابه، وذلك أن المرشد إنما يأخذ في الحقيقة من مشكاة النبوة شريعة وحقيقة، فكما أن النبي أخو ذلك المرشد من حيث خلافته بعده؛ فكذا هو أخو مَن هو في تربية ذلك المرشد على أن الأخوة الدينية لا

بين المؤمنين، وإن كانوا متباينين في الطبقات حالاً، ومقامًا فاعرف(١).

(١) **فوائد**: قال الشيخ الأكبر قُدِّس سرَّه: (**الشَّيخُ من أخذك، وكشفَ عنك**) أيّ: شيخك المرشد لك هو الذي أخذك عن نفسك، وإرادتك، وأخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى، وكشف عنك الغطاء، وقال لك: ها أنت والمولى، وهذا هو الذي استنار بنور الحق سماء روحه وأرض نفسه، فطهر روحه بالرؤية والمشاهدة، وزكّى نفسه بالخدمة والطاعة، فصار مجلى للذات ومظهرًا للأسماء والصفات خصوصًا، والحق تعالى متجلي وظاهر في الأشياء عمومًا، نور قلبه من نور الله، وهو وارث علم رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

«**العلماء ورثة الأنبياء**» أي: العلماء بالله؛ لأنهم بالإرث أقرب للزوم الخشية لعلمهم، والعلم الذي لا خشية معه ليس صاحبه أهلاً لأن يكون وارثًا لانتقال العلم المورث إليه على غير الصفة التي كان عليها عند المورث، وحقيقة الإرث انتقال المورث إلى الوارث على الصفة التي كان عليها عند المورث، ولا يستلزم الخشية إلا العلم بالله، فالعلماء بالله هم الوارثون حقًا، والبواقي تبعًا.

ثُمَّ قال قُدِّس سرَّه توضيحًا لفهم السالك، وتقريعًا لسامعه السامعين: (**الشيخ من حمل عنك المشقّات، وأشهدك منازل القربات**) أي: الشيخ الحقيقي الذي له تلقين الذكر للمريد هو الذي يحمل عنك جميع المشقات، ولهذا شرط بعضهم أن يكون الشيخ قادرًا على أن يخلع على المريد حال التلقين أي: حين أن يقول له قل: لا إله إلا الله جميع العلوم الشريعة المطهرة بحيث لا يجهل شيئًا من أحكامها، ولا يحتاج إلى سؤال العلماء، ومطالعة الكتب، كما وقع لعلي بن أبي طالب ﷺ لـمَّا لقنه رسول الله ﷺ، وللحسن البصري ﷺ لمّا لقنه علي بن أبي طالب ﷺ، وكان عمره **حقًا على ما صححه جلال السيوطي رحمه الله وغيره عشر سنين ذكره الشيخ علي الخوّاص** للشيخ عبد الوهاب الشعراني قُدِّس سرّهما العزيز في بعض سؤلاته عنه، فلا يجوز التلقين لمشايخ هذا الزمان إلا بقصد التبرك حتى يدخل المريد في سلسلة سند القوم، ويدخل به في محبتهم فيكون مُسَلِمًا لمقالاتهم، أو معتقدًا لها أي: يقطع بصدقهم فيها، وما عدا هذين المقامين فحرمان لكلّ أحد مريدًا كان أو لا على ما قاله الشيخ الأكبر في الباب الثاني من الفتوحات ﷺ: «وأيضًا الشيخ المسلك الكامل المكمَّل أن يقدر على أن يشهدك جميع منازل القربات فيدور بك في معاطف الطريق يمينًا وشمالاً، كما هو عليه جميع السادات الصوفية إلا بعضهم مثل الشيخ أبي مدين المغربي ﷺ، فإنه كان يقصد اختصار طريق الوصول للمريد، وينقل إلى محل الفتح من غير المرور به على الملكوت خوفًا على استئناسه بعجائب، وهذا أولى لاختصاره وعدم علم المريد بالعوالم لا يضره؛ =

=

لأنه بعد الفتح يتدلى المريد بنفسه إلى العوالم فيكشفها ويشاهد ما فيها بالحق، فعلى هذا يكون للشيخ أثر في الفتح، وإن كان الفاتح حقيقة هو الله تعالى؛ لأنه [كالبدر] والدليل حيث يقول له: اسلك هذه الجهة فهي أقرب لك، ويدل على أن طريق الاختصار أحسن ما وقع لأبي يزيد البسطامي قُدِّس سرُّه لما وقف على العابدين فلم ير له قدمًا معهم، وكذلك وقف مع المجاهدين والزاهدين والصابرين والمتوكلين وسائر المقامات فلم ير لنفسه مع كلٍّ منهم قدمًا، فقال: يارب كيف الطريق إليك؟، فقال له تعالى: يا أبا يزيد اترك نفسك أي: حظوظ نفسك في الدنيا والآخرة، فالله تعالى اختصر له الطريق بأخصر كلمة وألطفها؛ لأن من يترك حظ نفسه يقوم معه ربه.

ومن صفات الشيخ أن يكون متخلقًا بأخلاق الله،كما قال الشيخ ﷺ: (**لا يصلح من يربي الخلق، إلا من كانت صفته من صفة الحق**) أي: لا يصلح لتربية الخلق، ولا يليق بها كل من يريد تربية الخلق إلا الرجل الذي كانت صفة ذلك الرجل من صفة الحق بأن يأخذ من كل صفة من صفات الله تعالى خطًا يليق به، كما وقع الأمر من النبي ﷺ إلينا بقوله: «**تخلقوا بأخلاق الله تعالى**»

أي: المرضية الكمالية، وهذا التخلق لا يكون إلا بعد التخلق بأخلاق الرسول ﷺ على ما ورد أيضًا: «تخلقوا بأخلاق الرسول».

فالشيخ لا يصلح للتربية ولا مربيًا للمريدين إلا إذا كان متخلقًا بأخلاق الرسول وأخلاق الله تعالى، أو المراد من كون صفة العبد صفة الحق أن يصير الحق تعالى عين قوى العبد الباطنة، وجوارحه الظاهرة.

وقال قدس سره:[**الشيخ من أزال عنك كل حجبك**] أي: شيخك أيها السالك الطالب للسلوك والمرشد المسلك لك في الطريق إلى الحق تعالى هو الذي أزال عنك ويرفع لك ما يحجبك عن الله والوصول إليه والاشتغال به، وهذه الإزالة لا تكون إلا بالله؛ لأنه لا يوصل إلى الله إلا الله لكن الشيخ لما كان بالله يوصل المريد إلى الله بإذن الله من الله، فعطف (**الشيخ**) ﷺ على الجملة المذكورة قوله: [**واستأذن الحق لقربك**) عطف السبب على المسبب فإن استئذان الحق سبب لإزالة المحجب عن المريد، وفيه أن السبب هو إذن الحق للشيخ بالإيصال للمريد لا استئذان الشيخ من الحق لإيصال المريد، وأجيب بأن الاستئذان سبب الإذن وسبب السبب سبب، فالشيخ المسلك للمريد يزيل الحجب عنه ويرفع الغطاء عن بصره وبصيرته بسبب أنه يستأذن من الحق تعالى؛ لأن يقربه إليه تعالى برفع الحجب والأستار، فالحق تعالى يأذن للشيخ في قربه إليه تعالى، وإذن الحق في قرب المريد إذن للشيخ في إزالة الحجب عن المريد، وكذا استئذان الشيخ الحق لقرب المريد استئذان الحق لرفع الحجب عنه فلا إشكال، فحاصل الكلام أن الموصل لا يكون إلا الحق أو من يكون بالحق، فالشيخ يجب أن يكون بالحق،

=

=

فالشيخ يجب أن يكون بالحق قائمًا به متحققًا بمقام كنت سمعه وبصره حتى يمكن منه الإيصال إذ لو كان بنفسه فلا يمكن منه ذلك، فثبت بهذا أن السالك بالله واجد له تعالى، والسالك بنفسه فاقد له، ولا يجده.

وبه يجمع بين قول الرسول ﷺ: «**من طلب الله وجده**(١)»، وبين قول أبي يزيد البسطامي قدس سره: «السالك مردود، والطريق مسدود».

فإن السلوك والطلب بمعنى واحد، فصار مآل قول الرسول ﷺ: إلى أن الطالب واجد لله.

ومآل قول أبي يزيد: إلى أن الطالب غير واجد له، وهما متناقضان ظاهر لكن المراد في الأول الطلب بالله، وفي الثاني الطلب بالنفس فلا تناقض؛ لأن شرطه اتفاق القضيتين في الوحدات الثمانية وهنا ليس كذلك فتأمل.

ثم أكده بقوله: (**الشيخ من نقلك من نار البعد والانفصال إلى جنة القرب والاتصال**) أي: شيخك المسلك لك أيها السالك هو الذي نقلك من نار هو البعد عن حضرة القدس والانفصال عنها بوقوفك مع السوى، وشركك الخفي والأخفى إلى جنة هي القرب إلى الله، والاتصال به اتصال الفرع بأصله من حيث الوصول إلى غاية المرام عاريًا عن الوصل، والفصل المشهودين بين العوام؛ لأنهما بالمعنى المشهود مُحال في حقه تعالى حيث لا وصل ولا فصل ولا قرب ولا بعد.

وفي لسان هذه الطائفة أن البعد هو المسمَّى بالنار وبجهنم، والقرب هو المسمَّى بالجنة، وإن البعد هو المتوهم والقرب هو المتحقق؛ لأن المقامات والمواطن كلها مراتب ظهوره تعالى، فلا بعد الإعلى سبيل التوهم فما ثَمَّ إلا قرب، فالمراد النقل من البعد المتوهم الذي يتوهمه المريد إلى القرب المتحقق الذي هو الأمر عليه في نفسه، وهذا لا يكون إلا برفع الحجاب له وكشف الأمور على ما هي عليه، فيخرج المريد عن الوهم والخيال، ويدخل في القرب والاتِّصال فنكشف له حقيقة الحال.

وبما ذكرناه تبين أنه تأكيد لما قبله ومعنى التأكيد على لسان الحقيقة أن يكون في اللاحق ما في السابق مع زيادة وفائدة جديدة؛ لأن التجلي لا يتكرر، ثم زاد الشيخ قدس سره في البيان اهتمامًا بهذا الشأن.

وقال قدس سره: (**الشيخ من أمات نفسك قبل أن تموت، وجال بروحك في عالم اللاهوت**) المراد بإماتة نفس المريد إخراجه عن الالتفات إلى الدنيا وتوابعها، وعن النفس وحظوظها كالميت لا شيء له مما ذكر، وهذه الإماتة إرادية كما أن الخروج مما مرَّ إرادي، والمراد بالموت الثاني الموت الطبيعي، وقد مرَّ معنى الموت بأقسامه (**جال**) في الحرب جولة بفتح الجيم، وجال في الطواف جولاً بفتح الجيم وضمها وبسكون الواو وجولاً بتحريك الواو، وجول بالتشديد تجوالاً واجتلال، والجال

=

=

بمعنى طاف كذا في القاموس.

و (**اللاهوت**) عالم أعلى كما أن الجبروت عالم أو سط، والملك عالم الشهادة والملكوت عالم الغيب الإضافي والحقيقي فهو يعم الجبروت والعظموت واللاهوت.

وقيل: إن الملكوت عالم الأرواح، والمعنى الشيخ المسلك لك أيها السالك الطالب للسلوك الموصل لك إلى القدسية الكاشف لك الحجب المانعة لك من الوصل والمقرب لك إلى جناب حضرة مولاك الناقل لك من نار البعد، والانفصال إلى جنة القرب، والاتصال هو الذي يميت نفسك وهواك عن السوى، ويقطعها عن حظوظها وشهواتها كالميت قبل أن تموت بالموت الطبيعي اللازم للطبيعة الحيوانية، فتكون أنت ميتًا ماشيًا على وجه الأرض كما هو حال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وشهد له النبي ﷺ بهذا الحال حيث قال: «**من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر** رضي الله عنه».

وأيضًا الشيخ هو الذي جال وطاف بروحك لا ببدنك؛ لأن الجولان في عالم الغيب بالبدن من خواص خاتم الرسل عليه وعلى آله أفضل - الصلاة وأتم السلام - والكمَّل من ورثته يطوفون بأرواحهم لا بأبدانهم، فالشيخ يطوف بروحك في عالم اللاهوت ويعرج بك إلى العظموت، ويشهدك منازل الناسوت إلى أن يقول لك: ها أنت ومولاك، فتبلغ غاية الرضا وأقصى المنى، ولا يبقى في قلبك شيء من السوى.

وبالجملة إن لم يأخذ السالك الطريق ممن يكون من الرجال الموصوفين بأوصاف الكمال فلن يفلح.

وقوله: (**الشيخ من نقل أسمك ومحى رسمك**) أي: الشيخ الذي يسلك بك هو الذي نقل اسمك عنك بإفناء وجودك في وجود الحق تعالى، فلا يبقى لك اسم ومحى أيضًا رسمك بإفناء إرادتك في إرادة الله تعالى، فلا يبقى لك رسم، فبالأول يحصل لك الفناء في الله، وبالثاني يحصل لك الاتِّحاد مع الله تعالى بالمعنى الذي اصطلح عليه القوم فيهما وهو الخروج عن الوجود لغير الحق بأن يثبت الوجود له تعالى، ويتحقق بحديث:

«**كان الله ولا شيء معه**». والآن كما كان، وبقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨]. ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [الرحمن:٢٦]، أو عن صفاته البشرية بأن يدخل في الصفات الحقيَّة، وهو مقام بي يسمع وبي يبصر هذا في الأول، وهو الفناء والخروج عن إرادته لإرادة الله تعالى في الثاني وهو الاتحاد، فمن صار وجوده وجود الله وإرادته إرادة الله فهو متحد مع الله في هاتين الصفتين لا في الذات؛ لأن عينية الأشياء للحق من حيث ظهوره فيها وانصباغه بصبغها.

وأمَّا من حيث الذات فالأشياء أشياء والله الله كما صرح به الشيخ قدس سره في «الفتوحات المكية».

=

٣٦- في صحيح مسلم: «مَن كان عنده شيء من هذه النساء اللآتي تتمتع؛ فليخل سبيلها»(١):

=

وقال بعضهم: الفناء نفي العبد لاختياره المغاير لاختيار الله تعالى؛ لأن الكمال أن يختار العبد ما اختاره الله له إن يختاره، وإلا فالإنسان لا يجوز أن يكون غير مختار؛ لأنه تعالى وإن نفاه فقد أثبته فقال:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، فأثبت في هذا القول الرمي وقد نفى. والبقاء أن يختار باختياره تعالى له الاختيار بعد ما نفى اختياره المغاير لاختيار الله تعالى، فالعبد في هذا المقام مختار من جهة البقاء غير مختار من جهة الفناء، وأمَّا العوام فلهم الاختيار مطلقًا لرؤيتهم الوجود لنفوسهم وأن يعملوا بإرادهم، ويجوز أن يكون المراد (**بنقل الاسم**) غير ما قلنا: من رفعه بالإفناء، بل معناه الحقيقي، ويكون حقًا قوله:

(**ومحى رسمك**) من عطف السبب على المسبب، فإن الشيخ ينقل المريد من اسم إلى اسم من اسم العام إلى الخاص إلى أخص الخاص، أو من الجاهل إلى العالم إلى العراف بالله، أو من اسم المسلم إلى المؤمن إلى الصالح إلى المحسن إلى الشهيد إلى الصديق إلى المحقق إلى غير ذلك من الأسماء المصطلح عليها لهذه الطائفة بسبب محو العادات ورسوماته عنه فتبصر.

ثم قال الشيخ قُدِّس سرَّه: (**الشيخ من أطلعك على حالك، لا من أخذ مالك**) أي: الشيخ المسلك هو الذي جعلك مطلعًا على حالك من النقص والكمال، فيُذهب منك النقص، ويفيض عليك الكمال بالاستئذان لك من ربك بأن يكون الشيخ من خواص الخواص الكاملين المكمَّلين، الذين هم مع غلبة التسليم عليهم يأمرون المريد، ويرغبونه في الأشياء، ويرهبونه من أشياء، وينـــزلون من مقامهم لمقام المريد حتى يُقيِّم عوجه؛ لأن الشيخ هو الذي يأخذ مالك عنك كالمشايخ بعد قرن عاشر قعدوا على السجادة بدون إذن من الله تعالى، فيأخذون أموال الناس من غير استحقاق فيهم.

وهذا الشيخ كما أنه يأخذ مالك أيضًا يأخذ دينك؛ لأن المريد ناظر إلى شيخه، ويتأدب بآدابه وآدابه مذمومة.

ومن هنا قيل: إن العلماء السوء أشدّ من الشيطان؛ لأن الشيطان يضرك في دينك، وذاك يضرك في دنياك ودينك، فعلى هذا يجوز أن تكون (**ما**) في (**مالك**) موصولة أي: لا الشيخ الذي يأخذ منك ما حصل لك من أمور الدين والدنيا، ولا الشيخ الذي هو من خواص الأولياء الذي محقه التسليم لله تعالى في سائر الأحوال وما بقي له اختيار، فإن مثله لا يرى في الوجود محظورًا ينهاك عنه مع أن الصحبة تقتضي الميل إلى الصاحب، وهذا الرجل ما له ميل إلى أحد سوى الله تعالى حتى يُقيِّم عوجه ويُصلح فساده، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) رواه مسلم (١٠٢٣/٢)، والنسائي (٣٢٨/٣).

المراد من هذه النساء بلسان العبارة: مَن كان نكاحهن مؤقتًا، ويُقال له: نكاح المتعة كان حلالاً إلى فتح مكة، ثم حُرِّم تحريمًا مؤبدًا بعد ثلاثة أيام منه؛ لأن أصل النكاح للوصلة والقرابة لا للفرقة والبعد، إلا إن مست الحاجة إلى الفراق، ووقعت للضرورة للافتراق، ولا ضرورة بعد فتح مكة؛ لكثرة النساء، ورخصة المهور، وسهولة التعيُّش، فكان نكاح المتعة نكاح ضرورة دفعًا للسفاح، ورفعًا للجناح.

وأمَّا المراد منهن بلسان الإشارة: فالنفوس الطبيعية، فإن ازدواج الأرواح العلوية بهن قبل فتح مكة القلب كان ضروريًا، فلم يبقَ لنكاحهن ضرورة بعد أن تيسَّر النكاح الروحاني بين الأرواح، والنفوس المطمئنة، وفي الغلبة حكم الوجوب على حكم الإمكان؛ فكان النكاح في الحقيقة هذا النكاح.

وأمَّا النكاح الطبيعي[1]: فإنما هو لتذكير مذاق ذلك، لكن بعد الوصول؛ كثر

---

(١) فصل في روح وصل في أرواح النكاح، فإن روح الإرشاد يدخل في كل روح دل لذلك الأرواح الفرقانية ففي روح الإباحة: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء: ٣]

والأرواح على أقسام فأرواح الصالحين الكمل على أرواح النكاح وهم من ذلك الذرية الطيبة وهي مطلوب أرواح النبوة لما تحرك في أرواحهم من أرواح الذرات المخزونة بروح الأمر إلى أرواح الأجل فإذا جاءت أرواح الآجال جرت أرواح الأسباب وتواصل الأرواح بأرواح المحبة والمودة حتى يكون وروح العقد فيجري أمر النكاح.

وفي الأرواح المحمدية «**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**» ليقع روح الفصل بين النكاح وبين السفاح فالسفاح ما كان بلا ولي ولا شاهدي عدل فالشهادة إنما شرعت للوثوق والروح الفاسق لا وثوق بروح شهادته فلهذا الروح قال: الروح المحمدي «**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**»[1] وفي روح الشاهد حفظ روح النسب فالشاهد على روح النكاح شاهد ينسب من ولد على فراش الرجل من روح تلك المرأة ويكون روح الشهادة على روح النكاح حفظ حقوق الزوجة وحفظ حقوق الولد وحفظ المواريث بين الزوجين وما ولد لهما.

وكل ذلك يحتاج إلى شاهد تثق به روح الأرواح ولا يكون ذلك إلا بروح العدل والعدل روح من أرواح الحق في بلاده بين أرواح عباده فلا قسم لأرواح الوجود إلا بأرواح العدول فحده أن لا يكون قد ارتكب كبيرة عمدا مع وجود العلم بالحرمة وأن لا يصر على صغيرة ولا يكون هذا الروح إلا في روح آمن بالله وكان بروح الإيمان له خوف من الله فلو قدم غريب إلى روح بلد =

=

ومعه حرمة وقال إنها زوجته صدقناه وقلت حكم الزوجية بعد ذلك إذا قالت الزوجة مثل ذلك ولا يجوز روح التجسس عليهما بل يتركان فإن ظهر ما هو خلاف الواقع فله حكمه وقد وقع مثل ذلك لروح الإمام عمر فإنه رأى رجلا في طريق يتكلم مع امرأة فقال مالك تكلم هذا المرأة في طريق الناس وضربه بالدرة على روح الظن أنها أجنبية فقال الرجل هي زوجتي يا أمير المؤمنين. فرمى الإمام إليه الدرة وقال اضربني على روح ما ضربتك أو تعفو فقال: عفوت يا أمير المؤمنين.

ولا يكون روح الفصل بين البهائم وبين الأرواح البشرية إلا بعقد النكاح بالولي وشاهدي العدل وبالمهر الذي هو الصداق حتى لو أسقطته البالغة العاقلة قبل العقد بأن قالت للولي اعقد علي لفلان بدون شيء فعقد صح العقد.

فإن دخل بها لزمه مهر المثل فإن أسقطته بعد ذلك كان أبرأ من حق مقدر لها شرعا فمهر المثل يدخل في ملك المستحقة له فهو كالإرث فإنه مقدار شرعا وكل حق ترتب بوجه الشخص على شخص علم ذلك الروح من البشر أم جهل كان ذلك الروح من الأمر من جملة حقوقه فيكون له المطالبة في روح الآخرة بحقه أو يكون من العفو وهيهات في تلك الدار مع وجود الحاجات ومقاسات الشدائد روح من الأمثلة في روح ما ذكرناه.

وذلك مثلان يذكر شخص بين يديك وهو غائب فتقع في عرضه في عرض زوجته في عرض ولده في عرض جده في عرض جيرانه دخلت كرما بستانا طاحونا بغير عرض دار إذا كان بغير إذن ولا علم من المالك ترتب عليك في ذلك حق بعد حق بعد حق فيكون أنت قد أفقرت نفسك وضيعت راحتك وصرت رهين أرباب فملك الحقوق حتى يكون الأخذ من حسناتك إلى روح فراغها ثم يكون الطرح عليك من أرباب المظالم حتى لا يبقى لك روح من الطاعة وتلقى في النار مع أرواح الفجار ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] هل عندكم من زيادة ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٣١] أي ذلك الموعود غير بعيد فهو قريب ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج: ٦-٧] بروح الإلزام لأرواح الاحترام.

فمن كان له روح احترام لمحارم الله تعالى كان له روح إكرام منه على ممر أرواح الدهور والجُمع والأيام والسنين والشهور فما هي إلا روح صبر ساعة وراحة أرواح الأمد فما روح التقوى إلا روح الصبر على أرواح مسمى المأمورات وروح الصبر عن ارتكاب ظلمات المنهيات وروح الأمر سهل على من سهله الله عليه ومن كان له روح تجريد بروح من أرواح الخيال وصور سراب المحال لا يكون عليه كلفة في أرواح المأمورات ولا في ترك أرواح المنهيات المحال لا لسلامة روحه بروح التجريد من أرواح العقابات وأرواح النفوس المقيمة على سواحل الطبع البشري.

والأصل الطبيعي العنصري فلم يكن في وجوده فلم تصله سر من أسرار التحويل فهو على روح الجهل

=

واقف وعلى سراب القطيعة عاكف وارد من الأسرار بروح من الاعتبار إذا وردت على الروح الإنساني روح الحياة بروح الولي الحميد وهو الرحمة المنشورة وأصل روحه تبرز من روح القلب وتنتشر في روح العالم على روح الإطلاق في سائر الأرواح وأرواحها العنصرية.

وما كان من كل روح ما كان فتكون كل أرواح الوجود تكوينا على روح التجديد بروح الحياة التي هي الرحمة المنشورة في أرواح العالم من روح قلب سر صاحب السر وهو الإنسان الكامل بروح لولي الولي الحميد فروح الولي الحميد لا ينشر الرحمة في أرواح الوجود إلا من روح قلب الإنسان الكامل صاحب سر الحياة.

وهذه هي عين الحضرة المطلوبة لأكابر ولا يعرضها إلا من شهدها وكل ما لم يكن مشهودا فهو في روح الجحود خصوصا إذا لم يقم عليه دليل كالجليل فروح هذا المشهد في الروح الإنساني روح قابض بأرواح التعمير لأرواح الوجود بأرواح الحياة التجديدية وفي الأرواح المحمدية أنه «**ما قرن إلا ويرسل على رأسه من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**» وما هو إلا هذا التجديد بروح الحياة.

والمجدد هو الإنسان الكامل الذي أفاض الله من قلبه أرواح الحياة فانتشرت في أرواح الوجود من روح سره الممد من روح الولي الحميد فيكون التجديد في أرواح الوجود من هذا الكامل والإنسان الواصل فما يكون من السحاب والزروع والفروع ودوران الأفلاك إلا بروح الحياة الفائضة المنشورة في أرواح الوجود من روح المجدد المرسل على كل قرن قد درست أرواح حياته وبقي على أرواح من الإنارة من ذلك روح الجهل وأرواح الطغيان.

ومن هذا الروح المنصوب تمد أرواح الدين وأرواح الدنيا فيدوم روح الإسلام بمواصلات أرواح التجديد بالروح الجديد إلا أن روح التجديد الفائض من روح المجدد يكون على أرواح من الزيادة وأرواح من النقص وأرواح من الفترة كما كان يفتر الوحي عن الروح المحمدي.

وكذلك أرواح الولاية لها أرواح من الفترة ومن علامات تلك الفترة وقوع الخلل في أرواح الوجود عند روح الفترة فأول روح يقع من أرواح الخصب وأرواح الحياة إنما يقع في روح الإنسان الكامل ثم منه تنتشر الرحمة في أرواح الوجود وأول روح يقع من أرواح القحط إنما يقع في روح الإنسان الكامل ثم ينتشر في أرواح الوجود وذلك الولي عارف بأرواح هذه التصاريف لا يفوته دقيقة ولا رقيقة من أرواح الرضوان ولا من أرواح السخط ولا من أرواح الفتح ولا من أرواح الغلق فكل روح مسرة في الوجود فضلته فسائر ما يكون في أرواح الوجود على أرواح التفصيل وعلى أرواح الإجمال من كل روح موافق ومن كل روح مخالفة من أرواح فضلاته التي أمده بها الولي الحميد فالسر عند هذا الروح الكامل على روح العارية.

وإنما هو روح الحق على روح الصدق ولكن بذلك جرت الأسرار ووقع الإكرام لهذه الأرواح الطاهرة بأرواح هذه الحياة الفائضة في أرواح الوجود على روح الإكرام والولاية لا على أرواح القدرة بروح

=

الأصالة ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٥٠]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فما ذكرناه إنما هو روح من التعمير لأرواح الوجودِ بأرواح الحال الفائضة من أرواح الجمال على روح الإكرام فلا يكن منك روح من الغلط فإن أرواح الحق واسعة.

وطبقات أرواحه شاسعة ولسعة أرواح الحق شرعت أرواح النكاح لسعة أرواح التصريف في أرواح - أرواح مختلفة على أرواح مؤتلفة فروح النكاح يشرع فيه روح النظر فهي إلى الوجه وإلى روح الكفير.

وطار طائر الحب فوقع على روح القلب من روح تلك الروح المرئية.

وفصل بروح الوجه وروح القبول وبروح أرواح الوصول كان ذلك كروح الأساس للحبر المدراس العارف بقواعد التورية وما فيها من أرواح الآيات وأرواح الأنات إنما كانت من الأحرف مركبات فظهرت منها أرواح المعاني بالنظر في أرواح تلك المباني.

وكذلك الناظر في أرواح الوجه والكفين من روح امرأة على روح أن يتخذها زوجة وذلك بروح محمدي على روح من الندب لا على روح الوجوب ولا على روح الإباحة ولا على روح حرمة.

وذلك مثل روح النظر في روح المتاع لروح المشتري حتى يقع روح الشراء على روح الرضا وكل ما كان على روح الرضا كانت عاقبته العيشة الراضية، وما كان على روح الكراهة في البداية كان على روح الكراهة، فلا يصح البيع بدون أن ترى ويصح النكاح بدون أن ترى إلا أنه يكون على روح من الكراهة فلا يقع بعد ذلك أو روح من الموافقة لمخالفة الحكمة.

والأرواح المحمدية التي فصلت عندها أرواح الطبائع وكل أرض يليق بها من أرواح النبات ما يليق وليس السر في روح الأرواح الذاتية إلا لأن تتناهى أرواح النظر في أرواح المحاسن، وأرواح الجمال الظاهر في روح هذا العالم الظاهر فإذا تمت أرواح الأذواق من أرواح طعوم حلاوات كمالات أرواح المحاسن على سائر أرواح تفانينها ظهرت أرواح الذات بأرواح من الإطلاق في أرواح من التجلي لا يبقى معها صورة كمال ولا روح من أرواح الجمال.

فكذلك يكون في أرواح الآخرة للأرواح الإنسانية أرواح من السكر وأرواح من الغيبة ثم يكون لهم صحو وسكر وشرب وكمال في درجات أرواح شهودهم لإتيانها في روح ظاهر ذلك العالم الذي هو روح باطن هذا العالم فعلى مقدار ما تسلك وتذوق وتشهد في روح السر بغير روح من النهاية.

فكذلك في أرواح الآخرة يكون الأمر على روح الظاهر على غير حد ولا روح من أرواح النهاية أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك من روح الإجلال لأرواح الكمل بأرواح المواهب على حسب روح أرواح إجلالهم إياه في أرواح

=

=

عوالم المكاسب فقدموا ما في أيديكم لما بين يديكم ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠] فأرواح النكاح أرواح تقديم لما بين يدي أرواح الآخرة فإن من ذلك روح الولد الصالح والأخ الصالح والأخت الصالحة.

وفي ذلك من أرواح التعارف وأرواح القرابة وأرواح الأمومة وأرواح الأبوة وأرواح العمومة وأرواح الأخوال وأرواح الخالات، وأرواح الجدات وكم في ذلك من أرواح المواصلات بأرواح الرحمة بأرواح الدعوات بأرواح الصدقات بأرواح التربية بأرواح الحزن بأرواح البكاء على أرواح الأولاد وليس في ذلك من النقص.

وفي الأرواح المحمدية «**إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**» فالحزن والبكاء المضحك والسرور من كمال الروح الإنساني وبذلك تميز على الروح الحيواني وله خواص تميز بها عن أرواح الملائكة وهي أرواح النكاح المتميز بأرواح عن أرواح نكاح الحيوانات على أرواح من الستر.

وذلك روح من الكمال في الروح الإنساني، وما كان مختصا بروح؟ فمن العلم على روح من الذوق كان أكثر عرفانًا بأرواح الحقائق فكمال الرحمة في الأرواح البشرية بأرواح النكاح فالفخر في الآخرة لأرواح الذرية الطيبة ولو بأرواح الإفراط، فالأرواح الطيبة يشفع بعضها لبعض ويرحم بعضها ويكرم البعض منهم من أجل روح البعض فسر التوالد روح مفصل في أرواح الرحمة ولا يفتر عن أرواح التفصيل في أرواح المواصلات في الأنفس الطيبة وغيرها والكل على ساحل الفقر في ساحة الكرم عند الملك الأكبر فما أرواح الذل في أرواح العز وما أرواح الفقر في أرواح الغنى وما أرواح العجز في أرواح القدرة فما وعزته شرع التوالد إلا لأرواح الرحمة بأرواح العطف وأرواح اللطف.

فيا أيها الروح الغافل تقرب إلى هذا السيد ولو بصلاة ركعتين في روح من ليل أو في روح من النهار فإنه سيدك وإليه مردك فلا تغتر ولو باليسير فإنه الغني يرضى منك ولو بالسير فيقول عبدي ذكرني على أرواح ضعفه عبدي ذكرني على أرواح شغله عبدي ذكرني على أرواح فقره عبدي ذكرني على أرواح حاجاته وعزتي وجلالي إنه العزيز عندي وإن أهنته وإن أذقته من مرارات الفقر ومن مرارات عسر الدنيا فله عندي ما يحب ويرضى فهو عبدي وأنا سيده.

فيأيها العبد لو سمعت صريح الخطاب لتفطرت منك أرواح الألباب لو رأيت المولود وقد قال له الملك الودود: اذهب وخد بيد أبيك وادخل به الجنة لاشتهيت الولد فذلك من رحمة الله بأرواح الوالدين وعزته وجلاله إنه بعباده رءوف رحيم لا يزال يسيرهم على أرواح الجود وعلى أرواح الكرم وعلى أرواح الفضل وعلى أرواح العفو ويا ليت شعري ما الروح الضعيف في أرواح العقوبات.

=

النكاح مطلقًا لِما أن ذلك كان خارجًا عن حكم الطبيعة حدًا؛ فكانت الشهوات =

فيا رحمن أنت صاحب الرحمة الواسعة لا تكل البعض إلى البعض فيشقوا وكن أنت لهم ليبقوا.

فروح النكاح روح ستر وأرواح أجر وروح تعارف على أرواح البر والتقوى وروح السلامة في أرواح المتابعة فمن رغب عن السنة فهو الناقص بلا منة والتارك عجزًا أو لعذر ليس براغب عن أرواح السنة، ومما يكون من أرواح المعونة خفة أرواح الموعدة.

فلا يتزوج الروح الإنساني بروح شيطاني وهو الروح الكثير المؤنة وقد كانت أرواح جهاز فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بعد مريم معلومة لأرواح الناس فلم يكن هناك مزركشا ولا مصاغا ولا فرشا وطية ولا شيء من أحوال المترفين.

وفي روح يوم حابسي فطلبت منه فاطمة جارية للخدمة فلم يسمح لها بذلك رسول الله ثم جاءها من الليل فقال لها ولعلي ألا أعلمكما ما هو خير لكما من خادم فعلمهما أن يسبحا ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا ثلاثا وثلاثين ثم يكون الختام لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

فقد كان روح نظره الكريم إلى أرواح الآخرة لا إلى أرواح الدنيا فإن النازل فيها على حد الترحل عنها لا على حد الإقامة روح إشارة فيها كفاية عن أرواح العبارة في روح قوله ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣] لا تقربوا غير النساء فإن ذلك عليكم محرما كحرمة أن تقربوا النساء بغير حق ولا عقد بشرطه.

وفي الأرواح المحمدية «يا معشر الشبان تزوجوا فمن لم يستطع فعليه بالصوم» كل ذلك حرص من روحه الكريمة على هذه الأمة المرحومة حتى لا تكون على روح من أرواح النقص فتكون كاملة الاعتبار في الأسماع والأبصار بأرواح المشاهدة وأرواح الأخبار ووليمة العرس سنة وتجوز قبل الدخول وبعد الدخول على خلاف ما اعتاد الناس، ولا تفوت بحال فإن وقتها العمر كالعقيقة ففي أي وقت يمكن فعلها والذي يظهر أنها روح من الشكر على روح نعمة التأهل.

فإن التأهل من أرواح النعم الكبار ولذلك شرع أن يكون شكر هذه النعمة وليمة ولو بشاة وإن خير الولائم وليمة العرس التي يدعى إليها الفقراء ولذلك قال أرواح من أهل العلم يستحب أن يطعم الفقراء أولا ثم يشرع في بقايا الناس على أرواح طبقاتهم، وإذا كان النكاح نعمة فلا يكون لها مقابلة إلا بروح الشكر فكيف يصح أن يشكر النعم بالمحارم فلا ينبغي أن تفرش البيوت والحرير إلا أن يكون من فرش المرأة ولا يحل نصب صور الحيوان على أرواح الجدران ومن ترك شيئا لله عوضه خيرا منه وشر الطعام طعام الولائم الذين تأكل منه الأغنياء دون الفقراء فزن واحفظ على نفسك كما تحفظ لها، فإنك ملاق ما أنت له صانع.

حقائق قطعًا؛ ولذا كان ﷺ حُبب إليه النساء: أي ازدواج الصديقات الجامعة بين الكمال الظاهر والكمال الباطن.

كما قال: «**خذوا ثلثي دينكم من عائشة**»(١)، وشُهد بكمال آسية، ومريم، وخديجة، وفاطمة رضي الله عن كلهن بخلاف سائر الأنبياء، فإن بعضهم كنوح، ولوط لمْ يتيسَّر لهم الوفاق، والطباق مع زوجته.

وقد فُضِّل نبينا ﷺ على آدم عليه السلام بخصلتين أحدهما: أن حواء لم تكن معينة له في طاعة الله؛ بل كانت سببًا لزلّته بخلاف الأزواج المطهَّرة.

والثانية: أن شيطان آدم لم يسلم بخلاف نبينا مع قرينه؛ ولذا لم يأمره إلا بخير.

والحاصل: أن النكاح المبتدئ، والموسَّط من السالكين؛ كنكاح المتعة، فازدواجهما مع أزواجهما الصورية، والمعنوية ليس بازدواج حقيقي، إذ ليس عندهما ذوق القربة والوصلة بخلاف حال المنتهى، فإنه إذا حصل له الفتح المطلق الكلي الجامع لجميع الفتوح؛ كانت النساء الطبيعية عنده مُحلاَّة إذ لا سبيل للطبيعة، فإنه إنما يُجرى عليه أحكام الحقيقة في كل أمر من الأمور التي يزاولها ويباشرها.

فأين الباقي بنفسه عن الباقي بربه؟ وأين الفاني عن نفسه بأن يكون مغشيًا عليه بغلبة خط طبيعته عن الفاني عن نفسه بأن يكون مأخوذًا عن الحس بحكم تجلّي هويته؟ ففرق عظيم، والله بين الخطين.

فأحدهما: قاصر ناقص.

والآخر: تام كامل.

وقياس أحدهما على الآخر قياس فاسد ناشئ عن عدم إدراك الحقائق بتمامها، وعدم مطالعة التجليّات بكمالها، والله الهادي، ولأهل البوادي.

٣٧- **في البخاري** قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخرة؛ فليصل رحمه**»(٢):

---

(١) رواه الديلمي (٢/٢٦٥).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٢٧٣)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٢٤٩).

أشار بالإيمان بالله إلى الإيمان بالمبدأ الأول، وباليوم الآخر إلى الإيمان بالمعاد، وأشار بصلة الرحم إلى صلة الأرحام القريبة؛ كالعقل الأول، وما يليه، كما يقتضيه الإيمان بالمبدأ، وإلى صلة الأرحام البعيدة؛ كالطبائع والعناصر والمواليد، كما يستدعيه الإيمان بالمعاد؛ لأنه كما أن الله تعالى هو الأول؛ فكذا التجلِّي الأول الذي هو العقل الأول.

فليس كمثله شيء؛ لأنه أول المخترعات التي توجهت إليها الأسماء الإلهية من كمون الغيب، فأبرزها في مبرز الشهادة؛ وهي الشهادة المطلقة الأولى للتي تلي غيب العلم، وغيب الأسماء، وغيب الذات، وأيضًا كما أن المعاد هو الأخر، فكذا التجلِّي الثاني الذي ينتهي إلى المواليد، وإلى الإنسان.

فالإنسان من حيث إنه العقل الأول، وأول التجليَّات الغيبية؛ هو المبدأ الأول الظاهر فيه سر الأولية الأولى، ومن حيث إنه الإنسان، والبشر، وآخر التجليَّات الشهادية؛ هو الآخر الظاهر فيه سر الأخروية الثانية، فله حقيقة غيبية، وصورة شهادية.

والكل من الأول إلى الآخر مراتبه وأطواره، فهو عين نفسه من حيث أحديته، وغير نفسه من حيث تكثُّره في مراتب نزوله، واسترساله، فتلك الكثرة إن كانت كثرة روحانية؛ فهي أقاربه القريبة، وإن كانت جسمانية؛ فهي أقاربه البعيدة لا الأجانب، فإن سلسلة الكائنات متصلة به، إمَّا قريبًا، وإمَّا بعيدًا، فليس شيء منها يكون أجنبيًا عنها.

فلا بد للإنسان من صلة تلك الأقارب مطلقًا، وصلتها إعطاؤها حقها؛ وهي الأمانة التي عنده المأخوذة منها حين مروره عليها، فإذا أعطى كل واحد منها حقه بأن يتجرَّد من ملابسها؛ فقد وصلها؛ وهو التحليل الذي لا بد منه في السير عروجًا، ثم إن تلك الحقوق تعود إليه حين يتلبَّس بها حالة البقاء؛ وهو التعقيد الذي لا بد منه أيضًا في السير نزلاً.

فقد أخذ الله منه في السير الأول؛ لتجريده عن الملابس، والغواشي الكونية، وأخذ هو من الله في السير الثاني؛ لإلباس الذات الأكسية الحقَّانية التي لا تُبلى أبدًا؛

لأن الفاني لا يعود إلى أوصافه، والباقي لا يكون له فناء كوني.

وأمَّا الموت الطبيعي فهو: انتقال لا فناء، ويظهر عدم كونه فناءً أن الإنسان الباقي بربه لا يُبلى من حيث هيكله أيضًا، ومن آثار الصلة الحقيقية: ألا يعطي من نفسه الاعتراض على شيء من الأشياء التي هي بمنـــزلة أجزائه بالنسبة إلى حقيقة الوحدانية؛ للتجلية بالصفات والقوى، فينظر إلى الأشياء بعين الحقيقة، ولا يكون عاقًا لإمامة العلوية، وانتهائه السفلية، وما تولَّد منهما من الأولاد الكثيرة التي لا تُحصى عددًا؛ لأنها إخوانه وأقاربه.

ولَمَّا ذكرنا من السرِّ الإلهي؛ ذكر النبي ﷺ صلة الرحم في جنب الإيمان بالله واليوم الآخر، ثم لَمَّا كانت الأشياء أمورًا مضادة من حيث طبائعها مخالفة لحقائقها في أحوالها المختلفة؛ كان من الحكمة الإلهية إزالة الضد بالضد، ولم يعد ذلك من العقوق، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا**﴾ [لقمان:١٥].

٣٨- **في صحيح مسلم**: قال رسول الله ﷺ: «**مَن لقي الله لا يُشرك به شيئًا؛ دخل الجنة، ومَن لقيه يُشرك به؛ دخل النار**»[(١)]:

الجملة الأخيرة تصريح بما علم من الجملة الأولى؛ لأنه إذا كان الموحِّد هو الذي يدخل الجنة؛ كان المشرك هو الذي يدخل النار، ولكل من الجنة والنار صورة ومعنى، فصورة الجنة: دار الثواب المشتملة على ثمرات الأعمال، ومعناها: القلب الإنساني المحتوي على نتائج الأحوال، وفي الكل تنعُّم؛ لكن التنعُّم في الجنة الأولى جسماني وروحاني، وفي الثانية روحاني فقط، وقد يشمل الروحاني في الدنيا الجسماني أيضًا؛ فيتنعَّم المكاشف بما يقرب من تنعُّم المحجوب في الجنان، وله أخبار وآثار كثيرة، ومن لم يذق؛ لم يعرف كيف هو؟.

وأمَّا صورة النار[(٢)]: فدار العقاب الجامعة لتبعات السيئات، ومعناها: الطبيعة

---

(١) رواه البخاري (١/٦٠)، ومسلم (١/٩٤).

(٢) قال السيوطي في البدور: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها».

وأخرج أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام: «ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكًا قط، قال: ما ضحك ميكائيل منذ خُلقت النار».

=

الشهوانية النفسانية الحاوية لأنواع الشهوات، والأهواء، والأخلاق السيئة، **فلمَّا** كان أصل الحسنات من الأنوار؛ أدَّى إلى الجنان التي خلقها الله من أنوار لطفه وجماله، ولمَّا كان أصل السيئات من الظلمات؛ جرت إلى جهنم التي خلقها الله من ظلمات قهره وجلاله.

فأهل الجنة: أهل الوجود الحقيقي الذي يُضاف إلى الله تعالى، وأهل النار: أهل

=

وفي تحفة الإخوان والبدور أيضًا ما يفيد معناه قال: «جاءني جبريل عليه السلام يقول هذه الآية: **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** [الحجر:٤٣]، فقلت: يا جبريل صف لي النار وأهوالها؟ فقال لي: يا محمد، لما خلق الله النار أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة، وقودها الناس والحجارة، قعرها بعيد، وعذابها شديد، وشراب أهلها صديد، وسرابيلهم من القطران، لا يطفأ لهيبها، ولا يخمد جمرها، والذي بعثك بالحق نبيًّا لو أن مثل ثقب الإبرة فُتح من جهنم لاحترقت الدنيا ومن عليها، والذي بعثك بالحق نبيًّا لو أن ذراعًا من السلسلة التي ذكرها الله في سورة الحاقة وُضع على أعظم جبل في الدنيا لذاب حتى يبلغ الأرض السابعة، والذي بعثك بالحق نبيًّا لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار عُلق ما بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من شدة نتنه، يا محمد والذي بعثك بالحق نبيًّا لو أن رجلاً يُعذَّب بالمغرب لاحترق أهل المشرق من شدة عذابه، يا محمد لها سبعة أبواب كما قاله تعالى: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ*لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ*لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾** [المدثر:٢٧،٢٨،٢٩]: أي مغيرة للبشر، وقال الله تعالى: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ*نَارٌ حَامِيَةٌ﴾** [القارعة:١٠،١١]، وقال تعالى: **﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾** [الهمزة:٤،٥]».

ورد تفسيرها في الحديث المرفوع أن النار تأكل أهلها حتى إذا طلعت على أفئدتهم انتهت، ثم يعود كما كان، ثم تستقبله أيضًا فتطلع على فؤاده فهو كذلك أبدًا، وقال الله تعالى: **﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى* نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾** [المعارج:١٥،١٦]، جمع شواة، وهي جلدة الرأس، وقال الله تعالى: **﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾** [التكوير:١٢]: أي أوقدت وأضرمت.

وأما ما جاء في محلها:

قال في البدور: وأخرج أبو الشيخ في العظمة، والبيهقي من طريق أبي الزرعاء عن عبد الله قال: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض.

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن جهنم محيطة بالدنيا، وإن الجنة من ورائها، فلذلك كان الصراط على جهنم طريقًا إلى الجنة»، والله أعلم.

الوجود المجازي الذي يُنسب إلى الكون، والوجود الكوني: وجود مفروض متوهم، كما أن الوجود الواجبي: وجود معلوم متحقق، فلا بد من محو الوجود الموهوم؛ ليظهر سر الوجود المعلوم المحقق.

فالوجود الموهوم: اعتبار محض ولا وجود له حقيقة لما هو اعتباري؛ لكن مَن غلب حكم إمكانه على حكم وجوبه؛ أعطى للإمكان الموهوم وجودًا، فاحتاج إلى الخلاص عنه، وطريقه تحقيق التوحيد في أفعال الله تعالى، وصفاته، وذاته، فمَن احتجب عن التجليّات برؤية وجوه الإمكاني، وآثاره؛ احتجب عن التوحيد، فبقى في الشرك في الدنيا، وفي العذاب في العقبى.

أمَّا الشرك الجلّي فأمره ظاهر، وأمَّا الشرك الخفي فأمره خفي، فإن العقل قاصر عن إدراك الشرك في الموحِّد، وفي كونه معذَّبًا بالعذاب المعنوي الروحاني في الدنيا وفي الآخرة، فكم من واصل وهو في عين الفراق، وكم من داخل وهو في حكم الخارج؛ ولذا كان الله تعالى لا ينظر إلى الصورة والأعمال؛ بل إلى القلوب والنيَّات، فإذا صلحت القلوب؛ صلح الحال مع الله في مرتبة جماله المطلق، وإذا فسدت؛ فسد الحال معه في تلك المرتبة، ففرق بين نعيم ونعيم، وجمال وجمال، وبصر وبصر، فليحذر المؤمن أن يدخل النار وهو في رياض الجنة.

والحاصل: إنه لا بد للسالك من الوصول إلى الفناء الكلي حتى ينجو من شر الوجود المجازي، ويغتنم بخير الوجود الحقيقي، فكل الوجود شر إلا الوجود الحقيقي كما قيل: ألا كل ما خلا الله باطل، ولا وجود للباطل مع الوجود الحق، فأين أنت من فهم هذا المعنى؟ فاخرج من الباطل، ومن اعتباره حتى تدخل في الحق، وفي حقيقته، والله المعين، وبه نستعين، وهو الحق اليقين.

٣٩- في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «مَن مات، وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»(١)، رواه عثمان رضي الله عنه.

اعلم أن هذا الحديث يدلُّ على أن الإيمان ليس بعبارة عن التصديق، والإقرار،

(١) رواه مسلم (١/٥٥)، والبيهقي في الشعب (١/١٠٨).

أو عنهما، وعن العمل؛ بل هو التصديق القلبي ليس إلا، وهو المراد بالعلم في هذا المقام، فالإقرار شرط لإجراء أحكام الإسلام حتى يتبيّن كونه مؤمنًا بينه وبين الخلق، وإن كان هو مؤمنًا بينه وبين الله تعالى، وإلى هذا: أي إلى أن الإيمان في الحقيقة هو التصديق القلبي، والإقرار اللساني.

فركن زائد ذهب المحققون؛ مثل أبي حيفة، وشيخ السُّنة: أبي منصور الماتريدي؛ وهو أصح الروايتين عن الأشعري، وكون الأعمال داخلة في ماهية الإيمان مذهب المعتزلة والخوارج؛ فالفاسق عندهم غير مؤمن؛ بل مخلَّد في النار، وعند أهل السنة ليس كذلك؛ بل هو مؤمن ناقص، وإيمانه مُنج؛ لكنه ليس بكامل، فحيث قرنت الطاعات بالإيمان، وجعلت كالشرط له؛ فالمراد به الإيمان الكامل المنجِّي[1].

---

(١) فوائد في مسألة الإيمان: قال الشمس السمرقندي: **الإيمان في اللغة**: **التصديق، وفي الشرع مختلف فيه.**

فقال المحققون: هو تصديق الرسول بكل ما علم بالضرورة مجيئه به، وإنما قيد بالضرورة لأن منكر الاجتهاديات لا يكفر إجماعاً، ويقرب منه ما نقل عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله: أن الإيمان هو: المعرفة والإقرار.

وقالت المعتزلة: الإيمان هو: الطاعات.

ونقل عن السلف: أنه التصديق بالجنان، والإقرار باللسان والعمل والأركان فمن أضل بالتصديق وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أضل بالشهادة فهو كافر، ومن أخل بالعمل فهو فاسق وهذا قريب مما نقل عن علي -كرم الله وجهه- عن النبي ﷺ، وبه قال الشافعي رحمه الله أنه معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وأما الإسلام فهو بمعنى الاستسلام لغة، وفي الشرع: الخضوع وقبول قول الرسول، فإن وجد معه اعتقاد، وتصديق بالقلب فهو الإيمان فالإيمان أخص من الإسلام، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ (الحجرات: من الآية١٤) بين أنه ليس في قلوبهم تصديق الرسول، ولكنهم قبلوا قوله، وأظهروا الخضوع مخافة.

وأما الكفر فهو في اللغة: الستر، وإنما سمي الكافر كافرًا لأنه يستر الحق.

وفي الشرع: إنكار ما علم بالضرورة مجيئ الرسول به.

ولا يكون بين الإيمان، والكفر واسطة إذا فسر الإيمان بالتصديق إما إذا فسر بمجموع الطاعات فتتحقق الواسطة، لأن من صدق الرسول في كل ما علم بالضرورة مجيئه به، ويترك شيئًا من العبادات لا =

يكون مؤمنًا حينئذ ولا كافرًا

وسمى المعتزلة القسم منـــزلة بين المنـــزلتين.

وقالت الخوارج: من ترك شيئا من العبادات فهو كافر فعلي هذا لا يكون بين الإيمان والكفر واسطة أيضًا.

والدليل علي أن الطاعات جزاء من حقيقة الإيمان: أنه لو كان كذلك لكان تقييد الإيمان بالطاعة تكريرًا وبالمعصية نقضاً لكنه باطل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الكهف: من الآية٣٠)، وبقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: من الآية٨٢) ولما صح جعل القلب محلاً للإيمان إذ الطاعات ليست جميعها من أفعال القلوب لكنه باطل، لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ﴾ (المجادلة: من الآية٢٢)، ولأن من صدق بالله وبرسوله ومات قبل أن يشتغل بطاعة مات مؤمنًا إجماعًا، واحتج الخصم بوجوه:

فالأول فعل الواجبات هو الدين لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥).

وذلك يرجع إلى كل ما تقدم، فكان كل ما تقدم هو الدين والدين هو الإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: من الآية١٩)، والإسلام هو الإيمان إذ لو كان غيره لما كان الإيمان مقبولاً: لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: من الآية٨٥) فلزم أن يكون فعل الواجبات هو الإيمان.

والجواب: أن بيان إتحاد الإسلام والإيمان معارض بقوله تعالى:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ (الحجرات: من الآية١٤) ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ (الحجرات: من الآية١٤)، ولئن سلمنا ولكن دليكم إنما دل علي أن الطاعات يصدق عليها الإيمان ولا يلزم من ذلك كونها حقيقة الإيمان لجواز أن يكون صدق الإيمان عليها لكونها متضمنة للتصديق، والاعتقاد.

الثاني لو كان الإيمان عبارة عن التصديق لكان قاطع الطريق مؤمنًا لكونه مصدقًا لكنه ليس بمؤمن لأنه مخزي؛ لأن الله تعالى يدخله النار لقوله في حقهم ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (الحشر: من الآية٣) وكل من يدخله النار فقد أخزاه لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ (آل عمران: من الآية١٩٢) والمؤمن لا يخزى؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا معه﴾ (التحريم: من الآية٨) وفيه نظر؛ لأن هذا إنما يصح أن لو كان الواو عاطفة، أما إذا كانت ابتدائية، فلا ولئن سلمنا لكن المراد: الصحابة، بدليل قوله تعالى: ﴿مَعَهُ﴾ (التحريم: من الآية٨).

الثالث – قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية١٤٣) أي صلاتكم إلى بيت القدس.

=

والجواب: لا نسلم أن كان الإيمان هاهنا: الصلاة لم لا يجوز أن يكون المراد التصديق بوجوب تلك الصلاة.

الرابع – لو كان الإيمان عبارة عن التصديق لما كان قابلاً للزيادة والنقصان، إذا التصديق معنى واحد لا يقبل ذلك لكنه باطل.

واختلفوا في أن الإيمان هل يزيد وينقص أم لا.

فقال بعض من ذهب إلى أن الإيمان هو التصديق: لا، لأن مسمى التصديق شيء واحد لا يتطرق إليه الزيادة، والنقصان.

وقال آخرون: لا يقبل النقصان، ولكن يقبل الزيادة لقوله تعالى: **﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾** (الأنفال: من الآية٢) **﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾** (الفتح: من الآية٤) **﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾** (المدثر: من الآية٣١) **﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾** (الأحزاب: من الآية٢٢)، **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾** (التوبة: من الآية١٢٤).

وقال من زعم أن الطاعات داخلة في حقيقة الإيمان: أنه يقبلهما.

واستدل بالآيات المذكورة، وقال الإمام: هذا البحث لفظي، لأن المراد بالإيمان إن كان هو التصديق فلا يقبلهما، وإن كان الطاعات فيقبلهما ثم ذهب إلى التوفيق فقال: الطاعات مكملة للتصديق، وكل ما دل علي أن الإيمان لا يقبل الزيادة، والنقصان كان مصروفاً إلى أصل الإيمان، وما دل على كونه قابلاً لهما فهو مصروف إلى الإيمان الكامل هذا ما ذكروه.

والحق: أن الإيمان قابل لهما سواء كان بمعنى الطاعات، وهو ظاهر بمعنى التصديق، لأن التصديق بالقلب هو: الاعتقاد الجازم، وهو قابل للشدة والضعف، إذ يبتدئ من أجلى البديهيات نازلاً إلى أخفي النظريات.

وصاحب الكبيرة مؤمن مطيع بإيمانه عاص بفسقه وعند المعتزلة: ليس بمؤمن ولا كافر وعند جمهور الخوارج كافر لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** (المائدة: من الآية٤٤).

وفيه نظر؛ لأن ذلك يدل على أن من لم يحكم بما أنزل الله و لم يصدقه فهو كافر ولا نزاع فيه وإنما الكلام فيمن يرتكب معصيه.

وعند الأزارقة مشترك، لأنه يعمل عملاً لله، وعملاً لغيره فصار مشركاً لمخالفته لقوله تعالى: **﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾** (الكهف: من الآية١١٠)، وعند الزيدية كافر النعمة، وعند الحسن البصري منافق لقوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث إذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف وإذا حدث كذب**».

=

=

واختلفوا في الكبائر فروى ابن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنها تسعة: الشرك بالله وقتل النفس عمداً، وعقوق الوالدين المسلمين والسحر، وأكل مال اليتيم، والقتال في الحرم والزنا والفرار من الغزاة عند قتالهم وقذف المحصنة.

وزاد علي كرم الله وجهه السرقة وشرب الخمر، وزاد أبو هريرة أكل الربا، وقيل: الكبيرة ما توعد الشارع عليه بخصوصه.

تتمة:

وعيد أصحاب الكبائر من أهل الإيمان منقطع أي يخرجهم الله تعالى من النار إلى الجنة خلافاً للمعتزلة.

لنا، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ (النساء: الآية٤٨) واحتج الخصم بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ (الانفطار:١٤).

والجواب: أن هذا لا يوجب دوام العذاب، وبقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا**﴾ (النساء: من الآية٩٣).

والجواب: أن قوله تعالى: «فجزاؤه» يوجب كونه مستحقاً لدوام العقاب والاستحقاق لا يوجب الوقوع).

وذهب أبو هاشم، وأتباعه: إلى أن الطارئ يزيل المتقدم بطريق الموازنة أي: تقابل أجزاء الثواب بأجزاء العقاب فيسقط المتساويان منهما ويبقي الزائد.

وقال أبو علي، وأتباعه: إنه بطريق الإحباط أي: يبقى الطارئ بحالة ويسقط من السابق بقدرة.

وأجمعوا علي أن وعيد الكافر المعاند دائم، وأما الكافر الذي بالغ في الاجتهاد و لم يصل إلى الحق فزعم الجاحظ، والعنبري أنه ينقطع لأنه معذور لقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (الحج: من الآية٧٨)، وأنكر الباقون، وادعوا فيه الإجماع.

والذين زعموا أن الطاعات داخلة في الإيمان فمنهم من جوز الاستثناء مطلقًا وهو قول عبد الله بن مسعود، وقوم من الصحابة، والتابعين، والشافعي رضي الله عنهم، ومنهم من جوز في الاستقبال دون الحال وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج والكرامية.

والذين ذهبوا إلى أن الإيمان هو التصديق فمنهم من جوز الاستثناء، وهو قول أبي سهل الصعلوكي وابن فورك، ومنهم من أنكره وهو قول أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، وقوم من المتكلمين.

حجة المجوز من وجوه:

فالأول – هذا للتبرك لا للشك كقوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ (الفتح: ٢٧) وهذا للتبرك لامتناع الشك على الله تعالى.

=

ثم إن هذا العلم بالتوحيد هو التوحيد العقلي لا الإيمان الشرعي؛ لأن الإيمان إنما يتعلّق بالشارع، وأمره؛ فهذا العالم؛ ليشفع فيه العليم الخبير بحاله فلا يخلده في النار، ويكون آخر أمره الجنة إن لم يأتِ بما ينافي أصول الشرائع، وكان حاله على حال الفطرة الأصلية.

فأهل الفترات، والذين في شواهق الجبال، وأقطار الأرض وغيرهم ممَن لم يبلغه الدعوة، ولم يصدر منه ما يخالف أصول الشرائع؛ فكلهم من أهل التوحيد العلمي، والتصديق العقلي، يشفع فيهم الاسم الرحمن؛ فيدخلون الجنة، ولو بعد حين، وذلك فضل عظيم، وإحسان جسيم من الله تعالى؛ لكون رحمته واسعة شاملة لكل شيء خصوصًا الذين بقوا على نقاء سريرتهم، وصفاء فطرتهم، فلم يصدر منهم ما يخالف التوحيد، والأصول المتفق عليها في جميع الأديان والملل.

=

الثاني - إنه للشك لكن لا في الحال بل في العاقبة؛ لأن الإيمان المفيد هو الباقي عند الموت وكل شاك في ذلك.

الثالث - لما كان الإيمان عندهم مجموع الاعتقاد والقول والعمل والشك في العمل الذي هو أحد أجزائه يوجب الشك فيه فصح الشك في حصول الإيمان.

وقال المانع: أنا مؤمن حقا لأن الشك في الحال والاستقبال يوجب ضعف الاعتقاد في الحال ولا نزاع إن كان للتبرك.

وقال أهل السنة: كل من اعتقد أركان الدين تقليداً فإن اعتقد مع ذلك جواز ورود شبهة عليها وقال: لا آمن ورود شبهة تفسدها فهو كافر ومن لم يعتقد جواز ذلك فقد اختلفوا فيه، فمنهم من قال: إنه مؤمن، وإن كان عاصيا بترك النظر، والاستدلال المؤدي إلى معرفة أدلة قواعد الدين وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد والأوزاعي والثوري وكثير من المتكلمين ومنهم من قال: إنه لا يستحق اسم المؤمن إلا بعد عرفان أدلة قواعد الدين سواء أحسن العبادة عن الأدلة أولا، وهو مذهب الأشعري وقوم من المتكلمين.

ومن لم تبلغه دعوة الإسلام فإن اعتقد وحدانية الله تعالى، وعدله فحكمه حكم المسلمين وهو معذور في جهله بأحكام الشرع وإن اعتقد الشرك والتعطيل فهو كافر، فإن لم تبلغه دعوة نبي آخر لم يكن مكلفاً ولا يكون له ثواب ولا عقاب وإن بلغته ولم يؤمن بها كان مستحقًا للوعيد على التأبيد وإن لم يعتقد شيئًا لا توحيدًا ولا كفرًا فليس بمؤمن ولا كافر. وانظر: الصحائف (ص١٥٨) بتحقيقنا.

وأمَّا اليهود والنصارى فقد بُيِّن في القرآن والحديث أنهم كفار لا اعتداد بإيمانهم بالله، وببعض الكتب والرسل، فلمَّا لم يؤمنوا بالشارع المبلِّغ إليهم؛ كانوا كفارًا في الشرع والحقيقة، وكذا المشركون فإن إقرارهم بأن خالق السماوات والأرض؛ هو الله يفيد إيمانًا لهم مع بقائهم على الشرك والعناد.

وكما أن الذين لم يهاجروا حين كانت الهجرة فرضًا؛ كانوا كفارًا بالنص في الحقيقة، وإن كانوا مؤمنين في الصورة، ومثلهم مَن يلقي المصحف في القاذورات، أو يفعل نحو ذلك مما جعله الشارع إمارة التكذيب، فلا يعتبر دعوى الإيمان في مثل هذا، فهم في الفراق في عين الوصل، فياليتهم أقاموا على الشرائط، والمسلمون عند شروطهم.

وهذا مقام هائل ينبغي أن يكون المرء على حذر منه، فإن الأمر ليس بالدعوى؛ بل بالمعنى، ولن يحصل المعنى إلا بمتابعة الشارع في أمره ونهيه إن كان من شأنه ذلك بأن بلَّغ إليه الدعوة، وأمَّا غيره فليس له دعوى، ولا معنى، وإنما هو مفوَّض إلى سعة رحمة الله تعالى.

٤٠- **في صحيح مسلم** قال رسول الله ﷺ: «**مَن منح منحة**»[١]:

: أي عطية، والمراد: منحة اللبن؛ كالناقة، والبقرة، والشاة مما ينتفع بلبنه.

وقوله ﷺ: «**عادت تلك المنحة له متلبسة بصدقة، وراحت الغدو أول النهار إلى الزوال، والروح من الزوال إلى الآخر**»[٢]، كما أكد ذلك بقوله: «**صبوحها وغبوقها**»[٣]، منصوبان على الظرفية: أي في أول النهار، وأول الليل.

والإشارة في الحديث: إن اللبن إنما هو لتربية الأجسام، كما أن العلم إنما هو لتربية الأرواح، ولا شك أن الصدقة تُطفئ غضب الرب؛ وهو نار جهنم التي أعدَّها الله تعالى لتعذيب أجساد الفُسَّاق، كما أن العلم يُطفئ غضب الرب أيضًا؛ وهو نار الجهل والقطيعة التي أعدَّها الله تعالى لتعذيب أرواح الجهلة والمحجوبين.

---

(١) رواه أحمد (٤/٢٨٥)، والوياني في مسنده (١/٢٤٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أحمد (٢/٧٠٧)، والبيهقي في الكبرى (٤/١٨٤).

ولَمّا كان العذاب على نوعين: عذاب بنار وحَرور، وعذاب برد وزمهرير، أشار ﷺ بالصبوح إلى أن الصدقة تُدفع عن المتصدِّق عذاب الزمهرير وبالغبوق إلى أنها تدفع عنه عذاب الحَرور، فينجو المتصدِّق من كلا العذابين بحسب جسمانيته، ويبقى له التخلُّص عن العذاب الروحاني؛ فإنه عذاب أيضًا؛ بل هو أشدُّ من الجسماني؛ لتعلُّقه بالروح الذي هو ألطف الأشياء في الوجود الإنساني، وذلك بالكلمة الطيبة؛ فإنها صدقة أيضًا، ولها تعلُّق بمرتبة الروح، فإن الروح يستريح بما يسمعه من الكلمة الطيبة، ويتخلَّص عن تعب الغمِّ والكدورة، فلا بد للعاقل من تحصيل كلتا الصدقتين.

وإنما خصَّ منحة اللبن بالذكر؛ لأن اللبن أول ما يغتدي به بدن الإنسان، ويتربَّى، وله زيادة اختصاص بالفطرة الأصلية، وإلا فجميع المأكولات والمشروبات مما يتربَّى به الوجود الظاهرة من قبيل الصدقة والجسمانية، ومنه يعلم قرب العرب في الصدر الأول بالفطرة، إذ كان أغلب مطعوماتهم اللبن، ثم آل الأمر من تنوعات الأغذية إلى التنــزُّلات؛ فصارت حال الفطرة بعيدة بعد ما كانت قريبة.

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة:٢١]، وذلك إنما وقع في القرآن؛ فإنه يُنبئ عن النسيان، وهو إنما يُعرض بكثرة العوارض والحجب على وجه الفطرة، ومعظمها المطعومات المختلفة، والمباحات المتنوعة لاسيما المحرَّمات، والمشتبهات، فأنَّى يُنجر الإنسان من ذلك؛ فوجب عليه إصلاح ظاهر الوجود بالشريعة، وباطنه بالطريقة إلى أن يكشف الله عماه، ويبصره هداه؛ فيستسعد بعلم الفطرة، وبعلم الكسب، وبعلم الشكر، وبعلم الذوق والحقيقة، وإلى هذه العلوم الإشارة بالأنهار الأربعة المذكورة في القرآن الكريم.

ثم إن الغُدو والرواح لَمّا كانا مشتملين على الصدقة؛ سرى سرُّهما إلى جميع الأوقات، فإصلاح الأول والآخر إصلاح لِما بينهما أيضًا، كما أن إصلاح البدن والروح، وإن شئت قلت: القلب إصلاح لجميع الأعضاء والقوى، وبذلك ينجو الهيكل الإنساني بجميع أجزائه وأعضائه وقواه، وَمن تفطَّن لحكم العموم، ولم يُقصر عمله على الخصوص، والله شهيد على ما تعملون، وهو العليم الخبير، ومنه الفيض العزيز إلى كلٍّ من الصغير والكبير.

٤١- **في صحيح مسلم:** قال رسول الله ﷺ: «**مَن نام على حزبه**»[١]:

: أي غفل عن ورده، أي وردٍ كان من قراءة قرآن، أو صلاة تهجُّد أو نحو ذلك من العبادات المقرَّبة إلى الله تعالى.

قوله ﷺ: «**من الليل**»: خصَّه بالذكر مع أن الورد لا يختص بوقت، ولا يتعيَّن بمكان لِما إنه زمان مناجاة العباد وقت انخراق السرادقات، وله اختصاص بسكون القلب، وهدوء الباطن، وفيه وقع المعراج الصوري والمعنوي؛ فكانت العبادة فيه أشد على القلب وأصفى، والتوجه أقوى، والانكشاف أزيد، والقربة أوفر، والوصلة أتمُّ، والواردات أكمل، ويلحق به أول النهار إلى وقت الضحوة لا ما بعده، وقد يحصل بعض التجليَّات فيما بين العصر والمغرب أيضًا، أو عن شيء منه: أي عن بعض حزبه بألا يسعه الوقت لإتمام كل الورد، فيبقى باقٍ على النهار، والقضاء فيه.

فإن الفيض الإلهي؛ كالماء فكما أن الماء إذا انقطع؛ هلك الإنسان والحيوان، فكذا الفيض الإلهي إذا انقطع هلك القلب والروح، ففي القضاء تدارك لما فات، وفي تركه حرمان عن الماضي، وعمَّا هو آتٍ، فافهم الإشارة، ومن الله التوفيق والثبات.

قال ﷺ: «**فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر**»، لا لأنه وقت متسع كما ذهب إليه أهل الظاهر؛ بل لأنه مُلحق بآناء الليل؛ لقربه منها، فكما أن وِتر النهار وهو المغرب يُعدُّ من النهار؛ لاتصاله به حتى أوجب الإفطار للخواص بعد السلام لا وقت الغروب قبل القيام فافهم الكلام.

فكذا وِتر الليل يُعدُّ من الليل، وإن كان يُقام في السَّحر الأعلى قرب الانفجار جدًا، ونظيره الخميس والسبت؛ فإنهما لكونهما طرفي الجمعة أخذا حكمها، وشعبان وشوال؛ فإنهما وقعا بين شهر رمضان، فأُلحقا به في الحرمة؛ كصوم شعبان، وست شوال السارية إلى جميع أجزائه من الأول إلى الآخر، فإن التجلِّي لا ينحصر، وإنما الانحصار يجيء من القائل.

---

(١) رواه مسلم (١/٥١٥)، وابن حبان في صحيحه (٦/٣٧٠).

ألا ترى إلى الشمس فإنها طالعة فاشية، وإنما جاءت الظلمات في بعض البِقاع والاقطار من حيلولة الجبال الشواهق ونحوها كُتب له كأنما قرأه من الليل.

أورد كلمة التشبيه؛ لأن وِرد الليل أقوى من وِرد النهار، وإن كان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفةً لِمَن أراد أن يذكر، أو أراد شكورًا.

ومنه: يعلم أنه كلَّما بَعُد زمان القضاء بعد القرب، ففرَّق بين القضاء في الوقت الذي عيَّنه النبي ﷺ؛ وهو ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر من ذلك اليوم، وهو اليوم الذي فات في ليلة الوِرد، وبيَّن القضاء في الأيام الآتية، ويُرشدك إلى ما قلنا: إن مَن فات عنه الفجر ؛فإنه يقضيها في يومها مع السنة والفرض جميعًا لا فيما بعده من الأيام، فإنه حينئذ إنما يقضي الفرض فقط، وهذا السرُّ قد غفل عنه أرباب الظواهر فقالوا ما قالوا في شرح الحديث، والله العليم الخبير، ثم إن النذر يدخل في مطلق الوِرد؛ فهو مُقضى بطريق الأَوْلى.

٤٢- وفي حديث البخاري: «مَن نذر أن يطيع الله؛ فليطعه، ومَن نذر أن يعصي الله؛ فلا يعصه»[(١)]:

فهذا الأمر والنهي؛ للوجوب، ومنه يعلم أن نذر المعصية لا ينعقد، وعن الإمام: إن مَن نذر صوم يوم العيد؛ يقضيه في يوم آخر، وكذا مَن نذر ذبح ولده؛ فإنه لا يذبحه؛ بل يتقرَّب إلى الله تعالى بقربان، والنذر وإن كان قربةً مشروعة بالنسبة إلى العوام؛ لكن الخواص إنما يعلمون بالخواطر، والإيجاب ليس إلا الله تعالى هذا؛ فإنه ينفعك إن شاء الله تعالى[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٤٦٣)، وابن حبان في صحيحه (١٠/٢٣٤).

(٢) فائدة: قال العلواني: فصل في روح وصل في أرواح النذر، وفي الروح الفرقاني قوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧] فروح الثناء على روح الوفاء بأرواح النذر فروح النذر من أرواح الإيمان إلا أنه روح مكروه على روح التتريه لأنه روح زيادة على الأرواح الفرقانية في أرواح الإيجاب.

وذلك من روح قلة الأدب مع أرواح الحكمة في أرواح الواجبات بروح الوضع الإلهي وروح النذر من أرواح النفس الأمارة لأرواح قلق عند روحها.

وفي الأرواح المحمدية «**إنما يستخرج النذر من مال البخيل**» ولو كان على روح الكرم لكان على =

=

أرواح الإحسان في روح الوقت لأرواح مرضاة الله بدون روح تعليق على روح من الأرواح والبخيل لا يكون منه شيء إلا بروح شيء كأن يقول: إن شفى الله مريضي فلله علي روح من مال، فإذا حصل روح الشفاء لزم الروح الناذر ذلك الروح من المال فإن وفى كما التزم فهو الروح المثنى عليه وروح الأصل في روح الآية إن الأبرار أي الأرواح المحسنة مع أرواح الحق بأرواح الصلاة وغيرها على روح الإيمان ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان: ٥] والكأس روح من أواني الشراب مملوء من أرواح الشراب والمزاج الروح المخالط والكافور هو ما ذكر الله بروح قوله ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ﴾ [الإنسان: ٦] أي: منها:

﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ فتكون أرواح منازل عباد الله فوق منازل الأبرار لأن الأبرار ليس لهم من تلك العين إلا أرواح من المزاج وعباد الله يشربون من تلك العين على روح الإطلاق بدون كأس:

﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ كالروح الكامل في الأرواح الفرقانية والأرواح المحمدية بالأرواح النورانية المتنزلة من الأرواح الرضوانية على أرواح الحب لأرواح التقريب.

فالأرواح القريبة إنما تشرب من عين الكافور روح الإشارة من روح العبارة إن الروح الذي هو عبد الله على أرواح التحقيق هو الذي شرب من راوق الشراب الروحي والفتح السبوحي ما خلص روحه من الأرواح العنصرية والأرواح الظلمانية من الأرواح الشيطانية فكان روحًا خالصا سابحا سائحا في بحار الإطلاق في أرواح الكمال وأرواح الجمال كافرا بالأرواح الشيطانية بالكلية لا يدين لها ولا يلين لأرواح خيالها فكانت له العين المطلقة من أرواح المزج مع الروح الشيطاني فيكون مع أرواح الحق تارة ومع أرواح الباطل أخرى كأصحاب الممزوج بالكافور لوجود الكفران بأرواح الشيطان في بعض الأحيان.

وعباد الله على أرواح الكفران لأرواح الشيطان في كل روح من أرواح الزمان فما كان روح النذر إلا من روح المزج من روح الشيطان ومن روح الإيمان فإن روح النذر لله من روح الإيمان به وروح تعليق الوفاء على روح فعل من روح الشيطان.

ولذلك كان النذر على روح من الكراهة فكان شراب الأبرار ممزوجا بأرواح الكافور التي فيها فيضها من أرواح الكفران بأرواح الشيطان، فإن الروح الخبيثة لا تأمر إلا بأرواح الخبث ومن أرواح الخبث التقاعد عن أرواح الوفاء بأرواح النذر وهو من أرواح العهد، فالروح النادر معاهد لله على روح الوفاء ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ [الإنسان: ٧] إكادة للروح الشيطاني ومرضاة لله تعالى ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧] والعمل على روح من أرواح العلل وكان لهذه الأرواح البارة روح المزج لأنها لم تكمل في أرواح التجريد من أرواح العلل.

=

=

وإن لم تكن على روح من أرواح الزلل وأرواح حسنات الأبرار سيئات المقربين على الروح اليقين عند أرواح المتقين للروح الشيطاني وأرواح التعلق بالفلك السفلاني من أرواح العناصر وأرواح الطبائع المعجونة بأرواح البعد من روح الإطلاق في الأرواح الجمالية الفائضة من الأرواح الذاتية على أرواح الوصلة بأرواح الخلوات والعزلة ومن أرواح النذر ما يسمى نذر لجاج كأن يقول الروح الإنساني لنـــزغ روح شيطاني إن كلمت فلان أو إن دخلت دار فلان فلله علي أن أصوم سنة أو أن أعتق رقبة.

وهذا الروح من النذر لا يلزم فيه الروح الإنساني ما التزم بل هو على روح من التخيير بين أن يفعل ما التزمه من الأرواح وبين ما يكفر به عن اليمين فهذا روح من اليسر على الأرواح الجاهلة بأرواح الأدب مع روح الشرع.

فما للروح المكلف والزيادة في أرواح التكليف وروح التكليف روح سخيف والروح الإنساني روح ضعيف ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالتكاليف الواقعة من روح الفرقان ومن الأرواح المحمدية على روح ما في الوسع لروح هذه الآية.

وما كان من روح النذر فهو من أرواح الزيادة في أرواح الواجبات من قبل روح الإنسان فلما أن كان الروح الإنساني متعديا بروح الزيادة في أرواح الواجبات أمر يوجب الوفاء عقوبة له فروح الوفاء بأرواح النذر مطلوب بالأرواح الفرقانية والأرواح المحمدية.

وفي الروح المحمدي أن روحًا من أرواح الصحابة مرض فزاره الروح المحمدي فلما عافاه الله بأرواح من القوة ورآه رسول الله ﷺ على روح من العافية قال: **أوف بنذرك** فقال: ما نذرت شيئا يا رسول الله فقال: **بلى فإنه ما من عبد مرض إلا ويحدث ربه خيرا** أي يقول في روح نفسه إذا كان لي روح من الشفاء وروح من العافية أفعل الروح الفلاني من الخير كأرواح الصلاة وأرواح الصدقات وأرواح الصيام.

يريد أن يجعل ذلك روح من الشكر على أرواح العافية لروح الحق فإن الروح المخاطب بكل روح من أرواح القربات عند أرواح البلاء بذلك جرت عادات الأرواح البشرية ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ عند أرواح البلاء باختلاف الريح وخوف الغرق لروح من الأسباب.

ومثل ذلك أرواح المرض وسائر أرواح البلاء كأن يخاف الروح الإنساني من روح ظالم أو روح قاطع لأرواح الطريق أو روح سارق أو روح مزور فكل أرواح البلاء من الأرواح التي جرت العادة أن العبد يحدث فيها ربه يخبر فلا يرجع الروح الإنساني بعد حصول الروح الإحساني بأرواح العافية

=

عن الروح الذي حدث ربه في حال البلاء بأرواح من المرض أو غيرها من أرواح الشدائد من الأرواح الفرقانية: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٥] أو المحرر المطلق من رق العبودية للأرواح البشرية.

وامرأة عمران تقربت إلى الله بتحرير ما في بطنها على أن يكون ذكر فما وضعت إلا روح أنثى لا تصلح لأرواح الخدمة فلما وقع روح الاختلاف أظهرت روحا من الاعتذار فكان روح الاعتذار أرواح كمال روح إكرام في روح مريم ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ على أرواح الإكرام فكانت روحا كاملا في أرواح القرب ومنازل الحب.

وشهد لها بذلك الروح المحمدي أنها سيدة نساء العالمين فإنها كانت على أرواح الكمال في أرواح الانقطاع إلى الله وعلى ذلك الروح الفرقاني في قولها ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦] أي فصلا عن أرواح الوساوس وهي الأرواح الشيطانية فإن من أرواح أحكام الصيام رفع روح الكلام بما لا يعني الروح الإنساني فإنه روح عبادة.

وأرواح العبادة مبنية على أرواح الحذر من الوقوع في أرواح الكدر ولا يجلب أرواح الكدر مثل روح اللسان بأرواح الكلام في أرواح البعد عن أرواح الحق.

وقد يكون الروح المراد في روح ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦] أنها لا تتكلم إلا بأرواح ذكر الله ولا يكون منها إلا أرواح مناجاة لله.

وذلك من كمال روح الصوم إما روح السكون في روح الصوم أو في روح الحج أو في غير ذلك من غير روح من أرواح ذكر فذلك روح من الكراهة فإن الأرواح العالمة قالت: يكره صمت يوم إلى الليل بدون ذكر الله وقد وقع من الصديق روح نهي لامرأة إلا حجت على روح من السكوت.

وقال في ذلك: « **الإسلام ينسخ ما قبله** » وأمر تلك المرأة بالتكلم فتكلمت وفي الأرواح المحمدية «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**» فروح اللسان ما لم يفيد فهو روح ضرر على الإنسان الروحي فإنه يضعفه.

ويكشف أسراره ويهتك أستاره بكشف أسرار الروح الإنساني فيظهر لأرواح الناس ما في باطن الإنسان مما لا يطلع عليه أرواح البشر فإن كان على روح من أرواح الكمال تطرقت إليه أرواح الحسد وإن كان على روح من أرواح النقص وقع على تلك الروح روح الإزراء وروح التحقير من أرواح العقلاء.

فإن الروح العاقل يستخف بالروح الجاهل بأرواح الكمال في أرواح الدين، وفي أرواح الدنيا فروح الكمال وروح الجمال في روح الكامل وروح المريد القابل روح ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾

٤٣- في الصحيح قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»:

قوله: «**شفاعتي**»(١): أي شفاعتي، وشفاعة الورثة من أمتي، فإن العبارة وإن كانت للنبي ﷺ؛ لكن الإشارة شاملة لوراثته أيضًا مع أن الأحاديث الصحيحة صريحة في شفاعة غيره ﷺ من خواص الأمة.

والكبائر أنواع منها: أذيَّة الورثة بالشتم، والنفي، والقتل؛ بل هي أعظم الكبائر؛ لأنها في الحقيقة أذيَّة للرسول، وهي أذيَّة لله تعالى، والله أرحم الراحمين.

قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ**﴾ [النحل:٦١].

وقد قال حضرة الشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه الأطهر في الفتوحات المكية: إنه يشفع للمنكرين له، والطاعنين فيه؛ لقوله ﷺ: «**وأحسن إلى مَن أساء إليك**»(٢)، هذا إذا مات المنكر على الإيمان، وما يدريك لعلَّه يموت على الكفر؛ لأن الله تعالى استعظم المؤذين ولعنهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [الأحزاب:٥٧].

=

على روح الإطلاق فلن أكلم اليوم إنسيا ولا بأس بأرواح الإشارة إذا كان الروح الإنساني على روح خلوة لله.

وروح تقرب إلى الله على أمر من الله ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي: أشار، وذلك بعد ما أمر ألا يكلم الناس ثلاث ليال سويا فظهر من هذا الروح أن العزلة عن كلام الأرواح البشرية روح وصل بأرواح المواهب لأنه روح.

فصل عن أرواح المكاسب فعلى مقدار أرواح الفصل من أرواح المكاسب يقع روح الوصل بأرواح المواهب فالروح الكامل والمريد القابل من كان على روح ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ آمن أرواح السيئات وأرواح الحب فلا روح في باطني لغير أرواح مرضاتك فإن روح القصد حركات السر وأرواح حركات الغلانية.

ومن كان على غير هذا الروح فهو على روح من التخليط في أرواح السلوك وأرواح الوصول إلى أرواح الحب ومنازل القرب.

(١) رواه أبو داود (٢/١٦١)، والترمذي (٤/٦٢٥).

(٢) ذكره المناوي في فبض القدير (٤/١٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/٢١١).

وقال خطابًا لموسى عليه السلام: «**هل واليت لي وليًا، وهل عاديت لي عدوًّا؟**»[(١)]، فقد أشار الحق تعالى إلى أن موالاة الوليِّ موالاة له، كما أن معاداته معادة له، والله تعالى غَيور، ذو البطش الشديد للأعداء.

وقد قال خطابًا للخليل عليه السلام: «**خِف مني يا إبراهيم؛ كما تخاف من السبع الضاري**»[(٢)]، فقد استبان منه إنه لا يفلح المنكر الطاعن أبدًا، فإنه قابل للرحمة بالغضب.

وقد قال النبي ﷺ: «**اشتدَّ غضب الله على مَن قتل نبيًا، أو قتله نبي**»[(٣)].

والطعن في حكم القتل؛ لأن عرض المؤمن كدَّمه، ولا شك عند أهل الله في كفر المنكرين؛ لأنهم استحلّوا الطعن في أولياء، وحملوا ما صدر منهم من الحقائق على الخيالات النفسانية؛ فكانوا كقريش في جعل القرآن من قبيل الأساطير، والسِّحر ونحو ذلك، وأيضًا جعلوا طاعتهم المتنوعة من قبيل المعاصي، ولا شك أن اعتقاد الطاعة معصية كفر كالعكس.

وقد قال المولى: لايكفر، وكيف يكفر أهل التأويلات الصحيحة، وقد جعلهم العلماء من أهل الدين الصحيح؟ كما ينطق به علم الكلام، فإن تأويلاتهم تأييدات للعبارات، وموافقات لها في الحقيقة، وإلا فكل حقيقة ردَّتها الشريعة؛ فهي ردٌّ؛ ولكن الحقيقة المردودة والمقبولة أي شيء هي لا يعرفها إلا الأكابر من العلماء.

وقد كان من أحوال أهل الرسوم في هذه الأعصار: أن مَن لم يعرف منهم الأحكام والشرائع؛ يطعن في المعارف والحقائق، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ولا يُذلُّ إلا مَن عادى الله ورسوله، والورثة من أمته[(٤)].

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٤/٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/٣١٧).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/٣٣)، والبيهقي في الزهد الكبير (٢/١٠٦) بنحوه.

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦/١٩٧)، والديلمي في الفردوس (١/٢١٧) بنحوه.

(٤) بيانٌ في ضرر معاداتهم والوقيعة فيهم والإنكار عليهم، وعلاج ذلك: قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا**﴾ [الأحزاب:٥٨].
قال مجاهد: يقعون فيهم، ويرمونهم بغير جُرمٍ، ﴿**فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾.

=

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]: أي كفّار الحقائق، نسأل الله أن يرحمنا بالاعتقاد الصحيح والثبات عليه.

٤٤- في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به»[1]:

أسند الحق سبحانه الجزاء إلى نفسه مع أنه المجازي لكل عمل؛ لزيادة العناية

=

ورُوي عن نبيِّنا ﷺ أنه قال: «**المؤمنُ أفضلُ من الكعبةِ، والمؤمن طيِّبٌ طاهرٌ، والمؤمنُ أكرمُ على الله تعالى من الملائكة**».

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: مَنْ عادى لِي وليًّا فقد آذنته بالحرب: أي أعلمته أنّي محاربٌ له، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذني (روي بالنون والباء) لأُعيذنَّه، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدَّ منه» رواه البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوتٍ رفيعٍ فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيِّروهم: أي لا تعيِّبوهم يعني: لا تنسبوهم إلى عيبٍ، ولا تَصفوهم بعيبٍ، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «**لما عَرَجَ بي ربِّي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يُخمِّشون وجوههم وصدورهم. فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم**» رواه أبو داود.

وفي الحديث الطويل لأنس ﷺ قال ﷺ: «إنَّ الله شرَّف الكعبة وعظَّمها، ولو أنَّ عبدًا هدمها حجرًا حجرًا ثم أحرقها ما بلغ جُرم مَنْ استخفَّ بوليٍّ من أولياء الله تعالى. قال الأعرابي: ومَنْ أولياء الله تعالى؟ قال: المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى.

أما سمعت قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

(١) رواه البخاري (٦/٢٧٢٣)، ومسلم (٢/٨٠٧).

بالصوم؛ لأنه صفة صمدانية، وقد تخلّق بها الملائكة جميعًا، وكذا بعض البشر؛ كإدريس عليه السلام؛ فإنه لم يأكل، ولم يشرب، ولم ينم ستة عشر عامًا حتى رفعه الله مكانًا عليًّا، وعلوّه بحسب قطبية للأمكنة العُلوية والسفلية، فإن الرابع مقر الشمس ومدارها.

ومنه يعرف قطبية إدريس إلى هذا الآن؛ لأنه حيٌّ باقٍ، وأقطاب كل عصر إنما هم نوابه، وأيضًا قطبية الصوم بالنسبة إلى سائر الأخلاق، فإنه لتحسين الأخلاق؛ فهو مدار الأخلاق كلها، فإذا تمّ التحقق به، وكَمُل؛ كان مبيت الصائم عند الله تعالى، فلا يفطر إلا على علوم لَدنية.

وقد وصل حضرة الشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه الأطهر، وهو في درباء المغرب إلى تسعة أشهر.

وأمَّا عقال المغربي فمكث في مكة المكرَّمة أربعة أعوام لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات عليه؛ لانسلاخه عن حال الطبيعة، وأمر البشرية بالكلية، ومنه يعلم أن مُثلَّثه لا يحتاج إلى بدل ما يتحلّل؛ لأن عروقه مملوؤه بالأنوار، والنور يفعل لصاحبه من القوة ما لا يفعله الدم.

وربما يعود الصائم إلى صورة الطبيعة؛ كحال النبي ﷺ، ومَن يُتابعه في هذا المعنى لكنه مُفطر صورة، وصائم معنىً؛ لأنه دائم في صلاته، وإنما يترقّى من طبقة إلى طبقة كما دلّ عليه قوله ﷺ: «**أرحنا بلال**»[1]؛ فإنه أراد الإراحة بالصلاة والدخول فيها.

واعلم أن تقليل الغذاء في حكم الصوم أيضًا؛ لأن قدر ما يقوم به البدن لا يُعدُّ من التنعُّم؛ ولذا يُوصي به الحكماء الإلهية في كل عصر، ومَن لم يهتدِ إليه بقى في تيه طبيعته، حائرًا عن السداد، ومَن لم يَهدِ الله ما له من هاد، فأرباب الشريعة لهم أكلتان؛ لغلبة جسمانيتهم على روحانيتهم، وأرباب الحقيقة لهم أكلة واحدة في يوم وليلة؛ لغلبة روحانيتهم على جسمانيتهم.

(١) تقدم تخريجه.

ثم اعلم أنه أخذ من الحديث القدسي المذكور: إن الصوم له تعالى دون غيره من الأعمال؛ بل هي لنفس العامل؛ ولذا كان تعالى بنفسه جزاء للصائم، فإن قلت: قد ورد في المخاطبات موسى عليه السلام: إن الصلاة ونحوها إنما هي للعامل نفسه.

وأمَّا ما كان لله تعالى؛ فهو موالاة أوليائه، ومعادة أعدائه، فما التوافيق بينهما؟ قلت: إن الصوم عمل مخصوص لله تعالى واقع بينه وبين العبد، والموالاة والصلاة المذكورة، قلت: عمل مخصوص لله تعالى واقع بين العباد.

فالصائم: عمل لله تعالى فيما بينه وبينه، والموالي: عمل فيما بينه وبين غيره من العباد، فكل منهما مخصوص له تعالى في مرتبة، وفيه إشارة إلى فضيلة الموالاة والمعاداة المذكورتين؛ كفضيلة الصوم، وهذا لا ينافي أن يشهد المكاشف في كل مشهد أسماء الله تعالى وشئونه، فإن العبرة في الحقيقة للمتعيِّن لا للتعيُّن.

فلا ولي إلا لله، ولا عدو إلا ما سوى الله، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٧].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[الأنعام:٩١]: أي الأسماء، والتعيُّنات، وتعلُّق بالذات المسمَّاة بها فإنها هي الأحرى بذلك.

٤٥- **في الحديث** كما في الروضة لابن الخطيب: «**يعجب ربكم من شاب ليس له صبوة ظاهره**»(١):

إن الصبوة، والميل إلى الهوى، والجهل: من شأن الشاب؛ لاستيلاء قواه البشرية على القلب، وزيادة حرارته الغريزية، فإذا ترك ذلك؛ كان محلّ التعجب بالنسبة على الخلق، والتعجب بالنظر إلى الحق تعالى.

فإن التعجُّب في الأصل: صفة نفسانية يُمتنع اتِّصاف الحق تعالى بها، ويمكن أن يحمل على معنى الرضا ونحوه على ما هو شأن مثلها، وباطنه إن زمان الشباب زمان العشق والمحبة، ومن المعلوم إن المجاز قنطرة الحقيقة، فإذا فات الصبوة والميل إلى العشق عن الشباب؛ دلَّ ذلك على نقصانه في استعداده، إذ حركة الباطن مما يُنبئ عن

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/٢٥٠)،وذكره العجلوني في كشف الخفا (٥٢٨/٢).

صلاح النشأة، واستقامة المزاج، حتى أن أهل بعض الديار كانوا يُجربون الصبيان بالملاهي، فإن أظهروا النشاط؛ دلّ ذلك على استعدادهم لِما طلب هو له؛ كالسلطنة، ففيه مدح للصبوة، وذمٌّ لعدمها.

والصبوة هاهنا: الصبوة المقبولة؛ وهي الميل عمَّا سوى الله تعالى إلى الله تعالى، وهي صبوة أرباب الحقائق، وهي عين الإيمان الحقيقي، ومَن لم يذق من طعم هذه الصبوة، ولو شيئًا قليلاً؛ لم يذق لذّة حقيقية أصلاً، فكان حيوانًا في صورة الإنسان؛ بل أضلُّ منه، فإن بعض الحيوان؛ كالأبل لها ميل إلى حد: أي لعرب وسكرة من ذلك حتى أنها تقطع بذلك مسافة ثلاثة أيام في يومٍ واحد.

وفي الكلمات المولوية: الصبوة إيماني: أي الإيمان الحقيقي؛ هو الميل من الزُّهد إلى العشق، ومن الحجاب إلى الكشف؛ فإن الإيمان ما لم يكن عيانيًا؛ فصاحبه مؤمن من وراء الحجاب، وأين هو من العيان؟ وهو عند صاحب الزُّهد مذموم؛ لأنه يقول للعاشق: قد صبا هذا، ومال من السُّنة إلى الإلحاد.

وفي الكلمات الأكبرية: جننًا مثل مجنون بليلى: أي ابتلينا بالجنون الحقيقي، كما ابتلى المجنون بالجنون المجازي حتى أدَّاه ذلك إلى الابتلاء بالجنون الحقيقي حتى ابتلى بليلى الحقيقة، وتجاوز عن الميل إلى ليلى المجازية(١).

---

(١) فائدة: أثبت الشيخ الجيلي قُدِّس سرّه في كتاب «الإنسان الكامل»: «للإرادة تسعة مظاهر الأول: هو الميل أيِّ: انجذاب القلب إلى المطلوب.

والثاني: الولع وهو إذا قوّى ودام ذلك الميل.

والثالث: الصبابة وهي إذا اشتدَّ الميل، وأخذ القلب في الاسترسال فيمن يحب.

والرابع: الشغف وهو إذا تفرغ القلب للحبيب بالكلية، وتمكن ذلك منه.

والخامس: الهوى وهو إذا استحكم الحب في الفؤاد.

والسادس: الغرام وهو إذا استولى حُكم الحب على الجسد.

والسابع: الحب وهو إذا نما وزادت العللّ المقتضية للميل.

والثامن: الود وهو إذا هاج إلى أن ينفى المحب عن نفسه.

والتاسع: العشق وهو إذا طفح حتى أفنى المحب والمحبوب».

وقال الشيخ المذكور في هذا المقام: «يرى العاشق المعشوق فلا يعرفه، ولا يصغي إليه، كما رُوي عن =

فإن المشهور عند أهل الله أن قيس بن عامر مجنون حقيقي في الميل، فانظر إلى لطافة العشق مطلقًا.

قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، فالقلب ميت لا يحيى إلا بفيض العشق، ومن المقرَّر عند أرباب الحقائق: إن عالم الوجود عبارة عن: الحسن والعشق؛ فالحسن صفة المعشوق الحقيقي، والعشق صفة العاشق الحقيقي.

وأمَّا الحسن الصوري فمن آثار الحسن المعنوي الكمال الساري في جميع الأشياء، فالعاشق لا ينظر إلى صفات الحسن؛ وهي المظاهر الخَلقية؛ بل ينظر إلى حسن الصفات؛ وهو الظاهر الحقّي في كل شيء من الأشياء؛ لأن الأشياء الممكنة مَراء لحسن الذات القديمة، فمَن أراد التجلّي، وشهود الحسن؛ فلينظر إلى الأشياء، ثم أن ترقى إلى التجريد؛ دخل في عالم الأنفس، وأن ترقى إلى التفريد؛ خلُص عن التعيِّنات، وقيودها بالكلية، ولا غاية وراءه، والله المستعان.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام:٩١].

إنما أمر تعالى بتركهم مع أهم مظاهر الأسماء، ومن شأن العارف النظر في كل شيء إلى الحق؛ لأنهم نظروا إلى النبي ﷺ بنظر البشرية، و لم يعرفوا إنه الحق في صورة الخلق؛ فعوملوا معاملة الأجنبي؛ وهي الترك، ولو إنهم أعطوا للنظر حقه؛ لكانوا من المكاشفين.

والمكاشف لا يهجر المكاشف؛ لأنه مرآته، فكما أن الله تعالى تركهم في احتجابهم؛ فكذا النبي؛ لأنه صورة الحق تعالى، فانظر إن الله تعالى واصل إلى الخلق، والخلق محجوبون عنه؛ فكذا مَن هو مظهره تعالى في أسمائه؟ فعلم إن المعلوم لا

مجنون ليلى أنها مرت عليه ذات يوم فدعته إليها لتحدثه، فقال: دعيني فإني مشغول بليلى عنك».
ثم قال: «وهذا آخر مقامات القرب والوصول فيها ينكر العارف معروفه، فلا يبقى عارف ولا معروف ولا عاشق ومعشوق، فلا يبقى إلا العشق فقط،، فهو الذات الصرف الذي لا اسم ولا رسم ولا وصف ولا نعت له فيظهر بالصورتين، ويوصف بالوصفين فتارة عاشق، وتارة معشوق» انتهى ملخصًا.

يُجهل، وإن المجهول لا يُعلم فاعرف.

ومعنى ثم ههنا: التوقف في الترك؛ لأنهم إمَّا على الإدبار، وإمَّا على الوقوف، وإمَّا على الإقبال، فكل من المدبِّر والواقف مردود، وكل من أهل الحركة والإقبال مقبول؛ لأن الحركة غايتها السكون، وليس السكون إلا عند الوصول، فبعض السكون ليس بشيء؛ كالسكون قبل الحركة؛ لأن فيه الفراق، ولذا قال تعالى حكاية: ﴿وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، إذ لا شك أن الرجوع لا يمكن إلا بالحركة.

وأمَّا السكون بعد الحركة: فسكون مقبول؛ ولذا قالوا: الصوفي مَن لا مذهب له؛ يعني: إن الصوفي الواصل لا مذهب له، فإنه أين يذهب، وهو عنده تعالى؟.

وأمَّا السير في الله: فلا نهاية له؛ لأنه تعالى متجلٍّ في كل آن، وقدير مطلق، فلا غاية لشؤونه، وهو الواسع العليم، جعلنا الله وإياكم ممَن لا ينفد شرابه، ولا ينقطع خطابه آمين.

قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر:٤٦].

يعني: إذا دخل السالك جنة القلب، ووصل على نهاية درجاتها؛ سلَم من آفات الظنون والشكوك؛ لأنها مرتبة عين اليقين، وحق اليقين، ولا غاية وراءها، فكلٌّ يرتقي بقدر حاله؛ ولذا يُقال للقارئ: اقرأ وارق إلى حيث ينتهي قراءتك.

فالقارئ الحقيقي هو: المتخلِّق بأخلاق القرآن، والمتحقِّق بحقائقه كما كان حال النبي ﷺ، فكما أنه لا نهاية لحقائق القرآن؛ فكذا لا نهاية لدرجات السير في الله.

وأمَّا درجات الجنان الصورية فمحصورة كسور القرآن اللفظي، وآياته، وكلماته وحروفه؛ وإنما قلنا: ووصل إلى نهاية درجاتها؛ لأنه ليس في كل يقين سلامة؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]: أي اليقين المطلق الذي هو غاية اليقين، ولا تحصل إلا في نهاية الاطمئنان.

فرُبَّ سالكٍ مردودٍ إلى ورائه في بداية المطمئنة؛ بل في وسطها أيضًا؛ لأن البداية والوسط من مظان الاضطراب والتلوين، وهذا: أي التلوين لا يُمدح إلا بعد التمكين؛ لأنه تلوين التجلِّي لا تلوين الاستتار، فمَن ادَّعى النهاية؛ فبرهانه وجود

الصفاء على كل حال، وأين هو من غير الكامل المكمِّل؟ وإذا عرفت هذا؛ فلا تقنع بقليل الكشف واليقين، فإنه قد يكون مسلوبًا، كما وقع لكثير من السُّلَّاك حيث رجعوا قهقري، واحتجبوا عن الحق احتجابًا كثيفًا؛ وهو احتجاب الرحمة بالرأي لا الرحمة.

٤٦- **في صحيح البخاري**: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى أهل المدينة ما تأرز الحيَّة إلى جحرها**»(١):

الأروز كالدخول بتقديم المهملة، الانقباض، والتَّجمع، والانضمام، والجُحر بالضم، وتقديم الجيم؛ كل شيء يحتفره الهوام والسباع لأنفسها؛ والمراد هنا ما يُعبَّر عنه بالفارسية: سوراخ.

اعلم أن المدينة هو: النبي ﷺ كما قال: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»(٢)، وإيمان الناس ينضم إليه، والوفى أواخر أوقاتهم، وحين احتضارهم، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ [النساء:١٥٩].

وقد شُبِّه الإيمان الاضطراري بدخول الحيَّة في جُحرها دخولها فيه لا يخلو عن سبب ضروري، وشدة، وضيق، فالنفس الإنسانية أشدُّ من الحيَّة في الضرر، والاعوجاج، وإنما تستقيم وقت المعاينة للأحوال الأخروية، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها.

فالمراد بالإيمان: إيمان النفس، ودخولها في مقام القلب الذي لا يُقتضي إلا بالتصديق؛ فإنه مدينة العلم في الحقيقة؛ ولذا ورد: «**استفت قلبك**»(٣)، وهو المُظهر للاسم العليم؛ كالمغني.

وفيه إشارة أخرى وهي: إن عليًّا كرَّم الله وجهه لمَّا كان باب مدينة العلم، والباب يُعدُّ من المدينة، ومن البيت؛ كانت الطرق المتفرِّقة الحقة، موصِّلة إليه، فليس طريق من الطرق الحقة إلا وسلوكها إلى ما كان عليه المرتضى من الاعتقاد، والعمل، والحقيقة.

---

(١) رواه البخاري (٢/٦٦٣)، وابن ماجه (٢/١٠٣٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٣٧)، والديلمي في الفردوس (١/٤٤).

(٣) تقدم تخريجه.

ولذا كان هو ﷺ أبا هذه الأمة، فقامت الأمة، وأخيارهم به؛ كما قام الولد بالأب.

ولِما في النفس شدة الشكيمة، ومشيها على الطريق الحقة صعبًا، ودخولها في الرياضات، والمجاهدات في الخلوات؛ كدخول الحيَّة في جُحرها؛ أفصح عن حالها بذلك.

وفيه إشارة إلى أن البدعة مردودة، وإن أهل البدعة ليس لهم أن ينتموا إلى المرتضى ﷺ؛ لأن الله تعالى ارتضاه لما إنه لم يكن فيه إلا السنة.

ولذا كان وارث النبوي، وخَليفة الله في العالم، إمَّا في زمان تعيُّنه الخارجي، فبوجوده الظاهري والباطني، وإمَّا بعد انتقاله فبروحانيته؛ لكن لمَّا كان الحكم للظاهر؛ كان وزيرًا للمهدي الذي هو من أولاده، ولا ضَير فإن الوزير في حكم السلطان ظهورًا؛ فهو والسلطان سواء في الحكم.

وإنما لم يقل: إن التوحيد ليأرز إلى المدينة لما أن أدنى المراتب في هذا الباب: هو الإيمان والتصديق؛ وهو من شأن العامة.

وأمَّا التوحيد: وهو رؤية الموحِّد في الأنفس والآفاق متجليًّا على سرٍّ من الأسرار، ونور من الأنوار، ودائرًا مع اسم من الأسماء، وكذا التجريد الذي هو انقطاع الملاحظة من الآفاق، وكذا التفريد الذي هو استقطاعها من الأنفس أيضًا؛ فإنما يحصل لأهل الإحسان، وذلك بعد مرتبة الإيمان: أي الإحسان خصوص مرتبة في الإيمان.

فكل مؤمن ليس بموحِّد توحيدًا حقيقيًا أفعاليًا أو صفاتيًا أو ذاتيًا؛ إذ المشرك بالشرك الخفي مؤمن، وليس بموحِّد، وأين أهل الشرك من التوحيد؟ ولذا أن نقول أيضًا: إن الإيمان إنما يُوحَّد بمتابعة شرع من الشرائع، ودخول النفس في السلم؛ وهي صعبة جد الاعتياد النفس بالاسترسال والإطلاق.

وأمَّا التوحيد: فصفة القلب من حيث نفسه؛ ولذا لا يبقى موحِّد في النار، فعليك بالتوحيد، ومراعاة الأصول، وعليك بالإيمان أيضًا إن أردت أن تكون من أهل الوصول، فإن الطريق هو طريق المتابعة.

قال الله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وفيها قطع النفس عن المألوف.

٤٧- **في حديث مسلم**: قال رسول الله ﷺ: «**إن الكافر**»:

أي: الساتر لنعمة الوجود، وما يتصل بها بالجحود والكفران.

قوله ﷺ: «**إذا عمل حسنة من الحسنات**»؛ أيّة حسنة كانت من صلة الرحم، وقرى الضيف، وإكرام اليتيم، وإماطة الأذى من الطريق ونحو ذلك.

قوله ﷺ: «**أطعم بها طُعمة في الدنيا**»[1]، إذ لا خلاق في الآخرة، والله تعالى كما هو عدل؛ كذلك هو مُفضّل، فمن كونه مفضّلاً ورحمانًا على عباده، كلهم يفيض على الكافر أيضًا أجور حسناته، ولو كانت تلك الحسان قليلة كما ينبئ عنه الأفراد، والتنكير في حسنة إذ ليس من شأنه تكثير الحسنات؛ إذ الإيمان له بالله، وباليوم الآخر كما ينبغي.

وكذا الحال في إفراد طُعمة بالضم وتنكيرها؛ لأن أجور الدنيا في جنب أجور الآخرة مما لا قدر له أصلاً.

وفي قوله: (**أُطعم**): على بناء المجهول؛ تحقير لشأنه من حيث إنه كافر.

وقوله ﷺ: «**وأمّا المؤمن فإن الله تعالى يدَّخر له حسناته في الآخرة**»[2]، في إسناد الادِّخار إلى الله تعالى حيث لم يقل: فإنه يدخل له على المجهول تعظيم لشأن المؤمن من حيث إنه مؤمن، وفي الحسنات دون الحسنة، كما في خلافه، إشارة إلى أن شأن المؤمن تكثير الحسنات، فإنه بحسب الأسماء الإلهية يُجرى، فله في مقابلة كل اسم خلق وفعل يعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته، يعني: كما أن له أجرًا عظيمًا في الآخرة بحسب صدقه وإخلاصه؛ فله في الدنيا أجرًا أيضًا على طاعته وعبادته.

خُصص الرزق بالذكر؛ لأن أكثر ما يهتم به الإنسان هو الرزق، وفيه إشارة إلى الرزق المعنوي أيضًا؛ لأن الحسنات أعمال صالحة، ومَن عمل بما علم؛ ورّثه الله علم ما لم يعلم، فله رزق ظاهر وباطن جميعًا؛ لأن الله تعالى عنده ثواب الدنيا والآخرة، ونعيم الصورة والمعنى.

---

(١) رواه مسلم (٢١٦٢/٤)، والطبراني في الأوسط (١٨٩/٣).

(٢) تقدم تخريجه.

وفي الحديث إشارة إلى أن الفرق بين الزاهد والعاشق: إن الزاهد وإن كثر حسناته فلا يترقّى عن مقام الطبيعة، والنعيم الحسِّي، وأمَّا العاشق فله النعيم الحسِّي بحسب عمله الحسِّي، وله النعيم الروحاني بحسب حاله المعنوي؛ ولكن رزقه في الآخرة أكثر من رزقه في الدنيا صورةً ومعنى، إمَّا صورة، وإمَّا معنى.

فإن الإنسان في الترقِّي دائمًا، فما حصل له عند الاحتضار أكثر مما حصل له قبل ذلك، وكذا ما حصل له في البرزخ أكثر مما قبله، وقِس على ذلك ما حصل في المحشر، وفي الجنة، وفي مقام الكثيب؛ ولذا قالوا: الشوق دائم، والنقصان لا يزول.

وهذا مشرب مَن ليس له ري أبدًا، فإن كماله حقيقي بالنسبة إلى كمال مَن دونه، وإضافي بالنسبة إلى أن السير في الله لا ينقطع أبدًا، فالأمر إذًا لم يكن له انتهاء؛ فالسالك في السير أبدًا، وهذا لأن الله تعالى غير متناهٍ بذاته، وأسمائه، وصفاته، وتجليَّاته، وهو الواسع، فكيف الوصول إليه حتى ينقطع السير؟

وقد قال تعالى: ﴿**فَاعلم أنهُ لاَ إِلَهَ إلاّ اللّهُ**﴾ [محمد:١٩].

فجعل الأُلوهية منتهى العلم إذ ما وراءها حيرة وبهت؛ ولكن الأمر لَمَّا كان بسيطًا؛ كان السير بسيطًا، فالإنسان على السفر دائمًا، ومَن استوى يوماه؛ فهو مغبون، وليس الاستواء إلا بالوقفة، أو بعدم المحرك من العشق والانجذاب ونحوهما.

ولذا فُضِّل العمل الروحاني على الجسماني بأضعاف، فأين العابدون من العاشقين؟ وأين العاشقون من الواصلين؟ وأين الواصلون من الحاصلين؟

فاجتهد أن تكون من أهل المكاشفة، ثم من أهل المشاهدة، ثم من أهل المعاينة، فأول الأمر الطلب، ثم السير، ثم الوصول والفناء، ثم الحصول والبقاء، فمَن بقى مع الله؛ فله بقاء بقاء الله، فاعرف(١).

---

(١) قال الشيخ أبو المواهب الشاذلي: قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه: ٧٣].

قاعدة: البقاء مقام يملك حقيقة الشهود على بساط الأدب مع الشهود.

فائدة: بقاء البقاء أكمل من البقا، وصاحبه هادٍ مهتدٍ بكمال التُّقى.

قاعدة: متى وجدَ البقاء وجِد الصحو، وإذا ذهب جاء السكرُ لصاحب المحو.

فائدة: الباقي فاني، وليس كل فانٍ باقي.

=

قال الله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

قال القاضي في تفسيره: فإذا قاله العارف الواصل عني بقوله: اهدنا، أرشدنا إلى طريق السير فيك؛ لتمحو عنا ظلمات أحوالنا، وغواشي أبداننا؛ فنستضيء بنور قدسك؛ فنراك بنورك، انتهى.

وهذا خطأ عند مَن له ذوق من علوم الأذواق، ومشرب من مشارب السلوك،

=

قاعدة: مقام البقاء جامع حيطة الجمع، ونقاء البقاء جامع حيطة جمع الجمع.

فائدة: الجمع غير الجمعية؛ الجمع شهود وحدانية النور، والجمعية غيبة مع الحضور.

فالجمعية غيبة عن الخلق مع الحضور بالحق، والجمع شهود الحق بلا خلقٍ، فمقام الجمعية أكمل من مقام الجمع.

قاعدة: القيام بحقيقة الجمع دون الشريعة زندقة، والقيام بمقام الفرق دون الجمع تفرقة.

فائدة: الحقيقة خفيّ الباطن، والباطن جليّ الظاهر؛ لهذا كان في المصطلح: الباطن حقيقة، والظاهر شريعة.

قاعدة: لا يصلح مقام البقاء إلا بعد فناء الفناء.

فائدة: في مقام البقاء يعطي المولى التمكين، وفي مقام بقاء البقاء ينصرف بالتمكين في التلوين.

قاعدة: وصف البقاء للباقي يختلف بحسب ما تقدم من الفناء؛ لذلك اختلفت المقامات، وتباينت الحالات.

فائدة: من الرجال من لا يجد البقاء، إلا بعد الفناء وهذا هو الأكثر، ومنهم من يجد البقاء لأول وهلة رقيقة يجدها أهل الخصوصية من حقيقة الأنبياء، وهؤلاء هم الكُمَّل الورثة.

قاعدة: البقاء يقتضي وجود الفناء بعدم أوصاف البشرية التي يجب التقديس منها، والبُعد عنها.

فائدة: البقاء مرآة التجلّي، كما أن الفناء بساط التخلّي، كما أن الباقي على منصة التحلّي.

قاعدة: بقاء القديم غير بقاء الحادث، وإن حصل للسالك طريقة؛ فهو مجاز حقيقة.

فائدة: لا يحصل رفع البقاء إلا بخفض الفناء، فقم في باب نصب البدل، واترك حروف العلل تبلغ ما أملته من الأمل.

قاعدة: وصف البقاء في الأنبياء عصمة وهداية، وفي الأولياء حفظ ورعاية، وكل من حصل له وصف البقاء أمن من الشقاء.

فائدة: الراقي درجة الفناء يشاهد أول مقام البقاء، ويبشر هناك في بدايته بما سيكون له في نهايته؛ لأنها أول خلع القبول في مقام الوصول.

وذلك لأن السير إمَّا سير إلى الله؛ وهو بالفناء التام في عين الجمع، وليس لصاحبه عين، ولا أثر لا من الهيئات المظلمة السابقة على فتح باب القلب، ولا من التلوينات التي تظهر في الهيئات النورانية المتأخِّرة عنه؛ وهما الذنب المتقدِّم، والمتأخِّر في قوله تعالى: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح:٢].

فإنه عند الاستغراق، وظهور النور الأحدي الذي هو أصل الأنوار كلها؛ لا يبقى ظلمة، ولا تلوين أصلاً؛ بل كلاهما مستور مغفور بذلك النور الأحدي الذاتي في مقام السرِّ.

وإمَّا سير في الله وهو: كشف مقام الفرق بعد الجمع، والتعقيد بعد التحليل، واللذَّة الدائمة التي أشار إليها قوله ﷺ: «**وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك الكريم أبدًا دائمًا سرمدًا، وقاب قوسين أو أدنى**»[1]؛ وهو الذات البرزخية التي تجمع بين الصفات كلها، ولصاحبه البقاء بالله في ذاته ونعوته.

قالوا: أحب في العبارة أن يقال، فإذا قاله العارف الغير الواصل عني بقوله: أرشدنا إلى كمال السير إليك؛ ليستضيء بنور قُدسك، وإذا قاله الواصل عني بقوله: أرشدنا إلى طريق السير فيك؛ لنفوز بمقام جمع الجمع الذي لا مستقر للكُمَّل دونه؛ إذ ليس دونه حجاب؛ بل هو رؤية الحق في الخلق، ورؤية الخلق في الحق، وهو سرُّ قوله: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ [الشرح:١].

فالعارف[2] إذا عرف الله تعالى حق المعرفة؛ كان من الواصلين، والواصل مستضيء بنور القدس، فكيف يكون له ظلمة؟ بل هو ظل الوجود الحقيقي؛ بل هو

---

(١) رواه النسائي (٣٨٧/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٢٩٢/٤).

(٢) قال سيدي علي وفا: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، يا مولاي، يا واحد، يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم.

عين الوجود الحقيقي، فالوصول والظلمة لا يجتمعان أبدًا، كما أن الحجاب والنور لا يجتمعان أبدًا، نعم إن الحجاب إذا كان حجاب رحمة بالمهملة لا حجاب زحمة بالمعجمة؛ فإن صاحبه على نور من ربه، وكشف: أي كشف، وهو كشف حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة حتى يظهر الكثرات في عين الوحدة، وهو أن تجمع ما له تعالى عليه، وما لك أيضًا عليه.

وترد الكل إليه فما في الكون إلا أسماؤه ونعوته، وبه يظهر قوله: «**فبي يسمع وبي يبصر**»[1].

فإذًا جميع النعوت له تعالى، فلست أنت أنت، وهو هو؛ بل هو أنت، وليس في البين أنت؛ إذ العين واحدة في الحقيقة، والله هو الوكيل، وهو الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، كما أن الشمس هي المضيئة في السفر، وكذا هي الخليفة في إضاءة الأهل في البيت، والحضر، فليس لنورها غيبوبة أصلاً، فانظر ماذا ترى؛ فإنها مثال أجلى، وبالنظر أجرى.

ورد: «**والنظر في الأولى والأخرى؛ فإنك عند سِدرة المنتهى، وأنت عند قاب قوسين أو أدنى**»[2].

فإذا أرددت النظر وكررت؛ وجدت في كل نظر لذّة؛ لأنه جديد، ولكل جديد لذّة، ولا تكرر في الوجود أصلاً؛ ولذا قيل للملوين الجديدان مع تكررهما، فالصورة واحدة، والمعنى متعدد.

قال تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة:٢٥]؛ يعني: إن التشابه لا ينافي الاختلاف في اللذّة، والله واسع عليم لا ضيق عنده في تجلّياته؛ ولذا وردت: «**زدني علمًا**»[3]: أي حيرة فيك، إذ في كل حيرة تلوين مقبول، وفي كل تلوين تمكين سرّي سَرى، فلك في كل نَفس من الأنفاس تلوين وتمكين على أنه لا سكون في العالم؛ بل الأمر حركة دائمة، فاسعوا؛ فإن في الحركات البركات، والله واهب العطيّات.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٢/٢٣٦).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

في الأعراف: قال الله ﷻ: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا**﴾ [الأعراف:٢٦].

اعلم أن هاهنا ستة ألبسة؛ اثنان منهما من ظاهر الدنيا، واثنان من ظاهر الدين، واثنان من باطن الدين.

أمَّا اللذانِ هما من ظاهر الدنيا: فلباس الضرورة الذي يستر السوءة.

ولباس الزينة الذي هو الريش.

وفي الزينة أيضًا غرض صحيح لقوله تعالى: لتركبوها وزينة، وفي التنـــزيل أيضًا: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**﴾ [الأعراف:٣٢]، ومن الزينة اللحية، كما ورد من تسابيح الملائكة أهم قالوا: (**سبحان مَن زيَّن الرجال باللحي، وزيَّن النساء بالذوائب**).

فإن كانت: أي اللحية مع توقيرها معتدلة بالوجه؛ تُترك على حالها، ولا يُؤخذ منها شيء، وإن كانت غير معتدلة؛ يُقصُّ ما دون القبضة من الذقن حتى تعتدلا، فإن الزينة في الاعتدال، فلا اعتبار بقول مَن ذهب إلى وجوب توقيرها، وبقول مَن قال بوجوب قَصِّها؛ فإنه لا معنى للإفراط والتفريط، وقد كان ﷺ يأخذ من طول لحيته لا من عرضها.

وأمَّا اللذان هما من ظاهر الدين: فلباس التقوى من محارم الله تعالى على سبيل الوجوب.

ولباس مكارم الأخلاق من العفو الصفح، والإصلاح ونحو ذلك على سبيل الندب؛ فإنه لا بد للمؤمن من هذين اللباسين في الدين.

وأمَّا اللذان هما من باطن الدين؛ فالأول منها: الخرقة المعروفة التي يلبسها الفقراء السالكون من أيدي المشايخ.

وقد صحَّ أن الشيخ الشبلي(١) ونحوه قَدَّس الله أسرارهم لبسوها وألبسوها،

(١) هو شيخ الطائفة أبو بكر الشبلي البغدادي قيل: اسمه دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جعفر بن دلف. أصله من الشبلية قرية، ومولده بسامراء، وكان أبوه من كبار حجاب الخلافة، وكان خاله أمير الأمراء بالإسكندرية، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عزل أبو =

=

أحمد من ولاية حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين، فتاب، ثم صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار، وكان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وكَتَب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم، وحال وتمكن، وكان يحصل له استغراق وسُكْر.

من كلامه:

كان يقول: خلف أبي ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء.

وقال الشبلي: العارف سيار إلى الله عز وجل تعالى، غير واقف.

وسُئل أي شيءٍ أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه.

وكان الشبلي ينوح يومًا ويقول: مكر بك في إحسانه، فتناسيت، وأمهلك في غيك فتماديت، وأسقطك من عينه، فما دريت ولا باليت.

وقال: ليت شعري ما اسمي عندك غدًا يا علاّم الغيوب، وما أنت صانع في ذنوبي، يا غفّار الذنوب، وبم تختم عملي، يا مقلب القلوب؟.

وكان الشبلي يقول في جوف الليل: قرة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك؟ ثم يصرخ ويبكي.

وقال الشبلي: لاتأمنن على نفسك، وإن مشيت على الماء، حتى تخرج من دار الغرة إلى دار الأمل.

وقال الشبلي: إذا وجدت قلبك مع الله، فاحذر من نفسك، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

وقال أحمد الحلقاني: سمعت الشبلي يقول: من عرف الله عز وجل لايكون له غمّ.

وقال: أحبك الخلق لنعمائك، وأنا أحبك لبلائك.

وكان الشبلي يقول: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها، فانظر إلى مزبلة، فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك، فخذ كفًا من تراب، فإنك منه خلقت، وفيه تعود، ومنه تخرج، وإذا أردت أن تنظر ما أنت، فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء؟ فمن كان حاله كذلك، فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبّر على من هو مثله.

وعن الحسين بن أحمد الهروي قال: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: ليس للأعمى من رؤية الجوهرة إلا مسّها، وليس للجاهل من الله إلا ذكره باللسان.

وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي ما الذي رأيت منه يعني عند وفاته؟ فقال: قال لي: علي درهم مظلمة، تصدقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضئني للصلاة، ففعلت، فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك علي لسانه، فقبض على يدي وأدخلها

=

وإن بعض الواصلين إلى مرتبة الخلافة قد لبسها من يدِ الخضر عليه السلام، فلا اعتبار بقول المحدثين: من أن لبس الخرق من أيدي المشايخ مما لا أصل له في الشرع على أن نقول: إن ما فعله النبي ﷺ من إلقاء ردائه على كعب بن زهير حين أنشد قصيدته يكفي دليلاً في باب العمل[1].

والثاني منها: القلب الذي يشتمل على سرِّ الله الأعظم كما قال تعالى:

= في لحيته، ثم مات، فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة.

وعن بكير صاحب الشبلي قال: وجد الشبلي في يوم جمعة خفة من وجع كان به، فقال: تنشط تمضي إلى الجامع، قلت: نعم، فاتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الوراقين من الجانب الشرقي، قال: فتلقانا رجل جاء من الرصافة، فقال بكير قلت: لبيك قال: غدًا يكون لنا مع هذا الشيخ شأن، ثم مضينا فصلينا، ثم عدنا، فتناول شيئًا من الغداء، فلما كان الليل، مات رحمه الله فقيل لي: في درب السقائين رجل شيخ صالح، يُغَسِّل الموتى، فدلوني عليه في سحر ذلك اليوم، فنقرت الباب خفيًا، فقلت: سلام عليكم فقال: مات الشبلي؟ قلت: نعم، فخرج إلي فإذا به الشيخ، فقلت: لا إله إلا الله، فقال: لاإله إلا الله تعجبًا، ثم قلت: قال لي الشبلي أمس لما التقينا بك في الوراقين غدا يكون لي مع هذا الشيخ شأن بحق معبودك من أين لك أن الشبلي قد مات؟ قال: يا أبله، فمن أين للشبلي أنه يكون له معي شأن من الشأن اليوم.

توفي الشبلي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن سبع وثمانين سنة، قدَّس الله سرَّه.

انظر في ترجمته: سير النبلاء (١٥/٣٦٧)، وتاريخ بغداد (١٤/٣٨٩)، والرسالة القشيرية (ص٤٣).

(١) فائدة: شرط إلباس الخرقة أن يكون الشيخ في قوة وعزم ينـزع من المريد جميع الأخلاق الرديئة مع الذي يأمره بنـزعه من القميص والقلنسوة، ويفرغ عليه جميع الأخلاق الحميدة مع إلباسه ما يلبسه من المذكور فلا يسري فيه خُلق رديء، ولا يحتاج إلى صلاح خُلق من الأخلاق.

وهكذا ألبس الشيخ إبراهيم المتبولي قدس سره من الرسول ﷺ يقظة، وألبسها الشيخ عليٌّ الخواص السيد إبراهيم المتبولي كذلك، ولَبَسَهَا الشيخ الأكبر من يد أبي العباس الخضر عليه السلام تجاه الحجر الأسود كذلك، وأيضًا الشيخ الأكبر ألبسها المريدين كذلك فما بقي في هذا الزمان لأحد إلباس الخرقة ولا إرخاء العذبة ولا التلقين لأحد لفقد شروطها، وإنما يقصد بها التبرك والدخول في سلسلة سند القول، ومع هذا التبرك بهم بالزهد والتوكل وغير ذلك من عدم النوم وخوف الله تعالى أولى، مع أن هذا لازم لذاك، والله يتولى هُدانا وهداك.

«ما وسعني أرضي ولا سمائي؛ ولكن وسعني قلب عبدي»[1]، وذلك إن اللباس لا بد أن يسع اللابس، فدلَّ وسعة القلب على الله تعالى: إنه كاللباس على سرِّه قدر ما يسعه استعداده، وفيه بيان سعة القلب جدًا، وإلا فالله تعالى يُمتنع أن يكون مُحاطًا، ولمَّا رأوا ان القلب كان كاللباس على سرِّ الله، وان باطن الإنسان اشتمل عليه، وضعوا في الظاهر علامة له؛ ليتوافق الظاهر والباطن؛ وهي الخرقة المذكورة.

فكل من أهل القباء، والعباء يخالف الآخر حيث إن أهل العباء مكاشفون عن الحقائق في الحقيقة، فلا بد لهم من رسم مخصوص يدلُّ على حالهم في الباطن بخلاف أهل القباء؛ فإنهم من حيث إنهم محجوبون عن السر الإلهي؛ لم يكن لهم زينة لهم هي من باطن الدين؛ بل اكتفوا بالزينة الظاهرة التي هي من الحياة الدنيا؛ فظهر أن مَن طعن في خرق الفقراء السالكين، فقد طعن في الدين الذي هو الدين المرضي عند أهل الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يعصم ألسنتنا من الزلل وعقائدنا من الخلل، وأعمالنا من الفتور والكسل.

٤٨- **في الصحيحين**: «**إن الله يقول: يا أهل الجنة**»[2]: الحسِّية في الآخرة، وأهل الجنة المعنوية في الدنيا.

قوله ﷺ: (**يا أهل الجنة**): أي يا أهل النعيم مطلقًا؛ وهو النعيم الحسِّي المتعلّق بالأجسام، والنعيم المعنوي المتعلّق بالأرواح، وفي النداء، وإضافتهم إلى النعيم زيادة ترويح لهم، وتطييب.

وإشارة إلى أن أهل النار لا نعيم لهم من مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومنكوح، فيقولون: أي كل واحد منهم؛ فإنهم لا حجاب هنالك بين السمع والكلام؛ للطافة الأبدان، والقلوب بخلاف حال الدنيا؛ فإن النداء وإن كان يتوارد فيها أيضًا؛ لكن لا يسمعه المحجوبون، وإنما يسمعه المراقبون المكاشفون.

---

(١) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٣٦٥)، والقاري في المصنوع (١/١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٣٩٨)، ومسلم (٤/١٧٦٧).

قوله ﷺ: «فيقولون: **لبيك ربنا وسعديك**»؛ هذا من قبيل التحية المجرَّدة؛ كالسلام من غير ملاحظة المعنى اللغوي، وذلك أن السلام في الأصل؛ كان إشارة إلى سلامة المسلم عليه من أذى المسلم، ثم لمَّا ظهر حقائق الإيمان، والإسلام في قلوب المؤمنين وظواهرهم؛ حُمل على التحية المجرَّدة.

ونحوه قوله تعالى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**﴾ [الأحزاب:٤٥] فإنه مجرَّد تشريف لهم من الله تعالى، وكذلك قوله ﷺ: (**لبيك وسعديك**): إذ ليس المقام مقام الخدمة حتى يقولوا: نقيم لامتثال أمرك إقامةً كثيرةً، وكذا الإسعاد إذ ليس من شأن الله تعالى أن يسعده العبد، ويعيِّنه مرة بعد أخرى، ولا مساغ لحمله على إعانة دينه؛ إذ ليس هنالك تكليف، ودين شرعي كما في الدنيا.

حيث قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾ [محمد:٧]، وكذا لا يجوز حمله على معنى تطلب منك إسعادًا بعد إسعاد: أي إعانة بعد إعانة؛ إذ الإعانة إنما هي بظهور الحاجة، والعبد هنالك غنيٌّ بغنى سيِّده؛ لأن الملك الحي الذي لا يموت.

وقد قسَّموا الإلهية إلى ثلاثة أقسام:

قسمٌ: لا ينقطع حكمه من الأزل والأبد.

وقسمٌ: ينقطع حكمه أزلاً دون الأبد؛ كالأسماء الحاكمة على الآخرة، وخلودها وخلود أهلها ونعيمها.

وقسمٌ: ينقطع حكمه أزلاً وأبدًا؛ كالأسماء الحكمة على النشأة الدنيوية، فإنها ليست بأزلية ولا بأبدية، فظهر في هذا الموطن، ثم يختفي آثارها في الموطن البرزخي والحشري، وما يليهما، ومن ذلك الاسم المُعين.

وذلك ان كمال الإنسان تدريجي، فلمَّا هبط آدم عليه السلام إلى الأرض؛ ظهرت الأسماء الإلهية على التدريج مثلاً يَسر له أسباب المعيشة، فناداه: يا لطيف حمٍّ قواه على ما اقتضاه منه فناداه: يا مُعين، وهكذا.

وليس في الجنة ما يطلبه الله تعالى من العبد حتى يعينه عليه، فظهر ان أمثال تلك العبارة من قبيل الصورة التي ورد عليها في الدنيا من غير ملاحظة المعنى المدلول، وإن كان موطن يحتمل تلك الملاحظة، فاعرف هذا، ودعْ التكلُّفات؛ فإنها من ضيق

الفهم، وعدم الفرق بين الأسماء، وبين النشأتين.

والخير كله في يديك: أي في قدرتك، وإنما لم يذكر الشر لأنه شر بالنسبة إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة؛ بل جميع أفعاله تعالى مشتملة على الحكم والمصالح؛ فهو كقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٧].

وقوله ﷺ: «**وكلتا يديه يمين مباركة**»(١).

فيقول: «**هل رضيتم؟**» بما أوتيتم من النعم الحسِّية والمعنوية، فيقولون: «**وما لنا لا نرضى يا رب**».

في قوله: (**يا رب**): إشارة إلى أن الكلام مع الكل، والقول من الكل، فإنه أدلُّ على حصول الرضا بخلاف ما لو سكت البعض.

وقوله ﷺ: «**وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك**»: أي ممَن يلي عالم الخلق؛ فإنهم ليس لهم النعيم الروحاني بخلاف من في عالم الأمر، فإنهم المستعدون بذلك إلا أن مَن بقى في عالم الأرواح لم يشرب من مَشرب الأذواق الخلقية بخلاف من جميع بين عالم الخالق، والأمر نزولاً وعروجًا، فافهم جدًّا، فإنه سرٌّ عزيزٌ.

والحاصل: أن أهل الحجاب بقوا وراء الباب، فلم يكن لهم نصيب إلا الحظ الجسماني، وأن أهل الأبداع والوقوف بقوا داخل الباب، فلم يكن لهم إلا الحظُّ الروحاني.

ومَن دخل، وخرج أحرز النصَّيبين، فله القدح المعلى.

فيقول: «**ألا أعطيكم أفضل من ذلك**»: فيه إشارة إلى أنهم بقوا مع النعيم المجرَّد المطلق منه غير ملاحظة للحكمة في ذلك، فإنه قد يتحوَّل النعيم جحيمًا بالنسبة إلى أهل الدنيا؛ لأن قلوبهم بين إصبعين من أصابع الرحمن، فيخاف عليهم من التقليب من حال إلى حال.

ولَمَّا كانت الجنة ليست تُعطى ذلك بذاتها، قال تعالى: «**ألا أعطيكم؟... إلخ**»: إتمامًا للنعمة، وإكمالاً للمنَّة.

---

(١) رواه الترمذي (٥/٤٥٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/١٤٧) بنحوه.

وفي الخبر: «**فيقولون: يا ربِّ وأي شيء أفضل من ذلك؟**»: إذ ليس فوق نعيمهم نعيم بالنظر إلى تجليَّات الأفعال.

فيقول: «**أحلُّ عليكم رضواني**»: أي أُنزل عليكم قلوبًا، وأجسادًا برضاي الكثير؛ فإن الرضا الحاصل الآن رضا قليل يحتمل الزوال والدوام.

ولذا قال: «**فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»(١): وفيه دلالة على أن السعادات الروحانية أفضل من الجسمانية، وأن كلاً من السعادتين لا تُكمَّل إلا بالرضا؛ ولذا لم يعتبر نعيم الكفرة والفجرة، وكذا أذواق الرهابنة والفلاسفة، ومَن يتلوهم من أهل الرياضة، وأن آخر التجليَّات الصفاتية الذاتية تجلي صفة الرضا.

ومن آثاره: صفاء القلوب على كل حال.

وأمَّا الأبدان: فلا تزال تُبتلى إلى آخر الأجل، كما أن آخر التجليَّات الأفعالية تجلي التوكُّل.

ومن نتائجه: نزول المائدة من السماء وقت الضرورة إلى الغذاء، كما وقع لَمن جال في البراري، والصحاري وقع في المغارات والكهوف سنين.

وفيه إشارة أيضًا إلى أن آخر شيء ناله الممكن: مرتبة السماع، فإنه ختم أمر أهل الجنة بالسماع، كما بُدئ أول الأمر أيضًا؛ لأنه تعالى قال: (كن) فسمعه الممكن، فكان كما ذهب إليه أهل الحقائق، وبعض من أهل الظاهر.

وكذا آخر الأمر في حقِّ الكفار، فإنه تعالى يقول: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون:١٠٨]، وهذا بالنسبة إلى العباد.

وأمَّا بالنسبة إلى الله تعالى: فآخرًا لكمال الكلام، وبه ينختم أمر الأنام.

وأمَّا الرؤية(٢): فليس من قبيل الكلام والسماع؛ بل هي من قبيل المشاهدات

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٢/٦)، ومسلم (٢١٧٦/٤).

(٢) اعلم أن الرؤية على ثلاثة أقسام: **أحدها**: الرؤية الذاتية وهي شهود الحق في كماله الذاتي وغناه الذاتي ذاته بذاته رؤية ذاتية غير زائدة على ذاته وشهود أسمائه وصفاته ونعوته وتجلياته في قبضة قهر الأحدية رؤية ذاتية أيضًا.

=

بالأبصار والبصائر، كما يقتضيه المعارف الحاصلة لأربابها؛ وهي المزيد الذي ليس في مقابلة الأعمال، وإنما هي من نتائج المنَّة الإلهية يرحم الله لنا ولكم بذلك.

٤٩- **في الصحيحين** قال رسول الله ﷺ: «**إن الهجرة قد مضت لأهلها**(١)»:

اعلم أن الهجرة: هجرتان: هجرة الأنبياء - عليهم السلام - وذلك أنهم إذا خرجوا عن عهدة التبليغ، فأطاع مَن أطاع، وعصى مَن عصى، فأُمروا أن يهاجروا إلى مكة المكرَّمة مع مَن تبعهم من المؤمنين؛ لئلا يروا العذاب الأليم الذي أرسله الله تعالى إلى عُصاة الأمة، ولمَّا كان عصر نبينا ﷺ، وعصى من عصى أمره، وهو أيضًا بالهجرة إلى المدينة، لئلا يرى عذاب قومه؛ لأن الله تعالى ما كان ليعذبهم وهو فيهم، أو وهم مستغفرون كما دلَّ عليه النص؛ بل لمتابعة الأنبياء، وتكميل مرتبتي الفناء والبقاء.

=

والرؤية الثانية: رؤية أسمائه، وهي التي وقعت بظهور الأسماء في العوالم التي هي مظاهرها، فهذه الرؤية موقوفة على إظهار أعيان الأسماء المستهلكة في الأحدية عوالمها ومظاهرها.

والرؤية الثالثة: الرؤية الواقعة في الكون الجامع، وهي جامعةٌ للرؤيتين الذاتية والأسمائية، فخلق الحق تعالى جميع العوالم من العقل الأول إلى النوع الإنساني الكمالى الجمعي وكل شيء من العوالم مظهرًا لاسم خاص من الأسماء الإلهية، ومجليًا لصفة من الصفات الجزئية أو الكليَّة، فظهر الحق في كل شيء بحسب استعداد ذلك الشيء وقابليته، ولم يظهر بصورته الجمعية الإلهية، فما حصل الظهور الكلي بالصورة الإلهية الأسمائية في شيء من أعيان الموجودات العلوية وأشخاص المخلوقات السفلية لعدم قابليته لها، ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان**﴾ [الأحزاب:٧٢]، فخلق للظهور الكلي الأحدي الجمعي الكون الجامع، فأظهر فيه أعيان جميع أسمائه الحسنى، وظهر بالظهور الكلي الأحدي الجمعي، والتفصيلي فيه، فرأى جمال ذاته تعالى فيه كما قال الأستاذ قدس سره في فصوص الحكم: لما شاء الحق -حيث أسمائه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء- أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت: أن يرى عينه في كون جامع يحضر الأمر، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، إلى آخر ما قال قدس سره، وآدم الحقيقي نبينا محمد ﷺ فهو أظهر المظاهر وفوقها.

(١) رواه البخاري (١٢٨٠/٣)، ومسلم (١٤٨٧/٣).

فكان عذاب الأمم السالفة بأنواع المثلات، وعذاب قوم نبينا ﷺ بالسيف، كما قال: «**بُعثت بالسيف، والسيف أدنى العقوبات شناعة**»[(١)]، فكان ذلك من جملة الرحمات التي بُعث بها النبي ﷺ.

فهذه هي صورة هجرة الأنبياء، وفيها إشارة إلى أن مُضي الهجرة للأنبياء؛ إنما هو بمعنى مُضي وقت النبوة؛ لأن هجرة الأنبياء إنما تمضي بمُضي أنفسهم، وعدم بقاء واحد منهم؛ فكأنه يقول: إن النبوة قد خُتمت بي فلا هجرة بعد هجرتي، فهذا يؤيد قوله تعالى: ﴿**وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٠].

«**ولكن على الإسلام**»: أي ولكن أُبايعكم على الإسلام؛ بمعنى أن مرتبة الولاية باقية إلى يوم الدين؛ لأن الإسلام الحقيقي الذي هو الانقياد ظاهرًا وباطنًا؛ إنما هو في صفات الأولياء.

«**والجهاد**»: أي مع الأعداء الظاهرة والباطنة؛ بمعنى: إن مرتبة الطريقة باقية ببقاء الشرائع والأحكام؛ وهي المرتبة العثمانية ﷺ.

«**والخير**»: أي فعل الخيرات التي رغب فيها الشرع؛ بمعنى: ان مرتبة الشريعة باقية ببقاء الأمة فلا نسخ لها أبدًا.

فالإسلام: إشارة إلى مرتبة الحقيقة التي هي مرتبة الولاية؛ لأنها لا تحصل إلا بالفناء والبقاء، وليس ذلك إلا معنى الحقيقة في الحقيقة.

والجهاد: إشارة إلى مرتبة الطريقة التي هي مرتبة السلوك؛ لأنها لا تحصل ولا تقوم إلا بالرياضات والمجاهدات؛ وهي باقية ببقاء النفس.

والقوى الطبيعية، والخير: إشارة إلى مرتبة الشريعة التي هي مرتبة العمل؛ لأنها لا قوام لها إلا بأفعال الخير؛ فهذه مرتبة الصلاح.

فالعبد إذا تحقق بها؛ ترقّى إلى مرتبة السلوك بالعمل بحقيقة التقوى، ثم إذا تحقق بمرتبة السلوك؛ نال ما نال الصدِّيقون، وقوام الأمر هو الاعتقاد أولاً، فإنه أساس الخيرات، وهي أساس ما فوقها من الطبقات.

(١) رواه أحمد (٢/٥٠).

فانظر إلى الحديث كيف أدرج فيه مرتبة النبوة، ومرتبة الصدِّيقية، والشهادة، والصلاح، وتمعن فيه حتى يظهر لك حقائق ما قلنا، فالله الهادي.

والهجرة الثانية: هجرة الأولياء، ومَن يليهم من الصلحاء، وهي تابعة لهجرة الأنبياء؛ لأنهم تحت لوائهم، وتابعون لهم؛ فهي هجرة صورية لا هجرة الولاية، إذ هي كما قلنا: باقية أبدًا، فالنبوة بمنـــزلة السلطنة مخصوصة بأهلها، والولاية عامة ليس لها طريق مخصوص، ونهاية معلومة.

٥٠- **في الصحيحين**: قال رسول الله ﷺ: «**إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقُسط البحري**»[١]:

يُشير ﷺ إلى أن الله تعالى كما خلق أمراضًا في هذه الهياكل السفلية حسب العناصر، وامتزاج بعضها ببعض، وتسوية التركيب البشري بحيث يقبل الانحلالات والانحرافات؛ كذلك خلق للأمراض علاجًا وأدوية؛ لئلا يقهر بعض الأحوال والكيفيات بعضًا، ويبقى الإنسان صحيح البدن إلى أجل مُسمًّى، ويتحقق ما كُلِّف به من الأعمال.

فمن ذلك: الحجامة[٢] في جذوة القمحدوة: أي وسطها، وهي التي تمسُّ الأرض حين الاضطجاع، وذلك أن العروق حاملة للدم، فإذا أُجري الفاسد منه؛ سلم البدن من الآفة، وبسلامته يسلم الروح؛ لأنه كالمطيَّة له، فإنه إذا سلم، سلم المركب من العطب.

والقُسط[٣] بالضم: عود هندي، وعربي مُدر نافع للكبد جدًّا، وللمغص، والدود، وحُمى الربع شربًا، وللزُّكام، والنـــزلات، والوباء بخورًا، وللبهق، والكلف طلاء.

---

(١) رواه البخاري (٥/٢١٥٦)، ومسلم (٣/١٢٠٤).

(٢) وأما الحجامة فهي المداواة والمعالجة بالمحجم، وهو آلة الحجم وهي شيءٌ كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيجًا ويجذب الدم أو المادة بالقوة، انظر: المنجد في اللغة (ص ١٢٠، ٥٨٥).

(٣) القسط: عود يُجاء به من الهند، يجعل في البخور والدواء. انظر: لسان العرب (٥/٣٦٢٧).
وهو عشبة ارتفاعها نحو متر ونصف، يحتوي على مادة الهيلينين وهي من أقوى المطهرات، وهو يفيد في علاج الجرب وتطهير الجروح، وعلاج الالتهابات الشعبية والرئوية والسل الرئوي، ويفيد استعمال جذوره في تقوية الطمث وإدرار البول والاكتئاب النفسي.

والبحري منه: يكون أبيض مُرًّا؛ فإن المرَّ فيه الشفاء، ففيه ما لا يُخفى من المنافع التي لا تحصل بالحجامة.

وفي الحجامة: أي إزالة الشهوات من الطبائع والنفوس؛ لأنه كما أن الدم سائر في العروق، وبسريانه فيها يسري في أجزاء البدن كلها.

فكذا الشهوات سارية في الطبائع والنفوس وعلاجها إصلاح الطبيعة بالشريعة، ومنها الصوم، وتقليل الغذاء، وأكل الحلال، وترك الطيبات، والسهر ونحو ذلك.

وفي القُسط البحري: إشارة على التأوُّه، والزفرات، والشهقات الحاصلة للروح الذي هو من البدن؛ كالبحر من البر، وذلك أنه تُبخر به النفساء، والصبيان؛ فيحصل لهم من دخَّانه منافع ظاهرة وباطنة.

والروح إذا لم يتخلَّص من حكم البدن بالكلية، وقهره بعض الانفعالات الحاصلة من الأسباب الخارجة، أو السماوية لابد إذًا أن يتأوَّه دفعًا للانقباض، وجلبًا للانبساط، وفي التأوَّه بخارات نَفَسية لها آثار نفسية؛ ولذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام أوَّابًا: أي كثير التأوُّه.

ولَمَّا كان التمكين التام غالبًا لحضرة نبينا ﷺ، كان حزنه الدائم الطويل في حكم التأوُّه، فإنه كان طويل الحزن دائم الفكر، وإن كان عند الخلق، ومحافل الناس بشوشًا مبتسمًا، فإن ذلك لا يقدح في حال باطنه، وحكم خلوته.

فالسالك إذا عالج طبعه بإزالة الشهوات التي هي في حكم الحجامة، وروحه بالتأوُّه، والصحيح العاري عن التعمُّل؛ كان مرضه النفساني الروحاني زائلاً بالكلية كما دلَّ عليه صيغة التفضيل في الحديث.

وتأخيره عن الحجامة إشارة إلى أنه مبني على إصلاح الطبع بناء الفرع على الأصل؛ لأنه إذا صلُح الطبع؛ صحَّ الروح، فكان ما صدر عنه سالمًا عن الأغراض.

وترى أهل الطبائع في هذا الزمان يتأوُّهون في مجالس الذكر، ويزفرون، ويشهقون، ثم هم كالحمير في زفراتها وشهقاتها؛ لأن كل ذلك مبني على الشهوة الطبيعية، والله تعالى يُحاسب عبده من حيث الاسم العدل على كل ما صدر عنه إذا كان غير حاضر مع سيده وربه؛ بل كان باقيًا بطبعه ونفسه.

فما كان من النفس؛ فهو راجع إلى النفس، وما كان من الروح؛ فهو راجع إلى الربِّ؛ لأن الروح منفوخ الربِّ، فكما أنه تعالى لا ينفخ إلا ما هو نافع؛ فكذا الروح لا ينفخ إلا ما أُخذ من النافخ، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه؛ ولذا يكون نباته نباتًا حسنًا، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا قليلاً لا جدوى فيه ولا خير.

قال الله تعالى وسبحانه: ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ [الفتح:٢٩].

اعلم أن ما يفعلونه من تزيين السوق عند ظهور الفتوحات الصورية مأخوذ من هذه الآية الكريمة، فإنه سبب يغيظ الكفار، وما هو سبب له فهو المشروعات إلا أن مَن آمن في هذا الزمان؛ لم يزل من خلط عمله بالسيئ؛ لقوة النفس الأمَّارة، وشدة شكيمتها، فلا يقدر على كبح عنانها إلا أهل التقوى.

فالخير اليسير إذا أدَّى إلى ضرر كثير؛ وجب تركه، وفيه إشارة إلى أن القلب إذا كان مفتوحًا بتأييد الله تعالى؛ فلصاحب القلب أن يعمل بالرُّخص في بعض الأوقات من تزيين الظاهر بالألبسة المشروعة، وأكل الطيِّبات، وزيارة الأخوان في الله، ونحو ذلك، فإنه مُتدَارك بفضل الله تعالى وبرحمته؛ إذ لا يباشر أمرًا إلا بالحق؛ وهو النكاح الصحيح فلا يلد إلا ولدًا لرشده.

وقد قالوا: الفاني لا يُردُّ إلى أوصافه إلا مَن ذاب الكُمَّل أن يجددوا الشكر كلَّما تجدَّدت النعم الإلهية، وشكرهم هو القيام بأمر العبودية من غير نظر إلى الرُّخص إلا نادرًا، فزينتهم الظاهرة: الطاعات المشروعة، وزينتهم الباطنة: لباس التقوى، وما يرد من الله تعالى من الأسرار والحقائق؛ لأنه لباس لهم في الحقيقة.

ألا ترى إلى قوله تعالى: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي؛ ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**»(١)، فكما أن ظاهر المؤمن يسعه لباسه، وإلا لم يكن محاطًا به؛ فكذا باطنه يسع الحق وأسراره؛ فيكون كاللباس له.

ويلزم من ذلك: أن يكون الحق تعالى محاطًا، فإن المقصود من ذلك الكلام الإلهي: بيان سعة قلب المؤمن الكامل، وكونه عرش الرحمن، ومحل نزول مائدة المنان،

(١) تقدم تخريجه.

وإلا فالله تعالى كان محيطًا لا محاطًا.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾ [البقرة:٢٥٥] وهو الذي يحصل لقلوبهم بالتجلّيات الأفعالية والصفاتية والذاتية.

وقال الله أيضًا: ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا*إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]. وكذا الولي الوارث تراه مُرتضى مصطفى من بين العباد، مختصًا بالرحمة الخاصة من عند الله تعالى، فمَن طلب الحق تعالى وأسراره؛ فليجده في قلب عبده المضاف إلى هويته المطلقة، فإنه يجده هنالك على وجه التمام والكمال، لزيادة قابلية المظهر، وسعة قلبه، فعلوم المعلومات التي تَجلّى بها الحق تعالى خلقًا وأمرًا؛ حاصلة لقلوب الكُمَّل إلا ما استأثر به في غيبه؛ وهي الممتنعات، وإلا لأبرزها الحق تعالى أيضًا، فهي بالنسبة إلينا ممتنعة، وما عداها ممكنة، ومن ثم قالوا: ليس في علم الله إلا الواجب والمستحيل.

وإنما الإمكان بالنسبة إلى الممكن، وفيه شائبة الإيجاب على ما ذهب إليه الفلاسفة؛ لكن ذلك لا ينافي الاختيار.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩].

أي: لو شاء هدايتكم؛ لهداكم أجمعين؛ لكنه لو يشاء ذلك؛ بل إخبار عدم هداية البعض، وأوجبه على نفسه لِما يقتضيه استعداده الغير المجعول، كما كتب على نفسه الرحمة في حق مَن شاء من عباده لِما يستدعيه استعداده الغير المجعول أيضًا؛ فهو إيجاب ذاتي رحمة، أو غضبًا تابع للاستعدادات، والله تعالى هو الخلّاق، فإذا وقفت على هذا المعنى فقد أحطتَّ بعزيز الأسرار خبرًا، والله العليم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

لأن ذلك من الغفلة الطارئة من حكم الطبع الحيواني، والله تعالى حيٌّ بحياة ذاتية أصلية ليست من جنس الحياة الطبيعية الملكية، ولا من جنس الحياة الطبيعية البشرية، ولا من جنس الحياة الطبيعية الحيوانية.

فإن هذه الحياة بأنواعها داخلة تحت الطبيعة مطلقًا، أمّا حياة الملك فداخلة تحت الطبيعة الكلية؛ ولذا كانت حياته نورانية، ولم يطرأ على حياته موت حيواني؛

بل غشيان هو في حكم الموت له، ومن هنا لم يقبل نشأته الجزاء؛ لأنه مطبوع من النور، وتكليف من قبيل العبادة الذاتية، كما أن أهل الجنة في الجنة، فهو على حد سواء في النشأتين بحسب نورانيته فلا جسد له كشف حتى يتمتع بنعيم الجنة الصورية، ولا كمال له روحاني بحسب التكليف البشري حتى يتمتع بنعيم الجنة المعنوية، نعم له لقاء وشهود دون لقاء البشر وشهوده.

وأمَّا حياة البشر، وحياة الحيوان: فداخلة تحت الطبيعة الجزئية، والله تعالى خالق الكليَّات والجزئيات، ومتجمِّل بصورها من حيث إنه المصوِّر؛ لكنه ليس من جنس شيء من الأشياء، فلا نوم له، ولا سنة؛ لأنها من الأحوال العارضة لَمن يقبل ذلك.

ولَّما كان من الحكمة العليَّة والإلهية: أن يخلق مظهرًا تامًا من شأنه أن يظهر بكل صفة من الصفات الإلهية؛ خلق النور المحمَّدي، والجسد الأحمدي؛ فجعله بحيث إذا نام عيناه الظاهرتان؛ لم ينم عينا قلبه، كما هو أخبر به عن نفسه، فهو أيضًا لا تأخذه سنة ولا نوم في الحقيقة، وإنما أخذه النوم والسنة في الظاهر بحسب حسَّه وبشريته، فذلك النوم إنما هو نازل في الخيال لا في القلب.

أمَّا الأول: فليشهد بعين الخيال عالم المثال الذي هو من الحضرات الخمس، وهو عين الحق أيضًا في مرتبة الخيال والمثال.

وأمَّا الثاني: فلأن القلب في الحقيقة من المجرَّدات، وإنما جعله الله في الإنسان يشهد به الله تعالى في الحضرة المخصوصة الغيبية، وليشهد حقائق ملكوته في جميع الحضرات، فكان ﷺ حقًّا في جميع الحضرات، وخلقًا في حضرة الجبروت والملكوت، والشهادة المطلقة، والحضرة الناسوتية الإنسانية دون الحضرة اللاهوتية، فإنها من عالم الوجوب والحق، لا من عالم الحدوث والإمكان، والخلق.

فإن قلت: هل في العالم مَن هو على صفة فيما ذكر؟

قلت: لو كان لكان دونه لا مثله؛ لأنه (ليس كمثله شيء) فاعرف.

فإن الكاف ليست بزائدة على هذا التقدير، والله تعالى وإن لم يكن له مَثل في الحقيقة؛ لكنه لَّما خلق آدم على صورته؛ كان آدم مثلاً له صورة من حيث ظهوره

بالصفات الإلهية كما أن الوزير الأعظم كان مثلاً للسلطان في حكم الظهور، وإن كان السلطان لم يكن له مثل في الحقيقة؛ لأنه ظاهر بسرٍّ الوحدة، وفي صورة الوجوب الذاتي.

والمراد بآدم في قوله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»(١) آدم الأول الذي هو من عالم الجعل والإبداع؛ وهو الروح المحمَّدي؛ لكن لَمَّا كانت الكمالات بأسرها منوطة بالوجود البشري؛ أنزله إلى مرتبة آدم الثاني الذي هو أبو البشر لا أبو الأرواح؛ فجعله على صورته في الجملة؛ لأنه جزء من جزئياته، فاعرف هذا المقام إن كنت إنسانًا(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **قال الشيخ الأكبر** ﷺ: كما أن الإنسان جسمٌ صغيرٌ، كذلك ملكٌ حقيرٌ من جهة الحدوث وصحَّ له التألُّه؛ لأنه خليفته في العالم، والعالم مسخَّر له مألوه كما أن الإنسان مألوه لله تعالى، وهو روح العالم.

واعلم أن الذاتي الحق لما ظهرت أعيان الممكنات في مرآة ذاته أدركها في نفسه بنوره، فلحقه المرئي بالرائي؛ حيث أدركه في ذاته، وهو واحدٌ في الوجود؛ لأن الممكنات المرئية في هذه الحالة منعوتة بالعدم، فلا وجود لها مع ظهورها للرائي، كما ذكرناه.

فسمِّي هذا الظهور توحيد إلحاق: أي الحق الممكن بالواجب، فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من النسب الأسمائيَّة حتى الوجوب، ولا نقول بالغير؛ لأنه قلة الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، فالخيال موجد لله تعالى في حضرة الوجود والحق موجود للخيال في حضرة الانفعال المثل، فإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه فهو على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل الذي هو جلاء المرآة وروح تلك الصورة، فإنه ما ثَّم على الصورة الحقيقية مثله فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ما عدا نفسه، ويسمى هذا توحيد الوصلة والاتصال وتوحيد الإلحاق، فإن توحيد الخيال مع كونه من الموجودات الحادثة صعب التصور إلا هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه علمت أنه في غاية الوصلة.

ومن هذا الذوق قال العارف:

فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض مثل اندراج المثل في المثل، واندراج الظل في الظل، والنور في النـــور، فافهم.

٥١- في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا»(١):

اعلم أن إضافة الفقراء إلى المهاجرين تقتضي أن يكون المهاجرون صنفين:

الأول: أغنياؤهم، ومَن في حكمهم؛ فإنهم كانوا يعدُّون مَن له امرأة، ومسكن، وخادم من الملوك، وإن لم يكن له مال آخر.

والثاني: فقراؤهم؛ وهم على ما جاء في الحديث الكوثر: «**الدنس الثياب، الشعَث الرؤوس، الذين لا يروجون المنعمات، ولا يُفتح لهم أبواب السدد، ويموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لأبرَّه**»(٢)؛ فهم الذين يسبقون الأغنياء في دخول الجنة، وفي الورود على نهر الكوثر في الجنة.

وتحديده: «**بأربعين سنة**»: لا ينافي تحديده: «**بخمسمائة عام**»، على ما جاء في رواية أخرى.

فإن المراد بالأربعين: التكثير؛ فيكون مدة سبقهم الأشياء خمسمائة عام.

وسرُّه: ان لهذه الأمة يومًا واحدًا هو ألف سنة كما جاء في الحديث:

«**إن استقامت أمتي؛ فلها يوم ونصف هذا الألف هو خمسمائة عام تقدَّم بها الفقراء**»؛ لأن فتوح الدنيا إنما كمُلت بعد مُضي النصف الأول من الألف، فكان أكثر الأولين بالنسبة إلى الآخرين في عُسرة وضيق، فكانوا أحق بالتقدُّم بتلك المدة.

فإن قلت: المراد بالفقراء: الأغنياء وأغنياء المهاجرين؛ كانوا في الصدر الأول لم يمضِ عليهم عِقد من العقود، فكيف بخمسمائة؟ قلت: سرُّه كما أن فقراء المتأخِّرين ملحقون بفقراء المتقدِّمين، كذلك أغنياء المتقدِّمين ملحقون بأغنياء المتأخِّرين، فكان

=

فَكأنما خَمــــر ولا قَــدح ... وكأنمـــا قَــدح وَلا خَمــرُ

فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض مثل اندراج المثل في المثل، واندراج الظل في الظل، والنور في النـــور، فافهم.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٥٣/٢).

(٢) رواه الترمذي (٦٢٩/٤)، وأحمد (٢٧٥/٥) بنحوه.

الفقراء كلهم قد جاءوا قبل خمسمائة من الألف، وكان الأغنياء كلهم قد جاءوا بعد خمسمائة.

وفي ذلك تعظيم لأهل الفقر[1]، وإلحاق لهم بأهل القرون المتأخرة، ومن ذلك

---

(١) قال الشيخ ابن سبعين: القول على الفقر من حيث الطريق:

وهو آخر الأقسام وهو مرادك: وهو الفقر الذي يشرحه عرف الفقراء في زماننا هذا، ومقصودنا شرحه وبثه على أكمل ما يمكن بحول الله تعالى.

فنبدأ فنقول: الفقر هو الصبر على المكروه، وشكر المنعم الحكيم، والفتوّة المحضة، ورفع الأذى كله، وفعل ما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب، وتتفق دعوته التي داخل الذهن مع التي خارج الذهن، ويطلع بالتركيب إلى بده، ويهبط بالتحليل إليه، ويدور بجملته عليه، ويجعل الفقر الذي اتصف به نفسه وقصده ومقصوده دائرة وهمية، ويجمع الوجود المقيد كله في نقطتها والمطلق في محيطها وينظر إلى الخطوط الخارجة من النقطة المذكورة إلى المحيط المذكور في خلده ويراها متساوية وينسبها. وينظر إليها ثانية من المحيط ويحذف الوسائط ويبصر الواسع في الضيق وينظر الأشياء في نفسه ثم يقطع حبل النظر والمنظور فيه من حيث المجاز والشفع، ويصل حبل النظر والمنظور فيه من حيث الحقيقة والوتر، ويصل مع ذلك النقطة المتقدمة بالمحيط ويجعلها جزء ماهيتها، ثم يحقق الأمر ثانية ويجعلها ماهية واحدة ويقول:

«ليس إلا الأيس فقط» و «هو هو» ويتصفح قوله ويتأول ما يلزم عنه، ويقطع الإشارة كما قطع العبارة، ويسكن في شأنه ويهمل مهمله ومخصصه من كل الجهات ويقف في ثلاثة مواطن ويموت ويحيا في خمس مواطن، ويبعث من شأنه ويقذف في موضوع سره المشهور بالبرهان أن آنية الله هي أول الآنيات وآخر الهويات، وظاهر الكائنات وباطن الأبديات. ويحدث في نفسه بالإسلام فيخبر عنه على غير ما كان يخبر، ويحدث قبل ذلك ويشهد والمشهود والشهادة بشهادة الإنصاف، ويعكس الضمير الأول على المخاطب الثاني، ويتوب من اللواحق ومن الحروف التي تجر إلى الإضافة ويشعر بها ويقول: كل من في العالم بأسره لا يفعل شيئًا والله هو الفاعل خاصة ثم يمحص مدلول كلامه ويخلّص جميع ما ارتهن فيه وينطق بالحق ويحذف المجاز وجميع ما يجر إليه ويلزم منه وعنه، ويقول: العالم ميت بجميع ما فيه من مفارق للمادة وغير مفارق لها، فلا حي على الحقيقة إلا الله. ثم يتفقه في الإطلاقات باقترانها مع المضافات وارتباط بعضها ببعض ويقول: ما خالف الوحدة المطلقة والوجود الواجب هو عدم من جهة ووجود من أخرى، فلا موجود على الإطلاق ولا واحد على الحقيقة إلا الله إلا الحق إلا الكل إلا الهو هو إلا المنسوب إليه إلا الجامع إلا الأيس إلا الأصل إلا الواحد إلا الأصح أصح لا صح ص ح ح حم صمد حق، لا نتهمه ولا نتوهمه. وكذلك يفعل في كل نسبه متجانسة ثم يعلل جميع ما أطلقه، ويثبت ما ثبت بالبرهان وينتفي ما =

=

انتفى بالبرهان. ويعلم كيف انصرام التوجه، وإلى أين يصل المتوجه وبأي وجه يعدم، وينسب مهمل الشريعة إلى مخصص الحقيقة ومهمل الحقيقة إلى مخصص الشريعة ويقول: من صحا وصحح أسراره محا الله إصراره.

حكمة ثانية: ويقال الفقر هو الذي لا يظهر به على الفقير إلا لسان مخزون، وقلب محزون، وفعل موزون، وفكرة تجول فيما هو كائن ومكون.

حكمة ثالثة: ويقال الفقر هو الخلافة الباطنة، كما أن الملك المشار إليه هو الخلافة الظاهرة.

حكمة رابعة: ويقال هو نوع من أنواع التصوف، وهو خيرها. ورب نوع أفضل من جنسه. كالإنسان مع الحيوان.

حكمة خامسة: ويقال الفقر هو الذي ترسم بدايته بالإرادة والعبادة والإسلام وعالم الشهادة والخروج من الشر المحض إلى الخير المشترك والمجاهدة والطريق المقيد والتوكل، والتسليم والتفويض والتوبة الأولى والخلوة المشوقة والدهليز الجامع والأربعينيات المحركة المهيئة.

ويرسم سلوكه بالرضا والإيمان والعبودية وعالم الملكوت والخروج من الخير المقيد إلى الخير المطلق والمكابدة والسفر في الطريق المذكور قبل في رسم البداية، والتوبة الثانية، والفكر التابع للسكينة، والذّكر المحرك للتخلي والتحلي والتجلي، وبُعد الأهل والوطن، وحذف العلائق بالجملة، والتزام السوابع الكاشفة للمقصود، ويرسم وصوله بالعبودية والمشاهدة وعالم الجبروت ومقام الإحسان والخروج من الخير المحض المقيد للكل بالمقصود والاشتراك، وصرف المحو إلى الصحو والتوبة الثالثة المصروفة في السبعين مقامًا الفاصلة بالتخلق بالأسماء الحسنى وتدبير العالم الأول بالصنائع العلمية والعملية وبالاسم المشترك فافهم !

حكمة سادسة: ويقال: الفقر هو الذي يجعل الفقير يجعل الشرع في يمينه والعقل في شماله وبينهما العلم، ويحرك الكل بالأدب والهمة والحقيقة، ثم يدفعها بالحقيقة مفردة، ثم يجذبها بالشريعة مركبة، ثم يستغفر الله ويقطع الموصول ويصل المقطوع حتى يثبت ما لا يمكن قطعه ولا اتصاله، ولا هو من هذا القبيل فافهم.

حكمة سابعة: ويقال: الفقر هو التجرد عن المواد والاتصال بالذوات المجردة المرسوم عليها في موضوعات الشرائع والمعبر عنها في اصطلاحهم: بالملائكة وعالم الأمر، ثم التجرد عنها والاتصال بالحكيم العليم الذي أمر، الحكيم العليم المبدع الأول الذي أمر الحكيم العليم الثاني، ثم التجرد عن الجملة والاتصال بالحكمة والكلمة، ثم التجرد عنها والاتصال بالحضرة السَّنية التي يظهر فيها الحكيم العليم الأول المذكور أنه من عباد الله، والله أعز من ذلك وهو عزيز؛ لأنه اعتز على العلماء به قبل هذه التي ليست من جنس ما يعلمه الفيلسوف ولا يفهمه بعض الصوفية. وهو علم التحقيق الغريب الذي لم يخبر قط جميع من دون الدواوين كلها عنه، ولا هو من قبيل السهو والعويص ولا =

=

في قوة البطيء مع الحريص. فاسمع ما أقوله لك ولا تلتفت إلى ما تخبط فيه شيعة أرسطو، وكونهم يقولون: الحق عز وجل هو المحرك للجرم الأقصى بذاته.

والمتأخر منهم يقول: بل هو الذي فطر الأمر وهو الذي أمر بتحريكها، وهو ثالث رتبة فوق محرك الأطلس.

ومنهم من قال: هو ثاني رتبة، فانظر ذلك في آخر كتاب «المشكاة » للغزالي وفي كلام ابن سينا والفارابي. وتَحَيَّرَ ابن رشد في ذلك ثم اختار قول الحكيم، وقال به وزال عن الغير. وتخبط في ذلك ابن طفيل وانفصل عنه بِهَذَيَان لا فائدة فيه للحكيم النبيه. وكذلك مذهب أهل الرواق وشيعة فيثاغورس ومن قال بالمثل المعلقة والحياة السارية في الموجودات، والذي قال بالانتقال وبالأشياء المؤلفة من الفاني والباقي.

وكذلك جميع ما تسمع من بعض الصوفية الذين يقولون: مقام الإسلام والإيمان والإحسان والحق والمطلع والأفعال والصفات والذات.

والذي يقول: الأسماء والتخلق والأسماء التي تتصف ويتصف بها والاسم الفعال والأسماء المتحابة والاسم الذي يتصف، فذلك كله منه ما يصح بوجه ما، ومنه ما لا يصح.

وكذلك قائل: «والحق وراء ذلك كله» فإنه أراد المعلوم المضاف.

وبالجملة: ما عرفوا الله حق معرفته ولا علموه على ما ينبغي له، فعليك بالرجال.

واعلم أن العلم الإلهي منه ما يتعلم، ومنه ما يورث، ومنه ما يُتلقى من صدور الرجال، ومنه ما يوجد حالاً وذوقًا، ومنه ما يظفر به في الجميع.

فقل: أعوذ بالمقصود المعلوم عند معلمي حيث معلمي: من توقف أرسطو وتشتيت مسائله الإلهية خاصة، فإن غيرها من سائر العلوم أحكمها و لم يغلط فيها إلا في القليل، ومن شكوك المشائين، وحيرة أبي نصر، وتمويه ابن سينا في بعض الأمور، واضطراب الغزالي وضعفه، وتردد ابن الصائغ، وتنويع ابن رشد، وتلويحات السهروردى مؤلف «حكمة الإشراق» والتلقيحات بمذهب أفلاطون، وتشويش ابن خطيب الرّي، وتخليط الأقدمين، ورموز جعفر المحتملة معرج التصوف مع الحكمة من حيث أتباعه، ومن شطحات بعض الرجال في «الرسالة» الذين نطقوا من أحوالهم الأول و لم تحذقهم العلوم ولا الصنائع العلمية ولا حققوا المبادئ وجاوزوا المقدار بأقوالهم وأحوالهم بوجه ما يسلمه بعض الناس وينكره الأكثر ومن تصريف ابن مسرة الجبلي في الحروف والإطلاقات في النطق اللاحق للأشياء وإضافته الآيات وفهم أقسام بعض السور والإقدام على الأحكام واقتران بعض القرآن ببعض، ومن تهذيب بعض الأسماء والصفات والكون والوجود والموجود والشفع والوتر والتوحيد على مذهب ابن قسيّ صاحب «خلع النعلين» ومن الأجناس الجامعة المتقدمة والتآليف والمذاهب والذهاب والاعتبار المقدر المصرف في جملة الأسماء ومدلولها وفي الصفات

=

=

الدائـــرة الـــتي تدور من مدلولها على صيغها، وبالعكس على مذهب ابن برجان، ومن الوصول المنسوب والوقوف عنده بحسب متعلق الأسماء والصفات والمقامات والأرواح والتلوين والتمكين والمحـــبة والوجـــود والواحـــد والوحدة والإضافة المحذوفة والمجردة والشائعة وغير الشائعة بحسب «المواقف» المنسوبة إلى النفرى المعلم الناقل عن المولد على زعمه وغيره.

فجميع ذلك كله لا خلاص فيه متمم ولا إخلاص مكمل، وهو مما يدخله الغلط من الصنائع عند طائفة، ومن الأحوال عند آخرين، ومن الاصطلاح عند قوم، ومن الفهم عند آخرين، ومن الرياسة ومن اللذة ومن سوء الفهم عند الأكثر.

وهؤلاء منهم من تلذذ بالأنوار والأحوال، وغفل عن الأصل، وفرح بنفسه و لم يكمل، ومنهم من علم المقصود و لم يتحرك إليه بالسلوك وغلبته الطبيعة والأمور الطبيعية والرياسة وحفظ الصيت عليه، ومنهم من بهره حال الاتصال فغلط.

ومنهم: من شك في الأصل ودفع تارة وجذب أخرى.

ومنهم: من كان أوله ضد آخره وبالعكس.

ومنهم: من وصف المقصود و لم يتصف به.

ومنهم: من ضر بكلامه ونفع وتنوع أمره وانتقل.

ومنهم: من ينفع من جهة ما ويضر من جهات. ولولا ما قصدت في هذا التقييد من الاختصار كنت أرسم لك مقاصدهم من حيث مواضعها والمسألة والجواب ونبين لك شأنهم كله وكيف الأمر فيهم على الإطلاق بالبرهان.

وبالجملة: عليك بالحق وفريقه وأهله وطريقه، فإن الرجال إذا تنوعوا دار الأمر بينهم وفيهم وعليهم. لا زوال للحق ولا شك فيه، ولا يأخذه النقص ولا يختلف ولا يتغير، وهو الذي به هو الشيء وما هو، وهو الشاهد المتفق من جميع جهاته، وهو هو كما تقدم، وكل حائر فمن أجله كانت حيرته وفيه وبه. فافهم. فإنه هو المطلوب وبه يطلب، ومنه الطالب وله ومنه وعنه الكل. وقد خرج بنا الكلام إلى غير الذي قصدناه فنرجع له بحول الله تعالى.

حكمة ثامنة: ويقال الفقر هو السلب المنسوب للسالب والمسلوب الذي دار على نقطة وقاره بشأنه وتقديره وقراره، وخرج عن قدره بمقداره، ثم أجبر وجبر وطمع في الإيجاب بعد فهم الجواب وكلم مقصوده بلسان ماهيته ومعه بإذن آنيته المكتسبة، وأبصره بجميع هويته. فافهم!

حكمة تاسعة: ويقال الفقر هو السكون عند عدم كل شئ يتعلق بمدلول العما، ويكون من لواحق الغيرية والحركة عند التقدير، ثم السلب المحض بالإلزام. فافهم!

حكمة عاشرة: ويقال الفقر هو الذي يحصل للفقير به العلم الذي يدبره ويدبر به ما بعده ومن قبله، والورع الذي يعصمه وينفعه ويحجزه، واليقين الذي يحمله، والذكر الذي يتأنس به.

=

=

حكمة حادية عشرة: ويقال الفقر هو الذي يكسب الفقير دوام الافتقار للجبان في كل الأحوال وملازمة السنة العربية والقديمة اللازمة عند العادة المشتركة.

حكمة ثانية عشر: ويقال الفقر هو الذي تجحد فيه قضية الزمان والمكان.

حكمة ثالثة عشر: ويقال الفقر هو المترادف مع الخيرات المطلوبة.

حكمة رابعة عشر: ويقال الفقر هو الذي يسبح به في بحر الشرف، وينسخ العادة بأحكام خرق العادة، وينسخ مقام الوحشة بالوحدة، وينسخ مقام الوحدة بالحرية وينسخ الحرية بالعبادة في حال الاتصال بالأدب المستولى، وينسخ التوكل بالتسليم والتسليم بالتفويض ويترك معقوله في معقوله متخيرًا، وينسخ التفويض بالرضا، وينسخ الرضا بالتوحيد، ويقوي التوحيد بالمحبة ويحفظ المحبة بالمعرفة، ويخلص المعرفة بالمشاهدة، والمشاهدة بالمقامات الفارطة كلها، والجميع بالتحقيق، ويركبها ويسلسلها بالتوجه والبحث والإنابة والأوبة، ويصرفها بالكلام المقيد بالعبارة والإشارة وبالبعض، ثم بالدقيقة وبالكل، ثم باللطيفة وبالمذكور، ثم بالحقيقة وبالمذكور في المذكور، فافهم.

ويعللها بالأحوال ويقيدها بالتصريف، ثم يجمع المتقدم والمتأخر في كسبه وفي كل شأنه، ويتصف بالجميع، ويخصها في محله ولا يهمله، ويثبت الناسخ والمنسوخ في ماهية شأنه كله، ثم يحذف مراتبها التي تعددت ويدير عليها دائرة نتيجة شأنه الآخر بمحرك شأنه الأول، ويسكنها بظاهر كنهه، ويجمعها بباطن كونه، ويجعل على الكل وفي الكل ومن الكل الأول الآخر الظاهر الباطن، وينظر إلى الأمر كله بعين التوحيد وكلمة السلب ويجدها قد اتحدت فيه وتوحدت من أجله فينسبها إليه ويديرها ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة عليه، ويعتبر جملة داخل الذهن كما اعتبرها خارج الذهن، وينسب بالاستعارة بعض الأشياء إلى بعض، ويجعل قلبه التوبة وكبده المجاهدة، ويده الصبر، ورجله الأدب، وعينه العلم، وسمعه الخلق، وشمه اللطايف، ولسانه الأحوال، ولذته المعرفة والرضى والمحبة، وحياته الوتر، وموته الشفع، وبالعكس، ونطقه الإسلام، وعقله الإيمان، وروحه الإحسان، ثم يسمى الجميع فقرًا وفقيًرا وقيًرا — و «قير» تأكيد للفقير كما تقدم وبالعكس كما لزم فافهم!

حكمة خامسة عشر: ويقال الفقر هو الحكمة التي ترسم أنها الفهم عن الله ﷻ، وهو الحكمة التي سماها الشرع سنة، وهو الحكمة التي تفيد معرفة الأشياء حسبما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان، وهو الحكمة التي يعرف بها ترغيب القرآن وترهيبه، وجدله، وقصصه، ومثله، ووعده ووعيده، وأمره ونهيه وأحكامها كلها وكونها تنحل إلى الأسماء والصفات وفهم الحروف المتحابة، وحروف أوائل السور مثل: كهيعص، وسائرها ومقايسة بعض المتحابّة ببعض وتناسبها على وجه أكمل وأحكم وأنفع وألطف من الظاهر ومن جميع ما هم عليه بعض الناس ممن ينكر هذا الشأن العظيم فافهم!

=

=

وهذا الفقر الذي اختاره خير البشر. والمنصف به هو الغنى الشاكر حقيقة فإنه غني بجوهره، والغنى فيه ماهية ذاته إذ هو فعال بجوهره وعليه يجب الشكر الكثير الممتد إلى غير نهاية؛ لأنه باق فيه فافهم! وأعط المعنى المعقول مع شرف ذاته في الدارين وسلامته ومناجاته وغيره من الأغنياء بضد ذلك، وإن كان يشبهه هذا في بعض شأنه فعنده من هذا الفقير بما يشبهه وإلا فلا سبيل إلى شيء من ذلك، فافهم.

والفقير الصابر المعروف عند العامة: هذا الفقير الغني خير منه على الوجه الذي ذكرناه، وهو خير من الغنى من حيث العرف والعادة والجمهورية.

وبالجملة: الفقر من جميع الوجوه هو المطلوب الشريف وحده، وكل مطلوب شريف وحده لا شئ أفضل منه. فالفقر من جميع الجهات لا شئ أفضل منه.

حكمة سادسة عشر: يقال الفقر الضعيف هو حمل الأذى وترك الأذى ووجود الراحة، والقوي هو التصرف في الأشياء بالكتاب والسنة والإجماع والقياس والعقل وفعل ما ينبغي كما ينبغي على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي وفهم الأسرار والأحوال الإلهية قبل وفروعها وأصولها وأسبابها. والفقر الشريف هو الذي إذا نظر الفقير به إلى نفسه لا غير نظر فيها جميع الأشياء المهملة والمخصصة، والمجملة والمفسرة، والمطلقة والمقيدة، والشريفة والخسيسة، والمرءوسة والرئيسة، ويجعل منها في ماهيته النورانية ما يجب وينسبها بحده وفي ماهيته المادية وينسبها لضده، ثم يحقق الشيء الثابت ـوحده وينظر إليه به ويغمض عين سريرته المكتسبة ويفتح عين بصيرته اللازمة، ويقول عند تصوره لذلك: كيف يظهر من به يظهر وكيف لاحقه وهو لا يرى إلا بنوره ولا يشهد إلا بحضوره.

حكمة سابعة عشر: ويقال الفقر هو الجامع المانع.

حكمة ثامنة عشر: ويقال الفقر هو المعنى الشامل للملك والنبي والصديق والأمثل لأمثل من حيث التخصيص والمخصوص ولكل ممكن على العموم من حيث العموم والعرف.

حكمة تاسعة عشر: ويقال الفقر ترك الرغبة إلا في السعادة وأسبابها، والعبادة وأحكامها، وتدبير العادة وأحوالها.

حكمة عشرون: يقال الفقر عدم خوف الفقر من المحل مع الامتحان الكلي، ولا يكون للفقير ما يقترب به إلى ربه ويظهر الغنى به مع الحاجة، والشبع مع الجوع، والفرح مع الحزن، والمحبة لعدوه مع وجود الجور، ويصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يظهر ضعفًا وكل ذلك بجد وصحة أصلية وخير محض.

حكمة حادية وعشرون: يقال الفقر هو الذي تعرف حقيقته اللفظية بما ذكر قبل، والفقهية بما ذكر قبل، والعقلية بما ذكر قبل، والصوفية بورودها على المحل إذ كانت جزء ماهيته ويتصف بأعراض

=

لاحقة لها، ويغلبه بذوقه، ويخبر عنه بعد ذلك بغير الذي كان يخبر عنه قبل - فافهم !

حكمة ثانية وعشرون: ويقال الفقر حفظ السر المكنون، والعلم المضنون به والمصون، وأداء ما افترض، وصيانة الدين والمقام.

حكمة ثالثة وعشرون: ويقال الفقر هو الكمال الأول مع العلم، وهو الكمال الآخر مع المعرفة، وهو الجميع مع خالص الإنسانية.

حكمة رابعة وعشرون: ويقال الفقر هو الذي لا يطلب به إلا الله وإن طلب لذاته أعني الفقر ن مطلقًا لا خير فيه.

حكمة خامسة وعشرون: ويقال الفقر إذا تُصُفّح وتؤمل وتتبع على أكمل ما يمكن قيل للفقير المتصف به فقير كما سمي اللديغ سليمًا، ويعتبر شأنه ولفظه بالعكس.

وهذا الفقر أعزك الله وأعانك على تحصيله بحبيبك الأول الذي لا يكون متحركًا ولا ساكنًا وهو ليس بجسم ولا في جسم.

وهو واحد من كل الجهات ووحدته بالذات، وبحبيبك الثاني الذي لا يكون متحركًا ولا ساكنًا وليس بجسم ولا في جسم ولكنه يقال فيه: إنه مع غيره الفاسق لا مرتكزًا ولا مربوطًا ولا مستندًا ولا ملتحمًا ولا حالاً.

وهو بالجملة لا متصلاً معه ولا منفصلاً عنه غير أنه يلازمه ملازمة النوع للعنصر والفاعل للمفعول ويشار إليه معه صحبة المجموع الإنساني مع أنه مفارق ومن قبيل المفارق.

وخلصك الله من حبيب ضدك وموضوعك وروحك وأوحله وأكرمك الله بتحصيل أسباب السعادة بصلاح المادة والعبادة وحفظك في شأنك كله. حتى لا «ترفل في أثواب اللاهي ولا تغفل عن ثواب الله»، فطالعه واحفظه وحافظ عليه وحصِّل مدلوله بالقول والعقل والحال والمقدمة والنتيجة والمسألة والجواب، ولا تبخل به ولا تمنعه عن أهله ولا تسمح في ذم فرعه وأصله وخاصة فصله. ولولا أنك محسوب عليَّ ومنسوب بمعناه إلى ما أسعفتك به، ولا قيدت لك فيه إلا ما يجمل بك وبأمثالك وأهل وقتك.

وشرطي عليك ألا يقف عليه أحد إلا الطلبة النبهاء والفقراء الفضلاء المحبون الأولياء، ولا يقرأه من المذكورين إلا من يتصفحه إلى آخره.

وإن علم منه أنه ينكره يؤخذ من يده، وإن توقع الضرر من لسانه وقلبه ويده ومن صعب عليه منه شيء يرحل به إليّ. وإن عسرت حركته أو تعذرت يرجع به إلي، ونجيبه في الوقت بحول الله تعالى. والاستقامة هي رأس العمل مع العلم، وزوال الكسل والمَلَل. واعلم أن الشقي هو الذي ذهب شبابه بلذته، وارتهنه بتبعته، وخلف له التأسف عليه. والسعيد هو الذي علم أن أيام الحياة حلم، والموت يقظة، وفي الحساب تفسير أضغاثه. فجد واجتهد وكره دار الفواسق حيث الظل

=

والذل والأبعاد الثلاث واللهو واللعب ولواحق اللهب، وتوجه إلى الحضرة السنية التي تبت بجحودها يدا أبي لهب.

وإياك والغفلة والتغافل فإنهما يستلان الخير ويخصصان السر. والغافل والمتغافل واحد، لأن الغافل تؤديه غفلته إلى الفساد، والمغفل يؤديه تغفيله إلى الفساد، فقد اتفقا في المحصول الذي هو الفساد.

وليس ينفع المتغافل معرفته بما تغافل عنه إذا لم يستعمل فيه ما يجب، ولا يضر العاقل جهله بما لم يعلم إذا لم يعمل فيه ما يجب، لأنهما قد اتفقا في الإضاعة، وتباينا في العلم والجهل. وعليك بالهمة الجليلة التي هي سوق لا يتبدل إما العمر كله وإما في أكثر الزمان إلى الشيء الذي هو وكل الإنسان أن يفعله في حياته والخسيسة بضد ذلك. وبالجملة: إن كان الشيء الذي تطلبه الهمة جليلاً قيل في الهمة إنها جليلة، وإن كان خسيسًا قيل في الهمة إنها خسيسة. وعليك بالسيرة الجميلة التي هي الأفعال المحمودة التي يدور الإنسان عليها في حياته ويجعل وكده أن يفعلها ويتخلق بها ويعامل بها ذاته وغيره، ويجعلها مقدمته لمقاصده الكريمة. وعليك بالصناعة الرئيسة التي هي رئيسة على الإطلاق، وهي التي تعرف أي الصناعات والعلوم ينبغي أن تكون في المدن، وأي الصناعات والعلوم ينبغي أن يبلغ المتعلم [اكتسابها] باكتساب الشيء الذي يسمى خيرًا.

واعلم أنه لابد لكل متوجه ولكل سعيد أو شقي أو غافل أو متغافل أو عالم أو جاهل من خير ما يتشوق إليه في شأنه الذي هو فيه ويطلبه، ولكنه لا يطلق الخير حقيقة، ولا يعقل إلا في الخير الذي هو سبب السعادة توجد عنده أو به أو معه أو فيه أو منه، أو إليه، أو عليه، أو عنه، أو له، ويطلع على لزوم الشرط والمشروط، مثال ذلك: الحياة شرط في العقل، والعقل شرط في العلم، والعلم شرط في العمل الصالح، والعمل الصالح شرط في الفضل، والفضل شرط في السعادة، والسعادة شرط في الكمال، والكمال شرط في الخير، والخير شرطه وأصله التخصيص، ولواحقه كثيرة هيئية وطبيعية بل العناية الإلهية خاصة.

وأنواع الخير ثلاثة: أحدها: الشيء الذي يراد لأجل ذاته ولا يراد في وقت من الأوقات لأجل غيره.

الثاني: الذي يراد ويؤثر أبدًا لأجل غيره ولا يؤثر أصلاً ولا يُراد في وقت من الأوقات لأجل ذاته مثل الأشياء المؤذية المؤلمة كشرب الدواء المر الشنيع الطعم الكريه الرائحة، فإن هذه شرور بذواتها، وخير بالإضافة إلى الانتفاع بها.

والثالث: من هذه الأشياء هو الخير بالإطلاق، فعليك به وبما بعده.

والذي حملني على إفشاء هذا السر الذي لا يظفر به في كتاب ولا سمع في معتاد خطاب ما ظهر في زماننا هذا من آراء فاسدة وأحوال سيئة، وقلة استقامة في بعض الفقراء وعدم الإنصاف في بعض الطلبة وسوء ظن العامة في الجميع مع غيره من المشار إليه ويشاور ويشار إليه، ويعول على الله لا عليه.

=

تأخَّر سليمان عن الأنبياء - عليهم السلام - وتأخر الموالي عن المماليك؛ لأن صفة العبد هي الذلة، والعجز، والافتقار، والمملوكية، وبها تقدُّمه عند الله تعالى.

كما أن صفة الرب؛ هي العزَّة، والقدرة، والغنى، والمالكية، وبها تأخَّر العبد عند الله تعالى؛ لأنه تلبَّس بلباس الذات الإلهية، ومن ثم لم يكن لأحد من الكُمَّل سوى الله تعالى؛ فأخرجوا من مُلكهم كل جليل ودقيق، ولو كان قميصًا يلبسونه؛ فلبسوه بطريق العارية، ومَن له نصاب من الصوفيه؛ يبقى إلى آخر السنة، فليس له نصيب من أنصباء أهل الفقر؛ فيبقى مع الأغنياء المتأخِّرين عن درجات السابقين.

وكان من شأن الفقراء: فقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمسمائة عام على ما ذكره الشيخ المكي في «قوت القلوب»؛ وذلك لأن لهم مشاركة لفقراء المؤمنين في صورة الفقر، فإذا كان فقر المؤمن يستدعي تعجَّله إلى الجنة قبل الغني؛ كان فقر الكافر يقتضي تأخُّره عن الغني في دخول النار.

فكان المؤمن الفقير أرفع درجة من الغني، كما يوجب سبقه إلى الجنة، لا كما

=

وأنا أسأل الله العظيم أن يعينني على الخير ويوفقني إلى قبوله، وأسأل الواقفين على هذا الكلام أن يقبلوا عذري فيما تساهلت في تبيينه، وتسامحت في تعليمه وتثبيته، لأنني أمليته في بعض يوم على بعض الأصحاب والخاطر منقسم بالداخل إلى الخارج عنى، ولم يتسع الوقت لتصفحه وتبديله.

ومن زعم أن يصل إلي ويباحثني ويطالبني فيه فأهلاً وسهلاً به.

ومن غلبت دعوته عليّ استطاعته يمهل عليه وتدفع الفائدة برفق إليه، ولسان حالي يسلم للمنصف ويسلم عليه، ولسان مقالتي يحمد الجميع ويعظم الكل.

ولقد أطلقت على الرجال في الكلام الأول ما نعلم ونتحققه أنه غير جار ولا جائز عند الأكثر.

ولكنى غلبت النصيحة على السياسة والحق أحق أن يتبع، والسلام على المُنكر والمسلّم، والعالم والمتعلم، والغالط والمتغالط ورحمة الله وتعالى وبركاته.

وسميتها لأحد أولادي بالعرض ولكافة الفقراء ولجميع من انتسب إلي بالذات والصفات فيما بالقصد الأول، ولجميع من ذكر بالقصد الثاني.

ومُعادُ التحية عليكم معشر الفقراء حيث كنتم من البسيطة، ومن العوالم الثلاثة بحسب مراتبكم من عبد الله، عبد الحق، الكثير بالقول، الواحد بالموضوع، الواجب بآنيته، الممكن بهويته، ورحمة الله تعالى وبركاته. وانظر: الرسالة الفقيرية (ص٨٢) بتحقيقنا.

زعم بعض أهل الظاهر من أن السبق في الدخول لا يستلزِّم رفع الدرجات على مَن تأخَّر؛ بل قد يكون بعض مَن تأخَّر؛ كالذين أنفقوا مالهم في وجوه الخيرات أرفع درجة ممَن سبقه في الدخول هذا كلامه؛ وهو جهل بالحقائق، ومقتضيات الآثار.

فإن النبي ﷺ: فضَّل الفقير المسبِّح على الغني المتصدِّق؛ فالغني: إن خرج عن ماله بالكلية قبل موته؛ فهو من الفقراء، وإلا فمتأخِّر عنهم، وهذا إنما بالنسبة إلى مَن لم يكن نبيًا، فأمَّا مَن كان نبيًا؛ كسليمان عليه السلام فتأخُّره عن الأنبياء لا يقتضي تأخُّره عن الأولياء؛ لأن مقام النبوة أرفع من مقام الأولياء، نعم يجوز أن يكون فقراء المهاجرين فوق الكل؛ تعظيمًا لمتبوعهم، وإلحاقًا لهم بدرجته في جنة عدن على ما يقتضيه الحقائق.

هذا فكما أن المؤمن الفقير أرفع درجة من المؤمن الغني؛ فكذا الكافر الفقير أخفُّ عذابًا من الكافر الغني، فدَركة الكافر الفقير فوق دركة الكافر الغني؛ فيكون دركة الكافر الغني أنزل من دركة الكافر الفقير.

ولا شك أن الإنزال دركة أشدُّ عذابًا دلَّ عليه قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

كما أن الأعلى درجة أقوى نعيمًا، فثبت أن أهل النعيم متفاوتون في درجاتهم بحسب أعمالهم وأحوالهم، وكذا أهل الجحيم فليس مَن كفر فقط مساويًا في الدركة بمَن كفر، وقتل، وزنى، وشرب، وفعل من المحرَّمات ما لم يفعله الأول.

وعلى هذا جاء به الشرع، ولا يخدشه ما في المذهب الحنفي: من أن الكفار غير مخاطبين بالفروع، فإن ذلك بالنسبة إلى الأوامر.

وما ذكرنا بالنسبة إلى المناهي على أن أهل الحقائق قائلون: بأن الكفار مخاطبون بالفروع على أن القول بكون الكفار غير مخاطبين بالفروع قول بعض الحنفية لا كلهم على ما تقرر في محلّه.

ويجوز أن يُقال وجه التحديد في الحديث بالأربعين: إن الفقر الحقيقي إنما يتم في الأربعين؛ وهو الخروج عن الوجود بالكلية، والخلو عما سوى الله تعالى بالمدة، ومدته بالنسبة إلى هذه الأمة المرحومة، وإن كانت أربعين سنة من سنين الدنيا؛

لكنها في حكم أربعين ألف سنة من سنين الآخرة.

كما كانت مدة تخمير الطينه الآدمية أربعين ألف سنة حتى جاءت الحياة الدنيوية الصورية؛ فحصلت الحياة الأخروية للفقراء المهاجرين قبل الأغنياء بأربعين ألف سنة، كما حصلت لغيرهم من الفقراء مطلقًا بخمسمائة عام من سنين الآخرة؛ وهي نصف يوم، وأين الخمسمائة من أربعين ألف سنة؟ وبه يحصل التوفيق بين الروايتين، ويظهر فضل فقراء المهاجرين على غيرهم.

وهاهنا كلامٌ آخر متعلّق بدوام سرِّ الصحبة يعرفه أهله.

ويمكن أن يقال أيضًا أن الأربعين لها عشرات أربع، وبالأحدية تكون خمسًا، وكل عشرة إجمالاً عقدًا من عقود المئات، فالمجموع خمسمائة، فالأربعون تدور بالخمسمائة، ولذلك خصَّهما النبي ﷺ بالذكر.

ولي وجه آخر في هذا المقام هو أن المراقب الأنفسية خمس، وهي: الطبيعة، والنفس، والقلب، والروح، والسرُّ، وهي في الحقيقة ثلاث هي: القلب، والروح، والسرُّ، وبالأحدية أربع، وذلك أن الإنسان الكامل إنما يدخل الجنة بمرتبة هذه الثلاث؛ فيطرح الطبيعة والنفس في جهنم، وهما: قدما الجبار كما جاء في الحديث، فكان الخمس مشتملاً على سرِّ الأربع، وكل من الخمس في مقابلة تامة مع اسم من الأسماء الإلهية جلالية وجمالية.

والقلب متوسط بين المرتبتين التحتيتين، والمرتبتين الفوقيتين كالشمس بين الأفلاك، وهو نصف الوجود، ونصفه الآخر القالب.

القالب من حيث إنه محلُّ معرفة الله كالنور أفضل من الظلمة، كان الوجود عبارة عن القلب، وبكماله يظهر فضل الناس بعضهم على بعض، فمَن أصلحه كان كمَن أصلح الجسد كله، وكان هذا الصلاح أكمل في فقراء المهاجرين، فاستدعى الحال تقدُّمهم على غيرهم لخمسمائة عام فافهم جدًّا.

وهم وإن كانوا سابقين في الدنيا؛ لكن لمَّا كان هذا السبق إلى الجنة المعجَّلة القلبية لا إلى الجنة المؤجَّلة الحسية؛ قيَّده ﷺ بيوم القيامة؛ لأن أثر السبق إنما يظهر في ذلك اليوم، وفي ذكر الخريف إشارة إلى أن ذلك زمان اقتطاف عناقيد الجنان، ووقعت اجتناء ثمرات الفردوس.

٥٢- في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن؛ كقلب واحد يصرفه كيف يشاء**»[(١)(٢)]:

بنو آدم مائة وخمسة وعشرون جزءًا: مائة في بلاد الهند، والباقية فيما عـداها من البلاد مطلقًا كلهم في النار إلا جزءًا واحدًا هم أهل السنة، والجماعة من المؤمنين

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٥/٤)، والنسائي (٤٤٣/٤) بنحوه.

(٢) قال سيدي علي وفا: اسمع: قال الناطق المحمدي: «قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»، والأصابع هي مبادئ، ولذلك يُقال في لغة العرب: لفلان على رعيته إصبع حسنة: أي أثر، ويريدون مبدأ الأثر، وكل ما ظهوره من نتائج الظهور الآدمي ظهورًا تولديًّا خلقيًّا، فهو ابن آدم في المعنى، وقال عن آدم: «**خُلقت بيدي**»، وهما النظام الجامع للأصابع.

فدائرة الوجوب اليمين الأقوى، ودائرة الإمكان اليمين اليسرى، وذلك بما لآدم من العين الذي هو في مرآة الإمكان مثال الواجب في إحاطية الخالق لآدم بذلك على صورته هو، فظهر بذلك عالم الأسماء، وسجد لَه ملك الأرض والسماء، ولما تحقق العين المحمَّدي بالحق الذي آدم على صورته ظهر بأنه روحه وسر حياته، فسمَّى حقَّه نور السماوات والأرض، وقال كليمه لسميعه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح: ١٠].

ومن تحجب عنه بمثاله الآدمي تسمَّى لَه بأسماء نزوله عينًا واسطةً في تعليمه أسماء عُلاه غيبًا، وهذا هو الاسم الأكبر، والروح هو الاسم الأعظم الأول حقيقة الثاني، والثاني حقه، والاسم عين المُسمَّى، والباء الداخلة عليه في قوله: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة: ١]، إما زائدة يتم المعنى مع حذفها فيكون اسم خبر مبتدأ محذوفًا تقديره: أنا، أو نحو هذا، أو للسبب، **فالتقدير**: استفتح، أو ابتدئ، أو استفتاحي، أو ابتدائي، أو نحو هذا فكلٌّ صحيح، فهو عين.

(الله): وجوده الإحاطي بعلمه وحياته.

(الرحمن): وجوده العقلي الروحاني.

(الرحيم): وجوده الفعلي النفساني، ومن خزائن الأول أفاض خلع المعارف، ومن خزائن الثاني أفاض خلع الحكم، ومن خزائن الثالث أفاض خلع الأحكام وفيضه، بيديه كشفه وبيانه على القوابل الفهمية تبيينًا، وعلى القوابل الفعلية تكوينًا، فعلم فكوَّن، فعلم فردَّ الكون إلى أصله، فتأويل تكوينه في تنــزيل تبيينه، فمن نفر من حجابه الجاني سمعه وقال: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾ [الجن: ١، ٢].

وفيه إشارة إلى كثرة أفراد الجلال، وقلة أفراد الجمال؛ لكن لمَّا كان المقصود الأعظم: ظهور الإنسان الكامل، وبروز الخلافة الإلهية؛ كان الواحد في كل عصر من الكُمَّل كألف من غيرهم، وذلك من باب الغيرة الإلهية؛ لأن الجمال الإلهي لا ينبغي أن يراه إلا أولو الأبصار.

والمراد بالأصابع: الصفات الإلهية؛ كالقدرة، والإرادة، والقدرة ونحو ذلك، وأُضيفت إلى الرحمن لا إلى الاسم الله؛ إمَّا لأنهما بمعنى واحد في الحقيقة كما دلَّ عليه قوله تعالى: **﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾** [الإسراء: ١١٠].

فالرحمة الظاهرة في الرحمن باطنة في الجلالة، والجلال الظاهر في الجلالة باطن في الرحمن.

وإمَّا لأن تقليب القلوب من باب الرحمة، وإن كان في صورة الغضب؛ لأن مآل الغضب إلى الرحمة، فكم من مبتلى ابتلاؤه عين الرحمة في حقه؛ لأنه به يعرف قدر العافية، وفي حق غيره؛ لأنهم يعتبرون به.

وكم من معافٍ عافيته عين الغضب في حقه؛ لأنها تكون استدراجًا له، وفي حق غيره إن كانوا من أهل الابتلاء؛ إذ به يردُّون الأقضية الإلهية، ويعترضون على الله تعالى في أحكامه الأزلية المبرمة.

والإصبعان: الصفتان المتضادتان من الهداية، والإضلال، والرحمة، والغضب، والإكرام، والإهانة، والإعزاز والإذلال، وغير ذلك.

وبذلك يتحوَّل العبد من حال إلى حال: مرة من الحالة الحسنة اعتقادًا وعملاً إلى الحالة السيئة اعتقادًا وعملاً, وأخرى بالعكس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾** [الأنفال: ٢٤].

فإنه إذا كان حائلاً بينه وبين قلبه؛ كان أقرب إليه منه، فيفعل ما يفعل من التصريفات على ما يقتضيه استعداده الأزلي، الغير المجعول التابع له الحكمة الإلهية، فتصريفه إياه من حال إلى حال: أي حال كان عدلاً محضًا من الله تعالى؛ فإن الله تعالى ليس بظلام للعبيد.

فمَن وجد خيرًا؛ فليحمد الله، ومَن وجد خلافه؛ فلا يلومن إلا نفسه، فالكل يجري على القضاء الأزلي، والسر القدري لا يقدر أن يخالف ذلك؛ ولكون فهمه من الغوامض؛ مُنع العامة من بحث القدر؛ بل الخواص أيضًا، وإن كانوا قد فهموا ذلك؛ لأن البحث عنه يفضي إلى تعطيلات فاسدة، ثم إنه تعالى شبَّه تقلب القلوب كلها مع كثرتها بتقليب قلب واحد، لِما يقتضيه سر الحقيقة، فإن العين واحدة، والكثرة إنما هي باعتبار التعينات الخارجية.

فكما أن أنوار الشمس وأشعتها لا تتجزَّأ إلا باعتبار الكُوى والمنافذ؛ فكذا نور الوحدة، ومنه يعلم سرَّ قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ [فاطر:٤١] ونحوهما.

وإضافة المشيئة إلى نفسه كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان:٣٠]؛ لأن الحقيقة الإلهية الظاهرة في كل فرد من أفراد الكائنات هي الفاعلة المؤثرة.

وأمَّا المشيئة من وجهة القوائل؛ فتابعة لتلك المشيئة الذاتية، فعليك بالفهم التام من غير زيغٍ وضلال.

٥٣- **في الصَّحيحين**: اتفقا على الرواية: عن أنس ﷺ قال:

«**قدم قوم من أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً أمينًا حق أمين حق أمين يُعلِّمنا الإسلام والسنة، فأخذ ﷺ يد أبي عبيدة بن الجراح فقال: إن لكل نبي أمينًا**»(١):

: أي في الدين والدنيا ميراثًا له من ذلك النبي؛ لأن النبي أمين في الوحي؛ كملك الوحي كما قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

والأمين لا ينـــزل إلا على الأمين، ولا بد لكل كمال من مظهر تام له، وهو واحد من أفراد الأمة والأمانة من كمالات الأنبياء عليهم السلام كغيرها من الصفات الجليلة.

(١) رواه البخاري (١٥٩٢/٤)، ومسلم (١٨٨٢/٤) بنحوه.

وقوله ﷺ: «**وإن أميننا**»: أي الثقة بين أظهُر هذه الأمة بحيث لا يُدانيه أحد من أحادها في هذا المعنى كما دلّ عليه قوله: «**أيتها الأمة**»[١]: أي متخصصًا من بين أفراد هذه الأمة؛ فنصبه على الاختصاص؛ والمراد به الأمين نفسه؛ وهو أبو عبيدة بن الجراح، كان ذلك اختصاصًا إلهيًا له زائدًا على أمانة غيره ؛كصدق الصدِّيق، وعدل عمر، وحياء عثمان، وشجاعة عليّ رضي الله عنهم.

فقول الترمذي: تخصيصه؛ لكون الأمانة غالبة فيه بالنسبة على سائر صفاته لا أن أمانته كانت غالبة على أمانة غيره فيه رمد وعلّة؛ بل الصحيح: ان الأمانة، وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة؛ لكن تخصيصه بتوصيفه بها؛ لغلبتها فيه بالنسبة إلى غيرهم، دلّ عليه قوله: (**أمينًا**): فإن المراد به الأمين الكامل من بين أمناء الأمة؛ بل صرَّح به قوله: (**أيتها الأمة**)؛ فإن المراد: إن عبيدة بن الجراح بكمال مختص تلك الصفات من بين الأمة لا بالنسبة إلى سائر صفات نفسه.

نعم قد يكون الكمال إضافيًا بالنسبة إلى نفس الكامل أيضًا، كما قالوا: إن الصديق رضي الله عنه كان الغالب في نشأته هو المعرفة[٢] الإلهية مع وجود سائر الصفات

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٩/٣)، ومسلم (١٨٨١/٤).

(٢) قال سيدي مصطفى البكري: المعرفة ثلاثة أقسام: معرفة عوام، وخواص، وخواص الخواص.
فالأولى: معرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقه تعالى، وكذلك في حق رسله، وهذه واجبة على كل مكلف؛ لئلا يشتبَّه عليه الحال فيقع في الخيال، وليسلم من ورطة التقليد في التوحيد.
قال صاحب الجوهرة: إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل عن ترديد، وكل من طلب الثانية و لم يحكم الأولى كان جاهلاً بالله؛ فإنها أولى وأولى، ويجب على صاحب هذه المعرفة أن يطلب العلم الواجب في حقّه؛ ليكون ممن يعبد الله على بصيرة، وإلا كان ما يهدم أكثر مما يبني.
ففي الحديث: «ركعتان من عالمٍ أفضل من سبعين ركعة من غير عالم».
والعالم العامل هو الورع المشار إليه بحديث: «ركعتان من رجلٍ وَرِعٍ أفضل من ألف ركعة من مخلط». رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس. وإلا فمع الجهل أين الورع.
والثانية: معرفة آثار الأسماء والصفات، وظهور أنوار تلك الآثار في القلب؛ ليخلص صاحبه من الآفات، وطريقها تسير الأوقات بالعبادات، وتزكية النفس وترك المخالفات، والجلوس على بساط الفقر والانكسار، وشغل القلب بمراقبة العزيز الغفار، والاقتداء بأستاذٍ شهدت بصحة عقيدته وكماله
=

=

العارفون، وأقرَّت بحسن منازلاته ومواجيده الواصلون، ليسلك به مقام التعلق، ويرقيه إلى التحقق، ويوصله إلى التخلق، وهناك يدرك الأسرار بطريق المنازلة والذوق، ويأكل لا من تحت الأرجل بل من فوق، وطريق التصوف عند السادة الصوفية، كله تخلق بالأخلاق المصطفوية، فمن زاد تخلقه زاد تصوفه، والتخلق يحتاج إلى السلوك، وهو يفتقر إلى المرشد العارف.

قال الشعراني ﷺ في الميزان: أما سلوكك بغير شيخٍ فلا يسلم غالبًا من الرياء والجدال والمزاحمة على الدنيا، ولو بالقلب من غير لفظٍ، فلا يوصلك إلى ذلك، ولو شهد لك جميع أقرانك بالقطبية فلا عبرة بها.

وقد أشار إلى ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فقال:

(من سلك الطريق بغير شيخٍ ولا ورعٍ عمَّا حرَّم الله فلا وصول له إلى معرفة الله تعالى المعرفة المطلوبة عند القوم ولو عبد الله تعالى عمر نوح الطَّيْكِلا).

ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك، وهناك يطلع كشفًا ويقينًا على حضرات الأسماء الإلهية، ويرى اتصال جميع أقوال العلماء بحضرة الأسماء، ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين؛ لشهود اتصال جميع أقوالهم بحضرة الأسماء والصفات، لا يخرج عن حضرتها قول واحد من أقوالهم.

وهذه المعرفة نتيجة التخلي عن الأخلاق الذميمة، والتحلي بالأوصاف الكريمة، فأثمرت التحلي بالأسرار العظيمة، وفي الحديث: «الأخلاقُ مخزونةٌ عند الله تعالى، فإذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيرًا منحه منها خلقًا».

وقال ﷺ: «إنما بُعثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق».

قال صاحب عوارف المعارف: فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق، فنفوس العباد أجابت إلى الأعمال وجمحت عن الأخلاق، ونفوس الزهَّاد أجابت إلى بعض الأخلاق دون البعض، ونفوس الصوفية أجابت إلى الأخلاق الكريمة كلها).

والثالثة: معرفة كنوز أسرار الذات العليَّة، وهذه المعرفة خاصة بأكابر المحققين من الأولياء الراسخين، وقد أشرنا إلى طلب هاتين المعرفتين بقولنا في ورد السحر المُسمَّى بالفتح القدسي والكشف الأنسي، والمنهج القريب إلى لقاء الحبيب: إلهي عرفني حقائق أسمائك الحسنى، وأطلعني على رقائق دقائق معارفك الحسنى، وأشهدني خفي تجليات صفاتك، وكنوز أسرار ذاتك.

وتكلمنا على هذا التوسل في شرح الورد المُسمَّى بـ (الضياء الشمسي على الفتح القدسي). وطريق هذه المعرفة لا يكون إلا عن محض المِنَّة، وكرامة صاحبها استقامته على نهج الكتاب والسُّنَّة.

=

=

قال أبو يزيد البسطامي قدَّس الله سرَّه: لو نظرتم إلى رجلٍ أُعطي من الكرامات حتى تربَّع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة، ولما قصد زيارة ذلك الرجل المشهور بالزهد ودخل المسجد، رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف ولم يسلِّم عليه وقال: هذا غير مأمون على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على ما يدَّعيه، فاتِّباع القدم المحمدي نعمة وأي نعمة، والزيغ عنه نقمة لا يماثلها نقمة، فإن شؤم هلاك الدين لا يعادله شؤم، نعوذ من ذلك بالله الحي القيوم.

وإذا نظرت بعين التحقيق في هؤلاء الزنادقة المنابذين لأهل الطريق لم ترَ عندهم غير شقشقة اللسان الخالية عن الدليل والبرهان، وإذا بحثت مع أحدهم أسفر وجهه عن أخلاق البغال بكلام أبرد من برد العجوز؛ لتمثله في صف النعال، ويستدلون بأدلة، كبيت العنكبوت وحجه عادت بتوالي الأيام مقطوعة الثبوت كأنها ألعاب الشمس، وهي أبعد عن الحق من أمس يتمسكون بكلام السكارى، ويحتجُّون بأقوال الحيارى، مع أن الصحاة إذا خالفوا نص الشارع لا يعول على كلامهم، ولا يلتفت بعد وجود الحق الصراح لما يضاده من أفهامهم، اللهم إلا أن يكون فهمًا لا يعارض نصًّا، ولا يوجب في مقام قائله نقصًا.

هذا مع أن تلك الشطحات مؤولة، وعن مؤدي اللفظ الظاهري إلى ما يليق محولة، ولهم كتبٌ في الألفاظ المصطلح عليها كثيرة، فكيف يفهم من لم يدرِ رموزهم العسيرة، وضعوها غيرةً على الأسرار أن تُذاع لدى الأشرار.

قال سيدي الشيخ عبد الغني، حفظ الله وجوده، ورزقه العيش الهنيء في رسالته المُسمَّاة بـ«إيضاح المقصود في معنى وحدة الوجود»:

والحاصل أن جميع علماء الظاهر لا حق معهم في الطعن على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين، القائلين بذلك على وجه الحق والصواب كما ذكرنا، أما القائلين بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين والزنادقة الملحدين، الزاعمين بأن وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى، وذواتهم المفروضة المقدرة هي بعينها ذات الله تعالى، وصفاتهم المفروضة المقدرة هي بعينها صفات الله تعالى، الذين يحتالون بذلك على إسقاط الأحكام الشرعية عنهم، وإبطال المِلَّة المحمدية، وإزالة التكليف عن نفوسهم، فالطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح، وعلماء الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهَّاب، والعارفون المحققون في هذا الطعن من غير خلافٍ قد أشار إليهم الشيخ عبد الكريم الجيلي، قدَّس الله سرَّه، في كتابه المُسمَّى شرح الخلوة في أوائله من الوصايا حيث قال:

=

=

(يا أخي.. قد سافرت إلى أقصى البلاد، وعاشرت أصناف العباد، فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشر ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الحق تعالى من طائفة تدَّعي أنها من كُمَّل الصوفية، وتنسب نفسها إلى الكمَّل وتظهر بصورتهم، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر، ولا تتقيَّد بالتكاليف الشرعية، وتقرر أحوال الرسل وما جاءوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، فكيف من وصل إلى مراتب الكشف والعيان، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشروان وجيلان وخراسان، لعن الله جميعهم.

فالله الله يا أخي.. لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة؛ لقوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، وإن لم يتيسر لك فاجتهد ألا تراهم ولا تجاورهم، فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم، وإن لم تفعل فما نصحت نفسك، والله الهادي).

وقال الجنيد ﷺ لرجلٍ ذكر المعرفة وقال: (أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرُّب إلى الله تعالى): إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها.

وقال ﷺ: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ﷺ.

وقال ﷺ: من لم يحفظ القرآن و لم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسُّنة.

وقال ﷺ: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

وقال ﷺ: رأيت في المنام أني أتكلم على الناس، فوقف عليَّ ملكٌ فقال: ما أقرب ما تقرَّب به المتقربون إلى الله تعالى؟ فقلت: بعملٍ خفيٍّ بميزان، وفي قولي وهو يقول: كلامٌ موفقٌ والله، وقيل له: من أين استفدت هذا العلم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأومأ إلى درجة في داره.

ورُئي في يده سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة، فقال: طريق وصلت به إلى الله تعالى لا أفارقه، وكان يدخل كل يومٍ حانوته ويسبل الستر، ويصلّي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته، كذا في الرسالة القشيرية.

فانظر يا أخي بعين الإنصاف إلى حال هؤلاء الزنادقة، وما هم عليه من سوء الاعتقاد مع ادِّعائهم المعرفة بالله تعالى التي هي أعز منالاً من بيض الأنوق ومن مناط العبوق، وحال السلف الصالح تجد

=

أيضًا، كما شهد به النبي ﷺ.

وكان الغالب في نشأة الفاروق ﷺ هو الشريعة؛ ولذا اُشتهر بالعدل، ولم يزل يمشي مع الدرة، ومن المعلوم انه من أرباب الكرامات والحالات أيضًا، سمع كلامه سارية من مسافة شهر، وهو على المنبر النبوي يوم الجمعة.

وكذا كان الغالب في نشأة ذي النورين هو الطريقة؛ ولذا كان مشغولاً بالصيام والقيام وتلاوة القرآن إلى أن قبضه الله على المصحف؛ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧].

ومن المحال: أن يكون من عظماء الصحابة وخواصهم من غير أن يكون وجوده المحيط جامعًا للكمالات كلها.

وكذا الغالب في نشأة المرتضى كرَّم الله وجهه الحقيقة، وذلك يقتضي أن يكون كاملاً أيضًا في مرتبة الشريعة والطريقة والمعرفة، فإن باب الحقيقة لا يُفتح إلا

=

بينهم من البون كما بين النور والظلام، والعلم والجهل التام.

فإن القوم تخلّقوا وهؤلاء تشدّقوا، وأولئك اتّبعوا وهؤلاء ابتدعوا، وأولئك على الحق ائتلفوا وهؤلاء اختلفوا، والقوم ساروا وما وقفوا وهؤلاء وقفوا وتخلفوا، أجمع أهل الحق على اتّباع الشريعة فخالفوهم، وعلى مخالفة الشيطان وجنوده فحالفوهم، وقد قلت سابقًا محذرًا من هذه الطائفة التي عليها دوائر السوء دائرة وبها طائفة.

ولا بدَّ من معرفة الأخلاق الحسنة كالتقوى والزهد والورع ونحو ذلك واستعمالها، ومعرفة الأخلاق السيئة كالحسد والحرص والرياء ونحوها واجتنابها، ثم الدوام على ذلك من غير تحولٍ عنه، ومطالعة مواجيد العارفين من أهل الكمال، والاقتباس من أنوارهم، والمشي على طريقتهم مع محبتهم، وتحسين الظن بهم وبكلامهم نثرًا ونظمًا، وإساءة الظن بنفسه إذا لم يفهم شيئًا من مواجيدهم الإيمانية لكمالهم ونقصانه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم). وانظر: السيوف الحداد (ص ١٥) بتحقيقنا.

على أهل العمل الصالح، والسالك المتقّي الكامل في سيره؛ ولكن كان في باب الحقيقة أكمل، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [البقرة:١٥٣]؛ هي في صفات الكمال النوعي.

فميزان الوجود لا يخلو عن الترجُّح بوجه من الوجوه ما خلا وجود نبينا ﷺ، فإنه منبع الكمالات، ومصدر التجليَّات، وفي وجوده الظاهر، وقواه الباطنة، وحالاته المستورة من الاعتدال التام، والتسوية الكاملة ما لم لأحد غيره من العالمين، ولا يكون أبدًا؛ فإنه مركز العالم، ومداره ظاهرًا وباطنًا، وحكم وجوبه وإمكانه على الاعتدال في الغاية، كما يُنبئ عنه شرح صدره، فإنه كان مع الحق ومع الخلق جميعًا في حالة واحدة لم يترجَّح حاله بأحدهما على حاله بالاخر، فهو الجامع، وهو الأول الأخر، وهو الظاهر الباطن، وهو الحق الخلق، وهو الفاتح الخاتم، وهو المبدأ، وإليه المصير.

قال الله تعالى في آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٥٤- **في الصحيح**: قال رسول الله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**»(١):

أشار بالقبور إلى أبدان مَن مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار.

ما ورد أيضًا: «**إذا تحيَّرتم في الأمور، فاستعينوا من أهل القبور**»(٢).

فإن أغلب الأقوال فيه: هو ان أهل القبور أهل الفناء المعنوي شُبِّهت أبدانهم بالقبور، وأرواحهم بأهل القبور، والجامع الفناء.

(١) رواه مسلم (٢/٦٧٢)، وأبو داود (٣/٢١٨) بنحوه.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٨٨).

والموت المعنوي: أقوى من الموت الصوري، ولذا لا ينتقض الوضوء حال الفناء والانسلاخ بخلافه حال الموت الصوري؛ ولذا يتوضأ للموت، ويغتسل، وبخلافه حال المنام، فإنه أخرج الموت في انقطاع وضوء الروح عن ظاهر البدن، وهذا بالنسبة إلى عامة الورثة.

وأمَّا النبي ﷺ فقد قال: «**ينام عيناي ولا ينام قلبي**»(١)؛ ولذا كان يُصلِّي الفجر بعد الاضطجاع، والنوم بلا تجديد الوضوء فرقًا بين مقامه، ومقام غيره، وأمَّا غُسله بعد انتقاله، فمَن قبيل التشريع، وإلا فمنامه وموته من وادٍ واحد، فإن كلاً من روحه المطهَّر، وبدنه المنظَّف من عالم الأمر في الحقيقة لا من عالمٍ الخلق؛ لكمال امتزاج أحدهما بالآخر.

على أن بعض أهل الإشارة قال: إن ترابه كان من تراب الجنة، فأين غيره من منـــزلته في القلب والقالب؟!

وإليه الإشارة بقوله: «**حُبب إليّ من دنياكم ثلاث**»(٢) حيث أضاف الدنيا إلى المخاطبين كأنه ليس هو من الدنيا بدنًا وروحًا؛ بل من الآخرة، فإنه لَّما خلقه الله من نوره؛ ألبسه الهيئة المحمَّدية؛ فتلك الهيئة اللطيفة النورانية تعيَّنت بتعيُّن أخر لطيف روحاني؛ فصارت صورة محمَّدية.

ومن كمال نورانيته، وروحانيته، ونهاية لطافته وحسنه قال: «**أنا أملح**»(٣)؛ فصار هو الحسن كله تصوَّر بصورة أحمدية؛ وهو الحميد، كما أنه الجليل؛ وهو المليح، كما أنه الحسن، إذ ليس كل حسن مليحًا، فإن الملاحة أمر وراء الحسن يحصل من اجتماع الأسباب، والأسماء، ولا ينتبه له كل ناظر، ولبيب.

ثم الوجه في التصفِّي أولاً، والأذن ثانيًا، وهو أن المحجوب وأهل البداية لا سيما العوام لا يعرفون كيفية الاستعانة، ولا يهتدون إلى وجه الاستمداد، وإذا دخلوا على أهل القبور سواء كانوا أحياء في الدنيا، أو منتقلين إلى الآخرة فربما غلب عليهم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) لم أقف عليه.

الإلحاد، وسوء الاعتقاد، فخلطوا الأمر؛ فظنوا العبد رب العبد، وهذا باطل في الحقيقة.

فإن الرب رب، والعبد عبد، وإنما التأثير من الله تعالى سواء كان في صورة العبد، أو بلا واسطة؛ فإن كل كمال فهو إنما يرجع إلى الله تعالى لا إلى العبد، وإنما العبد مظهر ذلك، المظهر غير الظاهر، وإن كان حقًا بحسب حاله ومقامه، كما دلَّ عليه قول بعض الأكابر: إنما الكون خيال، وهو حق في الحقيقة؛ كالظل فإن له وجوداً حسيًا، وإن كان دون وجود ذي الظل؛ لأنه وجود حقيقي بالنسبة إليه.

وأمَّا المنتهى: فيرجع في الزيارة والدعاء إلى الحقيقة، فيراعي المراتب؛ فيكون في الدعاء، والزيارة فائدة له، وقوة لدينه، وزيادة وبركة لعمره ودنياه، ولأجل الصعوبة في زيارة قبور الأولياء، وتردُّد مجالسهم ومحاضرهم على وجه السنة، والحقيقة أكبَّ علماء الظاهر على تنفير الناس من الزيارة؛ لكن الله تعالى قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، فالوجه الفرق بين الموحِّد، والمشرك، والعارف، والجاهل(١).

---

(١) قال الشيخ حسن العدوي: اعلم أن حكم الزيارة الأصل فيه الندب وذلك للرجال، ويُحرَّم للشواب من النساء، ويجوز للقواعد اللاتي لا أرب للرجال فيهن.

قال الأستاذ الشيخ عبد الباقي على خليل: وأخذ بعضهم اختصاص الزيارة بالرجال دون النساء من قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» بناءً على الأصح عند الفقهاء والأصوليين من عدم دخولهن في خطابهم قال: انتهى.

قال: والأحسن الاستدلال على منعهن بخبر: «ارجعن مأزوات غير مأجورات»، قال: وهذا في الزمن القديم فكيف بهذا الزمن كما في المدخل انتهى.

لكن قال العلاَّمة الأمير: قوله: والأحسن..إلخ فيه أن هذا الحديث في خروجهن خلف الميت، وقد قيل أنه منسوخ خاص بأول الزمن من حيث كن يخرجن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى انتهى.

قال في المواهب اللدنية: قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي قال: وأوجبها الظاهرية، قال: ومحل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف الأظهر في مذهب الشافعي الكراهة انتهى.

=

=

فعليك بما سمعته من التفصيل، ويؤيده رواية الإمام البخاري عن أبي يعلى قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةٍ، فرأى نسوة فقال: أتحملنه؟ قلن: لا، قال: أتدفنه؟ قلن: لا، قال: فارجعن مأزورات غير مأجورات».

قال شارحه القسطلاني: واستفهامه ﷺ منهن إنكاري وتوبيخ على خروجهن انتهى.

وأما زيارتهن للقبور فمستحبة لغير الشواب منهن، ما لم يلزم على ذلك اجتماع على القبر لتعديدٍ أو نوحٍ وإلا حُرِّم.

ويدل لذلك ما أخرجه الإمام البخاري قال: «مرَّ النبي ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فقال: اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني فإنك لم تصب مصيبتي، و لم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك يا رسول الله، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

قال الإمام القسطلاني: زاد في رواية يحيى: «فسمع منها ما يكره» قال: أي من نوح أو غيره على القبر، وزاد في رواية مسلم: «قيل لها: هل تعرفينه؟ قالت: لا، فقيل لها: هو رسول الله ﷺ، فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله ﷺ»، قال: وإنما اشتبه عليها ﷺ؛ لأنه من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه إذا مشى كعادة الملوك والكبراء انتهى.

فأنت تراه ﷺ إنما أمرها بالتصبّر والاحتساب، ونهاها عن البكاء، و لم ينهها عن الزيارة.

وقال العلاّمة المذكور: يندب لهن زيارة قبور الأنبياء والأولياء لرجاء الخير والبركة انتهى.

قلت: والأظهر تقييد هذا بغير الشواب اللاتي يخشين من خروجهن الفتنة، ويدل لهذا التقييد قول العلاّمة المذكور في شرحه على البخاري: أن ما ورد من الأمر بالزيارة محمول على الندب بالنسبة للرجال، وأما الشواب من النساء فالظاهر الحرمة.

قال: وعليه يحمل حديث الإمام الترمذي: «لعن الله زوّارات القبور».

قال: وقال القرطبي: يحتمل أن الحرمة منصبة على الكثرة أخذًا من قوله: زوارات للمبالغة، وحمل بعض الشُّراح ذلك على زيارتهن للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن.

قال الشارح القسطلاني المذكور: ولو قيل بالحرمة في حقهن في هذا الزمان لا سيما نساء مصر لما في خروجهن من الفساد لم يبعد انتهى.

وقوله: البكاء: أي برفع صوت، وأما بمجرد حزن وسيلان دمع فلا كراهة ولا منع؛ لما ذكره الإمام القسطلاني عنْ الإمام الترمذي: «دخل رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون وهو ميتٌ **فأكبَّ** وقبَّله وبكى حتى سالت دموعه على وجنتيه».

=

=

وفي رواية عنه ﷺ: «إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم، وإن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه: أي إن أوصاهم بذلك» انتهى.

قال الإمام القرطبي: قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور لا سيما إن كانت قاسية، وذلك لما فيه من مزيد الاعتبار والتأمل فيما صار إليه أمرهم.

قال في كنـــز الأسرار: وما زال على ذلك أهل الفضل واليقين.

وقد كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم نسخ النهي، وأمر بعد ذلك بالزيارة لقوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهدكم في الدنيا وتذكركم الآخرة».

وفي رواية للطبراني في التفسير عن زيد بن ثابت: «زوروا القبور ولا تقولوا هجرًا: أي قولاً باطلاً»، وكلاماً لا يعني بل المقصود الاشتغال بالاعتبار والتأمل والتدبر في أحوال الآخرة، ولا ينبغي الاشتغال بغير ذلك من أكلٍ وخلافه، كالضحك مما ينافي التدبر المطلوب.

وفي الحديث قال العلاّمة الأجهوري: رُوي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبيَّ ﷺ خرج إلى المقبرة وقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، فنسأل الله لنا ولكم العافية».

قال: وعن ابن عبد البر بسندٍ صحيحٍ: «ما من أحدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام».

وورد أن النبيَّ ﷺ زار قبر أمه وقبر عثمان بن مظعون.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مرَّ النبي ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليها وقال: السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع، نسأل الله لنا ولكم العافية، أنتم سلفنا ونحن بالأثر» انتهى.

وفي الشيخ عبد الباقي: وأخرج بن أبي شيبة عن الحسن قال: من دخل المقابر فقال: اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا، وهي بك مؤمنة، أدخل عليها روحًا منك وسلامًا مني، استغفر له كل مؤمنٍ مات منذ خلق الله آدم»، وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ: «كُتب له بعدد من مات من ولد آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات» انتهى.

قال: وظاهر الأول استغفار من لم يدخل مقبرته أيضًا، وظاهر الثاني العموم في عددهم أيضًا.

قال العلاّمة الأمير: قوله: ابن أبي شيبة هو من مشايخ البخاري، وقوله: روحًا منك بفتح الراء: أي رحمة، قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٩] انتهى.

=

=

وفي الحديث عنه ﷺ: «من زار قبري وُجبت له شفاعتي»، وفي روايةٍ: «من زارني بالمدينة محتسبًا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة».

ومعنى وجوب الشفاعة للزائر ثبوت شفاعة خاصة منه ﷺ لذلك الزائر لا دخوله في العموم، وهذا يستلزم البُشرى بالموت على الإيمان، ولا يخفى ما في الإضافة من تمام التشريف، فإن الشفاعة تعظم بشرف الشافع.

وفي روايةٍ للبيهقي: «من مات في أحد الحرمين بُعث مع الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسبًا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة»، ويجب على الزائر تمام الأدب عند قبره الشريف ﷺ فإنه حيٌّ يشاهده.

قال العلاّمة السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا، يشهد لذلك صلاتهم في قبورهم، فإن الصلاة تستدعي جسدًا حيًّا، وكذلك الصفات المذكورة للأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج للطعام والشراب، وأما الإدراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى انتهى.

وظاهر عبارة المحقق المذكور تقتضي مساواة الشهداء للأنبياء في حياتهم في البرزخ، والذي ذكره في الجواهر أن حياة الأنبياء في البرزخ أقوى وأكمل من الشهداء، ونصّه لا شك أن حياة الأنبياء في البرزخ أكمل من حياة الشهداء مع اعتقادنا ثبوت نحو السمع والبصر لكل ميتٍ، وعود الحياة له، كما ثبت نعيمُ القبر في السُّنة وعذابه، وإدراكهما مشروط بالحياة لكن يكفي حياة جزء يقع به الإدراك ولا يتوقف على الحياة البينة، نعم الظاهر من الأدلة أن حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء، وإذا علمت ذلك فيجب عليك حينئذٍ أن تكون في غاية الأدب عند زيارته ﷺ، خافضًا لصوتك، وجلا حزينًا على ذنوبك.

وفي الشفاء بسند جيدٍ عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين الإمام مالكًا ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدَّب قومًا فقال: ﴿**لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ [الحجرات:٢]، ومدح قومًا فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحجرات:٣]، وذمَّ قومًا فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**﴾ [الحجرات:٤]، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم استقبل وجه رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو

=

=

وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى، بل استقبل واستشفع به قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾ [النساء: ٦٤] انتهى.

وقوله: (وهو وسيلة أبيك آدم) ظاهر لما صحح الحاكم عنه ﷺ لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ لما غفرت لي: أي ألا غفرت، فقال: يا آدم كيف عرفت محمدًا و لم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، قال تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إِلَيَّ إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك، فهو ﷺ رحمة لكافة الخلق لا سيما لأمته في حياته وبعد مماته، كما في الحديث عنه ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ومماتي خير لكم تُعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خيرٍ حمدت الله تعالى عليه، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم».

والذي عليه الاعتماد والتحقيق أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وأن النبيَّ ﷺ يسر بطاعة أمته، وينبغي للزائر مزيد التوسل به ﷺ في إقالة ذنوبه وعثراته، كما كان يتوسل به في حياته.

قال في المواهب اللدنية: اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، إلى أن قال: وينبغي لمن قصد زيارة قبره الشريف أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه؛ لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشَد الرحال إلا إليها، وهو أفضلها عند مالك إلى أن قال: وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ في طريقه، فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليردد الصلاة والتسليم عليه ﷺ، وليسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين، وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه ماشيًا باكيًا، قال: ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله ﷺ ألقوا أنفسهم عن رواحلهم و لم ينيخوها، وسارعوا إليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه، قال: ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى أصابت بعض الثرى والجدران، **قال:** ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة.

قال: قيل: وهذا ما لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف، وإلا استحبت الزيارة أولاً.

قال في تحقيق النصرة: هو استدراك حسن، قال: ورخص بعضهم تقديم الزيارة مطلقًا.

قال: قال ابن الحاج: وكل ذلك واسع، قال: وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه، وليكن مقتصدًا في سلامه بين الجهر والإسرار.

=

=

وفي البخاري أن عمر ﷺ قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضربًا، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ، قال: فيجب الأدب معه ﷺ كما في حياته.

قال: وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه المكرم، ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه ﷺ بأن يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار.

قال شارحه الزرقاني: وهذا المسمار وقد أُزيل الآن وصار بدله شباك من نحاسٍ أصفر يقابله الزائر.

قال القسطلاني: وقد رُوي أن مالكًا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي: يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة.

قال: وينبغي للزائر أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع، ويلازم الأدب والخشوع والتواضع، غاضًا البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته، ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته؛ إذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم، ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده جلي لا خفاء به.

قال: وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب: ليس من يومٍ إلا ويُعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوةً وعشيةً، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم.

قال: ويمثل الزائر وجهه الكريم ﷺ في ذهنه، ويحضر قلبه جلال رتبته، وعلو منــزلته، وعظيم حرمته، وإن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخ السرار؛ تعظيمًا لما عظم الله من شأنه.

قال: ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح وأطراف: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين، جزاك الله أفضل ما جازى نبيًّا ورسولاً عن أمته، وصلَّى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه، وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلَّغت الرسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده.

قال: ومن ضاق وقته عن ذلك فليقل ما تيسر منه.

=

=

قال: وعن نافع عن ابن عمر كان إذا قدم من سفرٍ دخل المسجد، قال شارحها: أي فصلّى ركعتين ثم أتى القبر المقدس فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

قال القسطلاني: وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع.

قال: وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال: يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا ما أذنًّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك، فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورًا لكم، قال: وقد بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال: صلّى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملكٌ: صلّى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

قال: قال الشيخ زين الدين وغيره: والأولى أن ينادي: يا رسول الله، وإن كانت الرواية يا محمد، فإن أوصاه أحدٌ بإبلاغ السلام إلى النبي ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان، ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع، فيُسلم على أبي بكر ﷺ؛ لأن رأسه بحذاء منكب النبي ﷺ، فيقول: السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين، السلام عليك يا من أيّد الله به يوم الردة الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير، اللهم ارضَ عنه وارضَ عنا به، ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب ﷺ فيقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا من أيّد الله به الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير، اللهم ارضَ عنه وارضَ عنا به.

قال الإمام المذكور: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه سيدنا محمد رسول الله ﷺ بعد السلام على سيدنا أبي بكر وعمر، فيحمد الله تعالى ويمجده، ويصلي على النبي ﷺ، ويكثر الدعاء والتضرع، ويجدد التوبة في حضرته الكريمة، ويسأل الله تعالى بجاهه أن يجعلها توبةً نصوحًا، ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه.

قال: وفي الشفاء للقاضي عياض قال: «رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأرد عليهم».

قال: ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مشتهرة، ونبينا أفضلهم، قال: وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته ﷺ أكمل وأتم انتهى.

=

=

أسأل الله الكريم متوسلاً إليه بوجاهة نبيه العظيم أن يعطف علينا هذا القلب الرحيم، وأن يمن علينا بزيارته مع القبول والتكريم.

وفي الإمام الترمذي والنسائي وقال: حسنٌ صحيحٌ عن عثمان بن حنيف: «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خيرٌ لك فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد وقد شق عليَّ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا سيدنا يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي، اللهم شفِّعه فِيَّ».

وصححه البيهقي وزاد: «فقام فأبصر».

وقد ذكر الإمام ابن حجر في «الدر المنضود» أنه ينبغي لمن وقع في شدّةٍ أو حاجةٍ طالبًا قضاءها من ذي إمارة أن يفعل ذلك فيقضي الله حاجته.

وروى أبو سعيد السمعاني عن علي ﷺ قال: قدم علينا أعرابيٌّ بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره، وحثى على رأسه من ترابه، وقال: يا رسول الله، قلت: فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أُنــزل عليك: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء:٦٤]، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غُفر لك.

ومن ذلك المعنى ما ذكره الإمام العتبي قال: كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء:٦٤]، وقد جئتك مستغفرًا من ذنوبي متشفعًا إلى ربي.

قال: ثم انصرف، فحملتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: «يا عتبة ألحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له».

ولا شك أن الزيارة يحصل بها السرور لرسول الله ﷺ، وينشأ من ذلك النفع العميم للزائر، ومما يدل لذلك ما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء في قصة بلال بن رباح، وكان مقيمًا بالشام ببيت المقدس بعد وفاة رسول الله ﷺ، فرأى النبي ﷺ منامًا وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني، فبات حزينًا خائفًا، فركب راحلته وقصد المدينة، فحين وصل القبر الشريف صار يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبّلهما، فقالا له: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد، فعلا سطح المسجد

=

=

ووقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال: (الله أكبر) ارتجت المدينة، فلما قال: (أشهد أن لا إله إلا الله) زادت رجتها، فلما أن قال: (أشهد أن محمدًا رسول الله) خرجت العواتق من خدورهن، وقلن: بُعث رسول الله ﷺ، فما رأينا يومًا أكثر به باكيًا ولا باكيةً بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم»، فإذا علمت ذلك أن الزيارة وصلة مع الحبيب.

وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له ﷺ ورده عليه، فمد يده الشريفة من الشباك فقبَّلها، والزيارة إما ماشيًا أو راكبًا على قدر الطاقة، والمشي أفضل عند الاستطاعة؛ لقوله ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل الله غُفر له»، والمراد بسبيل الله: مطلق طاعة، كما ذكر الفقهاء في السعي للعيد والجمعة، والاغبرار عادةً إنما يكون بالمشي، فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب على السبب، وأما أفضلية الركوب في الحج فلفعله ﷺ، وإلا فقد ورد أن الملائكة تصافح ركاب الإبل وتعانق المشاة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

خاتمة تتعلق بانتقاله ﷺ لدار البقاء والتكريم، وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الأنبياء والمرسلين، وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود، وانفراده بالسؤدد في مجمع مجامع الأولين والآخرين، وترقيه في جنات عدن أرقى مدارج السعادة، وتعاليه في يوم المزيد أعلى معالي الحسنى وزيادة.

قال في المواهب اللدنية في فصل وفاته ﷺ: اعلم وصلني الله وإياك بحبل تأييده، وأوصلنا بلطفه إلى مقام توفيقه وتسديده، أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان، ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان.

قال: ولما كان الموت مكروهًا بالطبع؛ لما فيه من الشدة، لم يمت نبيٌّ من الأنبياء حتى يُخيَّر، وأول ما أُعلم النبي ﷺ باقتراب أجله بنـزول سورة: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ*وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً*فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾ [النصر: ١، ٢، ٣] ، فإن المراد من هذه السورة: إنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجًا، فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أُمرت به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا خير لك من الدنيا، فاستعد للنقلة إلينا، وهذه آخر سورة نُـزلت عليه يوم النحر بمنى في حجة الوداع، وعاش بعدها قيل: أحدًا وثمانين يومًا، وعن ابن عباس: تسع ليال.

قال: وفي الطبراني عن ابن عباس: لما نُـزلت: «إذا جاء نصر الله والفتح» نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه، فأخذ بأشد ما كان قط في أمر الآخرة.

=

=

قال: وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، قال الشارح: كان قبل وفاته بخمس ليال فقال: «إن عبدًا خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر ﷺ وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: أي أبو سعيد: فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: أي أبو سعيد: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: «إن أمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقى في المسجد خوخة إلا سُدَّت إلا خوخة أبي بكر»، رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن رجب: وكان ابتداء مرضه ﷺ في أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا في المشهور.

قال: وأول مرضه ﷺ كان صداع الرأس، قال: والظاهر أنه كان مع حُمَّى، فإن الحُمَّى اشتدَّت به في مرضه، فكان يجلس في مخضب ويُصب عليه الماء من سبع قرب لم تُحلل أو كيتهن يتبرد بذلك.

وفي البخاري قالت عائشة رضي الله عنها: «لما دخل بيتي واشتد وجعه قال: أهريقوا عليَّ من سبع قرب لم تُحلل أو كيتهن لعلي أعهد إلى الناس، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن».

قال: ولعل الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر يدل عليه رواية عروة عنه ﷺ قال: «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»، والأبهر: عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، ولذلك كان ابن مسعود وغيره من أكابر الصحب يرون أنه ﷺ مات شهيدًا من السمِّ، **فعلم من ذلك أنه ﷺ اشتد** عليه مرض الموت من وجوه ثلاثة: صداع، وحُمَّى، وأثر السم السابق، ولعل الحكمة في ذلك زيادة الكمال والدرجات يدل له حديث البخاري عن عبد الله قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا، قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجرين، قال: أجل ذلك كذلك ما من مسلمٍ يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كَفَّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»، والوَعْك بفتح الواو وسكون العين: ألم الحُمَّى وقيل: الحُمَّى.

وقال أبو هريرة: ما من وجعٍ يصيبني أحب إلِيَّ من الحُمَّى؛ إنها تدخل في كل مفصلٍ من ابن آدم، وإن الله يعطي كل مفصلٍ قسطًا من الأجر.

=

=

وفي رواية الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان قالت: «أتيت النبي ﷺ في نساء تعوده، فإذا سقاء يقطر عليه من شدة الحُمَّى، فقال: إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

ويُروى أنه كان ﷺ عنده في مرضه سبعة دنانير، فكان يأمرهم بالصدقة بها، ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه، فدعا بها فوضعها في كفه، وقال: «ما ظنَّ محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه، ثم تصدَّق بها كلها»، رواه البيهقي.

قال القسطلاني: انظرا إذا كان هذا سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة، وما ظنه بربه تعالى.

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قُبض فيه فسارها بشيءٍ فبكت، ثم دعاها فسارها بشيءٍ فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أيضًا قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فأكبَّت عليه فقبلته.

واتفقت الروايتان على أن الذي سارها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميتٌ من مرضه ذلك، واختلفتا فيما سارها به فضحكت، ففي رواية عروة: أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقًا به، وفي رواية مسروق: أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله لحوقًا به مضمومًا إلى الأول: أي الذي سارها به أولاً وهو إخباره ﷺ إياها بأنه ميتٌ من مرضه.

قال: وهو الراجح، فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة، وهو من الثقات الضابطين، فمما زاده مسروق قول عائشة رضي الله عنها فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عن ذلك، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى توفي النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسرَّ إليَّ أن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي.

قال: وفي رواية للطبراني عن عائشة رضي الله عنها أنه قال لفاطمة: إن جبريل عليه السلام أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزية منكِ، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرًا.

قال: وفي الحديث إخبارها ﷺ بما سيقع فوقع كما قال ﷺ، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها كانت أول من مات من أهل بيت رسول الله ﷺ بعده حتى من أزواجه ﷺ.

=

=

قال: ولما اشتدَّ به وجعه ﷺ قال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فقالت له عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ رقيقٌ، إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء، قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فعاودته مثل مقالتها، فقال: إنكن صواحبات يوسف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، رواه الشيخان.

قال: و(صواحبات) جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، فإن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها لكونه لا يسمع الناس القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك، وهو ألا يتشاءم الناس به، وقد صرَّحت هي بذلك كما عند وفاته ﷺ، فقالت: «لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبدًا».

وفي البخاري قال: «مرَّ أبو بكر والعباس بمجلسٍ من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، فصعد المنبر و لم يصعد بعد ذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم».

وقوله: (كرشي وعيبتي) قال الشارح: بفتح الكاف وكسر الراء والشين المعجمة، وعيبتي بفتح العين وفتح الموحدة، أراد بطانته: أي موضع سرّه وأمانته.

قال: وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أغمى على رسول الله ﷺ ورأسه في حجري، فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء، فلما أفاق قال: أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل».

قال: وظاهره أن الرفيق: المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين.

قال ابن الأثير في النهاية: الرفيق: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين.

وقيل: المراد به الله تعالى رفيق بعباده، وقيل: حظيرة القدس.

قال: «ولما احتضر ﷺ اشتدَّ به الأمر، قالت عائشة: ما رأيت الوجع على أحدٍ أشد منه على النبيِّ ﷺ، قالت: وكان عنده قدح من ماءٍ، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت».

وفي رواية: «فجعل يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات».

=

=

قال بعض العلماء: إن ذلك لشدة الآلام والأوجاع؛ لرفعة منـــزلته، وقيل: طربًا وفرحًا بلقاء ربه، ألا ترى إلى قول بلال حين قال له أهله وهو في السياق: واحزناه، ففتح عينيه وقال: واطرباه، غدًا ألقى الأحبَّة محمدًا وصحبه، فما بالك بلقاء النبي ﷺ ربه تعالى، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون، وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه، ويؤيد الأول رواية الإمام البخاري بقوله: «ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه، فقال لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم» انتهى.

قال الخطابي: والمراد بالكرب ما كان يجده ﷺ من شدة الموت، وكان ﷺ فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر انتهى.

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين، وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بهم، لم يفاجئهم رسول الله ﷺ، قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ ، فأشار إليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

وفي رواية عند البخاري في الصلاة فتوفي من يومه ذلك، وفي رواية البخاري أيضًا عن أنس: «أنه لم يخرجْ إلينا ﷺ ثلاثًا، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضح له وجه رسول الله ﷺ فما نظرنا منظرًا قط كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضح لنا، قال: فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب».

ورواه مسلم أيضًا قال: وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «لما بقي من أجل الرسول ﷺ ثلاث، نـــزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكرامًا لك وتفضيلاً لك، وخاصة لك، ليسألك عمَّا هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا، ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال له مثل ذلك، ثم استأذن فيه ملك الموت، قال الشارح: أي في اليوم الثالث، وجبريل عنده في الدخول فقال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت، يستأذن عليك، ولم يستأذن على نبيٍّ قبلك، ولا يستأذن على نبيٍّ بعدك، قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله، إن الله ﷻ أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر، إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، فقال جبريل: يا محمد، إن الله قد اشتاق إلى لقائك، قال ﷺ: فامضِ يا ملك الموت لما أُمرت به، فقال

=

جبريل: يا رسول الله، هذا آخر موطئي من الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا، فقبض روحه» انتهى.

فلما توفي رسول الله ﷺ وجاء من التعزية سمعوا صوتًا من ناحية البيت: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفسٍ ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبةٍ، وخلفًا من كل هالكٍ، ودركًا من كل فائتٍ، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المصاب من حرِّم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال علي ﷺ: أتدرون من هذا؟ هو الخضر عليه السلام»، رواه البيهقي في دلائل النبوة، وذكره الإمام الغزالي في الإحياء عن ابن عمرو، رواه ابن أبي الدنيا عن أنس، ورواه الحاكم في المستدرك.

قال البيهقي: وقوله في الحديث السابق: «إن الله اشتاق إلى لقائك».

معناه: قد أراد لقائك بأن يردك من دنياك إلى معادك، زيادة في قربك وكرامتك.

قال: ولما توفي رسول الله ﷺ كان أبو بكر غائبًا بالسنح، يعني العالية عند زوجته بنت خارجة، وكان ﷺ قد أذن له في الذهاب إليها، فسل عمر بن الخطاب ﷺ سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله ﷺ، وكان يقول: إنما أُرسل إليه كما أُرسل موسى عليه السلام، فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم، فأقبل أبو بكر ﷺ من السنح حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة رضي الله عنها، فدخل فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثي يقبِّله ويبكي، ويقول: توفي والذي نفسي بيده، صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيًّا وميتًا.

وفي حديث ابن عباس عند البخاري: «أن أبا بكر ﷺ خرج وعمر بن الخطاب ﷺ يكلم الناس، فقال : اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر ﷺ: أما بعد، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت»، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنــزل الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

وفي حديث ابن عمر: «أن أبا بكر ﷺ مرَّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين، قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال: يا أيها الرجل إن رسول الله ﷺ قد مات، ألم تسمع الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، ثم أتى المنبر.

=

قال القرطبي الإمام المفسر: وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق؛ فإن الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه حين قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ واضطرب الأمر، فكشف الصدِّيق بهذه الآية ما نـــزل بهم، ولما صعد على المنبر تشهد وصلَّى على نبيه ثم قال: أما بعد إلى أن قال: ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا: أي يكون آخرنا موتًا، أو كما قال: فاختار الله ﷻ لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله، فخذوا به تهتدوا لما هدي له رسول الله ﷺ.

وقال الإمام ابن المنير: لما مات ﷺ طاشت العقول، فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، وكان عمر ممن خبل، وعثمان من أخرس، وعلي ممن أقعد، وكان أثبتهم أبو بكر الصديق ﷺ، جاء وعيناه منهملاتان، وزفراته تردد، وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبيِّ ﷺ فأكبَّ عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال: طبت حيًّا وميتًا، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء قبلك.

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها: «إن أبا بكر دخل على النبيِّ ﷺ بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه، ووضع يده على صدغيه، وقال: وانبياه، واصفياه، واخليلاه.

قال: وقالت فاطمة عند وفاته: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه من إلي جبريل ننعاه».

قال الحافظ بن حجر: الصواب: «من إلي جبريل نعاه»

قال: وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده ستة أشهر، فما ضحكت تلك المدة، وحق لها ذلك.

قال: وأخرج أبو نعيم عن علي ﷺ قال: لما قُبض رسول الله ﷺ صعد ملك الموت باكيًا إلى السماء، والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتًا من السماء ينادي: وامحمداه، قال: وكان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبد الله اتق الله، فإن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

ورُوي أن بلالاً لما كان يؤذن بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه، فإذا قال: (أشهد أن محمدًا رسول الله) ارتجَّ المسجد بالبكاء والنحيب، فلما دُفن ترك بلال الأذان.

قال: وقد كانت وفاته ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف، وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتدَّ الضُّحى، ودُفن يوم الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء، وهو الذي عليه الجمهور، وقيل غير ذلك.

=

قال: والذي تولى غسله علي والعباس، وابنه الفضل يعينانه، وقثم وأسامة وشقران مولاه ﷺ يصبون الماء، وأعينهم معصوبة من وراء الستر؛ لحديث علي ﷺ: «لا يغسّلني إلا أنت، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه»، رواه البزار والبيهقي.

وفي رواية للبيهقي: «غسَّل علي النبي ﷺ، فكان يقول وهو يغسّله: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا».

وفي رواية ابن سعد: «وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط».

قال الإمام القسطلاني: قيل: جعل علي على يده خرقة، وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه، وحنطوا مساجده ومفاصله، ووضئوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه، وجمروه عودًا وندًا.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة»، وقوله: (سَحولية) بفتح السين نسبة إلى سحول: قرية من اليمن، وقوله: ليس فيها قميص ولا عمامة: أي ليس في الكفن ذلك أصلاً، وقيل: معناه في ثلاثة أثواب ما عدا القميص والعمامة، فيكون كُفِّن في خمسة.

قال النووي مرجحًا للأول في شرح مسلم: والصواب أن القميص الذي غُسِّل فيه النبي ﷺ نُــزع عنه بعد تكفينه.

قال: لأنه لو أبقى مع رطوبته لأفسد الأكفان.

قال: وأما رواية: «كُفِّن في ثلاثة أثواب وقميصه الذي تُوفي فيه» فحديث ضعيف.

وفي حديث ابن عباس: «لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء، وُضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس عليه ﷺ إرسالاً يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، و لم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد لا يستطيع جواد بعد غايتهم» انتهى.

قال الشارح الزرقاني: أخرج الترمذي: «إن الناس قالوا لأبي بكر ﷺ: أنصلي على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: وكيف نصلي؟ قال: يدخل قومٌ فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يدخل قومٌ فيصلون فيكبرون ويدعون فرادى».

قال: قال عياض في شرح مسلم: الذي عليه الجمهور أن الصلاة على النبي ﷺ كانت صلاة حقيقية لا مجرد الدعاء فقط، وما احتج به الأقلون من أن المقصود من الصلاة عليه عود التشريف على المسلمين، يرده أن الكامل يقبل زيادة التكميل.

قال: نعم لا خلاف أنه لم يؤمهم أحد عليه لقول علي ﷺ: «هو إمامكم حيًّا وميتًا» فلا يقوم عليه أحد انتهى.

=

قال الإمام القسطلاني: وفي رواية: «إن أول من صلّى عليه الملائكة أفواجًا، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجًا فوجًا، ثم نسائه آخرًا».

قال: ورُوي أنه لما صلّى أهل بيته، قال الشارح: أي أرادوا الصلاة، فلم يدر الناس ما يقولون، فسألوا ابن مسعود، فأمرهم أن يسألوا عليًّا، فقال لهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:٥٦]، لبيك اللهم ربنا وسعديك صلاة البر الرحيم، والملائكة المقربين، والنبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وما سبّح لك من شيء يا رب العالمين، على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الشاهد البشير، الداعي إليك بإذنك، السراج المنير.

قال: ذكره في كتاب تحقيق النصرة، قال الشارح الزرقاني: ولعل حكمة الأمر بهذه الآية تذكيرهم بالصلاة والسلام عليه في هذا الموطن، لبيك اللهم ربنا إجابة لك بعد إجابة فيما أمرتنا به من الصلاة والتسليم عليه، وسعديك: أي إسعادًا بعد إسعاد، ثم بعد الصلاة اختلفوا في موضع دفنه فقال قومٌ: في البقيع، وقال آخرون: في المسجد، وقال قومٌ: يُحمل إلى أبيه إبراهيم، حتى قال العالم الأكبر صدِّيق الأمة: سمعته ﷺ يقول: «ما دُفن نبي إلا حيث يموت»، كما في رواية الترمذي: «ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يُدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه»، وفي رواية: «لا يُدفن إلا حيث تُقبض روحه»، فقال علي: وأنا أيضًا سمعته، فحفر أبو طلحة لحد رسول الله ﷺ في موضع فراشه حيث قُبض.

وقد اختُلف فيمن أدخله قبره:

قال: وأصح ما رُوي أنه نـــزل في قبره عمه العباس، وعلي، وقثم بن العباس، والفضل ابن العباس، وكان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ قثم بن العباس.

قال الشارح: أي لأنه تأخر.

قال الإمام القسطلاني: ولما دُفن ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت: «كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب، وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها.

قال في المواهب: فإن قلت: أنه ﷺ تُوفي يوم الإثنين ودُفن يوم الأربعاء: أي قبيل الفجر، فَلِمَ أُخِّر دفنه ﷺ وقد قال لأهل بيت كانوا قد أخَّروا دفن ميتهم: «عجِّلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه».

قال: والجواب أن التأخير إما لأنهم كانوا لا يعلمون حيث يُدفن، أو لأنهم اشتغلوا في أمر الخلافة، فنظروا فيها حتى استقر الأمر فيها لصدِّيق الأمة، فبايعه أول يوم طائفة من المهاجرين والأنصار، ثم بايعه الجميع بالغد بيعة أخرى على ملإ منهم، وكشف الله للصدِّيق الكربة من أهل الردة وغيرهم بعد المبايعة، ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي ﷺ فنظروا في دفنه، فغسَّلوه وكفَّنوه ودفنوه.

=

٥٥- في الصحيح قال رسول الله ﷺ: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده»[(١)]:

اعلم أن تخصيص المسلم بالذكر حيث لم يقل: المؤمن...إلخ؛ إنما هو لأجل ذكر اللسان واليد، فإن الإسلام هو الانقياد والظاهر كما أن اللسان واليد من الأعضاء الظاهرة؛ فمَن له إسلام ظاهر؛ يجب عليه أن يكون بحيث يسلم ظاهر الخلق من أعضائه الظاهرة كلها.

=

قال أنس: ما رأيت يومًا كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

قال: وفي رواية للترمذي: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيءٍ»، قال الشارح: أي بسبب حلوله فيها.

ورواية البخاري: «ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ» انتهى.

قال الترمذي: فلما كان اليوم مات فيه أظلم منها كل شيءٍ، وما نفضنا أيدينا من التراب، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

قال: ومن آياته ﷺ بعد موته ما ذكر من حزن حماره عليه، يعني يعفور حتى تردى في بئرٍ، وكذا ناقته فإنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت.

قال: وفي حديث أبي موسى في رواية مسلم عنه أنه ﷺ قال: «إن الله إذا أراد بأمّة خيرًا قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذّبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره».

وإنما كان قبض النبي ﷺ قبل أمته خيرًا؛ لأنهم إذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم، وإذا أراد الله بهم خيرًا جعل خيرهم مستمرًا ببقائهم محافظين على ما أُمروا به من العبادات وحسن المعاملات، نسلاً بعد نسلٍ، وعقبًا بعد عقب.

قال: ولمّا قُبض ﷺ تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة.

قال: إذا كان عرش الرحمن قد اهتزَّ لموت بعض أتباعه فرحًا واستبشارًا لقدوم روحه، فكيف بقدوم روح الأرواح، أسأل الله العظيم متوسلاً إليه بهذا النبي الكريم وبنور وجهه الذي ملأ أركان عرشه، أن يزرع في قلوبنا معرفته ومحبته، وأن يجعل أرواحنا سابحات في عالم الملكوت مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

(١) رواه البخاري (١/١٣)، ومسلم (١/٦٥).

فإن اللسان واليد عبارة عن الأعضاء كلها، وإنما خُصَّا بالذكر؛ لأن الأقوال كلها تصدر من اللسان، وأكثر الأفعال من اليد، وقوله في بعض الحديث «**إنما هي حصائد ألسنتكم**[1]»؛ يشير إلى عظم جرائم اللسان؛ فكأنها كل الجرائم، وإنها لا تصدر إلا منه.

وإنما حملنا الإسلام على الانقياد والظاهر؛ لأنه هو الموافق لِما ذكره أهل اللغة، ولِما جاء في القرآن من قوله: ﴿**وَظِلَالُهُم**﴾ [الرعد:١٥].

وقوله: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ..**﴾ الآية [آل عمران:٨٣].

فإن سجدة الظلال إنما هي سجدة الكره لا سجدة الطوع، فإن سجدة الطوع إنما تكون بالإيمان، وليس للكفار ذلك، وجاء في حق الحق تعالى الاسم السلام دون المسلم، وإن كان المعنى صحيحًا لقول أبي طالب في شأنه ﷺ: ما أطوعك ربك يا محمد؟ يعني: إنه ينقاد لك، ويطيعك فيما تقصده من الأمور الظاهرة.

بخلاف المؤمن فإنه من أسماء الحسنى، فكان المؤمن أقوى من المسلم؛ لأن كل انقياد باطن يستلزم الانقياد الظاهر دون العكس؛ ولذا قلَّ المؤمنون بين المسلمين؛ لأن المؤمن هو الذي آمن الناس من قلبه ولسانه ويده جميعًا، فالمؤمن الحقيقي لا يقصد السوء لأحد، ولا يتعرَّض له بشيء من المكروه إلا بحق الشرع وحده.

ومَن قام بهذا المقام حضرة الشيخ: محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه فإنه كان في أوائل حاله بحيث تركض دابته في الصحاري، ويمسُّ رأس سنانه بعض الوحش الراعية في المرعى، وهو لا يرفع رأسه أصلاً؛ لأنه يعلم بحسب فطرته: إن الشيخ آمنه من قلبه.

وحال القلب يؤثِّر في القالب، فيكون القالب سالمًا من الأذى، وصاحبه أمنًا في نفسه، ولا يصل العبد إلى مرتبة التسخير إلا بمثل هذا الوصف، فأنَّى يكون مؤمنًا مَن يُخيف، وشر الناس مَن تبقَّى الناس من شره، فكان من شأنه أن يبتليه الله بالفزع الأكبر يوم القيامة؛ لأن مَن لم يخف الله، وأخال عباده أيضًا؛ جُوزي بمثل عمله، فإن

(١) رواه الترمذي (٥/١١)، والنسائي (٦/٤٢٨) بنحوه.

الجزاء من جنس العمل، ثم من شأنه المؤمن الحقيقي أن يجعل المؤمن آمنًا من تصرُّفه القلبي، وتوجهه الروحاني، كما آمنه من لسانه ويده، فإن الأذى، والجرح، والقتل كما تكون بالتصرُّف مطلقًا؛ فإنه في التأثير؛ كالسحر، ولا شك أن السحر ممنوع مَنهي، وكذا ما في حكمه.

فويلٌ لَمن تشبَّه بالساحر في عمله، فعمل بظاهره، وقوَّاه في ظاهر الخلق وباطنه حتى يمرضهم، أو يقتلهم.

وقد قال ﷺ: «**فإن النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والجروح قصاص**»(١)، ولم يهتدِ إلى هذا المعنى إلا الألباء، فحافظوا على ظواهرهم وبواطنهم، وكانوا ممَن قيل فيه: سليم الصدر؛ فإن سليم الصدر هو الذي يدخل الجنة بلا حساب، ولا عذاب، ويقرع بابها مع أول مَن يقرعه.

والقلب عند العارفين: جنة معجَّلة لا بد لَمن قصد دخولها من الإسلام الحقيقي المشار إليه بقوله: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾ [آل عمران:١٩].

ومن الإيمان الحقيقي المشار إليه بقوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام:٨٢].

ومن سلامة الصدر المشار إليها بقوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾ [الأعراف:٤٣]، [الحجر:٤٧].

- **في الصحيح: قال رسول الله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري رَوضةٌ من رياض الجنة»**(٢)(٣):

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الديات (٢٧/١) بنحوه.

(٢) رواه أحمد (٦٤/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣٢٤/٩).

(٣) قال ابن أبي جمرة معناه: تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة ويحتمل أن تكون المراد بأن العمل فيها يوجب لصاحبه روضة الجنة قال: والأظهر الجمع بين الوجهين معًا بمعنى احتمال كونها تنقل إلى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبة روضة في الجنة.

قال: ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس، أما الدليل على أن العلم فيها يوجب لصاحبة روضة في الجنة فلأنه إذا كانت الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام بألف =

=

فـيما سواه من المساجد، فلهذه البقعة زيادة على باقي البقاع كما أن للمسجد زيادة على غيره، وأن الجذع في الجنة في البقعة نفسها، فالعلة التي أوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سواء على ما أذكـره بعد إن شاء الله والذي أخبر بهذا أخبر بهذا فينبغي الحمل على أكمل الوجوه وهو الجمع بينـهما لأنه قد تقرر من قواعد الشرع أن البقع المباركة ما فائدة بركتها لنا والإخبار بها لنا إلا لـتعميرها بالطاعات فإن الثواب فيها أكثر وكذلك الأيام المباركة أيضًا فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض الجنّة الآن ويعود روضة كما كان في موضعه ويكون للعامل بالعمل فيها روضة في الجـنة وهـو الأظهر لوجهين أحدهما لعلو مترلته عليه الصلاة والسلام ولما خص الخليل عليه السـلام بالحجـر من الجنة خص الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة وهنا بحث: لم جعلـت هذه البقعة من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة؟ فإن قلنا تعبد أو إن قلنا لحكمة فحينئذ يحتاج إلى البحث والأظهر أنها لحكمة وهي أنه قد سبق في العلم الرباني بما ظهر أن الله عزّ وجـل فضله على جميع خلقه وأن كل ما كان منه بنية ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل عـلى جنسـه كما استقر في جميع أموره من بدء ظهوره عليه السلام إلى حين وفاته في الجاهلية والإسلام فمنها ما كان من شأن أمه وما نالها من بركات مع الجاهلية الجهلاء حسبما هو منكور ومعلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى الأتان وحتى البقعة التي تجعل أتانه يدها عليها تخضر من حيـنها ومـا كان هو من ذلك كله معلوم وكان مشيه عليه السلام حيث ما كان ظهرت إلى بـركات مع ذلك كله وحيث وضع يده المباركة ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسًا ومعنى كما هو منقول معروف.

ولما شاءت القدرة أنه عليه السلام لابد له من بيت ولابد له من منبر وأنه بالضرورة يكثر تردداه عليه السلام بين المنبر والبيت فالحرمة التي أعطى غيرهما إذا كان بمشية واحدة بمباشرة أو بواسطة حيوان وغـيره تظهر البركة والخير فكيف مع كثرة تردداه عليه السلام في البقعة الواحدة مرارًا في اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته إلى وقت وفاته فلم يسبق لها من الترفيع بالنية إلى عالمها أعلى مما وصفناه وهو أنها كانت من الجنة وتعود إليها وهي الآن منها وللعامل مثلها ولو كانت مرتبة يمكـن أن تكون أرفع من هذه في هذه الدار لكان لهذه أعلى مرتبة مما ذكرناه فإن احتج محتج لا يفهم له بأن يقول ينبغي أن يكون ذلك للمدينة بكمالها لأنه ﷺ يطؤها بقدمه مرارًا، فالجواب أنه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك أن ترابها شفاء كما أخبر به عليه السلام مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وتلك الفتن العظام وأنه عليه السلام أول ما يشفع في أهلها يوم القيامة وإن كان بها من الوباء والحمى رفع عنها وأنه بورك في طعامها وشرابها

=

قبره هو: ضريحه الذي جعله الله أفضل من الكعبة بالاتفاق؛ لأن الكعبة مقام الفناء وحده؛ لأنها إشارة إلى الذات الأحدية، كما رمز بها المنارات السبع بمقابلة الأسماء السبعة الدالة على الفناء.

وأمَّا الضريح النبوي: فمقام الفناء، والبقاء جميعًا؛ لأنه إشارة إلى الذات الواحدية المشار إليه بقاب قوسين النـــزول بعد أو أدنى العروجي، كما لوح بها المنارات الخمس بمقابلة الأسماء الخمسة الدالة على البقاء.

والجنة: إنما هي لأهل البقاء لا لأهل الفناء، إذ لا لذة لأهل الفناء أصلاً؛ لاستغراقهم في شهود الذات الأحدية، وإنما قلنا بفضل الجمع بين الفناء والبقاء لِما فيه من الفضيلة العظمى التي اتصف بها أهل التبليغ جميعًا، ولا يقوم الكون إلا بهذا الجمع، وعند فناء أهله يقوم الناس لرب العالمين، فإذا عرفت هذا؛ فاعلم أن القبر هو مقام الحقيقة الجامعة كما أومأنا إليه.

والمنبر هو: مقام الشريعة المحيطة بالأحكام والحقائق، كما أشار إليه درجاته الأربع المتفاوتة فعلم إن أركان العالم صورة ومعنى محصورة في الأربعة لا تتجاوز إلى ما فوقها؛ كالأمهات الأسمائية، وأركان العرش، والكعبة، والملائكة الأربعة، والخلفاء الأربعة، والنسوة، الأربع ونحو ذلك.

=

وأشياء كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما أشرنا إليه أولاً بان تردده عليه السلام في المسجد نفسه أكـــثر مما سواه من سائر المساجد فالبحث تأكد من الاعتراض لأنه جاءت البركة مناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة والقرب من تلك النسبة المرتفعة لا خفاء فيه إلا على ملحد أعمى البصيرة فالمدينة أرفع المدن والمسجد أرفع المساجد والبقعة أرفع البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى.

وقال الخطاب:ي المراد بهذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة وأن من لازم ذكر الله في مسجدها آل به في روضة الجنة وسقى يوم القيامة من الحوض انتهى. وقد تقدم في الخصائص من مقصد المعجزات مـــزيد لذلك وعند مسلم من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

جعل الدخول في الروضة من أحد البابين: باب السلام، وباب جبريل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩].

ولا شك أن الحقيقة إنما تؤتى من باب الشريعة، أمَّا باب السلام فلأن الداخل منه يمرُّ بجانب القدم، والقدم إشارة إلى مقام السعي والكسب، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

ويمكن أن يقال: إن الداخل من باب السلام يمرُّ بالمواجهة، وجانب الرأس أولاً، وذلك إشارة إلى مقام المجذوب السالك؛ واسمه الجلالة وحدها.

والداخل من باب جبريل يمرُّ بجانب القدم أولاً، وهو إشارة إلى مقام السالك المجذوب؛ واسمه كلمة التوحيد.

ويجوز أن يُقال: إن الأول من حيث إنه يمرُّ بالمنبر يشير إلى الفرق والكسب، والثاني من حيث إنه باب جبريل يشير إلى الجمع والفيض؛ وذلك لأن جبريل كان يأتي من الفوق بالفيض الإلهي الجمعي، ثم يتنــزَّل الأمر إلى مرتبة التحت المنبري، فيبدأ السامعون بالكسب، وعلى كل من التقادير، فما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة؛ لأن دخول ظاهر الجنة، والوصول إلى درجاتها؛ مَنوط بقبول التوحيد، والشرائع، وكسب الأعمال، والأحكام، ودخول باطن الجنة، والوصول إلى حقائقها؛ مربوط بقبول الحق المطلق وحده، كما قال: ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام:٩١].

الترقِّي إلى مقامات القرب، والوصال، فمَن دخل هاتين الجنتين؛ فقد دخل الروضتين، فتنكير روضة إنما يدلُّ على الشريعة الظاهرة؛ وهي لا تنافي الحقيقة الباطنة، وفيه إشارة إلى أن الصدر الإنساني بمرتبة المنبر، والقلب بمرتبة القبر، فما بينهما من مقامات الملك والملكوت يُعدُّ من الرياض المعنوية؛ لأن حال الصدر يُؤثِّر في الأعضاء، والقوى الظاهرة، وحال القلب يُؤثِّر في الروح، والقوى الباطنة؛ فيكون الكل كالروضة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:٩٦]؛ هي الكعبة.

كما أن أول بيت وُضع للملائكة للذي في السماء السابعة؛ وهو البيت المعمور، فكل من الناس.

وبكة: أي مكة دلَّ على أن المراد: أول بيت وُضع في الأرض؛ لأن الناس وبكة في الأرض، فهذه الأولية؛ هي أولية البيوت، والمساجد الواقعة في الأرض؛ ولذا كانت مكة أم القرى، والكعبة أُم المساجد.

وظاهره: يقتضي أن تعيُّن البيت، وبكة؛ كان تعيُّن الناس، فإن ما وُضع لهم؛ إنما يكون بعدهم، إذ البيت إنما يُوضع للصلاة، ولا بيت، ولا صلاة إلا بعد المصلَّى، وكون الضراح في موضع البيت قبل خلق آدم؛ لا يقتضي التقدُّم؛ لأنه كان للملائكة؛ ثم رُفع وتعيَّن في مكانه البيت لآدم وذريته، هذا هو الذي يقتضيه الكشف.

وأمَّا الروايات فيه فمختلفة، وفي هذه الأولية تشريف للكعبة جدًا؛ ولذا أُضيفت إلى الله، فقيل: بيت الله، وحرم الله، وضُوعفت فيه الحسنات المقبولة إلى مائة ألف؛ لأن الأسماء الإلهية مع أحديتها مائة، وكل من المائة ألف في التفصيل.

وجُعل الحرم النبوي ثاني هذا الحرم؛ لأنه حرم أول مَن خلقه الله من الكائنات، وضُوعفت الحسنات فيه إلى ألف؛ نظرًا إلى الاسم الإلهي، والاسم الكوني؛ فإن الاسم الإلهي مائة كما مرَّ آنفًا، وكل من المائة مائة في الإجمال، والنبي ﷺ جملة من الكائنات، وله ألف اسم كوني، كما أن الأسماء الإلهية تفصيلها.

وجُعل الحرم السليماني ثالث الحرم الشريف الإلهي؛ لأن سليمان عليه السلام، وإن تقدَّم زمانه؛ لكن كان تعيُّن مسجده بعد تعيُّن المسجد النبوي، كما أن كان بعد تعيُّن المسجد الحرام بأربعين سنة، وضُوعفت فيه الحسنات إلى خمسمائة؛ لأن خلافته نصف خلافة نبينا ﷺ، وذلك لأن تصرُّفه كان في الملك وتسخيره، كان لظاهر العالم، وأمَّا التصرُّف النبوي وتسخيره فعام للملك، والملكوت، والظاهر، والباطن، كما شهد به أحواله ليلة المعراج، ولا حاجة إلى بيان ذلك.

ثم إن القبر النبوي من أرض الكعبة في الحقيقة؛ فهو والنبي ﷺ فيه أفضل من الكعبة؛ لأن الكعبة مع الرسول أفضل منها بدونه، وأمَّا الحرم مع قطع النظر عن

القبر، فحرم الكعبة أفضل منه؛ لأن ما أُضيف إلى الله أفضل مما أُضيف إلى غيره، والاختلاف في أن أي الحرمين أفضل مما لا ينبغي أن يقع؛ لأنه من الجهل بما ذكرنا، فإن قلت: فإذا كان القبر من الكعبة؛ فلِمَ لا يُطاف حوله، قلت: لأنه دُفن فيه المخلوق، وإن كان أعظم مخلوق في العالم، فلو رُخِّص في طوافه؛ لقيل في حق صاحبه كما قيل في حق عيسى.

وقد ورد: «**اللّهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»[1]؛ ولذا لا يُصلّي إلا من وراء حجاب، لكان التعظيم لله فقط، ففرَّق بين السرِّ الباطن، والخلق الظاهر، وصيانة اعتقاد العامة أوجب.

وفيه إشارة على بكة القالب، وأول بيت وُضع فيه؛ هو القلب، فإن تعيُّنه كان قبل تعيُّن سائر القوى، وكما أن الكعبة قِبلة للناس، وقُطب البيوت، وأول المساجد؛ فكذا القلب قِبلة القوى، ومدار الأحوال، وأقدام المشاهد، وهو مهبط الوحي، والإلهام، والملائكة، وموطئ أقدام الواردات؛ ولذا عظُم شأنه، وعظَّمه الله والملائكة، كما عظَّم شأن البيت مباركًا؛ لأنه يُترك به من حيث إنه بناء الله في الحقيقة؛ كالإنسان وقلبه، وإن أُضيف في الظاهر إلى الخليل عليه السلام.

وقوله عز وجل: ﴿**وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران:٩٦]؛ لأن الحج هداية إلى الله ومرضاته، والقلب هداية إلى الله وقربه ووصاله.

فالمراد بالعالمين: المؤمنون، والقوى، والأعضاء؛ لأن كلاً منهم عَلم للحق، ومنار لوجوب الوجود، ووحدته، وسائر صفاته.

٥٦- في الصحيح: قال رسول الله ﷺ: «مَن سرَّه أن يُبسَط في رزقه، ويُنسأ في أثره؛ فليصل رحمه»[2]:

أشار بالرحم إلى الاسم الرحمن[3] فإنه مشتق منه؛ لإفاضة الرحمن الجسمانية؛

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/١٧٢)، وابن سعد في الطبقات (٢/٢٤١).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٢٣٢)، ومسلم (٤/١٩٨٢).

(٣) وأمَّا اسم (**الرحمن**) فله الهيمنة على جميع الأسماء كاسم (الله) لله الأسماء الحسنى، وللرحمن الأسماء الحسنى وهما مدعوان: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَياً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ =

[الإسراء:١١٠] لكنَّ الله ممنوع الحِمى مطلقًا أبدًا، وكذا الرحمن ما دامت معه ألف أنا، ولام المعرفة، وإذا زالا تقول: يا رحمن الدُّنيا والآخرة كما تقول: إلهنا وإلهكم أو إلهك و إلهي؛ لأنه حقًا تقع الكناية عنه بألا فالهاء هو الهوا والهوا هو الله والله هو الهوا والله اسم الذات المجازية التي تتنوع في الصور على البصائر والأبصار، وظهر هذا التنوع البصري في أعيان الأرواح كالصورة الدحية ونحوها، والهوا من هذا الاسم هو اسم الذات الحقيقية التي تتنوع فيها الصور، وتتقدس في نفسها عن التنوع والانتقال.

قال الشيخ الأكبر قُدِّس سرَّه: «الرحمة تناقض التكيف دون الألوهية، ولهذا قيل لهم: اعبدوا الله ما قالوا: وما الله ؟ ولما قيل لهم: (اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن؟ فزادهم نفورًا) حيثما عرفوا الحقيقة وما عقلوها ولو عرفوها لعرفوا أن للرحمن الأسماء الحسنى كما لله، ولو عرفوا أن له الأسماء الحسنى أيضًا لعرفوا أن من أسمائه المكلف والمعبود وغير ذلك أيضًا».

وقال أيضًا: «لما كانت الهيمنة له على جميع الأسماء اختص بالاستواء، وبما في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وبالعلم بالسر بما هو أخفى، فالرحمن جمع الجمع فإنه المعلم الجاعل العلامة في عين الجمع بالتمانع».

وقال بعضهم: «الرحمن شاهد غيب اللاهوت، والرحيم شهادة شاهد الرحمن، ومعلوله، والرحمن اشتق من الرحمة مبالغة، ولذا كان المراد إرادة الأنعام ونفس الأنعام على العبد، ثم صرف إلى الذاتي أيِّ: الحقيقة الذاتية فصار مُختصًا بالذات بحيث لا يسمَّى به غيره تعالى لكونه الجامع للحقائق الذاتية».

وأمَّا (**الرحيم**) ففيه الميم المحمَّدي وجامع لأسماء الأفعال، وهي المائة التي نزلت واحدة منها لدار الدُّنيا وبقيت تسعة وتسعون لدار الآخرة، وهو من صفات الأفعال من جهة أنها مأخوذ من الرحمة التي هي نفس النعمة.

فقال بعض المشايخ: إن الهو، والله: سمِّيان الأول بالرحمة، والثاني بالرحيم، والرحيم مشترك مع الرحمن في الإحاطة على الوجه المذكور فهو دائرة الرحمن، والرحمن دائرة الدوائر ووجه الوجوه وجهة الوجهات.

وقال الشَّيخ قُدِّس سرِّه: «اسم من ثلاثة أسماء ظهرت في كلِّ منـــزلة، وهو اسم مشترك في التنكير، ومفرد في التعريف اسم مختص بالإيمان والتَّقوى والاتِّفاق والاتِّباع، وهو في الألوهية مطلق، وإذا اتبع لاسم آخر مثل قوله: ﴿**غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة:١٧٣]، ﴿**الْبَرُّ الرَّحِيمُ**﴾ [الطور:٢٨]، فليس لضعف فيه، وهو في الكون مؤيد بغيره، أو مختص مقيد بحضرة قال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وذلك أن رحم الغيب تولَّد منه الروح المحمَّدي، ثم تسلسلت منه الأرواح، ورحم الشهادة؛ وهو رحم حواء تولَّد منه أولاً آدم نسلاً بعد نسل، فكما كان الروح المحمَّدي مبدأ لسلسلة الأرواح؛ فكذا الرحم الحوائي كان مبدأ لسلسلة الأجسام، فكان كل من الرحمين من الرحمة الخاصة الرحمانية، ولولا ذلك ما كان، ولم يظهر آثار الأسماء والصفات في عالم الإمكان.

ولهذا السرُّ عظَّم الله الرحم، وأمر بالصلة أو بالصلة يتصل الفيض والجود، فإنها ليست للرحم حقيقة؛ بل للرحمن الذي اشتق الرحم من ذلك الاسم، فأشار بالرزق

=

وقال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] فالرحمانية لها الوجود الإيجادي، ولها الصبغة، والرحيم لها الصبغة والنعت والصفة، والرحمن لإيجاد الأعيان، والرحيم لتعين المراتب انتهى».

والرحمن واسطة بين الله وبين الرحيم، ويوجد منها ما هو من خصائص الذات من اللطف والإيجاد والقهر والإفناء فخُص بالذات، ويوجد من الرحيم اللطف والإيجاد والإبقاء دون القهر والإفناء؛ لأن الله تعالى أخبر عن صفة الإفناء، والإيجاد، والإثبات بالرحمن حيث قال في كتابه العزيز: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان:٢٥] ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان:٢٦].

وقال أيضًا: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

وقد صَرَّحَ به الشيخ الجليل قدِّس سره العزيز وحكى «أنه لما خلق الله (الرحمة) تعلقت (بالرحمن)، فقال: مه قالت: لن أبرح».

فهذه إشارة أشارها المشير، وسر أسره اللطيف الخبير فكلٍ من الاسمين الشريفين فيهما رحمة متعلقة بالثقلين وغيرهما في هذه الدار بالعموم، وفي الدارين بالخصوص، فصار حرف الأول (راء) الرحمة، والثاني حائها، والثالث ميمها في الرحمن دون الرحيم فإن فيه صار رابعًا؛ لأنه ميم الحمد كما مرَّ ولإحاطتها وجدت الميم فيهما، وتوسطت في الرحمن؛ لأنها من عالم المثال المتوسط، و (الراء) مجرد معرفة بنفسها لا تحتاج إلى التعريف، و(الألف) حقيقة فيها من حيث المنطوق، ومنفصلة عنها، فكل حرف من حيث المنطوق توجد فيها الألف عينًا إن كان منطوقها ثُنائيًا، وإن كان ثُلاثيًا فقد تكون عينًا، وقد تكون غيبًا، وعلى تقدير أن تكون عينًا قد تكون متصلة، وقد تكون منفصلة.

إلى الفداء الروحاني، والفيض الرحماني، فإن الأغذية الجسمانية؛ إنما هي وسائل للتربية الروحانية، فالأغذية الروحانية أصل الأغذية، وفي نمائها نماء الأغذية الجسمانية؛ لأن نمائها؛ إنما هو من طهارة القلب والقالب.

وقد ورد: «**دُمْ على الطهارة؛ يُوَسِّع عليك الرزق**»[1]: أي دُمْ على الطهارة الصورية، والنظافة الجسمانية من النجاسات الحقيقية يُوسِّع عليك الرزق الجسماني، وعلى الطهارة المعنوية، والنظافة الروحانية من النجاسات الحكمية؛ يُوسِّع عليك الرزق الروحاني، فمَن ضاق عليه الرزق مطلقًا، فليكن على الطهارة مطلقًا دائمًا.

وأشار بإنساء الأثر محركة: أي تأخيرًا لأجل الحياة الطيبة الباقية؛ فإنها العمر الثاني، وأهلها الموصول لا المقطوع؛ ولذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾ [الكوثر:٣]: أي المقطوع نسله، فإن البغض للروح يُورِّث الكسل، وفي الأعمال الصالحة الروحانية، والرواج للأعمال الفاسدة النفسانية.

ولا شك أن النفس وما يتعلّق بها من الأعمال السيئة أبتر لا نماء لها عند الله؛ كالروح وأعماله، فإن النماء، إنما يكون للطيب لا للخبيث؛ ولذا قال تعالى: ﴿**وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا**﴾ [الأعراف:٥٨].

ومن آثار هذا المقام أن أهل الله لم يزالوا محبوبين إلى يوم القيامة، وآثارهم باقية معمولة مدّ الدهر، وإن الذين توغّلوا في إنكارهم؛ لم يزالوا مبغوضين إلى ساعة القيام، وآثارهم مندرسة مهجورة؛ لأن الحق يعلو، ولا يُعلى، والباطل يُعلى، ولا يعلو، فطوبى لأهل الحق، وويلٌ لأهل البطلان، والله تعالى متمُّ نوره.

٥٧- **في حديث القضاعي**: قال رسول الله ﷺ: «**المجالس بالأمانات**»[2]:

أورد المجالس بصيغة الجمع، وقابله بالجمع أيضًا إشارة إلى كثرة المجالس، وكثرة الأمانات، فلكل مجلس أمانة، ولكل أمانة محافظة ومراعاة، وقد صحَّ عن الصحابة أنهم أخذوا عن النبي ﷺ علمين: علم الشرائع والأحكام، وعلم الحقائق والأذواق.

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٢٧٣).

(٢) رواه القضاعي في الشهاب (١/٣٧).

فنشروا العلم الأول حتى بلغ كل برٍ وفاجرٍ؛ كما هو شأن التبليغ في مرتبة الشريعة، وأمسكوا عن الثاني إلى أن يجدوا أهله، لا قد قيل: لا يُباع الإبل في سوق الدجاج؛ يعني: لكل مبيع سوق على حدة، ولمَّا تصدَّى المنصور الحلاَّج لإفشاء سر الحقيقة؛ وهو كون العين واحدة وأن الإنسان مظهر الحق؛ لأنه تعالى لمَّا خلق آدم؛ خلقه على صورته، وتجلَّى فيه؛ كان من أمره ما كان؛ لأن السرّ إذا عرى عن لباسه؛ كان صاحبه أيضًا عريانًا، والعريان مجنون، ومقام المجنون السجن، والمارستان.

والسجن على أنواع: لأنه عبارة عن: المحلُّ الضيق، والصلب، والحق من ذلك الضيق، فلو كان ممَن يُضيِّق على نفسه في الكتم من حيث الباطن؛ لوجد الواسعة في الظاهر؛ لأن المتقيِّد بالشريعة مطلق عن الطعن، والوقوع فيه، وقِس عليه الشيخ المسمى بالمسلوخ، وشهاب المقتول، وكمال المصلوب، ونحوهم ممَن سار على سيرهم.

ثم إن المجلس الأعظم؛ هو المجلس الإلهي، وصورته مجالس أهل التصوف، كما قال مَن قال: مَن أراد أن يجلس مع الله تعالى؛ فليجلس مع أهل التصوُّف(١).

---

(١) يعرفنا الإمام الجنيد التصوف والصوفية بقوله: مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: السخاء وهو لإبراهيم، والرضا وهو لإسحاق، والصبر وهو لأيوبَ، والإشارة وهي لزكــريا، والغربة وهي ليحيى، ولبس الصوف وهو لموسى، والسياحة وهي لعيسى، والفقر وهو لمحمدٍ ﷺ وعليهم أجمعين.

وقال: التصوف ذكرٌ مع اجتماعٍ، ووجدٌ مع استماعٍ، وعملٌ مع اتِّباعٍ.

وقـــال: إنما هذا الاسم (يعني التصوف) نعتٌ أقيم العبد فيه. فقال أبو بكر الملاعقي: يا سيدي، نعتٌ للعبد أم نعتٌ للحق؟ فقال الجنيد: نعتٌ للحق حقيقةً، ونعتٌ للعبد رسمًا.

وقال: الصوفي كالأرض، يُطرح عليها كل قبيحٍ، ولا يخرج منها إلا كل مليحٍ.

وقال: الصوفي كالأرض يطؤها البَرُّ والفاجر، وكالسحاب يظلُّ كل شيءٍ، وكالمطر يسقي كل شيءٍ.

وسُئل عن التصوف؟ فقال: هو أن يميتك الحق عنك، ويحييك به.

وسُئل عن التصوف؟ فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقةٍ.

وقال: التصوف هو عُنوةٌ لا صُلح فيها.

=

=

وقال: لا يكون العارف عارفًا حتى يكون كالأرض يطؤها البَرُّ والفاجر، وكالسحاب يُظلُّ كل شيءٍ، وكالمطر يسقي ما يحبُّ وما لا يحبُّ.

وقال: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري.

وسُئل عن التصوف؟ فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى عن الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة.

وقال: التصوف حفظ الأوقات، وهو ألا يطالع العبد غير حدِّه، ولا يوافق غير ربِّه، ولا يقارن غير وقته.

وسُئل ما التصوف؟ قال: لحوق السر بالحق، ولا ينال ذلك إلا بفناء النفس عن الأسباب؛ لقوة الروح والقيام مع الحق.

وقال: الصوفية هم أهل بيتٍ واحدٍ، لا يدخل فيهم غيرهم.

وقال: إذا رأيت الصوفيَّ يُعنَى بظاهره فاعلم أن باطنه خرابٌ.

وقال: لكل أمةٍ صفوةٌ، وصفوة هذه الأمة الصوفية.

وقيل للجنيد مرةً: ما بال أصحابك يأكلون كثيرًا؟ فقال: لأنهم يجوعون كثيرًا. قيل له: فما بالهم لا تهمهم قوة شهوة؟ فقال: لأنهم لم يذوقوا طعم الزنا ويأكلون الحلال. قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيءٍ في القرآن يُطرب في الدنيا، القرآن حقٌّ نزل من عند حقٍّ، لا يليق بصفات الخلق، كل حرف منه على الخلق واجبٌ، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله ﷻ، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم. قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والغناء فيطربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين. قيل له: فما بالهم محرومون من أموال الناس؟ فقال: لأن الله تعالى يرضى لهم ما في أيدي الناس، لئلا يميلوا إلى الخلق، فيقطعوا عن الحق تعالى، فأفرد القصد منهم إليه؛ اعتناءً بهم.

وسُئل قدَّس الله سرَّه عن الصوفية: من هم؟ فقال: أثرة الله في خلقه، يخفيها إذا أحب، ويظهرها إذا أحب.

=

يعني: إن الصوفية المحققين مظاهر الحق في أسمائه وصفاته وأفعاله؛ **فمجالسهم مجلس الحق**؛ لأنه تعالى لم يرَه أحدٌ إلا في صورة إنسانية سواء كان في المنام؛ كما وقع لكثير من السلف، والخلف، وفي اليقظة كما صحَّ عن الأصفهاني في التفسير: أنه ﷺ لقى ربه في بعض سكك المدينة، وذلك أنه تعالى من حيث تجرُّد ذاته عن النسب، والإضافات، ليس من شأنه أن يعرف فضلاً عن الرؤية.

وفي قوله عن «**السلطان ظل الله**» إشارة إلى أن السلطان الظاهر ظل الحقيقة الإلهية التي كان القطب ونحوه مُظهرًا لها، فإذا لم يُرخَّص في إفشاء سرِّ السلطان الظاهر، ومجلسه أمانة صغرى، فكيف يُرخِّص في إفشاء سرِّ السلطان الباطن، ومجلسه أمانة كبرى.

فإن قلت: كيف لا يُرخِّص والكل عباد الله؟.

قلت: نعم؛ لكنهم متفاوتون في الأسماء والأحكام، فيخفي سرَّ اسمٍ عن اسمٍ من حيث إن كلاًّ منهما ظاهر بما لا يقتضيه الآخر، فلا معنى لكشف سرِّ العالم عند

=

وقال: إذا أراد الله تعالى بالعبد خيرًا أوقعه على الصوفية ومنعه صحبة القراء.

وسُئل الجنيد قدَّس الله سرَّه عن التصوف ما هو؟ فقال: اجتناب كل خلقٍ دنيٍّ، واستعمال كل خلق سَنِيٍّ، وأن تعمل لله، ثم لا ترى أنك عملت.

وقيل لبعض المتكلمين: قد ذكرت الطوائف، وعارضتهم، ولم تذكر الصوفية! فقال: لم أعرف لهم علمًا ولا قولاً، ولا ما راموه؟ قيل: بل هم السادة، وذكروا له الجنيد، ثم أتو الجنيد فسألوه عن التصوف؟ فقال: هو إفراد القديم عن الحدث، والخروج عن الوطن، وقطع المحاب، وترك ما علم أو جهل، وأن يكون المرء زاهدًا فيما عند الله، راغبًا فيما لله عنده، فإذا كان كذلك حَظاه إلى كشف العلوم، والعبارة عن الوجوه، وعلم السرائر، وفقه الأرواح. فقال المتكلم: هذا والله علمٌ حَسنٌ، فلو أعدته حتى نكتبه. قال: كلا، مر إلى المكان الذي منه بدأ النسيان، وذكر فصلاً طويلاً. فقال المتكلم: إن كان رجلٌ يهدم ما يثبت بالعقل بكلمة من كلامه فهذا؛ فإن كلامه لا يحتمل المعارضة.

قال الجنيد: الصوفية أهل غيبٍ، لا يدخل فيهم غيرهم.
وانظر: كتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص٢٣٩) بتحقيقنا.

الجاهل، كما لا معنى للتكلُّم مع الحيوان بما يقتضيه نشأته دون الحيوان.

فالإنسان اسم، والحيوان اسم، وبينهما تباين جزئي، والمتباينان لا يأتلفان كل الائتلاف، وإن كان الأصل والمعدن واحدًا، فإذا عرفت هذا؛ وجب عليك أن تقوم بسرِّ النفاق الأكبر، فإن لك من حيث جمعيتك وجوهًا كثيرة، فبكل وجه لك يقابل عين من الأعيان، وسرٌّ من الأسرار بحيث لا يتعدَّى أحد السرَّين إلى الأخر، وبه يتم المراتب في حفظها، وبالحفظ يتم النظام لظاهر العالم، فكُن من الأمانات والآداب.

٥٨- في حديث الشهاب القضاعي: «مسألة الغنى نار»[١]:

اعلم أن الغنى إمَّا غنى المال، وإمَّا غنى الحال.

فالغني بالغنى الأول إذا تفقَّر، وستر ماله من النعمة مع أن التحديث بها واجب؛ كان ذلك سببًا لوقوعه في النار؛ لأنه سخَّن وجهه في الدنيا بالسؤال والطلب؛ فسخَّن الله عينه في الآخرة بالنار، والعذاب؛ لأن الجزاء من جنس العمل على أن كُفران النعمة من قبيل الكفر في الجملة، والكافر مآوه النار، وإنما قلنا: الكُفران من قبيل الكفر في الجملة؛ لأن الكافر جاهل حيث ستر الوحدة بالشرك، وغفل عن التوحيد، وكذا أهل الكفران حيث ستر النعمة بإظهار الفقر، وذهل عن المنعم وافترى على الله بأنه خلقه فقيرًا، كما افترى الكافر عليه بأن الآلهة شركاؤه.

وأمَّا الغني بالغنى الثاني: فإنه فقير باب الله، وفقير هذا الباب لا يجوز له أن يسأل من الأبواب؛ لأن ذلك أمارة الحجاب، وعلامة الغفلة[٢].

---

(١) رواه القضاعي (١/٦٠).

(٢) فائدة: قال سيدي أبو المواهب الشاذلي قدس الله سره في قوانين الحكم: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

تحقيق: حقيقة الفقر في ظاهر الطريقة غير ما هو باطن الحقيقة، فالظاهر فقر الزهاد من الأعراض الدنيوية، والباطن فقر الأفراد من الأغراض الأخروية شغلاً بالله عما سواه لمن شهد ذلك ورآه.

تدقيق: تفاخَر الغنِي مع الفقير.

فقال الغنِي: أنا وصف الرب الكبير، فما أنت أيها الحقير.

فقال الفقير: لولا وصْفِي لما تميَّزَ وصفك، ولولا تواضعي ما رفع قدرك، فأنا وصْفِي وسِمَ بذلّ =

=

العبودية، وأنت وصفك نازع الربوبية، ومن نازع قصم، ومَن سَلَّم سَلِمَ.

تحقيق: التبس حال الفقير على غير النبيه، فقال: الفقير غير الفقيه، وما علم أن الراء هي الهاء.

إنَّ الفقـــيرَ هـــو الفقيـــهَ وإنمـــا راء الفقـــيرِ تجمعـــت أطرافهـــا

تدقيق: الفقير الفقيه من حَطَّ حمل الرحال على أعتاب الرجال، حتى أرضعته طريٌّ لبن الصدور، وأغنتْه عن قديد ميت السطور.

فانتصح يا فقيه القال، واسمع يا فقير الحال، وافْن بالله عن الرسوم، واخرج عن كل معلوم.

يا فقيه الجدال، هذا الجدال أدخل حَانَ أخيارنا، نصيّرك من أحْبَارنا، ونسقيك صافي الشراب بعد نقيع السراب.

يا فقيه النقل، يا عقول العقل، سَتَر عنك نور الكشف حجاب أنيّتك العقلية، والذوق غيّر طعمه عندك مرارة العلوم النقليه.

يا فقيه الاسم دون المسمَّى الغلط أوجبه تشابه الأسماء لو عرفت معنى الفقير والفقيه كنت الحاذق التنبيه.

الفقيه: من فقه عن الله، وفني به عمن سواه، فلو كنت بهذا الوصف كنت الفقير صدقًا، والفقيه عند الله حقًّا.

تحقيق: فضَّل قوم الغني على الفقر، وعكس آخرون الأمر، والحق أن غنى النفس بالأعراض البشرية لا يخرجها عن افتقار صفاتها الذاتية.

تدقيق: مَن ادَّعى الغنى وقع في العنا، بخلاف من أظهر الفقر؛ فإنه خلص من الأمر.

تحقيق: الفقير من اتَّصف بحقيقة الافتقار عن إرادة منه واختيار، لا عن ضرورة ردته لمركز الاضطرار.

تدقيق: من استكبر بوصف الغني على الفقير استوجب حكم العكس من القدير.

ألم ترَ أن الفقر يُرجَـــى لَـــه الغـــنى وأن الغنى يُخشى عليـــه مـــن الفقـــرِ

تحقيق: سمة الفقر سمة الأحباب، وحليته حلية العبد الأواب، من لبس اسمًا له كان ذلك وسمًا له في وجود أهل القبول، ولهم من الله نيل المسئول.

وجـــوه عليهـــا للقبـــولِ علامـــةٌ وليس علـــى كـــلِ الوجـــوهِ قبـــولُ

تدقيق: من افتخر على الفقراء بماله، أو تباهى عليهم بجماله؛ افتقر وعاد وقد انكسر.

لا تفخرن بمـــا أُوتيـــت مـــن نعـــم على سواك وخف من كـــسر جبـــارِ

=

وقد ورد: «**إن الفقر سواد الوجه في الدَّارين**»(١): أي الفقر الحقيقي سبب سيادة صاحبه في الدنيا والآخرة، ومن هذا السواد: سواد الحجر الأسود؛ لأنه ساد الأحجار كلها بالتعظيم والتقبيل، فلو سأل الغني المذكور الناس أموالهم؛ كان ذلك من بعض الشهوات، وبيت الشهوة التي لا بد لكل طبع منها حار؛ ولذا غُلِّقت أبواب النار بدخول شهر رمضان: أي أبواب الشهوات، فأكلت المعدة بعضها بعضًا من فقدان المأكول؛ كما تأكل النار بعضها بعضًا من فقدان الحطب في الدنيا، ومن فقدان الناس في الآخرة.

فمَن تبع حرارة الشهوة، ولم يكتم حاله عن المحجوبين؛ بل سأل أموالهم؛ ليدفعها بالمرطِّبات، ويبرِّدها بالمشروبات؛ جُوزي بزيادة الحرارة؛ لأن الدنيا؛ كالماء

=

فأنــت في الأرض بالفحــار مشــتبه ... مــا أســرعُ الكسرِ في الدنيا لفخارِ

تحقيق: جواهر معاني الزمان أنفس من أن تضيعها في الهذيان، فيالله العجب ممن عمره انقضى وذهب في جمع الفضة والذهب، وهو بما جمع فقير ليس له نصير.

ومَــن يــنفق الســاعات في جمع ماله ... مخافــة فقــرٍ فــالذي فَعَــل الفقــرَ

تدقيق: من أفقر إلى الله استغنى به عن كل شيء، ومن استغنى عنه افتقر إلى كل شيء، ومن افتقر إلى كل شيءٍ، فقد أوحشه كل شيء، ولم يتعوض عن الله بشيء من كل شيء.

لكــلِ شــيءٍ إذا فارقــته عــوضٌ ... ولــيس لله إنْ فارقــتَ مــن عوضِ

تحقيق: خاصية مغناطيس فقر الذات هي الجاذبة للعطايا والهبات، فمن كان وصف افتقاره أكثر كان نصيبه أجزل وأكبر.

تدقيق: اختصاص الفقراء بالسؤال خصوصية لهم في الحال والمآل، يعرفها من وجد ثمر المطالب، وقُضيت له الحاجات والمآرب.

تحقيق: اتِّصاف الرب سبحانه بوجود الغنى المطلق، هو الذي أوجب لنا الفقر المحقق، وبهذا الاتصاف حصلت الألطاف؛ لأن من رحمة الغني أن يجود على الفقير، ويجبر المسكين الكسير.

تدقيق: ما أتى باب الغني الكريم فقير فخاب، ولا قصد حماه فغلق دونه الأبواب.

(١) تقدم تخريجه.

المالح، فمَن شرب منه؛ ازداد عطشًا على أن السؤال عن الناس؛ كالسؤال عن نفسه، ولا شك أنهم متساوون في الدرجة، فعرض الحال على الله تعالى أوجب.

فإن قلت: إذا شاهد الحق في الحق؛ لم يكن ذلك سؤالاً عن الخلق، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر:١٥]: أي في كل وجه من الوجوه سلطانًا أو رعيةً، قلت: فرِّق بين مَن وقف مع الوسائط، والأسماء الجزئية، وبين مَن خرق السور، وتجلّى له النور بلا واسطة من مراتب الظهور، فإن قلت: فليجز السؤال الكسر النفس في مقام العار؛ قلت: ذلك لأهل البداية الذي لا غنى لهم، وليس كلامنا في ذلك.

فإن قلت: فقد سأل بعض أهل النهاية؛ كالحاجي بيرام الأنقروي ونحوه.

قلت: ذلك السؤال ليس لنفسه، وكلامنا فيه؛ بل لغيره، وهو السؤال عنه، فإنه إذا خلى وطبّعه؛ لم يكن من شأنه التقرُّب إلى الله تعالى بصدقة، وقد جعلها الشارع سترًا من النار، فيعرض السالك للصدقة حملاً للمسئول عنه على التصدُّق، ليستتر بذلك عن النار، ويظهر في مقام الأبرار.

وذلك من كمال رحمته، وإن كان في الظاهر أمرًا شنيعًا، فإن الأمر إذا تضمَّن مصلحة حميدة، وجُعل ذريعة إلى أمر ممدوح؛ لم يُعتد بشنعة في الجملة، فمثله خارج عن قوله: «**اتقوا مواضع التهم**»(١).

فقد رُوي عن الملامية ما يستبشعه القول الظاهر، وليس في ذلك ضيرًا لهم، إذا كانوا على الحق المبين، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

٥٩- في الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «إن هذه البهائم أوابد، كأوابد الوحش»(٢):

وأبد: جمع آبدة بمعنى المتوحِّشة المتنفِّرة.

رُوي: أنه شرد بعير؛ فرماه رجل بسهم، فسئل النبي ﷺ عن ذلك: «**هل يحلُّ**

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٤٥).

(٢) رواه البخاري (٥/٢١٠٦)، ومسلم (٣/١٥٥٨)، وأبو داود (٣/١٠٢).

أكله أم لا؟ فأجاب ﷺ: بأن أوابد البهائم كأوابد الوحش».

فكما أن الوحش الأوابد كل أجزائها مذبح؛ فكذا الإلهية الأوابد بجامع الشرار والنفار؛ وفيه إشارة إلى النفوس النباتية الحيوانية.

فإن منها ما هي مطيعة منقادة حاملة للأمانات باختيارها فلا حاجة إلى قتلها بسيف الرياضات، وسكين المجاهدات الشاقة؛ فإنها سالكة على طريق الحق غير شاردة، ومنها ما هي على خلاف ذلك.

وسرُّ ذلك: ان النفس الحيوانية الأولى لها انجذاب إلى جانب الروح بحسب غلبة حكم الوجوب على حكم الإمكان؛ فهي مجذوبة إلى الله تعالى بتبعية النفس الإنسانية؛ إذ لا حكم للتركيب المزاجي في كل واحدة منهما بخلاف الحيوانية الثانية؛ فإن النفس الإنسانية لها انجذاب إليها بحسب غلبة حكم الإمكان، فإذًا الحيوانية جاذبة للإنسانية بحسب غلبة التركيب المزاجي، ولمَّا كان هذا عكس الفطرة الأصلية؛ وحب تأديب النفس الحيوانية؛ لئلا يقع الضلال والإضلال في طريق الحق، وتأديبها وقتلها على أنواع، فإن غلب عليها المنام؛ فقتلها قطعها عنه بالسهر، وإن غلب عليها الأكل والشرب؛ وجب قطعهما عنها بتقليل الغداء، وإن غلب عليها الشهوات؛ وجب قطعها عنها، بترك اللذائذ والطيبات، وإن غلب عليها الهوى بحكم مجاورة النفس الأمَّارة؛ وجب قطعها عنه بالعمل بالهدى.

فالنفس الحيوانية التي غلب عليها حكم الإمكان والتركيب، لا شك أنها إشارة عن طريق الشرع فضلاً عن طريق المعرفة والحقيقة، وإصلاحها في قتلها بما ذُكر من المعالجات؛ فإنها كالسهام في قتلها، فبأي سهم قتلها؟ في أي موضع أصابها؟ فذلك مذبحها وسكينها، وإن أُهملت على حالها الطبيعية؛ ألفت الأمانات، وأثقال الشرع عن ظهرها، فالتحقت بالوحشيات؛ وهي نفوس الكفرة الفجرة الأبيَّة عن قبول الحق.

وقد قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات:٢٢].

: أي قرناؤهم، والكل مسئولٌ عن قرينه، وله حكمه أيضًا بحسب الخير والشر؛ لأن الجنسية جاذبة البتَّة.

ومن ثم قال تعالى: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ*إِلاَّ الَّذِينَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾** [التين: ٥، ٦].

يعني: إن المؤمنين إيمانًا رسميًّا أو عيانيًا، والعالمين بما يقتضيه من الشعب، فهم بعد نزولهم صاعدون، وبعد ردِّهم مقبولون؛ لأن ذلك من أسباب ترقياتهم في المقامات العالية، والدرجات السُّنية.

فقد عُرف من هذا التقرير: إن الشراد من شأن النفوس لا من شأن الأرواح، نفخ إلهي من شأنه قبول الأوامر، والعمل بالطاعات، نسأل الله تعالى ذلك القبول.

٦٠- **في الحديث القدسي: «قدرت المقادير»**(١):

: أي الواقعة في العلم، فإن المقادير معدومات، وهي شيء في العلم، وليس بشيء في العين الخارجي؛ لعدم ظهورها بعد، وتقديرها إيجابه تعالى على ذاته إظهارها في الأوقات المعيِّنة لذلك، فهي ليست من قبيل ما استأثره الله في علمه.

قال ﷺ: **«ودبرت التدابير»**: أي الواقعة في عالم العين، وتدبيرها النظر إلى دبر الأمور، وليس إلا الله تعالى، فإنه الخبير بالعواقب.

قال ﷺ: **«وأحكمت الصنع»**: أي من سماء، وأرض، وما تحتويانه من الجواهر والأعراض، فإن ذلك كله صنع: أي إجادة فعل كما قال: **﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** [النمل: ٨٨].

فإحكام الصنع إتقانه، فلا يدخل فيه الأيدي بالفسخ، ولا العقول بالنسخ.

قال ﷺ: **«فمَن رضي»**: أي بما وقع من التقدير والتدبير والاحكام.

قال ﷺ: **«فله الرضا مني»**: أي جُوزي بما يُناسب رضاءه.

قال ﷺ: **«حتى يلقاني»**: أي فإذا لقيني على وجه الرضا؛ فله الرضاء الدائم الذي لا يعقبه سخط أصلاً.

قال ﷺ: **«ومَن سخط»**: أي بما ذكر.

قال ﷺ: **«فله السخط مني»**: أي جُوزي بما يُناسب سخطه.

---

(١) رواه الترمذي (٤/٤٥٨)، وأحمد (٢/١٦٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤/٥٠٨).

قال ﷺ: «**حتى يلقاني**»(١): أي فإذا لقيني على وجه السخط؛ فله السخط الدائم الذي لا يعقبه رضى أصلاً.

وهذا في حق الكفار في مدة الأحقاب، وفي حق العصاة في بعض المُدد؛ كساعة، ويوم، وسنة، وألف سنة، وسبعة آلاف أعوام لا غير ذلك؛ وهم الذين إيماهم كمثقال ذرة.

وفي الحديث: تشديد وتخويف عظيم، ولن يَكمُل للأولياء مقاماتهم إلا بهذا الرضا وهو أمر عظيم جدًّا؛ لأن الدنيا لا تصفو لشارب فعدَّ كدورتها صفوًا من حصائل الأصفياء.

٦٠- في الحديث:«أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة»(٢):

اعلم: أن الأمانة إمَّا أمانة صغرى، وإمَّا أمانة كبرى.

فالأمانة الصغرى: هي الأمور الشرعية التي أمر الله تعالى بها في كتابه.

والأمانة الكبرى: هي الخلافة المنوطة بالفيض من الله تعالى بلا واسطة، فهي كالنبوة في كونها حملاً ثقيلاً.

وقد قال ﷺ: «**شيِّبتني سورة هود**»(٣): أي لِما فيها من الأمر بالاستقامة الاعتدالية التي لا يقوم بها كل أحد، ومن هذا قال أيضًا: «**اللّهم اقضِ عنِّي ديني**»(٤).

فإن الدَّين: هو الأمانة مطلقًا؛ لكونها عُهدة في ذمَّة الإنسان لابد من قضائها إمَّا في أوقاتها المخصوصة كما في الأمانة، وإمَّا في كل آن من الآنات، وفي كل نَفس من الأنفاس كما في الأمانة الكبرى.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٨/٢)، وأبو نعيم في الحلية (١١/٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٠/٧)، وعند البخاري (٣٣/١)، ومسلم (١٢٦/١) نحوه.

(٣) رواه الترمذي (٤٠٢/٥).

(٤) تقدم تخريجه.

وكل من هاتين الأمانتين كالأمانتين اللتين هما الأمانة الصغرى؛ كإمامة الصلاة، والإمامة الكبرى كإمامة السلطان؛ ولثقلهما قال ﷺ: «**الإمام ضامن**»[(١)]، فمَن ابتُلي بشيء من هاتين الإمامتين؛ فليحفظ نفسه، وكذا مَن اقتدى به، فإنه ورد: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته**»[(٢)].

والجماعة رعيته الإمام، والإمام والرعية واحد في الحقيقة، فإذا وقع من أحدهما ثلمة في الدين؛ فقد وقع من الآخر أيضًا؛ لتأثيره فيه تأثير بعض الأجزاء في البعض؛ كوجع السن، أو العين، أو البطن مثلاً، فإنه يُؤثِّر في غيرها أيضًا بحسب السريان.

وقد صحَّ أن بين الشيئين جهتين؛ جهة ما به الامتياز، وجه ما به حكم الجواز، ثم إني أقول: أراد ﷺ بفقدان الأمانة في الدين رجوع الفيض الإلهي من الظهور إلى البطون، وأول ما كان هذا الرجوع قبيل سبعمائة سنة من مدة هذه الأمة، فازداد الأمر ارتدادًا إلى الأصل إلى يومنا هذا، وهو ألف ومائة وثلاثون، وكلّما ارتدَّ هذا الأمر، ورجع قهقهري؛ قلَّ أهل الأمانة، فأكثر الناس الآن خونة ظاهر وباطنًا، وفسقة شريعة طريقة.

وأراد بفقدان الصلاة: إضاعة صورهًا؛ ومعناها وإن أُقيمت، وكذا إضاعة التوجه الكلي إلى الله تعالى إمَّا أنفسًا، وإمَّا آفاقًا.

وأردنا بالإضاعة النفسية: ما كان عند كل شخص من الغفلة عن الله تعالى، وبالإضاعة الأفقية: ما كان بالنسبة إلى مَن يحفظ الله به العالم بصورته ومعناه، فإنه إذا احتجب عن محافظة شيء من الأشياء الموجودة في الدنيا الداخلة تحت إحاطته؛ أسرع إليه الموت والفناء؛ لأن ذلك الحافظ؛ هو روح ذلك الشيء، فإذا قطع فيض نفسه الرحماني، ومدَّده الربَّاني عنه التحق بالعدم، وذلك بتقدير الله تعالى وقضائه.

إذ لولا ذلك؛ لامتدَّت الحياة، ولمَّا كان آخر الدنيا هو الفناء والهلاك؛ ناسبه فقدان الصلاة التي بها الحياة، فاعرف هذه الجملة، وتبتل إليه تبتيلاً، وكن حاضرًا

(١) رواه أبو داود (١٤٣/١)، والترمذي (٤٠٢/١).
(٢) رواه البخاري (٤٣١/١)، ومسلم (١٤٥٩/٣).

دائمًا، فإنك حين ما كنت غائبًا؛ مِتَّ عن عالم الحسِّ الحيواني، والتحقت بأهل البرزخ، واجتهد أن يتَّصل نفسك الجزئي بنفس حافظ من الحفاظ الكلي، فإنه إذا مات جسدك، حيَت روحك بالحياة الطيبة، الحمد الله بكماله.

٦١- في الحديث: «نُصرت بالصبا، وأُهلكت عاد بالدَّبور»[1]:

أشار ﷺ إلى أن الأصل في النصرة؛ هو المتبوع؛ ولذا لم يقل: نُصرت أمتي مع موافقته لمقابله، كما أنه الأصل في الأمر أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:١] من قبيل تأديب الصغير بالكبير، فإن الأمر بالاتِّقاء في معنى النهي عن المخالفات وكذا غيره، ويجوز أن يكون نحو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأحزاب:١] من قبيل التثبيت: أي أثبت على عدم الإطاعة لهم، ثم إن الرياح واحدة في الأصل، وإنما اختلفت من حيث مهابتها، فجُعلت بعضها من قبيل الرياح النافعة، وبعضها من الضارة كالمياه، فإنها في الأصل على طبع واحد أيضًا، وإنما اختلفت من مجاريها، وكذا جوهر العالم واحد، فمنهم جواهر نفيسة، ومنها أحجار خسيسة.

وقد قال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ [الرعد:٤]: أي ومع تجاروها تختلف أحكامها.

ألا ترى إلى اللبن حيث يخرج من بين فرث ودم، ولا يتروَّح من الفرث، ولا يتلوَّن من الدم؛ كذا الابن بين الخبيثين، وكل ذلك راجع إلى أحكام الكون المضافة إلى الأسماء الجلالية، لا إلى حكم التجلِّي الأحدي الساري، فإنه على قُدسه وطهارته أزلاً وأبدًا.

ألا ترى إلى نور الشمس كيف يقع على القاذورات، وهو غير متدَّنس بها؛ لعدم حلوله فيها.

ثم إن النصرة بالصبا: إشارة إلى كمال هذه الأمة، ومحافظتهم التجلِّي الإلهي، فإن الصبا تهب من المشرق حين يستوي الليل والنهار، والاستواء اعتدال، تصبوا إليه

(١) رواه البخاري (٣/١١٧٠)، ومسلم (٢/٦١٧).

القلوب وتميل، وكذا المشرق محلٌ شروق النور وطلوعه، فإن الإنسان يتوَّحش من الظلمة، ويميل إلى النور؛ ولذا لا يخلو عن إيقاد السراج في الليل، كما أن الآفاق لا يخلو عن القمر فيه.

والشمس: إشارة إلى الروح الأمري الإضافي، وطلوعها من المشرق؛ إشارة إلى بقاء نور الروح في الوجود، واستمرار التجلّي في القلب؛ ولذا جعل الله طلوعها من المغرب من أشراط الساعة؛ لأن طلوعها منه؛ إشارة إلى زوال حكم الروح الإنساني، والتجلّي الإلهي، وظهور حكم الروح الحيواني، وإدبار أمر التجلّي، وارتداده إلى الأصل؛ ولذا قال: بالدَّبور، فإنه كما أن المشرق محلٌ الإقبال؛ فكذا المغرب محلٌ الإدبار، ومثل ذلك الروح الإنساني، والروح الحيواني، وكذا القالب والقلب.

وأشار قوله: (**نصرت**): إلى أنه ﷺ سبب النصرة بالأصالة؛ وإنما الصبا نَفس من أنفاسه الرحمانية.

وأمَّا ورثته فسبب النصرة بالتبعية، فكل جند ليس معهم أحد من الورثة، فهم مخذولون؛ لأن النفس الرحماني معهم أين ما كانوا من الآنيات المختلفة، وهذا قد غفل عنه سلاطين الزمان؛ لاحتجابهم عن الله تعالى بحجاب الكون، فكان أكثر حالهم الخذلان، ثم لا يكفي أن يكون معهم واحد منهم؛ بل لا بد من المبايعة، وحسن الاعتقاد، وإليه الإشارة بقوله: «**أنا عند حسن ظن عبدي بي**»(١)؛ وهو سرٌ عظيم لم ينتبه له كثيرون، فبقوا حيارى، وليس محلٌ الحيرة بالنسبة إلى الخبير البصير، والله الغيور.

٦٢- **في الحديث**: «**سافروا؛ تصحُّوا وتغنموا**»(٢):

اعلم أن السفر إمَّا سفر صوري من مكان إلى مكان، وإمَّا سفر معنوي من مقام إلى مقام.

وأمَّا الصحة في السفر الصوري(١): فقد يكون الإنسان مريضًا محتاجًا إلى

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦/٥٤٦)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٣٦).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (٧/١٠٢)، والديلمي في الفردوس (٢/٣٠٦).

تبديل الهواء، والبقاع مختلفة من حيث العفونة، والكثافة، والاعتدال، واللطافة، فإذا صادف الهواء المعتدل؛ اعتدل مزاجه، وسرى حكم الصحة إلى جميع أجزائه.

فقد حُكي: إن بعض الملوك خرج من بغداد إلى بعض النواحي فمرض هناك؛ فلم يصح حتى جيء إليه بماء بغداد، وهوائها في زقٍّ منفوخ؛ فظهر الاختلاف بين ماء وماء، وهواء وهواء، ومكان ومكان.

وأمَّا الغنيمة: فقد قيل: إن في الحركات البركات، فقد يكون المرء بحيث يربح في تجارته في الغربة ما لا يربح فيها في الوطن، لَّما أن الله تعالى بثّ النفع والضرَّ، والخير والشر في أقطار الأرض، والمرء لا يدري أي قطر هو خير له؟ وقد يكون بعض البلاد بحيث يغلب عليها حكم بعض الكواكب؛ كالثريَّا في الشام، وسهيل في اليمن، وقِس عليها ما هو نحس منها؛ كالمريخ، والزحل، ووقت السعد والنحس من الاقتران؛ فيصادفه في السفر، فهذه غنيمة متعلّقة بالمال، والأولى صحة متعلّقة بالبدن وقدمها؛ لأن الصحة أصل في انتفاع البدن بالمال إذ لا ينتفع المريض بماله؛ ولو كان قنطارًا.

ولذا ورد: «**العلم علمان: علم الأبدان، ثم علم الأديان**»(٢)، إن الدين وقوامه تابع لصحة البدن واعتداله، فكان المال والانتفاع به.

وأمَّا الصحة في السفر المعنوي: فإن المسافر الخارج إلى الله تعالى من اسم له إلى اسم مريض من جهة أوصاف نفسه المضرَّة، وأخلاق قلبه الذميمة، فباطنه سقيم مجروح، وله قروح لا تُحصى، محتاج إلى طبيب وجرَّاح، وهذا السفر يعين على صحته المعنوية؛ لأن باليقين يزول الشك، وبالتمكين يذهب التلوين، وبالشهود يغيب

=

(١) السفر عند الصوفية: عبارة عن القلب عند أخذه في التوجه، بتصحيح معاملات وتعديل أحوال، تسفر عن النفس المرتقية في مناهج كمالاتها سفساف الأخلاق ويحليها بمعرفة مكامن القواطع، وموارد القطعيات من المراتب الكونية، و الحضرات الحقية إلى الحق تعالى بالذكر.

والذكر هنا: إحضار القلب مذكورة، ومواجهته إياه، واستمراره على ذلك إلى حد تنطمس فيه موارد الذهول والنسيان

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٩/١٤٢)، وذكره العجلوني في الخفا (٢/٢٨٠).

الاحتجاب، وبالعلم يضمحل الجهل، ولا يزال في كل نَفس من أنفاسه يسافر إلى حال من الأحوال، وإلى مقام من المقامات إلى أن ينتهي إلى آخرها بحسب استعداده.

فإن المنتهى وإن كان واحدًا كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:٤٢]؛ لكن نقاط الدائرة مختلفة بالنسبة إلى المركز، فالتفاوت إنما هو في الكيفيات.

ألا ترى إلى الأبصار فإنها لا تدرك إلا بقدر قوتها وضعفها، وإن كان المرء قريبًا.

وأمَّا الغنيمة في هذا السفر: فالاستكثار من العلوم الإلهية، والمعارف الربَّانية، والحكم اللطيفة، والحقائق الرقيقة، والأذواق الشهية، ومعانقات العذارى المقصورة في خيام ومواصلات حور عين؛ كأمثال اللؤلؤ المكنون في أصداف البحر.

وأية غنيمة فوق هذه الغنيمة؟ فهذه غنائم الفقراء السالكين، فإنهم قلّلوا الأغذية الجسمانية، واختاروا السهر، والصمت، والخُلوة حتى أغناهم الله من فضله الكثير، ومنه الوفيرة، وأراهم جماله حين قام الخلق، وكالمهم، وكان معهم حيث كانوا، نسأل الله سبحانه أن يسلك بنا مسالك أولئك الواصلين، ويرزقنا من نعيمهم، ومزيدهم في كل حين.

٦٣- في الحديث: «مَن أهان سلطان الله؛ أهانه الله، ومَن أكرم سلطان الله؛ أكرمه الله»[1]:

الإهانة ضد الإكرام، كما يُعرف من المقابلة، وسلطان الله أعم من أن يكون القرآن، أو القائم بالقرآن بظاهره ومعناه، والإمام الظاهر بصورة السلطنة.

أمَّا الأول؛ فلأنه حُجة الله وبرهانه على المنكرين، فمَن أهانه بترك العمل به؛ أهانه الله بالعذاب المهين، وكان عمر ﷺ يُقبِّل المصحف كل صباح، ويقول: هذا كلام ربي؛ يعني: يُعظِّم ظاهره بالتقبيل، وباطنه بالعمل بموجبه.

ولا شك أن تعظيم الكلام تعظيم للمتكلِّم، وكذا الإهانة به، واستحقاره

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (١٣٦/٨)، وأحمد (٤٨/٥).

إهانة، واستحقار للمتكلِّم، واستحقار العظيم عظيم؛ ولذا كان جزاؤه الإهانة من الله تعالى على حدِّ قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾ [البقرة:١٥].

ومن إهانة القرآن؛ إهانة ما يدلُّ عليه من الآثار، ويُخبر عنه من أحوال الأخيار والأشرار.

وأمَّا الثاني؛ فلأن القائم بالقرآن بظاهره وباطنه؛ هو خليفة الله ووارث رسوله ﷺ، وكان خُلق رسول الله؛ هو القرآن؛ بل كان هو بنفسه عين القرآن؛ هو الكلام التنـــزيلي، والإنسان الكامل؛ هو الكلام التكويني.

فكما أن الكلام التنـــزيلي مشتمل على الحروف، والكلمات، والآيات، والسور؛ فكذا الكلام التكويني مشتمل على ذلك، فحروفه الشئون الذاتية، وكلماته الأعيان العلمية، وآياته الحقائق المجرَّدة الأرواحية، وسوره الآثار المثالية الجسمانية، فهذه هي حروف كتاب الوجود الظلّي، وكلماته، وآياته، وسوره.

وأمَّا كتاب الوجود الحقيقي؛ فحروفه الأسماء الذاتية الأحدية، وكلماته الأسماء الصفاتية الواحدية، وآياته الأسماء الأفعالية، وسوره الآثارية.

فظهر أن الإنسان الكامل؛ هو القرآن من حيث إنه كتاب جامع لحقائق الأشياء كلها، وله كلام يصدر عنه؛ فهو كلام الله أيضًا؛ لأنه مظهر الحق، ومظهر أسرار القرآن، فمَن أهانه بعدم الإصغاء إلى كلامه، وحُجته، وبرهانه؛ أهانه الله بتركه في الحجاب المانع عن سماع الخطاب الإلهي، ومَن أكرمه بأن يقبل كلامه لعلمه بأنه كلام الله حقيقة؛ أكرمه الله بكرامات المكمالة، والمناجاة، والتحقق بحقائق الكلام، وفيه إنذار عظيم للغافلين المحجوبين، وتبشير جسيم للمتيقِّظين المكاشفين.

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**اللّهم أرنا الحق حقًا، وأرزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وأرزقنا اجتنابه**»[1]، فمن الحق أولياء الله، ومَن والاهم، ومن الباطل أعداء الله، ومَن والاهم.

فإن الأولين يلزم موالاتهم؛ لحقيَّتهم، والآخرين يجب مُعاداتهم؛ لبطلانهم.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/٢٥٢).

وأمَّا الثالث فلأن السلطان سرُّ الله الرحمن؛ القيامة بوحدته مقام وحدة الحق، ووجوب وجوده، وشمول ظلّه على جميع الرعايا؛ كشمول رحمة الله على جملة البرايا، فهو ظاهر على صورة اسم الله الأعظم، فمَن أهانه بترك المبايعة له، والخروج عن حكمه، وسلطانه؛ أهانه الله بإقامته في دائرة المبتدعة الشاردة عن حكم الجماعة، ومَن أكرمه بالدخول تحت لوائه؛ أكرمه الله بالنصرة على الأعداء الظاهرة والباطنة.

فإن قلت: فكيف الإكرام إذا كان خارجًا عن حكم الله في أكثر أحواله؟

قلت: قد ثبت أن الطاعة اليسيرة من السلطان بمنـــزلة الطاعة الكثيرة من غيره؛ فهو مظهر اسم الذات، ولذا كان قائد الخلق.

كما أن الاسم الأعظم يقود جميع الإلهية، وكذا مَن هو رجال السلطنة تحت يده، فإنهم أيضًا مظاهر الأسماء الذاتية الكلية؛ لكليتهم بالنسبة إلى سائر الأسماء الجزئية ومظاهرها، ولهم ملائكة متعيِّنة في السماوات تلهمهم الحق ليعملوا به.

ومنه قولهم: أرباب الدول ملهمون، فربما يوجد عندهم من العلم ما لم يكن هو عند العلماء؛ بل منهم أمي لا يعلمون الكتاب؛ لكن ما باشر به من الأفعال؛ يكون موافقًا له بتوفيق الله تعالى، هذا إذا كان صحيح النية في سلطانه، وإلا فيعسر الوقوف عند الحق، والوصول إليه؛ لغلبة حجاب الكون.

ألا ترى أن السمع إذا كان مسدودًا، أو كان القائل وراء حجاب غليظ؛ فإن السامع محروم عن السماع، فكذا إذا كان القلب محجوبًا بحجب العوائق، والتعلُّقات الكونية، والخواطر الفاسدة؛ فإنه عين العمى، والأعمى لا يُبصر شيئًا، وكذا أعمى القلب لا يدرك شيئًا مع أجود الإلهام، والإلقاء، والتجلِّي على حاله، إذ ليس عند الله بخل وإمساك؛ بل جود وفيض.

فالمانع من طرف العبد؛ فهو محجوب لا من طرف الحق تعالى؛ إذ هو محتجب بصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وذلك بحجاب له في الحقيقة؛ لأنه كقناع العروس؛ فهو حجاب للغير لإلهام، ولا غير هنا بالنسبة إلى أحدية التجلِّي، فإن الغيرية الحاصلة في مرتبة الواحدية إنما هي باعتبار التعيُّنات، وصور الحقائق، واختلاف التجلِّيات، وذلك لا يضرُّ بالعينية في المرتبة الأولى.

واعلم أن وجود الإنسان الكامل؛ هو حرم الله تعالى، ويمينه بمنـــزلة الحجر الأسود، فكما أن مَن استلم الحجر الأسود؛ فقد بايع الله ورسوله في مرتبة الشريعة؛ فكذا مَن استلم يمين الإنسان الكامل؛ فقد بايع الله ورسوله في مرتبة الحقيقة، ولَمَّا كان السلطان الأعظم ظلّ الله: أي صورة الحقيقة الإلهية الجامعة للحقائق كلها؛ كان استلام يده، والمبايعة له بمنـــزلة استلام يمين الإنسان الكامل، والمبايعة له، ومنه يظهر إن المراد الاستلام بحقائق الإيمان، والإسلام، والتوحيد لا بمجرَّد التقليد.

فرُبَّ كافرٍ يستلم الحجر الأسود، ولا ينفعه ذلك في الباطن، وإن نفعه في الظاهر، وكذا رُبَّ منكرٍ يستلم اليمين مطلقًا سواء كانت يمين باطن الحقيقة الإلهية؛ وهو يمين الإنسان الكامل، أو يمين ظاهر تلك الحقيقة؛ وهي يمين السلطان الأعظم، وقد يكون السلطان خليفة الله تعالى؛ فيكون له يمينان؛ يمين ظاهر السلطنة، ويمين بطانها، فيكون استلام يمينه بمنـــزلة استلام اليمينين؛ كالخلفاء الأربعة، ومَن تبعهم في طريقتهم، وسيرتهم.

وأمَّا إذا كان ظاهرًا في صورة الظلِّ؛ فلا بد له أيضًا من مبايعة مَن هو في مرتبة الخلافة الكاملة، ومتابعته؛ كمتابعة الظلِّ للمظلول، وإلا لم يكن متصورًا؛ بل مخذولاً هذا، فإنه مطابق لنفس الأمر، ومن لُباب المعرفة الحاصلة في أواخر العمر.

٦٤- **في الحديث الصحيح: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو تُرى له[1]»**:

الرؤيا الصالحة هي الصادقة التي توافق الوقع، وهي ما لم تكن من غلبة الخيال، ولا من مداخلة وسوسة الشيطان، فإنها إذًا تكون كاذبة خيالية أو شيطانية، ومنها الاحتلام وقد تكون للسالك حين سلوكه، وقد تكون من ضعف المزاج والقوى، ولذا قد تقع من الكُمَّل، ولا تقدح في مرتبهم.

ومنها: ما رُوي: «**إن آدم أبا البشر احتلم، فخلق الله من نطفته يأجوج ومأجوج[2]**»، إن صحَّ فإن بعض العلماء ذهب إلى عدم صحته بناءً على أن ساحة

---

(١) رواه مسلم (٣٤٨/١)، وأبو داود (٢٣٢/١).

(٢) لم أقف عليه.

أعراض الأنبياء - عليهم السلام - مصونة عن مثل ذلك التلوث، وليس بذاك على أن الله تعالى إن كان قد قدر خلق يأجوج ومأجوج من نطفة آدم.

لم يلزم أن يكون ذلك عن شهوة خيالية، بل على وجه غير ذلك، فكان من حكمته الخفية أن خلق حواء من ضلعه، ويأجوج ومأجوج من نطفته من غير علوق في الرحم، إشارة إلى خساستهم في نفوسهم، وسائر الذرية بعلوق الرحم، إشارة إلى شرفهم في نفوسهم؛ لكونه طريق التناسل، حتى إن أفضل الأنبياء جاء على هذا الطريق.

ثم إن قوله: (**يراها الرجل**): إشارة إلى الرؤيا الأنفسية.

وقوله: (**أو تُرى له**) على المجهول: إشارة إلى الرؤيا الأفارقية، والرجل عالم لكل رجلٍ معهود في الذهن: أي رجلٍ كان، والتخصيص مبني على الغالب، أو على أن المرأة تابعة له في الأحكام، وذلك أنه إذا صفا الوقت كالأسحار، أو ارتفع الموانع، واعتدل المزاج، فإن المرآة الإنسانية مطلقًا تقبل الصور المثالية.

٦٥- في الحديث: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك[١]»:

اعلم أن الإنسان إما أن يكون مع الحق فقط، بأن يكون غائبًا عن الخلق رأسًا، وهو حال الجمع والفناء التام، والمحفوظ منهم من يعود إلى الحس وقت أداء الفرائض، فلا يجري عليه لسان ذنب بخلاف غيره، وإما أن يكون مع الخلق فقط، بأن يكون غائبًا عن الحق وشهوده، وهو حال أهل الفرق الأول، والمحفوظ منهم من تداركه الله تعالى في حال الصلاة بالشهود في الجملة، ولو خياليًا.

وإمَّا أن يكون مع الحق والخلق جميعًا، وهو حال أهل جمع الجمع والبقاء، والفرق الثاني، والمشروح الصدر، فمن كان حضوره دائمًا مع الله تعالى سواء كان من أهل الفناء، أو من أهل البقاء، فهو مصون عن النفس والشيطان، وعن كل ما سوى الله؛ لأن الحضور والغيبة لا يجتمعان، ومن كان غائبًا عن الله تعالى، كأهل

---

(١) رواه أحمد (٥/٤٢)، والبيهقي في الشعب (١/٤٧٦).

الفرق الأُول، فهو موكول إلى النفس والخلق؛ لما ذكرنا للنبي ﷺ من كمال رحمته على أمته، دعا بما ذكر من الدعاء، فهو إما تشريع لهم بأن يدعوا الله تعالى.

هكذا حذرًا عن الغفلة والحجاب، وإما أن التقدير: اللهم لا تكل أمتي إلى نفوسهم، فإن النبي نفسه معصومٌ مع بقاء الإمكان الذاتي؛ لأن العصمة امتناع بالغير، وهو لا ينافي في ذلك والله العاصم الحافظ.

٦٦- في أحاديث الجامع الصغير: «**عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها**»(١):

إن قلت: قد ثبت في الجامع الصغير أن الصوم لا مثل له أيضًا، فكيف التوفيق؟

قلت: فيه جوابان:

الأول: إن ما لا مثل له من الأعمال كثير، **فمنه**: الصوم، **ومنه**: الهجرة.

والثاني: إن الصوم من باب الهجرة في المعنى، فإن الهجرة ترك الوطن والمألوف، فالهجرة من دار إلى دار من باب ترك الوطن والمألوف جميعًا، والصوم من باب ترك المألوف فقط؛ لأن عادة الطبع الأكل والشرب بحيث لا يكاد يصير عنهما، فإذا صام؛ فكأنه ذبح الطبع، وأحي القلب، وأتى بعمل لا مثل له، وكذا الهجرة من دار إلى دار، فإن فيها مهاجرة المألوف، وقطع السكون إليه.

ولا شك أن الاستئناس والائتلاف بالمخلوق؛ بل بما سوى الله تعالى انقطع عن الله، كما أن قطع العلامة عنه اتصال بالله، وقد أمر ﷺ بذلك، كما قال تعالى: ﴿**قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ**﴾ [الأنعام:٩١]، فإنه إذا وجب مقاطعة صحبة الإنسان؛ وهو صورة الحق في الحقيقة؛ فما بالك بغيره من الأشياء، وقال تعالى﴿**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾ [المزمل:٨].

٦٧- وفي أحاديث الجامع الصغير: «**لا تذهب الدنيا حتى تصير إلى لكع ابن لكع**»(٢).

---

(١) رواه النسائي (٥/٢١٣)، والديلمي في الفردوس (٣/٣٢).

(٢) رواه أحمد (٢/٣٥٨)، والطبراني في الكبير (٢٢/١٩٥).

أراد باللكع؛ اللئيم؛ وهو ضد الكريم.

فإن الدنيا تقوم بكرم الكرماء، فإذا صارت إلى اللئيم البخيل؛ كان ذلك من أشراط الساعة على أن اللئيم يُخطئ غالبًا؛ إذ ليس بأصل بخلاف الأصل، فإنه لا يُخطئ كما ورد في الأثر.

والحاصل: إن الكرم من شأن الأصل غالبًا، كما أن البخل من شأن غير الأصيل غالبًا، وقد جُرِّب كل منهما مرارًا في كل عصر، فوحَّد كذلك، وصيرورة الدنيا إلى اللئيم؛ بمعنى انتقال الدولة والمناصب إليه، كما نشاهد في زماننا هذا.

فإن الأصيل مُبعد، والداعي الدخيل مُقرَّب، وذلك مبغوض عند القلوب، والبغض من علامات التفرقة؛ ولذا قلَّما اتفق نصرة اللئام، ولو اتفق تحت راياهم ألوف، ثم إن اللئيم في الحقيقة؛ هو البخيل بذكر الله، كما دلَّ عليه قوله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»[1]، حتى ينقرض أهل الذكر المتَّصل؛ وهو ذكر أهل الله الاستغراق.

فاتصال أهل الذكر في جميع الأوقات يُعدُّ من الكرم، كما ورد أنه ﷺ كأنه يذكر الله على كل أحيانه؛ ولذا وُصف بالجود والعطاء بحيث لا غاية له، وأمَّا انقطاعه في بعض الأوقات؛ فيُعدُّ من البخل، كما عليه أهل الغفلة والنسيان.

ومن أعظم النسيان: منع مَن ذكر الله تعالى عن الذكر، وفي مثله ورد: ﴿**نَسُوا۟ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ [التوبة:٦٧]؛ يعني: نسوا الله في أنفسهم حتى لم يرضوا في حق غيرهم إلا النسيان؛ ولذا مُنعوا من الذكر، وحملوا الذكر على الترك، والنسيان؛ فنسيهم الله حيث لم يذكرهم في ملأ خير منهم؛ وهم أهل النور أصحاب المكانة المثلى.

اللّهم إني أسألك الذكر الكثير، والخير الوفير، والحضور الدائم، والوِرد القائم، والوارد الملائم.

٦٨- في المرفوع: «عليكم بالشام»[2]:

لم يُرد ﷺ بالشام دمشق فقط؛ بل أعمُّ منها، ومن غيرها من الشامات إلى آخر الأرض المقدَّسة.

---

(١) رواه مسلم (١/١٣١)، والترمذي (٤/٤٩٢).

(٢) رواه الترمذي (٤/٤٩٨)

وفي الحديث أيضًا: «**صفوة الله من بلاده يجيء إليها صفوته من خلقه**»(١)، وفيه من التحريض على الإقامة في الشام.

ما في الحديث الأول: فإنه إذا كان المجتبي إليها والمجموع صفوة الخلق؛ فليرغب العاقل في الهجرة إليها، والإقامة فيها؛ ليكون من صفوة الخالق، ومختار الناس، فإن قلت: إن الشام لا تخلط من أجلاف العرب والترك ونحوهم.

فكيف يكونون من صفوة الخلق؟ قلت: قد ورد في بعض الأحاديث: «إن الله ملكًا ينقل الأموات، فمَن استأهل بالشام؛ فهو فيها حيًّا وميّتًا، ومَن لم يستأهل لها؛ فهو في الشام حيًّا، وفي غيرها ميّتًا، فإن الله يضم كل مجانس إلى مجانسه؛ كما يضم من عمل عمل قوم لوط إليهم»(٢).

كما ورد في الحديث الصحيح.

وقوله ﷺ: «**ادفنوا أمواتكم وسط قوم صالحين**»(٣)، فإن ذلك إنما هو بالمستأهل في الجملة.

فإن الأرض المقدَّسة لا تُقدِّس أحدًا بلا عمل، واعتقاد الصالح لا يشفع في الطالح إلا إذا كانظظو فمَن أذن له في الشفاعة، وهو المؤمن الغير المتعمِّد المعظِّم للشريعة في الجملة، فإن قلت: لِم حرَّض على الإقامة بالشام مع فضل الحرمين الشريفين عليها.

قلت: الأمور **الأول**: إنها نهاية مقام الصفات، وفيها يطيب عيش الناس.

فإن المدينة أول مقام من مقاماتها، وفيها عيش الناس؛ لقربها من مقام الذات الذي هو حرم الله تعالى.

والثاني: إن من الفتنة الكبرى في آخر الزمان؛ فتنة بني الأصفر؛ وهم لا يدخلون الشام، وحلب، فهما مأمنان للخلق في ذلك الزمان؛ لكن الشام أفضل من حلب؛ لقرب حلب من أرض الروم بالنسبة إلى الشام.

(١) رواه البيهقي في الكبرى (١٧٩/٩)، والطبراني في الكبير (٥٥/٢٢) بنحوه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٥٤/٦)، والديلمي في الفردوس (١٠٢/١).

والثالث: إن الشام والقدس أرض المحشر، فالأمر بالهجرة إليها رحمة من الله تعالى لخلقه؛ حتى يكونوا يوم القيامة محشورين من محلّ الشفاعة؛ لأنها محفوفة بالأرواح الطيبة من الأنبياء، وكُمَّل الأولياء.

فمن الأول: الجد النبوي؛ وهو الخليل، وابنه إسحاق، وابنه يعقوب، وموسى، وزكريا، ويحيى، ويوسف وغيرهم عليهم السلام.

ومن الثانية: حضرة الشيخ محيي الدين العربي -قُدِّس سرُّه- فإنه كان يُسمَّى عليه السلام من اسم أبيه زكريا، وفي الدنيا ذبح كبش الموت في الآخرة، ولذا بحضرة الشيخ وبعلومه وحقائقه حُييت القلوب، وبإرشاده وتربيته ماتت النفوس، وكانت آثاره باقية إلى قيام الساعة، وبها حَيِي اسمه كما قال هو نفسه في الفتوحات: ولكل عصر واحد يسمو به، وأنا الباقي العصر ذاك الواحد.

ولا شك أن الإقامة في بلدة كانت الكُمَّل فيها بأجسامهم وأرواحهم أقوى من الإقامة في بلدة كانوا فيها بأرواحهم فقط، ومن هذا رغب في زيارتهم أينما كانوا؛ كأنها لزيارة الأحياء.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [آل عمران:١٦٩].

فإنه إذا كانت الشهداء الصورية أحياء عند ربهم؛ كانت الشهداء الحقيقية أَوْلى بذلك؛ لأنهم فانون في الله، باقون بالله، والله هو الحيُّ القيُّوم؛ فكذا نفوسهم في أبدانهم، فكانت محفوظة عن التفسُّخ والانحلال، والله يقول الحق على لسان الحقي بلا وهم ولا خيال.

٦٩- قوله ﷺ: «**إن الله في قِبلة أحدكم**»(١).

اعلم أن جميع الإنسيات قِبلة عند العارفين على ما أفاده قوله تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ**﴾ [البقرة:١١٥]؛ لكن الأدب؛ هو التوجه إلى أين الكعبة كما أفاده قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ [البقرة:١٤٩].

---

(١) حديث ذكره بعض صوفية التحقيق في كتبهم.

ثم إن الله تعالى نصَّ على المعيَّة الذاتية في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وقد حملها العارفون على معنى معيَّة الشيء إلى نفسه، ونصَّ رسول الله ﷺ إلى أن الله في جهة قِبلة المصلِّي، وبينهما تدافع.

والتوفيق هو أن كون الله تعالى مع عبده؛ إشارة إلى التجلِّي الوجودي، والنفس الرحماني، فهو مظهر نوره تعالى، وعامل سرَّه، وكونه في قِبلته؛ إشارة إلى القلبي من باطن الغيب إلى ظاهره في العلماء التفضُّلي، فإنه تعالى متين في تلك المرتبة بين الفاعل، والقابل، والمؤثِّر، والمتأخِّر، والمفيض، والمستفيض، فكانت الحقيقة الواحدة حقيقة فاعلية من حيث باطنها وقُدسها، وحقيقة قابلية من حيث ظاهرها وتعيُّنها.

وهذه نسبة معتبرة بين الحقائق الإلهية، والحقائق الكونية؛ لتمييز المراتب على ما يستدعيه الأسماء المختلفة الحقائق، فكان الله تعالى ساجدًا ومسجودًا في الحقيقة من حيث أحدية الوجود، والفيض الأقدس، ومسجودًا فقط من حيث اعتبار الوحدة، والفيض المقدَّس.

فالعبد ساجد في هذه المرتبة الذاتية، فلا تحصل: أي المناجاة، ولا تتحقق إلا بينهما، ومن مقتضياتها الفهوانية والمشافهة على ما يستدعيه الخطابات القرآنية لاسيما ما وقع في الفاتحة؛ ولذا اقتضى الحال المحاذاة والمقابلة؛ ليصحَّ الخطاب والمناجاة، وهي بكون العبد متوجهًا إلى القبلة.

وكون الرب متوجهًا إلى العبد؛ فيكون الحق هو القبلة في الحقيقة، كما أنه هو المجيب لمكالم غيره منه تعالى حتى لا يكون توجه العبد إلى ما سواه تعالى لا صورة ولا معنى، أمَّا المعنى فلا بحث عنه؛ لكونه مما لا يدرك إلا بالذوق بعد الدخول في دائرة البساطة، وأمَّا الصورة؛ فلأن الله تعالى في حالة المناجاة والمكالمة يتجلَّى في صورة مثالية يحصل فيها الكلام والخطاب، وأمَّا باعتبار تجرُّد ذاته، وغناه عن العالمين؛ فلا صورة له أصلاً، وكذا لا يكون في جهة ونحوها على ما أفاده الحقائق، فاعرف، فإنه من لُباب المعرفة.

٧٠- وأمَّا قوله: «**مَن ثبت نبت**»(١)؛ فإنما هو في حال التلوينات أو غيرها.

واعلم أن أحسن الأخلاق بين الله وبين عبده؛ هو الرضا والتسليم، وأحسنها بين العباد؛ السخاء وحُسن الخلق.

كما ورد: «**إن لله ثلاثمائة وستين خُلقًا**»(٢)؛ أحسنها السخاء؛ لأن فيه تخلُّقًا بسرٍّ الوجود والفيض الذي هو من عين المنَّة، فمَن كان جوَّادًا في ماله؛ كان في نفسه، كذلك كحال الخليل عليه السلام.

ولا شك إن كلاًّ من المال والولد والنفس حجب كونية لا بد للسالك من خرقها، والولوج في عالم الجبروت والمعاني، أيَّدنا الله تعالى وإياكم في طريقه، وأذاقنا حلاوة فيضه وتوفيقه، آمين بجاه النبي الأمين.

ظهر لي ليلة الخميس التاسع من شهر المولد النبوي من سنة ثلاثين ومائة وألف: إن كتب الهداية لا تُباع وأعظمها القرآن، ثم الحديث، ثم التفسير، ثم ما يتوسَّل إلى ذلك من العلوم النافعة، ومن ثم ذهب العلماء إلى كراهة بيع المصحف، والتلاوة بالأجرة ونحو ذلك؛ لأن ما كان من الأمور الأخروية؛ فله قدر عند الله تعالى، وما له قدر عنده كيف يُباع بثمن بخس دراهم معدودة؟ فما رفعه الميزان الإلهي لا يُخفض ولا يُوضع.

ثم إن المراد من كتب الهداية من طريق الإشارة؛ هي كلمات الله التامات؛ وهي الأرواح الخيِّرة؛ كالأنبياء، وكُمَّل الأولياء، فإن وجوداتهم كتب إلهية مشتملة على الحروف، والكلمات، والآيات، والسور الإلهية الحقيقية، وكلها لدعوة الناس، وهدايتهم إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: ٥٢].

ولا شك أن هذه الكتب؛ هي سرُّ الله الأعظم؛ ولعظمها لو بيعت؛ لبيعت بالله تعالى، والله لا يُباع بالله، فليس هذه الكتب ما يقابلها من الثمن، فمَن وجدها؛ فقد

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

اهتدى؛ ولذا وصَّى الكُمَّل بمبايعة الكُمَّل، وبذل المال والوجود لهم؛ حتى يكون لهم قدر عند الله تعالى مثلهم، وأين هذه المعرفة الكاملة من عقول العوام وقلوبهم؟ فإنما يهتدي إلى الخواص مَن يهتدي بالله، لا بالنفس، فإن كان دين صحيح؛ فلا بد لك من الكتاب مطلقًا، فإن الدين لا ينفك عنه قطعًا.

٧١- **في الحديث**: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»(١).

أشار ﷺ إلى فتح مكة الوجود بحصول المشاهدة للقلب، فليس بعد ذلك هجرة: أي تعب ومحنة، وإن كان فبالإضافة.

ألا ترى أن أهل الله مبتلون بأنواع البلاء بعد الوصول إلى مقام، وكشف حجاب الحسِّ، والخيال بتجليّات نور الأفعال والصفات، فإن ذلك من باب التتمَّة، والتكميل، والتهيؤ إلى تجلّي نور الذات بإزالة حجاب الوهم، فللسالك هجر مرة بعد مرة لكن بعض ذلك من قبيل الفرائض، وبعضها من قبيل النوافل، وأكثر غير الملائم في الدنيا متوجه إلى الأماثل والأفاضل؛ ليتسع القلب لظهور التجليّات المتنرعة.

فمَن عرف هذا السرَّ؛ لم يبك من البلاء، فإنه إنما اُبتلي به؛ لأجل الترقّي والإعراض عن الأسباب، الترقّي تنـــزُّل جدًا، والسفر من بواعث الإقبال إدبارًا قطعًا، ثم إن الله تعالى يبتلي عبده بما شاء، كيف شاء، متى شاء.

ولا ينـــبغي للعـــبد أن يسأل ذلك، فربما لا يتحمله؛ بل الواجب عليه عند جريان القضـــاء طلب الصبر والسكون والرضا؛ حتى يُهوَّن عليه ذلك، ولا يشقى به كما شقى الكفار، ومَن يليهم من المحجوبين.

نعوذ بالله من الجهل والغرور والمكابرة، ونسأله العفو والعافية والمصابرة.

(١) رواه البخاري (٢/٦٥١)، وأبو داود (٣/٣)، والنسائي (٤/٤٢٦).

بعض الواردات

وارد المرشد والمريد(١)

اعلم أن المرشد الكامل كالملك الذي ينفخ الروح في الجنين؛ فإنه ينفخ روح الفيض في الجنين الذي يشتمله رحم استعداد المريد، والمراد بالنفخ، صورة اشتعال حطب الجسد بنار الروح، ولمَّا كان ظهور تلك النار في المحلِّ من تربية النافخ؛ جُعل المرشد كالنافخ، وليس إلا المظهر، ففيه سرُّ الخلافة؛ ولذا قال تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:١]، وإنما كان الله أحسنهم؛ لأنهم إنما يُخلقون على صورة ما خلق الله؛ فهم الفرع في ذلك، والله هو الأصل والمبدأ.

---

(١) أعلم رجال الطريق هم الذين وصلوا إلى مقام القرب، والتمكين وله خمسة أركان، وعشرون صفة:

أمَّا الأركان فهي: عبدية الحضرة، واستعداد قبول الحقائق الحضرة بلا واسطة، ووجود الرحمة الخاصة من المقام العندية، وشرف تعلم العلوم من الحضرة، وكون التعلم منها بلا واسطة قال الله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً**﴾ [الكهف:٦٥]، فاندرج فيه جميع ما ذكر من الأركان كما هو الظاهر، وأمَّا الصفات: فهو أن يكون عالمًا بالشريعة على قدر الحاجة، وأن يكون على اعتقاد أهل السنة والجماعة، وعاقلاً بالعقل الديني والمعاشي، وسخيًّا وشُجاعًا، وعفيفًا من جهة النفس، وعالي الهمَّة مشفقًا على المريد، وحليمًا وعفوًّا، وحسن الخلق، وصاحب الإيثار، وكريمًا ومتوكلاً، ومسلِّمًا وراضيًا بالقضاء، وذات وقار وساكنًا في الحركات، وثابت القدم في الإرادات، وذات هيبة، فالموصوف بهذه الأوصاف متخلق بأخلاق الله يوصل المريد إلى الحق تعالى بإذنه تعالى في مدة قصيرة بشرط أن يكون المريد أيضًا موصوفًا؛ لأنه ينبغي أن يكون موصوفًا بعشرين وصفًا كالشيخ، وهي التوجه والزهد والتجريد واعتقاد أهل الحق والتقوى والصبر والمجاهدة والشجاعة والبذل والفتوت والصدق والعلم والطلب والحيلة مع الأعداء.

والملامتية هي أن يكون المدح والذم، والرد والقبول عنده سواء والعقل والأدب وحسن الخلق والتسليم والتفويض، فإذا وجد المريد كذا، وأخذ عن رجل كذا في مدة يسيرة يحصل ذا، وإلا فمتعسر أو متعذر كما عرفت، فإذا لم يأخذ الطريق من الرجال فالانتقال محال، وإذا لم يحصل الانتقال لم يتحقق بحقائق الحروف والأسماء، ومن لم يتحقق بها يكون مصروفًا عن كشف غوامض الأشياء.

فظهر أن المريد ولد المرشد وفرعه: أي في الظهور؛ لأنه لولا ظهور المرشد قبل ظهور المريد، كما أنه لولا ظهور الحق بذاته لذاته في ذاته؛ لِما ظهر الخلق أبدًا ، فكان ظهور الحق؛ هو المبدأ في جميع الظهورات؛ ولذا وصف نفسه بالأولية والظاهرية، ولمَّا كان ظهور الإنسان بالمعنى أَوْلى من ظهوره بالصورة؛ لأن المعنى حق، والصورة خلق؛ كان الأستاذ أحق بالتعظيم من الأب ،والمرشد أولى بالتقديم من الوالد.

ومن العجائب أنه كما أن للمرشد والوالد فضلاً على المريد والابن من حيث التربية والوالدية؛ فكذا للمريد والابن فضلاً على المرشد والأب؛ لأن كلاًّ منهما في حكم المعين لهما؛ فالمرشد مثلاً كالأنثى الحاملة، والمريد المستعد كالقابلة، فإن ما يلد منه إنما يلد بمباشرة المريد، ولولا المريد لِما وُلد مولود من المرشد، ففيهما سرٌّ قول مَن قال من بعض الأكابر: فلولاه ولولانا؛ لِما كان الذي كان.

فظهر أن مرتبة الأُلوهية من الإضافات؛ فإنها نسبة بين الإله والمألوه، والنسبة لا ترتفع مادامت المرتبة باقية، ومنه يعلم سرَّ قوله تعالى: ﴿**فَاعلم أنهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [محمد:١٩]؛ يعني: إن علمك إنما يتعلَّق بمرتبة الأُلوهية.

وأمَّا ما فوقها من مرتبة الغنى عن العالمين؛ وهي مرتبة الذات البحث؛ فلا يدخلها علم؛ لأنه لا اسم، ولا وصف، ولا رسم هنالك؛ ولذا يُقال: إن الله هو المحيط بكنهه.

ومما قررنا يُعرف سر طلب مقام الوسيلة لنبينا ﷺ؛ **فإن ذلك من باب الغَيرة** الإلهية؛ فهو كنصب السلطان من قِبل الرعية مع أن السلطان؛ هو الحاكم الآمر الناهي، فليس الكمال المطلق إلا لله تعالى؛ ولذا كان أعلم مطلقًا.

وأمَّا النبي ﷺ فقد قال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»(١).

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء:٨٥].

وإن كان علم الكائنات بجنب علمه ﷺ قطرة من سبعة أبحر، و لم يزل الإنسان

(١) ذكره السيوطي في شرح سنن ابن ماجه (٢/١)، وابن حزم في الاحكام (١٢٨/٥).

الكامل في الدنيا يطلب مرآة لكماله، فإن بتلك المرآة يظهر لكماله في المريد، وأيضًا يحصل صورة كمال من المريد ينتفع به المرشد، وقد جُرِّب إنه كلّما كان المريد أكمل استعدادًا، وقرر عند الشيخ أمرًا من أموره؛ فإن للشيخ ترقيًا بحصول معارف زائدة من تقريراته.

وإن كانَ المريد لا يعرف ذلك، ونظيره علم الكيمياء فقد يدخل المتحيِّر في العلم من تقرير بعض مَن لا يقدر على علمه، وبيد الله الحل، والعقد، والقبض، والبسط، والعطاء، والمنع، ونحن نستفيد إلى الآن من الأرواح الطيبة، ولهم الاستفادة منَّا أيضًا بما شاء الله تعالى.

وارد الداخل والخارج

اعلم أن الإنسان صورة العالم وبالعكس؛ لكن الأول من قبيل الإجمال، والثاني من قبيل التفصيل.

فكما أن للإنسان ظاهرًا؛ هو قالبه، وباطنًا؛ هو قلبه؛ فكذا للعالم ظاهر؛ هو عالم الكون والفساد؛ وهو من مقعر السماء السابعة إلى تحت الأرضين، وباطن؛ وهو عالم الكرسي والعرش، وما فوقهما من عالم اللوح، والأرواح[1].

(١) قال سيدي محمد وفا في المعاريج: وأما الأرواح فإنها مخلوقة من النور الإفاضي العرشي، ولها التقدُّم في الخلق على الأجساد بألفي عام بما شهد به الخبر النبوي، وأما الأرواح النورانية السعيدة فإنها تعرج إلى مقامها العلي، ومحلها البهي، ضمنها لطيف الجسم النوراني، والهيكل الإنساني، فأرواح السعداء ظاهرة أنوارها، باطنة نفوسها، مستهلكة الأجسام ضمن الأرواح، فالأجسام باطن الأرواح في دار البرزخ، ودار المحشر، وفي دار الدنيا جسم ظاهر، والروح باطن، فالأرواح النورانية في داري الدنيا والبرزخ، يكشف بعضها بعضًا، ويشهد بعضها لبعضٍ لما بينهن من المناسبة والتعارف، وقد نبَّه رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «خلق الله الأرواح أجنادًا مجندةً، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».
وكذلك النفوس في مجانستها ومناسبتها، فالأرواح أنوارٌ للسعداء، وظلمٌ للأشقياء، وأجسام السعداء منعمة بتنعيم نفوسها، وأجسام الأشقياء والعذاب مشترك بين النفوس والأجسام، وهذا ظهر لهذا، وهذا بطن لهذا، فانتشار البشرية ظهور صفات النفس الطبيعية، التي لا انفكاك للصفة الآدمية الإنسانية منها، ولا خروج لها عنها، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى نبيه =

والقلب من كل منهما لا يُبلى ولا يغنى أبدًا؛ لأنه مما يلي عالم الأمر والملكوت، وأمَّا القالب فيبلى ويفنى؛ لأنه مما يلي عالم الخلق والملك.

ولا شك إن عالم الخلق والملك عالم الكثافة، وعالم الأمر والملكوت من عالم اللطافة، فكما أن من شأن الكثيف الفناء؛ فكذا من شأن اللطيف البقاء؛ فالجواهر والمواد باقية من كل من العالمين، والصورة والأشكال فانية؛ ولذا تُطوى السماوات السبع يوم القيامة، وتنشق على ما نطق به النص.

فإذا عرفت هذا؛ اعلم أن ظاهر الإنسان لا يدركه إلا الحسَّ، كما أن باطنه لا يدركه إلا العقل، فكما أن الحسَّ لا يدخل عالم العقل؛ فكذا العقل والخيال لا يدخل عالم الملكوت، فمَن نظر إلى ظاهر الإنسان؛ فليس له دعوى الدخول في باطنه، فإن النظر الحسِّي ليس من طرق الدخول في الباطن.

وكذا مَن نظر إلى ظاهر العالم؛ فليس له الدعوى المذكور؛ فإن الحس إنما يدرك الصور، والأشكال، والخيال، والعقل المعاني الجزئية المتعلّقة بالسبع الطباق،

=

محمدًا ﷺ أن يقول: قل: إنما أنا بشر مثلكم فامتثل أمر ربه ﷻ وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦] كما أُمر، قال ﷺ ولم يقل: (إنما أنا بشرٌ مثلكم)، فهو مأمور ببلاغ ما ينزل إليه من ربِّه كما أُنزل، من غير زيادة ولا نقصان، قال الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فأجسام الأصفياء والمرسلين والأنبياء والصديقين والصالحين نورانية، ونفوس الأشقياء وأرواحهم وأجسامهم مظلمة، فإنها هابطة في الدركات إلى أسفل سافلين، عكس نفوس السعداء؛ فإنها عارجة إلى عليين، فالطبيعة أثر الترابية، والبشرية أثر الطبيعة، فهي سماء الطبيعة، ولها النشور من الحشر بالخروج إلى فضاء البسط، فالحشر صفة قبض، والنشر صفة بسط، والله يقبض ويبسط، فالنفوس بالتزكية تخرج من حشرها إلى نشرها البسطي النوري، والنفس الشقية ترد على عقبها، فتدس من نشرها، وتحشر في عوالم طبيعتها. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وأمَّا عالم الملكوت فلا يدخله إلا القلب السليم من تعلُّقات الكونين، والروح المحلَّى بزينة المعرفة، المكحَّل بنور الشهود.

ولذا أعيَ الفلاسفة وأهل النجوم إدراك حقائق عالم الملكوت، بل صوره النورانية أيضًا؛ لأنه ليس لهم إلا التصرُّف الحسِّي؛ كأهل الرصد، والتصرُّف العقلي الفكري الخيالي القياسي، كما لعامة الفلاسفة، وهم في ذلك ملحقون بأهل الكشف الخيالي، فإن أهل هذا الكشف ليس سيرهم إلا في ظاهر الكون وخارجه لا في باطنه وداخله، وإن كانوا يَدَّعون إنهم دخلوا عالم العرش والأرواح؛ خُوطبوا بالخطابات الإلهية، وورد عليهم الواردات الغيبية، فإن ذلك كشف من ظاهر العالم، ومعارف ظنية؛ بعضها مطابق للواقع الذي عليه أهل الكشف الصحيح القلبي، وبعضها مخالف له.

وكم في بعض كتب التصوُّف من السقطات؛ كواردات الشيخ بدر الدين المصلوب، وكتاب إخوان الصفا وغيرهما من كتب أهل الضعف والتلوين، وما يُعقل ما فيها إلا العالمون، فإن أردت الكشف الصحيح؛ فعليك بكتب الشيخين محيي الدين، وابنه الشيخ صدر الدين قُدِّس سرُّهما، ويلي تلك الكتب الجليلة تأويلات الشيخ نجم الدين الكبرى، وكتب الشيخ الحكيم الترمذي، وكتب شيخي وسندي الشيخ السيد عثمان الفضلي الإلهي، كشرح تفسير الفاتحة لصدر الدين، وكتاب «اللائحات البرقيات» وغير ذلك.

فعليك بنحو ذلك الكتب السماوية، وإياك والكتب الأرضية، فإن كنت دخلت في عالم الكتب السماوية: أي من طريق الذوق لا من طرق التصرُّف، والتَّتبع العقلي؛ فقد عرفت الحق، وميَّزته من الباطل، ودَرَيتَ الغثَّ والسمين، وتخلَّصت عن الخيال والظن والتخمين، ونجوت من أوهام البرانيين العشرين[1].

---

(١) للقوم رضي الله عنهم في الكلام على تقاسيم وأنواع العلوم، وبيان الدليل من الكتاب والسنة المطهرة على العلم اللدني- أو السمائي كما سماه المصنف قدس سره - أقوال جمَّة، أحسن سيدي جعفر الكتاني قدس سره في جمعها في بحث من مقدمة كتابه العظيم (جلاء القلوب من الأصداء =

=

الغينـية في بيان إحاطته – عليه السلام-بالعلوم الكونية) وإليك قبسًا من هذا الجمع، قال – قدس الله سره- في بيان جملة العلوم وأنها بالاعتبار ثلاثة عند أرباب الإدراكات والفهوم:

اعلم أن العلوم على ما قاله غير واحد ثلاثة:

الأول منها: علم الشريعة الظاهرة، وهو قسمان:

أحدهما: علم الشريعة المتعلق بالأعمال البدنية، أعني به علم الحلال والحرام، والأمر والنهي والوعد والوعيد، ونحوها مما هو متعلق ومرتبط بتكميل ظاهر الذوات من أقوالها وأفعالها ولوازمها، وتحسين هيئاتها مثل الصلاة والزكاة، والصوم والحج والجهاد، وأنواع الأذكار والأدعية وتلاوة القرآن، واستكمال خصال الفطرة، وغير ذلك من كل ما له تعلق وارتباط بالسير الجسماني المتعلق بالأعمال البدنية الظاهرة.

والثاني: علم الشريعة المتعلق بالأعمال القلبية وأدوائها وعلاجاتها، وما تصلح به وما لا أعني به علم كيفية الرجوع إلى الله وإلى طريقه، ومعرفة الآفات الطارئة على سائر هذا الطريق من دسائس النفوس وغوائلها وشهواتها، وما تصلح به تلك الآفات، وتـزال به الانحرافات والأخلاق، ويتبدل به مذمومها لمحمودها، وتتخطى به المقامات من التوبة والزهد، والمحاسبة والمراقبة، والتوكل والرضا، والتسليم والخوف، والرجاء والصبر، والشكر والمحبة، وغير ذلك من كل ماله تعلق وارتباط بالسير النفساني والروحاني المتعلق بالقلوب.

وهذا هو علم الظاهر المنقول، الذي هو علم الحكمة والعبودية، ويسمى أيضاً بعلم الكتب والأوراق، ومنها كما ذكرناه العلم الثاني وهو المسمى عندهم بعلم الطريقة، الذي هو العلم المتعلق بكيفية تعديل الهيئات النفسانية والروحانية، وهو وإن كان متعلقاً بالقلوب، والقلوب باطنية لكنه يؤدَّى بالعبارة، والعبارة تظهره وتوضحه، فصار من قبيل علم الظاهر، وهو التصوف، وقد احتوت عليه كتب كثيرة قديمة كالرسالة للقشيري و«القوت» و«الإحياء»، وحادثة ككتب ابن عطاء الله و«شرح الحكم» لابن عباد، وكتب الشيخ زروق في التصوف، والشعراني، وهذه الكتب بها يحصل السلوك في طريق القوم لنهجها للعبيد، وبيانها للطريق التي بها يصل المريد، مع خلوها من الحقائق التي قد تكون سبباً في قطعه، وهو أيضاً باطن علم الشريعة المتعلق بالأعمال البدنية ولُبُه، وعلم الشريعة المذكور ظاهره وقشره، لأنه الذي يصونه، كما أن علم الطريقة قشر لعلم الحقيقة[1]، لأنه هو الذي يصونها، فإن من رام الوصول إلى علم الحقيقة و لم يطرق إليه من علم الطريقة فسد حاله، فصارت حقيقته زندقة، ولذا قالوا: لا وصول إلى حقيقة إلا بعد تحصيل الطريقة.

=

=

وقال أبو سليمان الداراني ﷺ: وإنما حرموا الوصول - يعني إلى الحقيقة - بتضييعهم الأصول - يعني الطريقة -، وكذا صاحب الطريقة إذا لم يؤت الشريعة حقها فسد حاله، وصارت طريقته هوسًا ووسوسة.

العلم الثاني منها: علم الحقيقة الباطنة الذي هو علم التوحيد الخاص وأسرار الشريعة وحكمها، وما ينشأ عن العمل بها من الكشوفات والأذواق والمعارف والأسرار ونحو ذلك، وهو علم الباطن الموهوب الذي هو علم القدرة والربوبية، ويسمى أيضاً بعلم الأذواق، وهو علم وهبي ذوقي لا ينال بتعلم، وإنما يهبه الله لمن يشاء من خلقه، ولا يؤديه من وصل إليه بالعبارة، وإنما يرمز له بالإشارة، وهو تصوف أهل الباطن، ومثال العلم الظاهر كجسم فيه روح كامن، فالجسد لا يقوم بغير روح، والروح لا تظهر من غير جسد، وإذا خلا الجسد عن الروح كان ميتاً ولا عبرة به، ولذلك كانت الشريعة بدون الحقيقة عاطلة، وإذا خلت الروح عن الجسد بطنت و لم يظهر لها، ولذا كانت الحقيقة بدون شريعة باطلة.

وقد نقل الشيخ عبد الرءوف المناوي في «إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن» في الباب الخامس في أصول علم التصوف عن إمامنا مالك ﷺ قال: «من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق» أي: لأن حقيقته تصير عارية بدون كسوة فيقتل عليها، فإن كان محقاً وغلبه السكر كان شهيداً، وإن كان مدعياً مبطلاً كان بعيداً، وعن الحضرة طريداً.

«ومن تفقه و لم يتصوف فقد تفسق» أي: لأن أعماله أشباح بلا أرواح، «ومن جمع بينهما فقد تحقق».

والعالم بهذا العلم الثاني هو المسمى عارفاً، ومن يصل إليه وكان من أهل العلم الأول سمي عالماً، والفرق بينهما أن العالم دون ما يقول، والعارف فوق ما يقول، والعالم يصف الطريق بالنعت، والعارف يصفها بالعين، لأنه سار معها وعرفها، والعالم محجوب والعارف محبوب، والعالم يَدلّك على العمل، والعارف يخرجك عن شهود العمل، والعالم يعرفك بأحكام الله، والعارف يعرفك بذات الله، إلى غير ذلك، ومن لم يسعده الله تعالى بملاقاة عارف لا يشك أنه في مهاد نفسه تالف.

ولذا قال أبو الحسن الشاذلي ﷺ: وكم يتغلغل في علمنا هذا -يعني علم القلوب- وما يعرف به علام الغيوب بات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر.

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن علان الصديقي البكري المكي الشافعي في «شرح حكم أبي مدين»: ولقد صدق فيما قال، فأي شخص يا أخي يصوم ولا يعجب بصومه؟ وأي شخص يصلي ولا يعجب بصلاته؟ وهكذا سائر الطاعات إلا ارتحل عليه عناية مولاه بمعرفة آداب الخدمة من مجالسة

=

=

أطــباء القلــوب وحلول عنايتهم عليه حتى تمحق العجب الذي حل به من تلك الطاعات، ولا يعجب بعد ذلك إلا بفضل مولاه، كما قال في «الحكم العطائية»: لا تفرحك الطاعة من حيث أنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُــوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] فلا تفرح يا أخي ولا تعجب إلا بنواله، ولا تصحب إلا من يعلمك العلوم التي تقربك إلى حضرة كماله.

انتهى نقله في الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية.

وقال بعض العارفين كما في «القوت» و«الإحياء»: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله.

وقال أبو علي الثقفي ﷺ: لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لم يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات.

وقــال الشيخ أبو العباس المرسي: والله ما صار الأبدال أبدالاً حتى يلقوا مثلنا، فإن لقوه كان بغيتهم، وقــالوا: مــا أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، وكيف يفلح من لم يصاحب مفلحاً، ولله در صاحب نظم بداية السلوك إذ يقول فيه:

إن لم تــلاق عارفــا في مدتــك لا عــاش عمــر عيشــه كعيشــك

ومن هنا كان الصحيح المختار عند العلماء الموفقين الأبرار أن العارفين بالله أفضل بكثير، وأعلى بمقدار كبير من العلماء بأحكام الله، وهكذا قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وغيره.

وقال ابن دقيق العيد بعد أن ذكر بعض الأولياء ممن رآه وكان يعتقده ويخضع له: هو عندي خير من مائة فقيه، أو من ألف فقيه.

ونقل اليافعي في «روض الرياحين» عن القاضي نجم الدين الطبري: أنه جاء خبر إلى مكة بوفاة العارف بالله إسماعيل بن محمد الحضرمي فقال العارف بالله أحمد بن موسى بن عجيل، وكان حينئذ بمكة: أرجو أن يفديه الله بمائة فقيه. ثم جاء الخبر الصحيح أنه حي ولم يمت إلا بعد مدة طويلة.

وفي «الإحــياء» للغــزالي في الباب الخامس من كتاب العلم: إن الرتبة العليا في معرفة الله والعلم به الأنبياء، ثم الأولياء العارفين، ثم العلماء الراسخين، ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم. راجعه.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري قدس الله سره في أول «رسالته»: أما بعد، فقد جعل الله تعالى هذه الطائفــة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه، ثم جعل قلوبهم معادن

=

=

أســـراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق انتهى.

وقـــال الشـــيخ عـــز الدين ابن عبد السلام في جواب له: لا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصـــاف الجـــلال ونعوت الكمال، وما يستحيل عليه من العيب والنقصان أفضل من العارفين بالأحكـــام، بـــل العارفون بالله أفضل من أهل الفروع والأصول. راجع كلامه برمته في «تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية» للسيوطي.

ولهذين العلمين يشير أبو القاسم الجنيد ﷺ بقوله: العلم علمان: علم العبودية، وعلم الربوبية، والبواقي حدس النفس..

وفي «الروضات العرشية في الكلام على الصلوات المشيشية» للشيخ سيدي مصطفى بن كمال البكري لـــدى قولها: وتنـــزلت علوم آدم ما نصه: واعلم أن أصول العلوم على ما قاله بعض أهل الفهوم مائـــة ألف علم أو أكثر، وأما الفروع فلا تحصر، وهي من حيث هي منقسمة إلى قسمين: علم درسي وعلم نفسي.

والأول عـــلم الطروس، والثاني علم الصدور المحروس، والأول سفيره الإفهام، والثاني الإلهام، والأول كســـبي والثاني وهبي والأول طريقه الجد والعناء، والثاني الغبطة والفناء ، والأول حجة، والثاني محجة لقوله ﷺ: **«العلم علمان: علم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان، فذلك حجة الله على ابن آدم »**. كذا في «الجامع الصغير».

والأول لا يستغنى فيه عن الوسائط الجمة، والثاني ربما يستغني فيه عنها آخراً عند رفع الحجب المدلهمة، أو ثمل فيقول الذي قلت وسائطه: حدثني قلبي عن ربي، ويقول: من استغني عنها حدثني ربي، أي: بطريق الإلهام..

قال أبو يزيد قدس الله سره: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت.

وأنشد سيدي عمر بن الفارض قدس الله سره:

ولا تـــك ممـــن طيشـــته دُرُوسُـــــهُ … بحيـــث اســـتقلّتْ عقلـــه واســـتقرتِ

فـــثَمّ وراء الـــنقل، عـــلم يـــدق عـــن … مـــدارك غايـــات العقـــول الســـليمةِ

تلقيـــته مـــني، وعـــني أخذتُـــــهُ … ونفســـي كانـــت مـــن عطائي ممدتي(1)

قال: ثم العلم على قسمين من حيث أصل تقسيمه: قديم وحادث، فالقديم هو الصفة الكاشفة القديمة المـــتعلقة بالواجبات والجائزات والمستحيلات، والحادث هو ما أفاض به الحق وجاد به على عباده متنوعاً متكثراً مجملا ومفـ ـلاً، وما يفيضه عليهم دنيا وأخرى فإن فيض الحق لا ينقطع أبداً، وهذا

=

=

العلم وإن حصل منه ما حصل فنسبته إلينا مجازية، وإليه حقيقية، لأنا بالنظر إلى أنفسنا لا علم لنا، وبالنظر لتعليمه كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء: ١١٣] ولما كان الأمر كذلك قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦].

وهذه العلوم منها ما هو من العلوم الشهودية، ومنها ما هو من العلوم الوجودية، ومنها حسية ومعنوية، وشرعية وعقلية، وعرشية وفرشية، وجلالية وجمالية، ودنيوية وبرزخية، ونشرية وحشرية، وأخروية وكشيفية، وفعلية وأسمائية، وصفاتية وذاتية، وغيبية وعينية، وملكية وملكوتية، وجبروتية ولاهوتية، وغير ذلك من العلوم التي لا تتناهي وكل واحد من هذه العلوم له مراتب في ظهوره وبدو نوره.

ففي أول الظهور قبل المعاينة يسمى علم يقين، وبعدها علم عين اليقين، وبعد التحقق فيه والاطلاع على ظواهره وخوافيه يسمى علم حق اليقين، ومع كثرة العلوم وتشعب الفهوم عند أهل الكشف وأهل الرسوم قال الله الحي القيوم ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء:٨٥] فانظر هذا الخطاب الذي عم نظراً جميلاً، وقول الخضر عليه السلام لموسي الكليم عليه الصلاة والسلام: «ما أخذت أنا وأنت من علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر»، أو ما معناه تنمحق دعاويك الباطلة وتنسحق مساويك الهاطلة.

قال: واعلم أن العلوم الربانية والأسرار الرحمانية فيضها عجيب، وسرها غريب، لا تدرك إلا من طريق الذوق والوجدان، ولا تعرف إلا بعد المشاهدة والعيان، فقد يفتح على العبد المعتني به في لحظة واحدة ما لو جلس يقرر فيه مدة عمره ما وفي به، إذ فيض الحق سبحانه وتعالي لا يقاس بغيره، فإنه فيض واسع من واسع عم الأنام ببره وخيره. انتهى المراد منه بلفظه.

قال بعض أهل الأنوار الغارقين في بحار الأسرار: والعجب من أرباب العلوم الظاهرة المحصلين من الاصطلاحات ما يقتبسون به من أنوار الكتاب والسنة الباهرة، كيف لا يشتغلون بعد تحصيلها بذكر الله ومراقبته، والإعراض عن كل ما سواه ومجانيته، على يد من هو أهل لذلك، ممن أقامه الله لإرشاد الخلق هنالك، حتى تنصب إلى قلوبهم مياه العلوم اللدنية، والأسرار الوهبية القدسية، التي لو عاش أحدهم ألف سنة فما فوقها في تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها رائحة، ولا يشاهد من آثارها وأنوارها لامعة ولا لائحة، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

=

=

ولــذا قال أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ﷺ: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلــة و لم تفــتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[الأنعام:٥٩].

وقــد وقع لغير واحد ممن فعل ما ذكرناه، واقتفى سبل ما أرشدنا إليه وبيناه، أُهْم كانوا إذا سئلوا عن مســألة دقيقة غامضة أتاهم الجواب من فيض الكريم الوهاب قبل تمام السؤال، فيجيبون من غير روية ولا فكر ولا إشغال بال بجواب سديد، محرر مفيد، فأين الفهم والأوراق من هذه الأذواق، ومن كان معلمه الحق، واستمداده من حضرة خير الخلق تضاءلت له الفهوم، وطافت بكعبة قلبه غرائب العلوم، كما جرى ذلك لغير واحد، ممن امتن عليه الكريم الوهاب الواحد.

ومن المعلوم لدى أهل السلوك والعلوم أنه لا تنفتح للسالك طرق المشاهدة إلا بعد الكد والمجاهدة، ولا تشــرق أنوار العلوم اللدنية في جنانه، وتنفجر ينابيع الحكمة منه إلى لسانه إلا بالذكر والمراقبة، والإعراض عن السوء والمجانبة، وإن كتب التعليم لا تفي بذلك، ولا ترشد السالك إلى ما هنالك، والسلوك إليه تعالى من غير ملاحظة أحد من أرباب القلوب، لا يسلم صاحبه غالباً من الدسائس والآفات والعيوب، ولا يوصله إلى معرفة الله المعرفة المطلوبة عند العارفين، ولو عبد الله عمر نوح الطَّيِّلاً أو مـــا زاد عليه من السنين، بل أجمعوا على أن من لم يصح له نسب في طريق القوم كان لقيطاً، وفعله وقوله تخليطاً وتخبيطاً، والسير إليه تعالى بغير دليل يوقع السائر غالباً في التيه والعطب والتهاويل.

والدليل: هو الشيخ المربي يعرفك بحقائق الكائنات، ويوقفك على معاني التحليات، فلا يضرك شيء من الأشــياء، ولا تحجبك الظلالات والأفياء، ثم إنه تارة يربي بالإلقاء الإلهامي من القلب إلى القلب، وتارة بتقرير العبادات وتبيين الإشارات، وبيان ما في السلوك إلى ملك الملوك، وتارة بإلباس خرقة الصـــوفية المشــهورة، وما يناسبها من الخلوة وغيرها، وتارة بنظره وهمته وحاله، فيسري الحال الصادق منه إلى المريد الصادق، وتارة التربية بنظر المريد إليه وذلك أنه إذا رأى الشيخ ذكرَ الله، فيصل بذلك وينجذب به إلى الله، ويختلف ذلك سرعة وبطئًا باختلاف الاستعدادات، وبالإخلاص في الخدمات والأدب مع المشايخ وحفظ حرمتهم غيبة وحضوراً.

وطريق من أراد السلوك و لم يجد بحسب الظاهر مُسلِّكاً ولا مستجمعاً للشروط متفانياً في الله هالكاً أن يلتجئ إلى الله تعالى ويرفع إليه أمره، ويشكو له حاله وضره، ويتشفع إليه بالرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ورفعة ذاته، في أن يدله على من يدله عليه، ويوصله إلى من يوصله إليه، ويبالغ في اللجأ والسؤال في كل وقت وكل حال.

=

=

ولـيحذر أن يلقـي نفسـه إلى كل من يلقاه من المتمشيخين في هذا الزمان، الذي ظهرت فيه أهل الدعـاوي واختفـت فيه أرباب العرفان، وليكثر من زيارة الصالحين الأموات لذلك، فإنها مجوبة لقضـاء وطره هنالك، وليكثر أيضاً من الاستخارة بعد استعمال ما يمكن من الاستشارة، فإنه ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، كما في الحديث، إلى أن ينشرح صدره الانشراح التام، ويبتهج قلبه وقالبه بأحد من مشيخة الأنام، إما بمرائي منامية تـزيل الريب، وإما بدلالة أحد من رجال الغيب، ولذا استحب أهل الطريق الخلوتية وغيرهم من بعض أهل الطرق الجلية أمر المريد بالاستخارة التي بالمراد ناطقة، ليدخل الطريق بهمة عالية صادقة، وإذا صدق المريد في الطلب أوقعه الله لا محالة على شيخ يزيل العطب.

وقـد قـال القوم رضوان الله عليهم: وجدان الشيخ الكامل المربي لازم من صدق المريد، فمتى صدق المـريد في إرادة الله تعالى وجد الشيخ الكامل المرشد إلى الله، لأنه حجة الله تعالى على خلقه في الأرض، لا يـنقطع ولا يـبرح عنها إلى يوم القيامة، ومتى كذب المريد في طلبه لم يجد له مرشداً أصلاً، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُّرْشِداً﴾[الكهف:١٧] بل إذا كان المريد صحيح النية والاعتقاد ووقع على متمشيخ من أهل الدعاوي والبعاد، أوقع الله في نفـس ذلك المتمشيخ ما يفتح به على هذا المريد، وأوصله بصدق نيته إلى كل ما يريد، فعاد الـنفع على المتمشيخ بذلك، وربما كان المريد سبباً في رجوعه وتوبته عما هو فيه هنالك، فالمدار على الصدق، فيه ينال من الله تعالى كل خير ورفق، فإن تعزر عليه بكل وجه وجوده، وتعسرت عليه بالكلية رؤيته وشهوده، فليتعرف عيوب نفسه وعلاجاتها من كتب القوم العارفين والنصحاء الواصفين، وليشتغل بما ينشر له من أخلاقهم وشمائلهم وآثارهم، وليستروح إلى ما يجده من سيرهم ومأثور حكاياتهم وأخبارهم، كما أنه إذا لم يجد المتطهر ماء يتيمم بالصعيد إلى أن يجد الماء الطاهر النقي المغد، والله الهادي وبه التوفيق إلى سلوك أسلم طريق.

العلم الثالث منها: علم الغيب الذي هو كل ما غاب عن الخلق و لم تنصب عليه علامة ولا دليل، و لم تمكن معرفته إلا بإعلام الملك الجليل، والغيب الحقيقي هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَي مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:٢٦-٢٧] والولي التابع للرسول منه يغترف وعنه يأخذ، وبإمداده يستمد، وإليه في كل حالة يستند.

فالأول: وهو علم الشريعة للخاص والعام.

والثاني: وهو علم الحقيقة لخواص الأولياء والصالحين.

=

=

والثالث: وهو علم الغيب للأنبياء والمرسلين، ومن كان على قدمهم، وهم متفاوتون في هذه العلوم بحسب أذواقهم ومشاربهم، وقابليتهم واستعدادهم، وربما اختص بعضهم بشيء منها دون الآخر، كما اختص رسول الله ﷺ بأشياء منها لا تليق إلا به، وبكونه الممد بها كلها والقاسم لأعطيتها، والمانح لكل ذي قسط قسطه منها، لأنه الواسطة في كل شيء، وعلى يده الهبة من الله تعالى لكل شيء، ولا يخرج عنه شيء ﷺ.

وبعبارة أخرى: العلوم ثلاثة: علم ضروري، أو نقول: بديهي، وهو: ما يدركه العقل بالبداهة، أعني بمجرد الالتفات إليه من غير احتياج إلى ناقل، ولا إعمال فكر ولا إلى استدلال.

وعلم نظري، أو نقول: كسبي، وهو: ما يحتاج العقل في إدراكه إلى تعلم واكتساب أو نظر واستدلال، وهو المشار إليه بحديث: «**إنما العلم بالتعلم**» أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية.

قال في «فتح الباري»: وإسناده حسن، لأن فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر انتهى.

وعلم وهبي أو نقول: لدني وهو ما يهجم على القلب ويفيض على الصدر، لا بالدراسة والتعلم، ولا بالنظر في الكتب والتفهم، بل بالاستقامة على قدم المصطفى والتخلق بأخلاقه الكريمة وحسن الاقتفاء، والزهد في الدنيا والتبرؤ من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله، عرف سببه الذي ألقي منه أم لا، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيرا، وكشف عنه العمى**». أخرجه أبو نعيم في«الحلية»، والديلمي في «مسند الفردوس».

وقوله: «**من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم**». أخرجه في «الحلية» من حديث أنس وضعفه.

وبقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت:٦٩] أي: الطريق الموصلة إلينا.

وبقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾[البقرة:٢٨٢].

وقوله: ﴿**إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾ [الأنفال:٢٩] أي: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، وتخرجون بها من الشبهات.

وقوله: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق:٢-٣] قيل في تأويله: يجعل له مخرجاً من الإشكالات والشبه، ويعلمه علماً من غير تعلم.

وقوله: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[آل عمران:٣١] ومن أحبه الله فتح له الباب، وأدخله حضرة الاقتراب، وأجلسه مع الأحباب، فرأى الغيب شهادة، وصار له من الله الكشف عادة، وأفيضت على قلبه مياه الحقائق، وانكشفت له البراقع عن وجوه الدقائق، وعلمه الله من لدنه علماً وعرفه بنفسه، وأدرك السر الأسمى.

=

=

ويقال أيضاً: العلوم ثلاثة: علم جهر وعلانية، أو نقول شهادة، وهو كل ما ظهر للحس، أو أمكن عادة إدراك الحس له ولو في وقت ما، ويدخل فيه كل ما أبرزه الحق تعالى من المخلوقات، وأظهره من العوالم وسائر المصنوعات.

وعلم سر، أو نقول: غيب، وهو كل ما غاب عن الحس و لم يمكن بحسب العادة إدراك الحس له، وإنما يدرك بالعقل إما بالدليل القاطع أو بالخبر الصادق، وهو إدراك الإيمان، ويدخل فيه كل ما لم يوجده تعالى من الممكنات أو كان بينه وبين خلقه من الأسرار المبهمات.

وعلم ما هو أخفي من السر، وهو ما لا يعلمه إلا الله تعالى ولا يمكن أن يعلمه غيره، كعلمه تعالى بنفسه.

وإلي هذه الثلاثة على أحد التأويلات الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَي**﴾[طه: ٧] وقيل أيضاً: العلوم ثلاثة: علم يتعلق بكل ما سوى الحق تعالى ويسمى بعلم الحوادث والأكوان.

وعلم يتعلق به تعالى من حيث تجليه في حقائق العالم، أو نقول من حيث ارتباط العالم به، وارتباطه تعالى بالعالم ارتباط الإله بمألوه والمألوه بالإله، ويسمى عند أهل الله تعالى بعلم التجلي الظاهر في أعيان الممكنات.

وعلم يتعلق به من حيث باطنه وهويته، أو نقول من حيث هو هو، مع قطع النظر عن تعلق العالم به وتعلقه بالعالم، ويسمى عندهم بعلم الهوية الباطنة، يعنون بها ذات الحق سبحانه.

وذكر ابن العربي الحاتمي والشعراني وغيرهما أن العلوم على ثلاث مراتب، أو نقول منازل:

علم العقل: وهو كل علم يحصل لك ضرورة، أو عقب نظر في دليل، وعلامته أنه كلما بسطت عبارته حسن وعذب.

وعلم الأحوال: ولا سبيل إليه إلا بالذوق، ولا يقدر عاقل على حده ولا على أن يقيم دليلاً على معرفته البتة، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع، والعشق والوجد والشوق وما شاكل ذلك، ولا يلتذ به إذا جاء عن غير معصوم إلا أصحاب الأذواق السليمة.

وعلم الأسرار: وهو العلم الذي فوق طور العقل، وليس للعقل فيه دخول بفكر، ولذلك يتسارع إلى صاحبه الإنكار لأنه حاصل من طريق الإلهام الصادق، الذي هو نفث في الروع وفيض إلهي لا يخطئ، ويختص به النبي والولي وعلامته أنه إذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الأفهام دركه، وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التي لم تؤت النظر والبحث حقه.

=

وادي المكر

هذا وادٍ في دمشق معنوي لا يُشار إليه بالإشارة الحسِّية إلا بمحلّه الذي هو دمشق عرَّفنيه الله تعالى ليلة الخميس العشرين من صفر الخير من سنة ثلاثين ومائة وألف، وذلك الوادي يقوم بشخصين ماكرين.

أحدهما: مظهر الاسم الظاهر من أهل الرئاسة الشامية.

والثاني مظهر الاسم الباطن من أهل السلوك الانحرافي في تلك البلدة.

وكلاهما معلوم لي باسميهما؛ لكن لا أفشيهما لِما لا يقتضي الحال والموطن،

=

وأكثر علوم الكُمَّلُ من الأنبياء والأولياء من هذا القبيل، راجع «اليواقيت» وكذا «الفتوحات المكية» في أول مقدمتها.

وقال بعضهم: العلوم ثلاثة:

علم القول: وصاحبه يستند في قوله إلى غيره حاكياً عنه.

وعلم الفهم: وصاحبه يستند في تصوره إلى ذهنه حاكياً عنه.

وعلم الشهود: وصاحبه يستند في شهوده إلى حقيقة ما شاهده حاكياً عنه.

فَمُعَلِمُ الأول آخر مثله، والثاني فكره وذهنه، والثالث ربه كما قال بعض العارفين، وهو أبو يزيد البسطامي قدس سره يخاطب علماء زمانه: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت حين جهلتم أنه عن ربكم، وأخذنا نحن علمنا عن الحي الذي لا يموت بلا واسطة، بل قلبنا يحدثنا عن ربنا، وشتان بين من ينطق عن غيره أو عن فكره وبين من ينطق عن ربه.

وقد انقسم الإيمان إلى هذه الأقسام الثلاثة:

فبالقول: إيمان المقلدين مع طمأنينة قلوبهم إليه من غير فهم أي: استدلال، وقد اعتبره الشارع وسماه إيمانًا.

وبالفهم: إيمان المستدلين، وقد دعا الله تعالى إليه في كتابه في أكثر من آية كقوله: ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات:٢١]، وقوله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:١٩٠]، وقوله: ﴿**أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾[الغاشية:١٧]. وبالشهود: إيمان العارفين، وهو أعلى مراتب الإيمان.

ذلك لِما فيه من المفاسد الكثيرة؛ فهو كوادي محشر في طريق عرفات الذي ظهر فيه تصرُّف الشيطان؛ ولذا أقول: أقول: إن الشخصين المذكورين شيطانيًا نفسانيًا صورة ومعنى؛ لكون تصرُّفهما من حيث الظاهر والباطن شيطانيًا ونفسانيًا.

وحول ذلك الوادي جنود مجنَّدة تحفظه: أي تحفظ الصالحين من الوقوع في دائرة، ومكر الماكرين.

ولولا العسكر الأرواحي هناك؛ لكان ما كان من المفاضح.

وذلك الوادي صورة النفس الأمَّارة مع الشيطان، والهوى، والأرواح العالية الحافظة من القوى الخيِّرة فاعرفه جدًا، فإن المكر لا يجئ من الخارج؛ وإنما الخارج هو صورة الداخل، ثم في قرب ذلك الوادي جبل صالح يلتجئ إليه الصالحون لِما فيه من روح علي محمَّدي واحد.

وهوَ بمنــزلة آلاف الأرواح العالية.

بل أقول: إن ذلك الجبل عين ذلك الروح العلوي، فإن رجال الله على صورة الجبال حيث إنهم كهوف الله تعالى.

ولولا ذلك الجبل في قرب ذلك الوادي، والالتجاء إليه حين ما أُريد لأهل الله بسوء؛ ما نجا أحد منهم؛ ولكن الله ذو فضل على المؤمنين حيث لا يكلهم إلى أهل المكر الممكورين؛ بل يحفظهم عن المكر بردِّه على نحور الماكرين، وهذا بسبب ذلك الجبل.

ولذلك صور كثيرة في كل زمان؛ لكن زمام الكل، وعرقه بيده.

ولو شئت لصرَّحت به لكن استره حتى لا يقع فيه الماكرون والممكرون.

وإذا عرفت هذا وقفت على البلاد وما فيها من الصلاح والفساد وأنها لا تقوم إلا بالمحافظة المعنوية إلى أن يأتي الله بأمره.

ولذا يُقال: الأبدال السبعة للأقاليم السبعة[١]، والأوتاد الأربعة للجهات

(١) الأبدال: وهم سبعةٌ لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل إقليمٍ واحدٌ.
=

=

أحدهم: على قدم الخليل.

والثاني: على قدم الكليم.

والثالث: على قدم هارون.

والرابع: على قدم إدريس.

والخامس: على قدم يوسف.

والسادس: على قدم عيسى.

والسابع: على قدم آدم، على الكل السلام، وهم عارفون بما أودع الله تعالى في الكواكب السيّارة من الأمور والأسرار.

ولهم من الأسماء أسماء الصفات، فمنهم عبد الحي، وعبد العليم، وعبد المريد، وعبد القادر، وهذه أسماء أربعة الأوتاد، وباقيهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير، لكل صفة إلهية رجلٌ من هؤلاء الأبدال، بها ينظر الحق إليه وهي الغالبة عليه.

فما من رجلٍ إلا وله نسبةٌ إلى اسمٍ إلهيٍّ منه يتلقى ما يرد عليه من الحضرة الإلهية. وسُمِيَ هؤلاء أبدالاً؛ لأن أحدهم إذا فارق موضعًا وأراد أن يخلف به رجلاً آخر بدلاً منه لأمر يريده في مصلحة وقربة كان له القدرة على ذلك، فيترك شخصًا على صورته لا يشكُّ من رآه أنه عين ذلك الرجل، وليس كذلك بل هو شخصٌ روحانيٌّ أقامه مقامه، فكل من له هذه القوة فهو من الأبدال.

أما من يقيم الله بدله شخصًا لأمرٍ ما ولا علم له به فليس منهم، ومعنى قولهم: (فلانٌ على قدم فلانٍ) أنه مثله في علومه ومعارفه التي ترد على قلبه، فإن المعارف الإلهية إنما ترد على القلوب، وكل علمٍ يرد على قلب الشخص الكبير من ملكٍ أو رسولٍ فإنه يرد على قلب من ورثه في مقامه.

وقد يقولون: (فلانٌ على قلب فلان)، ومعناه: ما ذُكِر: أي يتقلب في علومه ومعارفه.

وقد تُطلق الأبدال على أربعين رجلاً يُسمُّون أيضًا الرجبيين، وهم رجالٌ لهم القيامة بعظمة الله تعالى، وهم الأفراد وأرباب القول الثقيل المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥]، سُمُّوا رجبيين؛ لأن حالهم لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أوله إلى انفصاله، ثم يفقد ذلك الحال من أنفسهم إلى دخول رجب من السنة الآتية، ومنهم من يبق عليه أمر من ذلك في سائر السنة، وقليل من يعرفهم من أهل هذه الطريق، وهم متفرقون في البلاد ويعرف بعضهم بعضًا، فمنهم باليمن وبالشام وبديار بكر.

الأربع. هذا ما أظهره الله تلك الليلة للفقير حقي.

وارد في وجود الخضر عليه السلام(١)

(١) قال وهب بن منبه: الخضر اسمه يلياء بن ملكان بن فالغ بن عابر بن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

واختلف في نبوّته فقال الثعلبي في تفسيره: الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار، قيل له: إنك لا تموت إلا في آخر الزمان حين يُرفع القرآن.

واختلف في حياته أيضًا، والصحيح أنه حي.

قال ابن الصلاح: الخضر حي عند جمهور العلماء، وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين، وفي شرح مسلم عن الجمهور أنه حيٌّ موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند السَّادة الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياقم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر.

وعن كعب الأحبار رضي الله عنه «أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض: اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى»، عليهم السلام أجمعين.

قال وهب: ولما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: إن لي عبدًا من عبادي الذين لم أجعل للشيطان عليهم سبيلا، وأن مسكنه في جزيرة من جزائر البحر، فانطلق نحو البحر فإنِّي أرشدك إليه، «فسار موسى ومعه فتاه يوشع بن نون عليهما السلام حتى وصلا إلى عين الحيَّات، وأحيا الله السمكة التي كانت مع يوشع؛ لأجل غدائهم، ونسي يوشع أن يخبر موسى، فسارا طويلاً حتى طلب موسى الغداء، فذكر يوشع حياة السمكة، فأخبره بها، فارتدا على آثارهما قصصًا، فوجداه يعبد الله، فسأله موسى عليه السلام المصاحبة، وكان منه ما قصَّه الله تعالى».

وكذا الخضر عليه السلام اجتمع بنبينا ﷺ اجتماعًا متعارفًا فهو صحابيٌّ أيضًا، ومن اجتمع به كذلك فهو تابعيٌّ.

وإنما لُقِّب بالخضر لأنه ما جلس على أرضٍ إلا اخضرَّت.

وقيل عن مقامه الشريف: إنه في الجانب الأيمن من منبر الجامع النوري مقام الخضر عليه السلام: يعني كثيرًا ما يراه الصالحون هناك والله أعلم.

وقيل: إن مقامه بين المحراب والمنبر في الجامع الموسوم بالأحمر حتى قيل: إن مَنْ صلَّى الصبح فيه أربعين صباحًا يجتمع فيه به والله اعلم.

وأنا أسأل الله الكريم أن ينفعني ببركاته، ويفيض عليّ من نفحاته، ويمن عليَّ بملاقاته، وأنّي لم أكن أهلاً لذلك المجد العظيم، والشرف، الجسيم ولو رؤيا منام، والله ذو الفضل العظيم.

اختلف في حياته الدنيوية: هل هو باقٍ إلى هذا الآن، وإلى قيام الساعة؛ كإلياس، وإدريس، وعيسى أم لا؟ فذهب إلى نفيه وحمله على الصفة الغالبة على الرأي حضرة الشيخ صدر الدين القونوي، وذهب إلى إثباته وحمله على الحقيقة حضرة الشيخ محيي الدين العربي قَدَّس الله سرَّهما، وكثير من أهل السلوك، ومَن يدَّعي المعرفة الإلهية لم يقفوا على مرادهما، وإنهما على الاتفاق في الحقيقة.

وذلك أن حمله على الصفة الغالبة لا ينافي وجوده الحسِّي في نفس الأمر؛ فهو حي الآن؛ كالأنبياء المذكورين؛ لكنه لمَّا كان المتروحنين يتمثل للرأي على حسب صفته الغالبة، فالذي يراه؛ فإنما يراه على الصفة الغالبة عليه غالبًا كما يرى ملك الملوك حين الموت، فملك الموت هو عزرائيل على الحقيقة، ولا ينافيه كونه مرئيًا على صفة العمل الغالب على المحتضر(١).

ألا ترى أن جبريل عليه السلام كان يتمثَّل في صورة البشر مع كون الحقيقة حقيقة الملك، فكونه على صورتين لا يقدح في وحدة حقيقته، وكذا كون الشيء على صورته الحقيقية في مواضع مختلفة في وقت واحد؛ كالأبدال فإنهم يتمثَّلون في أمكنة شتَّى زمان مع وحدة صورهم الأصلية، ومن قبيل التمثُّل على صورتين مختلفتين نحو التمثُّل الجبرائيلي تمثل إدريس المرفوع إلى السماء.

فإنه على ما ذهب إليه حضرة الشيخ محيي الدين قُدِّس سرَّه تمثَّل في الصورة الإلياسية، وأرسله الله تعالى إلى قرية بعلبك من نواحي الشام، ثم لمَّا تمَّ الأمر؛ ركب على فرس من نار؛ فغاب عن أعين الناس، وصحب الملائكة بحسب نشأته الروحانية، فهو عند تمثُّله بصورة إلياس؛ هو إدريس الذي بُعث قبل نوح عليه السلام.

---

(١) الخضر: كناية عن البسط وإلياس عن القبض، وأما كون الخضر عليه السلام شخصًا إنسانيًا باقيًا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد، أو روحانياً يتمثل بصورته، فلم يرشد إليه نقل وغير محقق عقلاً، بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه، ثم يضمحل، وهو روح أو روح لك أو روح القدس هذا عند العامة، وأما عند المحققين وجوده ثابت.

فصور المفاتيح الأول التي هي صور الأصول: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، يجمع هؤلاء سيدنا الخضر على نبينا وعليهم السلام.

فإذًا كون الصورة متعدِّدة ومختلفة لا يقدح في وحدة الحقيقة.

ألا ترى أن النبي ﷺ يُرى في وقت واحد لكثير من أمته؛ وهو هو إذا كان مرئيًا على حليته الأصلية مع أنه دفين في روضة لا ينتقل منها إلى قيام الساعة، وإن روحانيته في أعلى علّيين، وإن كان له السير في العوالم كلها؛ لكن تعدُّد صوره؛ إنما كان بطريق التمثُّل المتصل إلى حقيقته، فكما إن مَن رآه؛ فقد رآه على الحقيقة في صورة المثال المتجسَّد؛ فكذا مَن رأى الخضر ونحوه؛ فإنما رآه على الحقيقة، وإن كان في صورة المثال المتجسِّد بحسب عمله، وقد رأيته مرارًا، ولقيته كرارًا مرتين في اليقظة؛ كالمنى، وكشف عمَّا في قلبي، وأعانني على ما قصدته.

ومرة سمعت صوته بتعريف منه، ولم أرَ شخصه، ودعا لي بالخير، ومرتين بين النوم واليقظة، وفي كل ذلك على صورة واحدة عليه عباء أبيض، وعلى سجاية العرب، فما شككت في أنه هو، وإن كان بطريق المثال لِما ورد: عليّ من التعريف الإلهي الذي لا يكذِّبه النفس بوجه من الوجوه، فكُن على الإيمان حتى تصل إلى الإحسان، فإنك أنت الإنسان الذي ظهر على صورة الحسان.

جهنم لها سبعة أبواب[١]

(١) ورد في عدد أبواهما وطبقاهما:

قال الله تعالى : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤].

ورُوي: «أن النبي ﷺ كان يصلي في مسجده وحده، فمرَّت به أعرابية فصلَّت خلفه و لم يعلم بها، فقرأ ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ*لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤]، فخرَّت الأعرابية مغشيًا عليها، فسمع رسول الله ﷺ ضجيجًا، فانصرف ودعا بماءٍ فصب على وجهها، فأفاقت وجلست، فقال النبي ﷺ: يا هذه ما لكِ؟ فقالت : أهذا شيء من كتاب الله تعالى، أو من تلقاء نفسك؟ فقال: يا أعرابية هو من كتاب الله المُنــزَّل، فقالت: كل عضوٍ من الأعضاء يُعذَّب على محل باب منها، قال: يا أعرابية لكل بابٍ منهم جزء مقسوم، يُعذَّب كل أهل ملة على قدر أعمالهم، فقالت: والله إني امرأة مسكينة، ما لي مال، وما لي إلا سبعة أعبد أشهدك يا رسول الله، إن كل عبدٍ منهم عن كل بابٍ من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، بشِّر الأعرابية أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم، وفتح لها أبواب الجنة كلها».

وقد قيل في معنى هذه الآية: لكل بابٍ منهم جزء مقسوم: أي من الكفار والمنافقين والشياطين، بين الباب والباب خمسة آلاف عام.

فالباب الأول: يُسمَّى جهنم؛ لأنه ينجهم في وجوه الرجال والنساء فتأكل لحومهم، وهو أهون عذابًا من غيره، والباب الثاني: لظى.

والباب الثالث: سقر.

والباب الرابع: الحطمة.

والباب الخامس: الجحيم، وإنما سُمِّي الجحيم لأنه عظيم الجمر، الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا.

والباب السادس: السعير، وسُمِّي السعير لأنه يسعر لم يطفأ منذ خلقه الله، فيه ثلاثمائة قصر، في كل قصرٍ ثلاثمائة بيت، في كل بيتٍ ثلاثمائة لون من العذاب، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال والأنكال، وفيه جب الحزن ليس في النار أشد منه، إذا فُتح حزن أهل النار حزنًا شديدًا.

والباب السابع: يُقال له الهاوية، من وقع فيه لم يخرج أبدًا، وفيه بئر الهباب، إذا فُتح يخرج منه نار تستعيذ منه النار، فيه صعود المذكور في القرآن، وهو جبلٌ من نارٍ، تُوضع وجوه أعداء الله عليه، =

=

مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم، والزبانية واقفون على رؤوسهم، بأيديهم مقامع من حديد، إذا ضُرب أحدهم بالمقمعة ضربة يسمع ضربها الثقلان، وأبواب النار حديد، وغشاؤها الظلمة، أرضها نحاس ورصاص وزجاج، النار من فوقهم، والنار من تحتهم، لهم من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل قد مُزجت بغضبٍ، وقد ورد في جبالها وأوديتها وزقومها وحميمها وعذابها أخبار كثيرة، نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة

وأما طبقاتها:

قال العلاّمة الأمير: ففي حاشية شيخنا العدوي على الشيخ عبد السلام: إن أعلاها جهنم، وفيها من يُعذّب على قدر عمله من عصاة المؤمنين ثم يخرج، وتحتها لظى وفيها اليهود، ثم الحطمة وفيها النصارى، ثم السعير وفيها الصابئون، ثم سقر وفيها المجوس، ثم الجحيم وفيها عبدة الأوثان والأصنام، ثم الهاوية وفيها المنافقون انتهى.

وفي تذكرة القرطبي قال العلماء: وأعلى الدرجات جهنم، وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ، وهي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها، وفي رواية: «وهي التي ينبت على شفيرها الجرجير»، وفيها أيضًا: وملائكتها كما وصفهم الله تعالى ﴿**مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦] .

قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنم: «في منكبي أحدهم المشرق والمغرب».

وقال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيقع بتلك الضربة سبعون ألف إنسان في قعر جهنم.

وأما قوله تعالى: ﴿**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾ [المدثر:٣٠]، فالمراد رؤساؤهم، وأما جملتهم فما يعلم جنود ربك إلا هو انتهى.

وأما مالك عليه السلام فهو رئيس جميع خزنة النار، والمتكلم عليهم والآمر لهم.

وفي التذكرة عن العباس أن حجارتها حجارة الكبريت، خلقها الله تعالى كيف شاء أو كما يشاء، وقيل: المراد بالحجارة: الأصنام، وعليه فتكون الناس والحجارة وقود النار انتهى.

وفي الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿**شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾ [الصافات:٦٢]: أي التي هي نـزل أهل النار، والزقوم: شجرة خبيثة مُرَّة كريهة الطعم، يُكره أهل النار على تناولها، فهم يتجرعونه على أشد

=

=

كراهة، حتى يملأون بطونهم، وإذا عطشوا جيء لهم بالحميم، وهو ماءٌ شديد الحرارة، فيشربونه فيمزق أقدامهم من شدة حرارته، قال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص:٥٧].

قال ابن عباس: هو أي الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده، كما تحرقهم النار بحرِّها، نعوذ بالله من النار ومن عذاب النار، ومن كل عملٍ يقربنا إلى النار ، والله أعلم.

وآخر من يخرج منها، ومن يموت فيها من عصاة الأمة المحمدية:

أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: «إن آخر أهل الجنة دخولاً رجلٌ قال له ربه: قم، فادخل الجنة، فأقبل عليه عابسًا، قال: وهل أبقيت لي شيئًا؟ قال: لك مثل ما طلعت عليه الشمس وغربت».

وأخرج الدارقطني في غرائب مالك في رواية عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر من يدخل الجنة رجلٌ من جهينة، يقال له: جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين، سلوه هل بقي من الخلائق أحدٌ».

وأخرج عن المغيرة بن شعبة رفعه قال: «سأل موسى ربه فقال: يا رب أخبرني بأدنى أهل الجنة منـــزلة، قال: هو رجلٌ يجيء بعدما أدخل أهل الجنة، فيُقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نـــزل الناس منازلهم! وقد أخذوا خزائنهم! فيُقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت، فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت، فيقول الرب: لك هذا وعشر أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، قال: رب فمن أعظمهم منـــزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم ترَ عين، و لم تسمع أذن، و لم يخطر على قلب بشر مثلها».

وأما بيان موت العصاة فيها من الأمة المحمدية، فقد أخرج مسلم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر، فبُثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل».

قال القرطبي: هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية؛ لأنه أكّدها بالمصدر، وذلك تكريمًا لهم حتى لا يحسّوا بألم العذاب.

قال: فإن قيل: فأي فائدة حينئذ في إدخالهم النار، وهم لا يحسون بالعذاب؟!

قلنا: يجوز أن يدخلهم النار تأديبًا وإن لم يذوقوا فيها العذاب، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم، كالمحبوسين في السجن، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن غل ولا قيد.

=

وقال في سورة الحجر: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

- **الباب الأول: باب الكبر**: وقد أبى إبليس واستكبر، وسنّ الشرك فكان أول مشركين وأول من يدخل النار، ورئيس أهل السجن، فإن جهنم سجن الله في الآخرة، فاحذر من مشاركة إبليس في الكبر وكن مع أهل الحق في التواضع.
- **الباب الثاني: باب الحسد**، وهو صفة ثانية لإبليس وأهلها، كافر في الحقيقة لأن الحسد مكابرة الحق ومعاندته في علمه وحكمته، والله يفعل ما يشاء ويصنع ما يشاء، وكيفما شاء، فاعرف جدًا.
- **الباب الثالث: باب الغضب**: وهو صفة إبليسية أيضًا لأنه لم يرض بقضاء الله الذي هو الخلافة، فغضب على ربه في ذلك، وخرج عن باب الرحمة مغضوبًا ملعونًا، فكل فاسد رديفه وتابعه حين رفع الكتاب، وذلك في يوم القيامة.
- **الباب الرابع: باب الحقد**: وهو إرادة الانتقام، وهو صفة إبليسية أيضًا، حيث لَمّا طرد عن باب الرحمة نصَّب نفسه الإغواء بني آدم، إرادة الانتقام لكن الله

=

قال: ويحتمل أنهم يُعذَّبون أولاً، وبعد ذلك يموتون.

ويختلف حالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم، ويجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم، غير أن آلامهم تكون أخف من آلام الكفار؛ لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء، دليله: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ*النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥،٤٦]، فأخبر أن عذابهم إذا بُعثوا أشد من عذابهم وهم موتى، ويؤيد الأول من موتهم حقيقة أنهم يُعذبون لحظة بعد الدخول فيها، كما ذكره بعض المحققين.

قال العلاّمة الأمير: ولا يستخف بهذه اللحظة، بل لا ينسى عذاب القبر.

وقيل: الموت هنا حالة تشبه النوم.

قال: فبالجملة لا يستمر عليهم الإحساس انتهى.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم وعظم.

لَّما طرد عن باب الرحمة نصَّب نفسه لإغواء بني آدم، إرادة الانتقام لكن الله عزيز ذو انتقام، ينتقم لأولياء من أعدائه في الدنيا والآخرة.

- **الباب الخامس: باب العجب**: وهو رؤية العمل والاحتجاب عن التوفيق كما رأى إبليس عمله الذي وقع منه في المدة المتطاولة، وجعله من أسباب حيرته، ولم يعرف أن الكمال إنما هو في الفناء أو رؤية التأثير من الله، وهو التوحيد الحقيقي، جعلنا الله وإياكم من أهل التوفيق.
- **البابُ السادس: باب حب المال**: لأن الإنسان به يميل عن الحق فهو من أقوى الحجب الكونية، وأعظم حجب المال التعبد له، ولذا قال تعالى حكاية **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾** [إبراهيم:٣٥] قال بعض أهل العرفان: أي الحجرين: الغفلة والذهب.
- **الباب السابع: باب حب الجاه**: وهو أن يكون وجيهًا بين الناس يلتفت إليه ويسمع قوله، ويطاع له من كل الجهات والوجوه، سواء كان من أرباب الأموال - وهو أكثر = أو لا ، كما كان شأن أبو طالب في مكة، وكان من فقراء قريش ولابد من الفناء عن هذا الحب، كما لابد من بذله، فإن المراد من التحقق بالاسم الظاهر العمل بمقتضاه.

الجنة لها ثمانية أبواب(١)

---

(١) **فوائد في أمر الجنة**: أخرج الشيخان عن سهل ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يُسمَّى الريان، لا يدخله إلا الصائمون»، وفي لفظ: «إن في الجنة بابًا يُقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحدٌ غيرهم».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، ما على أحدٍ من ضرورة من أيها دُعي، فهل يُدعى منها أحد كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم».

=

=

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يُقال له الضُّحى، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضُّحى؟ هذا بابكم ادخلوا برحمة الله».

قال القرطبي: قيل الدعاء من جميعها دعاء تنـــزيه وإكرام، ثم يدخل الجنة من الباب الذي غلب عليه العمل.

وأما سعة أبوابها:

أخرج مسلم عن عتبة بن غزوان قال: «ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام».

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن سلاَّم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ما بين المصراعين في الجنة أربعين عامًا، وليأتين عليه يوم يزاحم عليه كازدحام الإبل، وردت الخمس ظمأ».

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلنَّ الجنة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبعمائة ألف، متماسكين، آخذ بعضهم بيد بعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

وفي المواهب اللدنية: من حديث مسلم عنه ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة».

قال: وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، فقال أبو بكر: وددت إن كنت معك حتى أنظر إليه، فقال ﷺ: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل من أمتي».

قال: فقد دلَّ الحديث على أن لهذه الأمة بابًا مختصًا يدخلون منه الجنة دون سائر الأمم.

قال: فإن قلت: من أي أبواب الجنة يدخل النبي ﷺ؟

قال: فالجواب أنه قد ذكر الترمذي الحكيم أبواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة، فذكر باب محمد ﷺ قال: وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة.

فإن قلت: كم عدد أبواب الجنة؟

قال: فاعلم أن في حديث أبي هريرة عند الشيخين مرفوعًا: «من أنفق زوجين في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة، يا عبد الله هذه خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان».

=

=

وروى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا: «ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده وسوله إلا فُتحت له من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

قال: بزيادة من في الحديث.

قال القرطبي: وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية.

قال: وانتهى عددها إلى ثلاثة عشر بابًا، كذا قال انتهى.

أقول: والأظهر أن (من) ليست للتبعيض، يدل عليه رواية مسلم من غير (من) وهو حديثٌ واحد.

قال في المواهب: فإن قلت: فما تقول في الحديث الذي صحَّحه الترمذي من حديث بريدة؟ قال: «أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً، فقال: يا بلال بِمَ سبقتني إلى الجنة، فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي».

فأجاب عنه ابن القيم بأن تقدم بلال إنما هو بين يدي النبي ﷺ؛ لأنه كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان، ويتقدم أذانه بين يدي النبي ﷺ، فيقدم دخوله بين يديه ﷺ كالحاجب والخادم، كما أنه يُبعث يوم القيامة ﷺ وبلال بين يديه بالأذان، فتقدمه حينئذٍ كرامةً له ﷺ، وإظهارًا لشرق الحبيب ﷺ، لا سبقًا من بلال له.

وأما ما رواه أبو هريرة مرفوعًا: «أنا أول من يُفتح له باب الجنة، إلا أن امرأة تبادرني **فأقول لها:** ما لكِ؟ أو من أنتِ؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى». رواه أبو يعلى، قال: وإسناده حسن، وقوله: تبادرني: أي لتدخل معي، أو تدخل في أثري، ويشهد له حديث: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال: أي أشار بإصبعيه السبابة والوسطى[1]». رواه الإمام البخاري من حديث سهل.

قال شارحه: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منـــزلة في الجنة أفضل من ذلك.

قال: ويحتمل أن يكون المراد قرب المنـــزلة حال دخول الجنة انتهى.

جعلنا الله من أهلها ومن رفقائه، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

=

=

ذكر حائطها وأرضها: أخرج أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي وعبد الله بن حميد عن أبي هريرة قال: «قلنا: يا رسول الله، حدِّثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وملاطها المسك، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد ولا يموت، ولا تُبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».

والملاط بكسر الميم: الطين الذي يُجعل بين اللبن في البناء.

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني، وابن أبي الدنيا بسندٍ حسنٍ عن ابن عمر قال: «سُئل رسول الله ﷺ عن الجنة، كيف هي؟ قال: من يدخل الجنة يحيا ولا يموت، وينعم ولا ييأس، ولا تُبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، قيل: يا رسول الله، كيف بناؤها؟ قال: لبنة من ذهبٍ، ولبنة من فضةٍ، ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أرض الجنة بيضاء، عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أولهم وآخرهم، فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة فتفيح عليهم المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنًا وطيبًا، فتقول: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد إعجابًا».

وأما الكلام على غرفها:

فقد أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليرون أهل الغرف فوقهم، كما ترون الكوكب النائر في الأفق من المشرق أو المغرب، يتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، ذلك منازل الأنبياء لا يدركها غيرهم، قال رسول الله ﷺ: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وأخرج أحمد والحاكم وصحَّحه، والبيهقي عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام».

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بغرف الجنة، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: في الجنة غرفًا من أصناف الجوهر، يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم المقيم، واللذات والشرف ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قلنا: يا رسول الله، لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، قلنا: يا رسول الله، ومن يطيق ذلك؟ قال: أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك، من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام،

=

=

ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان، ومن كل شهرٍ ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلّى العشاء الأخيرة، وصلّى الغداة في جماعة فقد صلّى بالليل والناس نيام، واليهود والنصارى والمجوس نيام».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن بريدة عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفًا يُرى ظواهرها من بواطنها، وبواطنها من ظواهرها، أعدَّها الله للمتحابين فيه، والمتزاورين فيه، والمتباذلين فيه».

وأما قصورها:

فأخرج ابن المبارك والطبراني، وأبو الشيخ والبيهقي عن عمران بن حصين، وأبي هريرة قالا: «سُئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة:٧٢]، قال: قصرٌ من لؤلؤة، في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، وفي كل دارٍ سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيتٍ سرير، على كل سريرٍ سبعون فراشًا من كل لونٍ، على كل فراشٍ زوجة من الحور العين، على كل بيتٍ سبعون مائدة، على كل مائدةٍ سبعون لونًا من الطعام، في كل بيتٍ سبعون وصيفًا ووصيفة، ويُعطى المؤمن في كل غداةٍ من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «في الجنة قصر له أربعة آلاف مصراع، على كل باب خمس وعشرون من الحور العين، لا يدخله إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ».

وأما ما ورد من الأعمال الموجبة لبناء البيوت فمنها السخاء، ولذلك أخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة بيتًا يُقال له بيت السخاء».

وأخرج الشيخان عن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من بنى لله مسجدًا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتًا في الجنة».

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى الضُّحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرًا في الجنة من ذهبٍ».

وأخرج البزار عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «أيكم أصبح صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: أيكم شيع جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: أيكم عاد مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: أيكم تصدق بصدقة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من كانت له هذه الأربع بُني له بيت في الجنة»، يعني وفق لجمعها في يومٍ واحدٍ.

وأخرج الطبراني في كتاب آداب النفوس بسنده عن حكيم بن حكيم بن محمد الأخمس قال: بلغني أن الجنة تُبنى بالذكر، فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البنيان.

=

=

وأخرج الترمذي عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم روح ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجعك، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسمّوه بيت الحمد».

وأخرج الدرامي في مسنده عن سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ قال: «من قرأ: قل هو الله أحد، إحدى عشرة مرة، بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن قالها عشرين مرة بُني له قصران، ومن قالها ثلاثين مرة بُني له ثلاثة قصور في الجنة، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: إذًا تكثر قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: رحمة ربك أوسع من ذلك».

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وآل بيته، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وما جاء في ظلها وأنه لا حر فيها ولا شمس ولا قمر، ورائحتها وعدم النوم فيها:

قال الله تعالى: ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ [الواقعة:٣٠]، ﴿**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**﴾ [النساء:٥٧].

وأخرج البيهقي عن عمر بن ميمون في قوله تعالى: ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ قال: مسيرة سبعين ألف عام.

وأخرج البيهقي عن شعيب بن الحجاب قال: خرجت أنا وأبو العالية الرياحي قبل طلوع الشمس، فقال: إن الجنة هكذا، ثم تلا: (وظلٍّ مَمْدُودٍ) انتهى. من البدور.

والمشار إليه بهكذا زمن قبل طلوع الشمس، وأما دليل عدم الحر والبرد فيها فهو قوله تعالى: ﴿**لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً**﴾ [الإنسان:١٣].

وأخرج ابن المبارك، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن مسعود قال: الجنة لا حر فيها ولا برد.

وأما رائحتها: فقد أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تراح رائحة الجنة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها منان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء»، بضم الخاء وفتح الياء.

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا له ذمة من الله ورسوله لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»، وقوله: (لم يرح) قال الكسائي: هو بضم الياء من قولك: أرحت الشيء فأنا أريحه إذا وجدت ريحه.

=

=

وقال أبو عمر: وهو بكسر الراء وفتح أوله، من رحت أريح إذا وجدت الريح.

وقال غيرهما: هو بفتح الياء والراء معًا، وهو شم الرائحة انتهى.

ثم لا يخفى أنه يختلف باختلاف أهل الجنة، فلا تنافي حينئذٍ بين هذه الروايات من كون بعضها ألف عام وبعضها أربعين وبعضها خمسمائة.

وأما ما جاء في عدم نومهم: أخرج البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي بسندٍ صحيحٍ عن جابر بن عبد الله قال: «قيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا يموتون».

وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى قال: «قال رجلٌ: يا رسول الله، إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا، فهل في الجنة من نومٍ؟ قال: إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت، قال: فبم راحتهم؟ فأعظم ذلك النبي ﷺ وقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة»، فنـــزلت: ﴿**لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾ [فاطر:٣٥].

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم وعظم.

وأما شجرها والأعمال الموجبة لغرس ذلك فيها، وثمارها وطعام أهلها:

قال الله تعالى: ﴿**طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ [الرعد:٢٩]، وقال تعالى: ﴿**فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ**﴾ [الواقعة:٢٨].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، ما يقطعها، اقرءوا إن شئتم: ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾».

وأخرج الترمذي وصححه عن أسماء بنت أبي بكر: «سمعت النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى قال: يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة، أو يستظل بظلها مائة سنة، فيها فرش الذهب كأن ثمرها القلال».

وأخرج الترمذي وحسّنه، وابن حبان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهبٍ»، وقوله في الحديث: (في ظل الفنن) الفنن بفتح الفاء والنون: الغصن.

وأما ما جاء في الأعمال الموجبة لغرس ذلك، أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن جابر أن النبي ﷺ قال: «من قال: سبحان الله العظيم غُرست له شجرة في الجنة».

وأخرج البزار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله، والحمد لله، غُرست له نخلة في الجنة».

=

=

وأخرج الحاكم أيضًا وصحَّحه وابن ماجه: «ألا أدلك على غرس خير لك منه؟ قال: قلت: ما هو؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يُغرس لك بكل واحدة شجرة».

وأما ثمراها: فقال تعالى: ﴿**لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ [البقرة:٢٦٦]، ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة:٢٥].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر في تفسيرهما عن ابن عباس: ﴿**فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**﴾ قال: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة، حتى الحنظل، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم ومسعود في مسنده، وهناد في الزهد، والبيهقي عن ابن عباس قال: ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء.

وأخرج البزار والطبراني عن ثوبان سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا ينـــزع الرجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أُعيد في مكانها مثلها».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود أنه كان بالشام فتذاكروا الجنة، فقال: إن العنقود من عناقيدها من ها هنا إلى صنعاء.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري عن النبي قال: «نظرت إلى الجنة فإذا بالرمانة من رمانها كمثل البعير المقتب».

وأخرج البزار عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوَّده من ثمار الجنة، وعلَّمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير».

وأما طعام أهلها: فأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوعٍ أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمإٍ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عري كساه الله يوم القيامة من خضر الجنة».

وأخرج ابن المبارك والطبراني في الأوسط، وابن أبي الدنيا بسند رجاله ثقات عن أنس: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف، بيد كل واحدٍ صفحتان، واحدة من ذهبٍ، والأخرى من فضةٍ، في كل واحدةٍ لون ليس في الأخرى، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد من أولها، ثم تكون مثل ريح المسك الأذفر، لا يبولون ولا يتغوطون، إخوانًا على سررٍ متقابلين».

=

=

وأخرج البزار وابن ابي الدنيا والبيهقي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة: «إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الطير من طير الجنة، فيقع في يديه مقليًا نضيجًا»: أي بحسب الشهوة، فلا ينافي ما قبله.

وأخرج أيضًا عن ميمونة أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل يشتهي الطير في الجنة فيخرج مثل البخت، حتى يقع على خوانه: أي ما يضع عليه طعامه، لم يصبه دخان، ولم تمسه نار، فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير».

وأخرج ابن المنذر عن الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢]، قال: ليس في الجنة ليل هم في نورٍ أبدًا، لهم مقدار النهار برفع الحجب، ومقدار الليل بإرخاء الحجب.

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت؛ لما أخرجه مسلم عن ثوبان: أن حبرًا من اليهود سأل رسول الله ﷺ: «أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة على الصراط؟ قال: فقراء المهاجرين، قال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد الحوت، قال: فما غذاؤهم على أثر ذلك؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليها؟ قال: من عينٍ تُسمَّى سلسبيلاً، قال: صدقت».

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وآل بيته، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الخامس

في أنهار الجنة وعيونها ولباس أهلها والأعمال الموجبة لذلك وحلية أهل الجنة وفرشهم وأرائكهم وأسرتهم وخيامهم

أما أنهارها وعيونها: قال الله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥]، ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ [الإنسان:٦].

أخرج ابن حبان والحاكم والبيهقي وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من جبال المسك».

=

=

وأخرج أبو نعيم وابن مردويه والضياء عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض، لا والله إنها السابحة على وجه الأرض، حافتاها خام اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر، قلت: يا رسول الله، ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط معه».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: «الكوثر نهر في الجنة، عمقه سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، خص الله به نبيه قبل الأنبياء».

وأخرج الترمذي، وصحَّحه البيهقي عن معاوية بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تتشقق الأنهار منها».

وأخرج البيهقي عن كعب قال: «نهر النيل: نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة: نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات: نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان: نهر الماء في الجنة».

وأخرج الإمام أحمد في الزهد، والدارقطني في كتاب المديح عن المعتمر بن سليمان قال: «إن في الجنة نهرًا يُنبت الجواري الأبكار».

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعًا: «في الجنة نهرٌ يُقال له الريان، عليه مدينة من مرجان، لها سبعون ألف باب من ذهبٍ وفضةٍ لحامل القرآن».

وأما عيونها: فأخرج سعيد بن منصور، وهناد والبيهقي عن مجاهد في قوله تعالى: **﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾** [الإنسان:١٨]: أي شديدة الجرية: أي شدة الجري.

وأخرج البيهقي عن عطاء قال: التسنيم: اسم العين التي يمزج بها الخمر.

وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء بن عازب في قوله: **﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾** [الرحمن:٥٠]، قال: هما خيرٌ من النضاختين، والنضاختان قال ابن عباس: الفائضتان بالماء.

وعن أنس: نضاختيان بالمسك والعنبر.

وعن سعيد ابن جبير: ينضخان بألوان الفاكهة.

وأخرج الحاكم في النوادر عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع عيون في الجنة: عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر الله فيها: **﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾** [الإنسان:٦]والأخرى: الزنجبيل، وعينان نضاختان من فوق، إحداهما التي ذكر الله: **﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾** [الإنسان:١٨]، والأخرى: التسنيم[1]».

وأما لباس أهلها: فقال الله تعالى: **﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾** [فاطر:٣٢]، **﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾** [الكهف:٣١].

=

=

وأخرج النسائي والطيالسي والبزار والبيهقي بسندٍ جيدٍ عن ابن عمر قال: «يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة، أخلق تخلق أو نسج فتنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: تضحكون من جاهلٍ يسأل عالمًا! قال: بل تتشقق عنها ثمار الجنة مرتين».

وأخرج البزار وأبو يعلى والطبراني من حديث جابر مثله بسندٍ صحيحٍ، وأخرج البيهقي عن أبي الخير بن عبد الله قال: «في الجنة شجرة تنبت السندس، منه يكون ثياب أهل الجنة».

وأخرج ابن المبارك عن أبي هريرة قال: «إن دار المؤمن درة مجوّفة، فيها أربعون بيتًا، في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيذهب فيأخذ بإصبعيه سبعين حلة، منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان».

وأخرج الشيخان عن أنس قال: «أُهدي لرسول الله ﷺ جبة من سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها: أي من حسنها، فقال: والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه».

وأخرج الشيخان عن عمر قال النبي ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة».

قال بعضهم: أي مع السابقين؛ لتأخره مجازاةً له بلبسه في الدنيا، فهو حرمان تقدم لا حرمان تأبيد.

وقال بعضهم: بإبقاء الحديث على ظاهره، وإنه ينعم بغير الحرير بعد الدخول، وهو بعيد، والأول أقرب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٣].

وأما الأعمال الموجبة لذلك فقد أخرج الحاكم وصححه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كفّن ميتًا كساه الله من سندس وإستبرق من الجنة».

وأخرج الترمذي وحسَّنه، والحاكم عن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق، حتى يُخير من أي حلل الإيمان شاء يلبسها».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من عزى مصابًا كساه الله حلتين من حلل الجنة لا تقوم بهما الدنيا»: أي بضم التاء وتشديد الواو.

وأما حلية أهل الجنة: قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف:٣١]، ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:٢١].

قال القرطبي: قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاث أسورة: سوار من ذهبٍ، وسوار من فضةٍ، وسوار من لؤلؤٍ، قال: ولما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم الملوك.

=

=

وأخرج الترمذي والبيهقي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾ [فاطر:٣٣]، فقال: «إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب».

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن كعب الأحبار قال: «إن لله ملكًا يصوغ على أهل الجنة من يوم خُلق إلى أن تقوم الساعة، ولو أن حليًا أُخرج من حلي أهل الجنة لذهب بضوء الشمس».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

وأما فراشها: فقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤]، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وحسَّنه، وابن حبان والبيهقي وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ قال: «ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض».

قال الترمذي: قال بعض أهل العلم في تفسيره: معناه أن الفرش في الدرجات كما بين السماء والأرض.

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤]، وقال: ظواهرها من نورٍ جامدٍ.

وأما أرائكهم وسررهم: قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الإنسان:١٣]، وقال تعالى: ﴿سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾.

وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ قال: «مرمولة بالذهب».

وأخرج البيهقي عن مجاهد قال: الأرائك من لؤلؤ وياقوت.

وأخرج البيهقي من طريق أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة:١٥]، قال: مصفوفة، وفي قوله تعالى: ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، قال: المجالس، ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.

قال الزرقاني: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية:١٥]، قال: المرافق.

وأخرج هناد والبيهقي عن سعيد بن جبير قال: «الرفرف: رياض الجنة، والعبقري: عتاق الزرابي».

وأما خيامهم: فقال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢].

=

=

وأخرج الشيخان والترمذي عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «الخيمة درة مجوّفة، طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون، يطوف عليهم المؤمن».

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن عباس قال: «**الخيمة درة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب**».

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «الخيام درة مجوّفة».

وأخرجا مثله عن عمر بن الخطاب موقوفًا، وابن جرير مثله عن أبي مجاز مرفوعًا مرسلاً، وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة، فيها سبعون بابًا من در».

وأخرج هناد عن عمرو بن ميمون ﷺ قال: الخيمة درة مجوفة، وأخرج مثله عن مجاهد، وأبي الأحوص.

وأخرج هناد عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات:٤٤]، قال: لا يرى بعضهم قفا بعض.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وآل بيته، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون .

في أزواج أهل الجنة وعددهم، والأعمال الموجبة لذلك وغنائهم:

أما الأزواج: فقال تعالى: ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أنهم تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: ألم يقل رسول الله ﷺ: «ما في الجنة رجلٌ إلا وله زوجتان، إنه ليرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة ما فيها عذب».

وأخرج الترمذي وصححه والبزار عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يزوّج العبد في الجنة سبعين زوجة، قالوا: يا رسول الله أيطيقها؟! قال: يُعطى قوة مائة**».

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منـزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتُنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، كما بين الجابية وصنعاء**».

وأما الأعمال الموجبة لذلك فدليله ما أخرج أبو داود والترمذي وحسّنه وابن ماجه عن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره في أي الحور شاء».

وأخرج أنس أن النبي ﷺ قال: «**كنس المساجد مهور الحور العين**».

=

=

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: «إن في الجنة حوراء يُقال لها العيناء، إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيفة عن يمينها وعن يسارها، كذلك وهي تقول: أين الأمَّارون بالمعروف، والناهون عن المنكر».

وأخرج أيضًا عن ابن عباس قال: «إن في الجنة حوراء يُقال لها لعبة، لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر كله، مكتوب على نحرها: من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي».

وأخرج الترمذي وحسَّنه وابن ماجه عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلكِ الله، فإنما هو عندك رحيل، يوشك أن يفارقك إلينا».

وأما جماع أهل الجنة: فقال تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ [يس:٥٥].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ [يس:٥٥]، قال: «في افتضاض الأبكار».

وأخرج أبو يعلى والطبراني والبيهقي عن أبي أمامة: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنة؟ فقال: دحامًا دحامًا، لا مني ولا منية».

وأخرج البزار والطبراني في «الصغير» وأبو الشيخ في «العظمة» عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدن أبكارًا».

ثم إنه اختلف هل في الجنة توالد ونسل؟

فقال بعضهم بوجوده، واستدل بما أخرجه الترمذي وحسَّنه، وأبو الشيخ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعةٍ كما يشتهي».

قال الترمذي: اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم: في الجنة جماع ولا يكون ولد، هكذا يُروى عن طاوس وعن مجاهد والنخعي.

وقال إسحاق بن إبراهيم في هذا الحديث: إذا اشتهى ولكن لا يشتهي. انتهى من الترمذي.

قال في البدور: وقال جماعة: بل فيها الولد إذا اشتهاه الإنسان، ورجَّحه الأستاذ أبو سهل الصعلوكي، قلت: ويؤيده أن أول حديث أبي سعيد عن هناد في الزهد: «قلنا: يا رسول الله إن الولد من قرة العين، وتمام السرور، فهل يُولد لأهل الجنة؟ فقال: إذا اشتهى».

وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي سعيد الخدري و لم يرفعه قال: «**إن الرجل من أهل الجنة يتمنى الولد، فيكون حمله ورضاعه وفطامه وشبابه في ساعةٍ واحدة**».

=

=

وأما غناؤهم وسماعهم: قال الله تعالى: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥].

قال البيهقي عن يحيى بن كثير: الحبر: السماع في الجنة.

وأخرج الطبراني والبيهقي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «ما من عبدٍ يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين، يغنيان بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزمار الشياطين، ولكن بتحميد الله وتقديسه».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» والبيهقي وابن أبي الدنيا بسندٍ جيدٍ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحور في الجنة ليغنين يقلن: نحن الحور الحسان، هدينا لأزواجٍ كرام».

وأخرج أحمد في «الزهد» والبيهقي عن مالك بن دينار قال: «يُقام داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول الرب: يا داود مجِّدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا، فيقول: يا رب وكيف وقد سلبتنيه، فيقول: إني سأرده عليك اليوم، فيندفع داود بصوتٍ يستفرغ نعيم أهل الجنة».

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥]، قال: «هو السماع، إذا أراد أهل الجنة أن يطربوا أوحى الله إلى الرياحِ يُقال لها: الهفافة، فدخلت في آجام قصب اللؤلؤ الرطب، فحركته فضرب بعضه بعضًا، فتطرب الجنة فإذا طربت لم يبقَ في الجنة شجرة إلا وردت».

وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال: «قال رجلٌ: يا رسول الله، هل في الجنة سماع؛ فإني أحب السماع؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إن الله ليوحي إلى شجرةٍ: أن أسمعي عبادي الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكري، فتسمعهم بأصواتٍ ما سمع الخلائق مثلها قط بالتسبيح والتقديس».

وأخرج الحاكم في «نوادر الأصول» عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى صوت غناء لم يُؤذن له أن يسمع الروحانيين في الجنة، قيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: قُرَّاء أهل الجنة».

وأخرج الديلمي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة قال الله: أين الذين كانوا ينـــزهون أسماعهم عن مزامير الشيطان، ميزوهم فيمرون في كثبان المسك والعنبر، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم من تحميدي وتسبيحي وتهليلي، قال: يسبحون بأصواتٍ لم يسمع السامعون مثلها قط».

في أوانيها وريحانها وزرعها وخيلها وطيرها ودوابها:

أما أوانيها: قال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا*قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:١٥،١٦]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف:٧١].

=

- **الباب الأول: باب القلب**: إنما كان أول الأبواب لأنه محل الإيمان

=

قال: يُطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب، كل صحفةٍ فيها لونٌ ليس في الأخرى.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «الأكواب: الجرار من الفضة».

وأخرج هناد عن مجاهد قال: الانية: الأقداح، والأكواب: المكوكبات، وتقديرها: أي في الآية أنها ليست بالملأى التي تفيض».

وعن مجاهد قال: الأكواب التي ليس لها آذان.

وأما ريحانها: فأخرج ابن المبارك عن ابن عمر قال: «الحناء سيد ريحان الجنة، وإن فيها من عتاق الخيل وكرائم النجائب يركبها أهلها».

وأما زرعها: أخرج البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألست فيما شئت؟ فقال: بلى، ولكني أحب الزرع، قال: فبذر فبادر الطرف نباته، واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم؛ فإنه لا يشبعك شيء».

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قام رجلٌ فقال: يا رب، ائذن لي في الزرع، فأذن فبذر حبه، فلا يلتفت حتى يكون طول كل سنبلةٍ اثنتي عشر ذراعًا، لا يبرح مكانه حتى يكون منه ركام أمثال الجبال».

وأما خيلها وطيرها ودوابها: فقد أخرج الطبراني والبيهقي بسند جيد عن عبد الرحمن بن ساعدة قال: «كنت أحب الخيل، فقلت: يا رسول الله، هل في الجنة خيلٌ؟ قال: إذا أدخلك الله الجنة كان لك فيها فرسٌ من ياقوت، لها جناحان تطير بك حيث شئت».

وأخرج الترمذي والبيهقي عن بريدة: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، هل في الجنة خيل؟ قال: إن أدخلك الله الجنة، فلا تشاء أن تركب على فرسٍ من ياقوتة حمراء، تطير بك في الجنة حيث شئت إلا ركبت، فقال آخر: يا رسول الله، هل في الجنة إبل؟ فلم يقل له مثل الذي قال لصاحبه، قال: إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك».

وأخرج البيهقي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة طيرًا أمثال البخاتي، قال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: من يأكلها أنعم منها، وأنت ممن يأكل منها يا أبا بكر».

وأخرج هناد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة طيرًا أمثال البخت تأتي الرجل فيصيب منها، ثم تذهب كأن لم ينقص منها شيءٌ».

وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الشاة من دواب الجنة».

وأخرج البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أحسنوا إلى المعز، وأميطوا عنها الأذى؛ فإنها من دواب الجنة».

وأخرج عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالغنم؛ فإنها من دواب الجنة».

والاعتقاد اللذين هما أول الأمر في باب الدين، فإذا تحقق القلب بالدين فقد فتح باب الجنة الأول ودخله مع الداخلين، ومآله ربض الجنة، لأن علو الصورة إنما هو بكثرة الأعمال وهي مفقودة الآن.

- **الباب الثاني: باب السمع**: لأن القلب إذا تهيأ للإيمان والاعتقاد انتفع بسماع أهل الوحي والتبليغ، ولم يكن ممن ذمهم الله تعالى بأن لهم آذانًا يسمعون بها، فإنهم صمٌّ في الحقيقة.
- **الباب الثالث: باب البصر**: لأن البصر من أسباب الرؤية والشهود، وهي محاضرة القلب، ولا يتحقق ذلك إلا بعد سماع الإذن والخطاب الغيبـــي، لأنه طريق المعاينة، وقد لزم الله من لا يبصر بعد النظر كما قال الله تعالى: ﴿**وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾[الأعراف: ١٩٨].
- الباب الرابع: باب حفظ اللسان، لأن اللسان محل الكلام، وهو آخر الصفات السبع، التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام(١)، كما النشأة الإنسانية هي آخر المراتب والأطوار الكونية؛

(١) قال سيدي علي وفا: تعين الوجود الذاتي المطلق بالوجود الإلهي، فأوجب العلم والحياة، وتعين الله بالوجود الرحماني ذي الصفات الثبوتية التي هي وجود العلم والحياة فأوجد العقول والأرواح، وتعين الرحمن بالوجود الرحيمي ذي الصفات الفعلية التي هي مبدئيات الصفات الثبوتية لمتعلقاتها العينية فعلاً وإدراكًا فأحدث النفوس والطبائع، وتعين الكل بالوجود الحق المبين المتكلم الناطق فرتب وولد كيانًا وبيانًا، ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ**﴾ [غافر: ٦٤]، وتعين الحق بآدم، ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين: ٤]، للعوالم والمراتب، ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون: ١٤].

والاسم عين المُسمَّى، وقولهم للشيء وجود في اللفظ وفي الكتابة، كما له وجود في الذهن والحس، الأول وهمٌ، والثاني حقٌّ، ﴿**قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ [يوسف: ١٠٠]: أي حسية، ولأن الحيز باطل فعكسه حقٌّ، إما واجب لذاته، أو ممكن موجود، فواجب بغيره والوهمي عدمي، فثَمَّ أسماء عدمية كالأسماء التي لا عين لها إلا في الوهم، كالحدوث والتكيف والتحيز، وسائر الأمور التي ترجع إلى نسب وإضافات لا حاصل لها سوى ذلك، فبهذه العدمية تميز الوجود الحق المحض المجرد الذي لا يقبلها عمن قبلها، فيحتجب بها عن حقيقته وحقه الذي هو هو من حيث هو هو، ويشعر به =

فعليك بحفظ اللسان تكن حقًّا إنسانًا[١].

- **الباب الخامس:** باب حفظ البطن لأنه بعد اللسان في الترتيب الوجودي وهو محل الشهوات الطبيعية التي لابد من إصلاحها من مرتبة الشريعة.
- **الباب السادس:** باب حفظ الفرج لأنه مرتب على حفظ البطن ولذا كان أهل الرياضة مصونًا عن آفات الفرج بخلاف غيرهم من أهل الأكل حرامًا أو حلالاً.
- باب حفظ اليدين: لأنها في الأزل تتجاوز عن حد البطن وأكثر الكذب بهما ولذا قال تعالى: ﴿**فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى:٣٠] وهم كالجناحين للطائر فلابد من الطير بهما إلى المقامات الجنانية.

=

مغايرًا له بها، فبها ينكره في عين معرفته وعكسه، ويجده في عين فقده وعكسه، ويشهده في عين حجبه وعكسه، فهو جامعٌ بين الضدين، فاتح عن عيون عدمية، وهم عن مثله، وحيث الكل مراتب العلم والحياة تحقيقًا، أو تقديرًا، أو إدراكًا، أو فعلاً، كانت كلها مراتب حقية لتصريفات خلقية، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾ [المائدة:١].

انظر كيف بعلمك الناقص عرفت علمه الكامل، وبعجزك عرفت نفوذ قدرته، وبفقرك عرفت غناه، وبحياتك الناقصة عرفت كمال حياته، فما دلَّ فيك بالولائية فأصله هو نفس مدلوله، ومميزه أمر عدمي، وما دلَّ منك بالمخالفة فأمر عدمي، كله قدر ليدل فيكون لمدلوله كالوجود اللفظي أو الكتْبي، فالعلم والحياة واحد لواحد في جميع المراتب التي هي آحاده، والنقص كالعجز والفقر أمور عدمية، وقسْ على هذا، فسبحان من جعل لا شيء مظهرًا كالمرآة لما هو شيء، ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس: ٨٣].

(١) انظر: الصفات للدارقطني ، والصفات للخطيب البغدادي، والأسماء والصفات للبيهقي، واللمع (ص٢٤)، والإبانة (ص٤١)، والتوحيد (ص٤٤)، والتمهيد (ص١٩٧)، والشامل (ص٦٢١) والإرشاد (ص٧٩)، ولمع الأدلة (ص٨٢)، والاقتصاد في الاعتقاد (ص٣٥)، وتبصرة الأدلة للمصنف (١/٢١٤)، وشرح المواقف (٨/٤٤)، وأصول الدين للبغدادي (ص٩٠)، وديوان الأصول لأبي رشيد (ص٤٥٧)، ونهاية الأقدام (ص١٨٠)، وشرح العقائد النسفية (١/١٠٤)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص١٨٢)، والمغني (٤/٣٤١)، والمحيط بالتكليف (ص١٠٤).

- **الباب الثامن:** باب حفظ الرجلين لأنهما تابعان لليدين، وبهما يكون السعي من محل إلى محل كالسعي من البيت إلى المسجد وإلى مجلس العلم ونحو ذلك.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيسَ للإنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٩].

وقال تعالى: ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦] فإنهم إشارتان إلى الفيض بواسطة وبغير واسطة.

***

وارد في الوصل

المراد بالوصل؛ ضد الفراق وهو الأصل، فإن الفراق إنما هو بأمر عارض، كالبعد الحاصل من السفر من بلد إلى بلد، ومن عالم إلى عالم، ومن اسم إلى اسم، وذلك كالوصل في القرآن، فإنه لولا العارض الذي هو انقطاع النفس، كان الأصل في التلاوة؛ هو الوصل.

وإنما قلنا: من عالم إلى عالم؛ لأن عالم الأزل ليس فيه وصل ولا فصل، فلمَّا فارق الأعيان من العلم إلى العين، وذلك بصورها وظلالها لا بحقائقها وماهياتها، جاء أن يُقال: عالم العلم وعالم العين.

ولا شك أنه فرق بين عالم وعالم، وإن كان بصورهما، فإن الجوهر واحد في الأصل، وكذا فرق بين عين وعين، كعالم الأرواح، وعالم المثال، وعالم الأجسام، فإن تعيُّن الأرواح غير تعيُّن المثال، وكذا تعيُّن المثال غير تعيُّن الأجسام، وكذا تعيُّن كل جسم وجسم سواء كان من نوع واحد، أو من أنواع مختلفة.

ولولا اختلاف التعينات، لم يظهر حقائق الأشياء.

ولولا حقائق الأشياء، لم يظهر هويَّات الأسماء.

ولولا هويَّات الأسماء؛ كان المُسمَّى مجرَّدًا عن النعوت والإضافات.

وظاهر العالم لا يقتضيه، فإنه وحدة صرفة؛ بل يقتضي الكثرة، وإن كانت الكثرات مغلوبة في الوحدات، والوحدات مستغرقة في وحدة واحدة؛ هي وحدة

الهُويَّة الذاتية التي هي أول التعينات، ومَن استجمع الأسماء، وجعل بحر الإمكان والوجوب بحرًا واحدًا؛ لم يكن عنده وصل ولا فراق، كما لم يكن عنده ليل ولا نهار؛ لأن نوره من أنوار ليلة القدر التي هي أنوار الذات الأحدية التي ليست في مقابلة الكثرة، فإن الوحدة المقابلة لها، هي الوحدة المقيَّدة الإضافية المخلوقة، وتعالى الله الخالق أن يكون وحدته وحدة مجعولة مخلوقة.

وأمَّا الذي بقي في تفرُّق الأسماء، ولم يحصل على ساحل عين الجمع، فإنه على الفراق ما دام باقيًا في ذلك التفرُّق، فهذه الدنيا صورة التفرُّق لأهل الحجاب والأسماء، وصورة الوصل لأهل الكشف والمسمَّى.

فإن الواصل إلى المسمَّى لا يحول بينه وبينه عالم من العوالم أصلاً، فإن كل عالم من العوالم شواهد التوحيد، ومجالي الموحد الحقيقي، فالمسمى لا يغيب عنه في عالم الأرواح والأجسام؛ بل الأرواح والأجسام كالمرائي، وكذا وجوده الذي هو رداء الكبرياء.

فطوبى لمن كان في عين الجمع وهو في الفرق صورة، فمَن وصل إلى هذه العين فلا حجاب عنده، كما لا كفر ولا معصية عند الأرواح.

ألا ترى أن مَن كان على قوة الإيمان، وغاية التمكين؛ فإنه أينما كان لا يتحوَّل عنه، فإن كفر الكافر، ومعصية العاصي لا يحوله عن حاله، والحال ظاهر على أرباب الكشف، فكُن على يقين من ربك، واحمد الله على التوفيق والهداية الخاصة.

***

وارد في شرب الدخان والقهوة

كان مرجع الطريقة الجلوتية – بالجيم – الشيخ الشهير بإفتائه، المدفون في بلدة «بروسة» أوصاني في المنام بألا أتعرض في مجلس الوعظ وغيره لَمن شرب الدخان[1]، ولأهل القهوة، وللطائفة الشهيرة بالمولى، بناء على أنهم مصرُّون على أفعالهم، وأنه لا يجتمع فيهم الوعظ.

فالتعرض لهم ولأفعالهم ليس من مقتضيات الزمان، وإن الحكمة الإلهية لا تُعطينا ذلك، وقد كان من أحفاده بعض مَن يشرب الدخان، ويظن بعض الناس فيه الظنَّ الحسن.

فرأيت في المنام أن الشيخ أفتاه -قُدِّس سرُّه- بشرب الدخان، مع أنه ليس من شأنه تجويز ذلك فضلاً عن شربه، فأدليت ذلك بأمرين:

الأول: أن الشيخ إشارة إلى الروحانية، واشتعال الروح بملاحظة الدخان وشربه؛ بل هو من المباحات.

قلت: لا إنما هو من المساوئ، ولغو الأفكار، فإنه لا شك في كونه من الخبائث، وأن مَن شربه كان مشاركًا لأراذل العوام؛ بل للكفرة الفجرة في أرذل الأمور الخسيسة الطبيعية، ومشاركتهم في ذلك مما يوجب التنـــزُّل والانحطاط عن

---

(١) قلت: في المسألة خلاف عند أهل العلم، فممن أباحه: الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه: الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان، ورسالة في التـــدخين والقهوة، ونور الدين الأجهوري في غاية البيان لحل شرب الدخان، والشيخ سلامة الراضي في الإعلان بعدم تحريم الدخان، وابنه الشيخ محمود بن سلامة في تأييد الإعلان، والشيخ محمد الصادق في كف اللسان وشل البنان عن ذم وأذية شارب الدخان، والشيخ الزبيدي في هداية الإخوان في شجرة الدخان، وابن حافي في رسالة في الدخان، والكركوكي في رسالة في مص الدخان، ومحمد بن إسماعيل بن الأمير في الإدراك لضعف أدلة تحريم التنباك، والأقحصاري الرومي في الرسالة الدخانية، وأحمد المقري صاحب نفح الطيب في أجوبة اجتناب الدخان، وكوكب زاده في رسالة الرد على من حرم الدخان، والشوكاني في رسالة ضمن الرسائل السلفية.

قلت: والجمهور على الكراهة، والبعض قال بالتحريم، البعض بالإباحة مع التقييد بشروط والله أعلم.

المنازل العالية، ومن ذلك أجاز أهل الرياضة إفطارهم إلى قرب العشاء؛ حذرًا عن المشاركة مع أهل الطبيعة في الطعام بعد المغرب.

والثاني: إنه من قبيل الاستبعاد، فإن مثل القدوة لا يجوز له أن يشرب الدخان، مما يستبعد في حق غيره من الأولياء؛ لأنهم على سنن واحد في الأذواق والحالات، وقد كان في الشام رجل أعور يدَّعي المعارف الإلهية، ويشرب الدخان.

وسمعت من شيخي الإلهي الفضلي: إن شاربه، وشارب القهوة من أهل الطريقة نفساني وشيطاني، ومعارفه معارف شيطانية نفسانية؛ لأن المعارف الإلهية ما كان من طريق التقوى، والعمل الصالح، والتقوى على ما نصَّ عليه حضرة الشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه الأطهر في الفتوحات المكية، ومع أني على يقين من ذلك، خطر ببالي أمر ذلك الرجل حين هاجرت إلى الشام، فرأيت في المنام أيضًا حضرة الشيخ الهدائي المدفون في الإسكدار من سواحل القسطنطينية أنه يشرب الدخان.

وأنا أقول: إن مثل سير ذلك خيال لأنه يشرب الدخان، فسيره إنما هو في ظاهره العلم لا في باطنه هكذا.

يعني أن بعض السائرين يسير في ظاهر العالم ومسلكه؛ وهو السير الخيالي، فيظن أنه يدخل في باطن العالم وملكوته؛ وهو السرُّ القلبي الروحاني، فيغلط في ذلك، ويقع في الدعوى، ويحسب أنه قد عرج في المعارج العُلى من طريق القلبي العيني، وأنَّى له ذلك وقلبه وروحه متلوَّث بالألواث الكونية، والأدناس الخيالية، ومثل ذلك خيال ومضل يُحشر مع الزناة يوم القيامة؛ لكونه من الهالكين المهلكين.

وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦].

فما كان وسيلة إلى العبادة الواجبة؛ فهو الحلال الواجب، وما كان وسيلة إلى تركها واستثقالها؛ فهو الحرام المحظور.

ولا شك أن الدخان وأمثاله من القبيل الثاني، ولا يشك فيه أحد من العقلاء، هذا ما يعطيه الحقائق، فعليك به، وإياك والأوهام والخيالات؛ فإنها طريق البدع والضلال.

رأيت بعض الهنود من أهل الرياضة يشرب الدخان، ويقول: وجدته أنه لا

يعوقني عن المعارج العُلى، وإني أدخل كل ليل في الملكوت، وأسير في العرش، وإلى كلمات جليلة أسمعها في ذلك السير، فسألته عن بعض أحواله، وعن صيامه وقيامه، كيف كان هو؟ فأقرَّ بأنه كان يترك الفرائض لاسيما الصلاة، ولا يشتغل بها بناء على أن الاشتغال بها من القيود الكونية، ولا حاجة لها للأرواح العُلوية.

فعرفت من ذلك أنه نفساني شيطاني وأن سيره إنما هو في ظاهره الكُمُون من طريق السير الخيالي.

وخطر ببالي ما قاله حضرة الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه في الفتوحات المكية من أنه أكثر أولياء بغداد ماتوا على المكر والاستدراك، وذلك أنهم كانوا يتوارد عليهم الفيض الإلهي مع إصرارهم على الإخلال ببعض الشرائع، فكانوا يظنون أن ذلك لا يضرُّهم، وما عرفوا أن ذلك من قبيل المكر الإلهي، والاستدراك القهاري، نعوذ بالله من ذلك.

ونِعْمَ قول مَنْ قال: المجاهدات تُوَرِّث المشاهدات، فكل فرض وواجب وسنة من الفرائض والواجبات والسنن، فهو داخل في المجاهدات.

ولا شك أن الاشتغال به مما يورث المشاهدات الصحيحة القلبية الروحانية التي عليها أهل الله تعالى من أهل الكشف.

وارد في السفر

خرجنا من بلدة بروسة بطريق الهجرة إلى الشام يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر رجب الأصم من سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ودخلنا الشام يوم الأحد الخامس عشر من شهر رمضان، فرجع العود إلى البدء، كما قيل: إن النهاية هي الرجوع إلى البداية، وذلك أن يوم الأحد الذي هو نهاية السفر متصل بيوم الإثنين الذي هو بدايته، والخمسة المفهومة من الخامس، والخميس التي هي مدة السفر إشارة إلى الحضرات الخمس التي لا يتم سير الموجودات الخارجية إلا بالوصول إلى نهايتها طورًا بعد طور.

وقد كان مدة مكثي في القسطنطينية في سفر الحج خمسين، وكذا مدة الوصول إلى مصر، وكذا وقع لي في السفر الأول للحج في الألفات الأربعة أنه ظهر

لي، وأنا واقفٌ في عرفات شكلان.

فقلت: ما هذا؟ فقيل: إنه خمسون، فقد غفر الله لك ما تقدَّم منك منذ خمسين سنة، وقد كنت إذ ذاك ابن خمسين، ووقع الهجرة إلى الشام بالإذن السماوي العيني، وأنا ابن سبع وستين، فلله الحمد على سير الحضرات صورة ومعنى، والوصول إلى المقامات العالية ظاهرًا وباطنًا.

وكان قائدي وسائقي في هذا السفر الشامي: حضرة الشيخ الأكبر، والمسك الأزفر، والكبريت الأحمر قُدِّس سرُّه الأظهر، ولَمَّا زرت قبره المنيف، قلت: يا حق، فقيل لي: أنت الحق، وسرُّ سرِّي، والحمد لله على أن جعلني من أولاده المعنوية، وساقني إلى جواره في الأرض المقدَّسة الشامية.

وحين زرتُ قبر حضرة الشيخ صدر الدين -قُدِّس سرُّه- في بلدة قونية، وهو ربيب حضرة الشيخ محيي الدين، ووارث علومه، وناقله في كلماته، ظهر لي في لوح قبره نقش: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١،٢]؛ إشارة إلى سرِّ الأحدية في الفناء الذاتي، وسرِّ الواحدية في البقاء الصفاتي وهو الذي يليق بمقام الكُمَّل؛ لأنهم أهل التبليغ والإرشاد، ولن يقوم ذلك لهم إلا بما ذُكر من الفناء والبقاء؛ وهو الإرشاد من الحق إلى الحق، ومن اسم إلى اسم، كما يقتضيه السفر المعنوي، وإلا فالمبدأ والمنتهى واحد.

ولذا قيل: لا موجود إلا الله، وليس في الدار سوى الله؛ وهي إشارة إلى وحدة الوجود، وقلَّ مَن نال إلى معرفتها وذوقها وشهودها، حتى طعنوا في القائل بها، ونسبوه إلى مذهب الوجودية.

وفرق بين الوجود بشرط لا شيء، والوجود لا بشرط شيء فهو الله تعالى مطلق بالإطلاق الذاتي الحقيقي الذي ليس في مقابلة شيء من التقييدات لا بالإطلاق العارضي إلا أنها في الذي في مقابلة التقييد، فإنه جاءت اعتبارية تنـــزُّهه تعالى عن مثل ذلك الإطلاق، وجلة الوجود وجود ظلّي ناظر إلى الوجود الحقيقي؛ كوجود الأنوار النيِّرة المستفادة من نور الشمس، فإنه ناظر إليه، ومنعكس منه؛ ولذا قيل: لم يُنقل الأحيان الثابتة، والوجود الحقيقي على حاله الآن، فسبحان من ظاهر وباطن، لم يره أحد بهذه العيون؛ وإنما رآه البصائر من مرائي شواهده.

وارد في الاسم المطلق

أيها الاسم المطلق سجد وجهي لوجهك الحق، لقوله عن سلطانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر:١٥].

وهو السرُّ في قوله ﷺ: «**اللّهم اغنني بالافتقار إليك**»[١]: أي إلى ذاتك من جميع وجوه الأسماء الإلهية خصوصًا من وجه الاسم الأعظم، ثم إني رأيت حضرة الوزير أيّده الله القدير في مشهد لي لا أشكُّ فيه ؛كأنه يسألني عن الفرق بين هو وأنت.

فقلت: أمَّا هو فأشار إلى غيب الهُويَّة نحو لا إله إلا هو، وأمَّا أنت فرمز إلى شهادة الصفات نحو لا إله إلا أنت، فصاحب القوس أو أدنى يشهده في الحضرتين بلا فرق.

كما ورد: «**وأسألك لذّة النظر إلى وجهك الكريم أبدًا دائمًا سرمدًا**»[٢]؛ وهذا مقام الخلافة المثلى؛ كحال حضرة الوزير مع السلطان، والرغبة، وإليه التلويح بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١].

فطوبى لمن اختار اليقظة الدائمة؛ وهي التي لا مستقرَّ للكُمَّل دونها، هذا ما جرى بين حضرة الوزير على الله شأنه، وبين الفقير حقي صانه الله عمَّا شانه.

وارد

لمَّا شارفت دخول الشام، وأنا على الدابة؛ رأيت أنه استقبلني أربعون رجلاً على ألبتَّة؛ بيضٌ في صورة الفقراء السالكين، فقبَّل كل واحدٍ منهم يدي، فعرفت، والحمد لله المتعال.

وارد

من أحسن ما يُحكى عن أبي الفرج ابن الجوزي أنه وقع النــزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقام شخصًا يسأله، وهو على الكرسي، فلمَّا سأله قال:

---

(١) ذكره أبو الطيب في عون المعبود (٤/٢٨٣).

(٢) تقدم تخريجه.

أفضلهما مَن كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فقال السنية: هو أبو بكر، وقال الشيعية: هو علي، وهذا من لطائف الأحمدية، ولو حصل هذا بعد التأنّي، وإمعان النظر، كان في غاية الحسن فضلاً عن البداهة من عيون الأبناء القضاء مجبر الدين أبي اليمن عبد الرحمن العمري الحنبلي.

وارد

دخول - طاغ تكوري - عشر من جُمادى الآخرة يوم الإثنين، والخروج من بروسة يوم الخميس الثامن من الشهر المذكور سنة ١١٢٩ هـ.

لَمّا طَعن برهان الدين البقاعي في الشيخ عمر بن الفارض(١) نفاه السلطان إلى

(١) هو العارف بالله تعالى سلطان العاشقين سيدي عمر بن أبي علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ولد سنة ستٍّ وخمسين أو ستين وخمسمائة، نشأ تحت كنف أبيه، في عفافٍ وصيانةٍ وعبادةٍ وديانة، بل زهدٍ وقناعةٍ وورع، فلمَّا شبَّ وترعرع اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن الحافظ ابن عساكر وعن الحافظ المنذري وغيره، ثم حُبِبَ إليه الخلاء، وسلوك طريق القوم، فتزهَّد وتجرَّد، وصار يأوي إلى الجبل الثاني من المقطم، والمساجد المهجورة مرة، ثم يعود إلى والده، فيقيم عنده مرة، فيشتاق للتجرد فيعود إلى الجبل، وهكذا حتى ألف الوحش وألفه الوحش، فكان لا يفرُّ منه، ومع ذلك لم يُفتح عليه بشيء، حتى أخبره شيخه الشيخ أبو الحسن على البقال أنه إنما يفتح عليه في مكة شرَّفها الله، فخرج فورًا في غير أشهر الحج، ولم تزل الكعبة أمامه حتى دخلها، وانقطع بوادٍ بينه وبين مكة عشر ليالٍ، ففُتح عليه فصار يذهب من ذلك الوادي إلى مكة، فيصلّي بها الخمس ويعود إلى محله من يومه، وأنشأ غالب نظمه حالتئذٍ، وأقام على ذلك نحو خمسة عشر عامًا، ثم رجع إلى مصر، فأقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر، وعكف عليه الأئمة، وقُصِدَ من العام والخاصِّ، حتى أن الملك الكامل كان ينـزل لزيارته، وسأله أن يعمل له ضريحًا عند قبره، بالقبة التي بناها على ضريح الإمام الشافعي، فأبى، وكـان ﷺ جميلاً نبيلاً حسن الهيئة والملبس، فصيح العبارة، حسن الصحبة والعشرة، وذكر أنه رأى المصطفى ﷺ في نومه، فقال: (إلى من تُنسب؟) فقال: يا رسول الله إلى بني سعد، قبيلة حليمة. فقال له ﷺ: (بل نسبك متصلٌ بي). وكان له أحوالٌ كريمةٌ وكراماتٌ عظيمةٌ، ومن أجلّها ديوانه الذي اعترف بحسنه الموافق والمخالف، سيَّما القصيدة التائية المسماة بـ«نظم السلوك».

روى ابن بنته عنه: أنه لما أتَمَّها رأى النبيَّ- عليه الصلاة والسلام - في المنام، فقال: يا عمر، ما سميت قصيدتك؟ قال: سميتها: «لوائح الجنان وروائح الجنان»، فقال له ﷺ: لا، بل سمها: «نظم =

=

السلوك» وقد اعتنى بشرحها جمعٌ من الأعيان: كالسراج الحنفي الهندي قاضي الحنفية بمصر، وكان كثير المحبة للشيخ، حتى أنه عزَّر ابن أبي حجلة؛ لتكلُّمه في الشيخ بما لا يرضي الله، والشمس البسطامي، والجلال القزويني الشافعي، غير متعقِّبين ولا مبالين بكلام المنكرين الحسَّاد.

وكذا شرحها الشيخ الفرغاني، وهو الشارح الأول لها، وأقدم المؤيدين له حكى: أن الشيخ صدر الدين القوني عرض لشيخه الشيخ محيي الدين بن العربي. فقال له: لهذه العروس بكر من أولادك، فشرحها الشيخ الفرغاني، وهو من تلامذة الشيخ القوني، وكذلك شرحها الشيخ القاشاني والشيخ القيصري وغيرهم، وعلى القصيدة الخمرية عدة شروح، أحدها لابن كمال باشا، وكذلك اليائية، وقد شرحها الإمام السيوطي، وقد شرح الديوان كله بعض العارفين: كالشيخ النابلسي ﷺ.

قال الذهبي: كان سيِّد شعراء زمانه. وقال ابن العماد في «شذراته»: **أفضل الشعراء على الإطلاق**، ولم يزل الشيخ على حاله، راقيا في سماء كماله ﷺ حتى احتضر، فسأل الله أن يحضره في ذلك الهول العظيم جماعةٌ من الأولياء، فحضره جماعةٌ: منهم البرهان الجعبري، فقال كما حكاه سبط الشيخ: رأيت الجنة لما مثلت له، بكى وتغيَّر لونه، ثم قال:

إن كان منـــزلتي في الحب عندكم   مــا رأيتُ فقــد ضيَّــعتُ أيامــي

قال: فقلت له: يا سيدي هذا مقامٌ كريمٌ. فقال: يا إبراهيم رابعةٌ وهي امرأةٌ تقول: (**وعزَّتك ما عبدتك رغبةً في جنتك، بل لمحبَّتك**)، وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه، **فسمعتُ قائلاً يقول له**: ما تروم؟ قال: أروم وقد طال المدى منك نظرة... البيت، فتهلل وجهه، وقضى نحبه، **فقلت: إنه أُعطي مرامه انتهى**.

وقد افترى على الشيخ ﷺ من يدعى بالبقاعي، الذى ظهر أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن غلبت عليه شقوته، وسبق عليه الكتاب، فصار من أهل العذاب، المنسوب إليه التفسير المشهور، المسمَّى بنظم الدرر، والحق أنه ليس له، كما هو معلوم عند أهل العلم، فألف رسالةً، وإن شئت قلت ضلالةً في تكفير الشيخ، **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾** [الصف:٨]، ولكن هيهات هيهات: **﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾**، فقيَّد الله لهذا البقاعي الجاهل الشيخ العالم الكامل أبو عبد الله محمد بن جمعه الحصكفي ﷺ -توفي سنة ٨٩٥هـ- من جعله سيفًا لدينه، يذبُّ عنه سفاهة ذوى الأحلام، فألَّف هذا الشيخ الجليل الصالح كتابًا في الرد على ذاك الشقي أسمَّاه «**ترياق الأفاعي في الرد على الخارجي البقاعي**»، وهو كتابٌ حافلٌ في الرد على ذاك الغافل، و«الانتصار» للشيخ ابن الفارض منبع الفضائل، وإن شاء الله سينشر هذا الكتاب قريبًا، وكذلك أيضًا الشيخ السيوطي فألف مقامةً أسماها «**قمع المعارض في نصرة ابن الفارض**»، وقد دافع عن الشيخ وغيره من أكابر أئمة الأولياء الكثير من العلماء، وقد وقفنا على الكثير من تلك الكتب، والتي لا يزال أكثرها مخطوطٌ، والتي لو نشرت لما كان لهذا الجهل والتجرؤ على أولياء الله وجود

=

=

ولعلمنا حقيقة أن تلك العلوم والمعارف التي أظهرها القوم هي غاية هذا الدين الخاتم، وأنها مقصود الشرع الشريف، ولَعَلِمَ من أنكرها أو من لم يعرفها أنه ما عرف عن الدين وعن رسول الله ﷺ إلا اسمه، لا غير.

وإن شاء الله سنقوم بتحقيقها وإخراجها للناس، وذلك لما رأينا أن معظم كتابات اليوم عن علم التصوف الإسلامي خالية تمامًا مما استند إليه القوم من الدليل الشرعي، فصار الكلام في الفلسفات والنظريات والنقل من المستشرقين وكأن الكاتب ليس مسلمًا، ولم يقف على كتاب اسمه القرآن، ولم يؤمن بنبيٍّ خاتمٍ اسمه محمَّدٌ ﷺ، وكأنه يتكلم عن غير مسلمٍ ـ معاذ الله ـ في موضوعٍ لا يمسُّ الدين، فبالله عليك يا أخي هل ترى علوم التصوف إلا قسمين: قسمًا: أمرك باتِّباع الشرع المطهَّر من عبادة: كذكرٍ أو صلاةٍ على رسول الله أو قراءة قرآنٍ أو حسن معاملة مع الخالق والخلق؟

وقال في ذلك الإمام الجنيد سيِّد الطائفة قُدِّس سرُّه: علمنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنة.

وفي ذلك القسم ألفوا «الإحياء»، و«قوت القلوب»، و«الرسالة القشيرية».

والقسم الآخر: وهو أسرار الدين والعقيدة العظمى في الله وفي رسوله ﷺ، وهو العلم المسمَّى بعلم الحقائق: «كالفتوحات المكيَّة»، و«الإنسان الكامل»، وتلك الكتب ما تكلَّمت إلا بأنَّها مستمدةٌ من السيد الأعظم ﷺ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم تلك العلوم وأعظم،

﴿إِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، وأقاموا الدليل الشرعي على ذلك، وإن شئت فراجع «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، وبالله عليك هل سمعت ولو ممن ينكر على السادات الصوفية أن واحدًا منهم كان محبًّا للدنيا أو طلب من آخر ترك أمرٍ في الشريعة أو كان يجبر أحدًا على تعظيمه؟! لا، والله.

وانظر كل كتب التراجم ولو المنكرين عليهم كما ذكرت فإنك لن تجد مثل هذا، ولن تسمع إلا أنه كان زاهدًا عابدًا ورعًا، لا يقيم لنفسه على أحدٍ وزنًا، فأنصف الحق من نفسك، واستبرئ لدينك.

وصار باحثينا القارئون لتلك الكتابات يتجرأون على الشريعة وعلمائها بدون أدنى تعب في البحث عن الأدلة الشرعية، ولو وقف أحدهم على قوله: (إنَّ الله عنْدَ لسانِ كلِّ قائلٍ وقلبه) لما تجرأ بالطعن على ما يجهل، ولأفتاه قلبه: إياك والإنكار على ما تجهل، فإنك لم تُحط بعلم الله، فلا تحكم على الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، ولذكره بقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥].

=

دمشق، وقال فيه بعض الفضلاء: مُصران البقاعي بها، قد قاله مطالب لا تحسبوه سالمًا، فقلبه يُعاقب.

وارد عن الشام

محلّ الكون: أي الوجود والكثرة بالفعل؛ ولذا كانت السريًّا شامية؛ لكثرتها، وشهيد يمنيًا؛ لوحدته، كما أشار إليه قوله ﷺ: «**إني لأجد نفس الرحمن من قبل**

=

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]. والحاصل: كما ذكره الإمام عبد الرؤوف المناوي في «الكواكب الدُّرية»: أن قد اختلف في شأن صاحب الترجمة ـ ويقصد الشيخ ابن الفارض وابن العربي والعفيف التلمساني والقونوي وابن هود وابن سبعين وتلميذه الششتري والصفار وابن المظفر رضي الله عنهم- من الكفر إلى القطبانية، وقد كثرت التصانيف من الفريقين في هذة القضية، ولا أقول كما قال بعض الأعلام: سلِّم تسلمْ، والسلام، بل أذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم من أنه يجب اعتقادهم وتعظيمهم، ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأهَّل لتنـزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة، وقول بعض جبهذة الفقه والأثر: (أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم) غير معتبر، وإن جلَّ قائله؛ كيف وهو قد ملأ كغيره كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه؟! واعتنى عليه بالجمع بين الكلامين المتناقضين، وتنـزيل الخلاف على حالين.

وقد وقع لجماعة من الكبار الرجوع عن الإنكار، وكان العزُّ بن جماعة ينكر، فرأى في منامه جماعةً قد أوقفوا بين يدي الشيخ، وقيل له: هؤلاء منكرون. فقطع ألسنتهم؛ فانتبه مذعورًا، ورجع.

وقال لي شيخنا الرملي: إن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت، ونصبت أواني في غاية الكبر، وأغلي فيها الماء حتى تطاير منها الشرار، وجيء بجماعة ضبائر ضبائر، فسلقوا فيه حتى تمرى العظم واللحم، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: الذين ينكرون على ابن العربي وابن الفارض اهـ.

مات ﷺ سنة اثنين وثلاثين وستمائة، ودفن بالقرافة بمصر، ورُئيَ في النوم، فقيل له: لِمَ لا مدحت المصطفى ﷺ في ديوانك؟ فقال:

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِّ مقصِّرًا   وإن بالغ المثنـي عليه وكثَّرا
إذا اللـه أثنى بالذي هو أهـله   عليه فما مقدار ما يمدح الورا

وقد قال أحد العلماء بالله: إن الشيخ ابن الفارض يأتي يوم القيامة يمدح الله على رؤوس الأشهاد، ويقال له: امدحنا كما كنت تمدح في الدنيا.

ولنختم تلك الترجمة بعد ما نوَّهت لك على حقيقة الإنكار على السادة الصوفية بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

اليمن»[1]؛ لأن النفس الرحماني؛ هو التجلّي الساري في جميع الموجودات، وهو أحدي لا كثرة فيه بالفعل؛ لأن الأحد الواحد الصمد يأبى أن يكون تجلّيه على حدِّ الكثرة، والكثرة في التجلّي اعتبارية بحسب المجالي والقوابل، لا حقيقة، وإلا يلزم أن يكون الحق تعالى محلَّ الكثرة سبحانه هو هو على وحدته ووجوبه، والأشياء أشياء على كثرتها وإمكانها.

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال:٦٢].

يدلُّ على الكثرة في النفس الرحماني والتجلّي الإلهي، فإن المراد بالمؤمنين؛ هم الأنصار اليمنيون، وقد أيّد الله تعالى بهم حبيبه ﷺ.

ولا شك أن التأييد بالجموع إنما هو من شأن الواحدية التي مبدأ الكثرة.

قلت: جوابه مفهوم مما ذُكر آنفًا، وهو أنهم وإن كانوا أكثرين، فالتجلّي لهم واحد فظهر أن التجلّي الواحد ينبسط في مراءٍ مختلفة حقيقة، ويتفضَّل في مكان واحد؛ هو اليمن باعتبار المتمكنين، فإن قلت: إن المدينة المنورة لدلالتها على مقام البقاء؛ هي محلُّ الكون لا الشام؛ قلت: نعم؛ لكن لمّا كان اتصالها بمكة المكرمة أشدَّ؛ جُعلت في حكمها؛ كأنها أيضًا وادٍ غير ذي زرع، وأرض قفر لا ماء فيها ولا كلأ نحو مقام الأحدية الذاتية.

ولذا قلنا: إن الشام محلُّ الكثرات، وكذا ما دونها من بلاد العرب والروم ونحوها، وفيها سرُّ المحفل الحنفي في حرم الله تعالى، فلينظر العارف لنفسه حرمًا آمنًا، وذلك بنظر الله تعالى لا بنظر نفسه، فمَن كان من أهل البقاء، وأهل الدعوة والتبليغ؛ فالأداني والأقاصي له سواء، هذا والله يفعل ما يشاء.

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٤٩/٢)، وذكره العجلوني في الخفا (٢٥١/١).

وارد في الجامع الأموي

بدا في الجامع الأموي في صباح العيد الفطري سرُّ قوله ﷺ: «**مَن صام رمضان، ثم اتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدَّهر**»(١).

وهو أن الدهر هو الآن الغير المنقسم الساري سرُّه في جميع الأوقات والآنات.

منه: قيل أن الدهر هو الله، يعني: أن المتجلِّي بذلك الدَّهر هو الله وهو التجلِّي البرقي الذي نوره مبدأ الأنوار العالية.

ومنه: نور ليلة القدر؛ فإنه ليس من أنوار الدنيا، فإنها في مقابلة الظلمات، وكل منهما مخلوق بل هو من جنس النور الشعشعاني الذي يختطف البصر وإنما يستره الظلالات الكونية، كما يستر الشمس العماء وهو الحجاب الأبيض، والسحاب الرقيق.

ومنه: يُعلم سرُّ قوله: «**فإن الله تجلَّى في عماء؛ ما فوقه هواء، ولا تحته هواء**»(٢)(٣): أي لا تعينات إلهية، ولا تعينات كونية بل هو التعيُّن الأول الذي استتر

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد (١٢/٤)، والديلمي في الفردوس (٢٦٨/٣).

(٣) هو في اللغة بمعنى: السحاب الرقيق، على الأول بمعنى: الحضرة الأحدية، وعلى الثاني: بمعنى الحضرة العلمية، فالمشترك مستعمل في كلا معنييه على تقدير التعميم، أو يجعل من باب عموم المجاز.

ووجه المناسبة بين المنقول منه، والمنقول إليه: أن السحاب بين السماء والأرض، والأحدية بين الغيب المطلق والواحدية، والعلم بين العالم والمعلوم، وفي كلامه -قُدِّس سره- إشارةٌ إلى أن الإفاضة على طبق العلم، والعلم تابعٌ للمعلوم، فكل ما في الخارج محتذى على طبق عينه ﴿**مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ [الملك:٣].

وكون العلم تابعًا للمعلوم بالنظر إلى حضرة الأعيان القديمة التي أعطت الحق العلم التفصيلي بها، وأما بالنظر إلى رتبة العلم الإجمالي الكلي، فالمعلوم تابع للعلم؛ لأن الحق لما تجلَّى من ذاته لذاته بالفيض الأقدس حصلت الأعيان واستعداداتها، فلم تحصل عن جهل تعالى الله عن ذلك.

ويوصف العماء بالرباني نظرًا للفيض المقدَّس في صورة التعميم، أو لأن صفة التربية كانت كامنة في الحضرة الأحدية، وآخر عطف على أول التنــزلات الظهورات الأكملية؛ إذ هو ﷺ غاية =

=

الغايات، وأكمل كمال النهايات التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كيف وهو الظهور التام، والمظهر العام، وليس في الإمكان أبدع مما كان، ولو كان لكان، فإنه لأشرف من الوجود، وقد تجلَّى به كمال التجلي في الحقيقة والشهود.

وهو مرتبة الأحدية، كما صرَّح به الشريف الجرجاني في تعريفاته.

وهذا بناء على ما قررناه من حملنا التعينات على قيودات الذات الأوليَّة، التي في مقابلتها الصور العلمية كما ذكرناه، هذا وإن كان صحيحًا في نفسه؛ لأنه من اصطلاحاتهم، فهو غير مراد هنا لحضرة الشيخ، وإنما ذكرناه تتميمًا للفائدة.

وقيل: إنما يراد بالعماء النفس الرحماني الذي يعبر عنه بالوجود الحق المتعين بالتعينات، وهو أول غيب ظهر، وبه وفيه ظهرت صور الأشياء، والربَّاني نسبة للرب تعالى؛ لأن الحق فيه من اسمه الرب.

كما أنه على العرش باسم الرحمن، وهذا العماء أين الحق، وهويته: أي أول ما ظهر فيه تعالى.

وشاهد ذلك حديث: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فقال ﷺ: **«كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء»**.

دفعًا لتوهم أن يراد بالعماء معناه اللغوي، الذي فوقه هواء وتحته هواء؛ لأنه عبارة عن الغيم الرقيق، وإذا كان أين الرب تعالى كان عينه؛ لأنه لا يكون هوية له تعالى إلا عينه، وعلى هذا يكون المراد بالتعينات ما يعين النفس الرحماني حتى يكون بذلك التعين أعيانًا وجودية علمية، سواء كانت غيبًا كالأرواح والعقول والنفوس، أم شهادات كالجسم والفلك، الكل فما تنازل عنه من عالم الشهادة، ولا شك أن أول التعينات: أي أول ما تعين به هذا النفس الذي هو العماء، وكان عينًا وجودية هو الصورة المحمدية المعبر عنها بالعقل الأول، والقلم الأعلى، والنور المحمدي، والحق المخلوق به، وقد يعبر عنها بالإنسان الكامل؛ إذ الظاهر مطابق للباطن، يعني كما أنه ﷺ أول التعينات في عالم المعاني كما ذكرنا، كان أول التعينات في الظاهر.

ولو كان غيبا فيكون مبدأ في كل عالم، ومنه تتفرع الأشياء؛ إذ هو الأب الأكبر.

قال العارف ابن الفارض مُترجمًا عن لسان الحضرة:

وإنِّـي، وإن كنـتُ ابن آدم صورةً ... فـلي فـيه معـنًى شـاهدٌ بـأُبوتي

شاهد ذلك قوله ﷺ: **«أول ما خلق الله نوري»**.

وقوله ﷺ: **«وإني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وكنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين»**.

وحديث الكوكب عند سؤاله ﷺ جبريل عن عمره فقال: **«إن كوكبًا يظهر في كل سبعين ألف سنة**

=

شمس الذات البرقية في ظلّها، وتلك الشمس بجليَّة إلى الآن من المجالي والمرائي؛ ولكن لا يراها الخفاش؛ لِما على بصره من حجاب الكون؛ وهو الضعف والعمش، وكذا حجاب القلب؛ وهو حجاب الكون، ولولا الكون لظهر المكوِن بالكسرِ على بصر كل بصير في الظاهر؛ ولكن لا يراه إلا مَن كشف الحجاب مطلقًا جسمانيه وروحانيه.

=

مرة، وإني شاهدته سبعين ألف سنة فقال ﷺ: أنا ذلك الكوكب».

فإن قلت: كيف ذلك العدد والمبالغة فيه؟

قلت: إذا صحَّ الحديث فلا إشكال؛ إذ ذلك كان في عالم الأرواح، وهي قديمة عندهم قدمًا غير ما يقوله الحكماء.

فإن قلت: كيف تكون قديمة وهي مخلوقة؟

قلت: لا منافاة كما تقدَّم قبل هذا.

وقد ذكر حضرة الشيخ ﷺ في الفتوحات في الباب الحادي والسبعين بعد الثلاثمائة مسائل تتعلق بهذا البحث.

ولنذكر نبذة منها تبركًا بأنفاس الشيخ، قال ﷺ:

ثم أوجد في هذا العماء جميع صور العالم، الذي قال تعالى فيه أنه: ﴿هَالِكٌ﴾ [القصص:٨٨]، يعني من حيث صوره لا وجهه، يعني إلا من حقيقته، فإنه غير هالك، ولا يمكن أن يهلك.

أقول: قد جعل حضرته ﷺ في غير هذا الموضع وجه الشيء عبارة عن الحق تعالى.

قال البيضاوى: في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]: أي إلا الجهة التي تلي جهته تعالى.

ثم قال الشيخ: فصورة العالم بجملته صورة دائرة فلكية، ثم اختلفت فيها صور الأشكال إلى ما لا يتناهى، حكمًا لا وجودًا.

أقول: عنى بقوله: (حكمًا لا وجودًا) أن وجود العالم متناه بتناهي الدنيا دون حكمه، فإن له حكمًا في البرزخ غير هذا الحكم، وكذا في الدار الآخرة.

ثم قال: والملائكة الحافون حول العرش ما لهم سياحة إلا في هذا العماء المستدير، الذي ظهر فيه عين العرش على التربيع، وحملته من صور المعاني، وصور أجسامها الحروف الدالة عليها، وهي: أ ب ج د هـ و ز...إلخ.

وفيه ظهرت الملائكة المهيمة، والعقل والنفس، والطبيعة الذاتية، التي هي عين هذا النفس الرحماني بما فيه، وهي غير الطبيعة التي رتبتها دون النفس التي قال بها الحكماء، فإن حضرة المولى لا يقول بها أصلاً.

فالأولى: حجب ظلمانية؛ وهي من المواليد إلى نهاية العالم الطبيعية الذي هو عالم الملكوت العرشية، وهو إلى غاية الغايات التي لا يجوز كشفها من قبيل الحجب النورانية.

والوجود الإنساني معدن لكل نور، ومنبع لكل ظلمة؛ وهو اللوح الأصلي الذي كان اللوح المحفوظ صورته، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الله تعالى تجلّى بالنور البرقي الشعشعاني ليلة القدر لنبينا ﷺ، واستمرت تلك الحالة في وجوده إلى ست شوال، فألحق صومها بصوم رمضان، فلمَّا كان ظهور تلك الليلة في ما قبلها وما بعدها، والمجموع ست وثلاثون؛ كان صومها؛ كصيام الدهر؛ وهو صيام العمر كله؛ لسرِّ السرِّ البائن المذكور.

فإن قلت: بالسريان والمستقبل لم يوجد بعد، والماضي قد مضى؛ قلت: لاتصال أجزاء الحال بأجزاء المستقبل والماضي؛ فكان الكل بمنـــزلة زمان واحد، ونظيره قوله: «**مَن مات؛ فقد قامت قيامته**»(١).

فإن أجزاء زمان الموت لمَّا كانت متصلة بأجزاء زمان البرزخ، وهي بأجزاء زمان الحشر؛ كان الميت كأنه قامت قيامته على أن الماضي والحال والاستقبال اعتبارية عند العارفين، فإنهم لا يدرون الليل والنهار؛ بل هم الآن في عالم الأزل الذي لا نور هناك، ولا ظلمة؛ لأن النور من خواص الأجسام الكونية؛ وهم خارجون عن هذا العلم؛ بل عن عالم الأرواح، داخلون في عالم غيب الغيب الذي لا ليل فيه ولا نهار.

فإن قلت: هَب إن مَن كان من أهل ذلك التجلّي؛ كان صيامه كصيام الدهر، وأمَّا مَن لم يكن من أهله؛ فكان أمره التقليد، والتقليد لا يوصله إلى ما شاء والتحقيق، قلت: إن فيه سرَّ المتابعة والتشبُّه، وقد ورد إن: «**مَن تشبَّه بقومٍ؛ فهو منهم**»(٢)، فهذا من طريق الإلحاق لا بالأصالة.

وقد قال تعالى: ﴿**أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ [الطور: ٢١].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٤/٤٤)، وأحمد (٢/٥٠).

ومما قررنا يُعرف أن الأفضل الاكتفاء بإفطار اليوم الأول من شوال، وإلحاق صوم الست بصوم رمضان؛ لمراعاة الموافقة في الوقت فرع أقوال الفقهاء في ذلك، واعمل بالأفضل؛ فإنه عمل الكل.

فطوبى لَمن كان من أهل الأنوار والأسرار، وحافظ على أوقات الليل والنهار، وكان شاهد القربة في الليالي والأسحار مشهودًا للملائكة المقرَّبين الأخيار، فكان حافًا محفوفًا، لطيفًا ملطوفًا، والله تعالى على كل فيض قدير، وهو العليم الخبير يعلم حيث يجعل كرامته، ويفيض عليه رحمته.

وارد في شأن المرض

المرض نوعان:

مرض ظاهري: يُخرج المزاج عن الاعتدال، ويُهلك ظاهر الوجود.

ومرض باطني: يُوجب الميل والانحراف، ويُفسد باطن الوجود.

وكل ذلك بطريق الجبر والقهر من الأسماء الجلالية، وضده الصحة والعافية، وذلك بطريق الجذب واللطف من الأسماء الجمالية ولكن كما أن في الجلال جمالاً وهو جمال الجلال، فكذا في الجمال جلال؛ وهو جلال الجمال.

فجمال الجلال باطن الجلال، وكذا جلال الجمال باطن الجمال، فكل من الجمال والجلال ظاهر وباطن.

والجمال الظاهر؛ هو جمال المؤمنين، كما أن جلال الظاهر؛ هو جلال الكافرين، وكل ذلك بالفعل.

وأمَّا الجلال الباطن في المؤمنين، وكذا الجمال الباطني في الكافرين؛ فهو بالقوة، فالأول لا يُضرُّ بالمؤمن، والثاني لا ينفع للكافر؛ لأن الاعتبار بالظاهر لا الباطن، كما أن التأثير للباطن لا للظاهر، والجمع بين الجمال الظاهر، والجلال الباطن كمال، وليس ذلك في الملك؛ فإن ظاهره وباطنه جمال من حيث إنه مخلوق من النور؛ ولذا كان البشر أقوى إحاطة وجمعية، وإن كان الملك أعلى مكانة ومرتبة، وسرُّ الكمال هو ظهور التجليَّات كلها من مرآة الإنسان الكامل.

ولذا قالوا: إن المتروحن أنقص حالاً من غير المتروحن؛ لأن المتروحن بسبب

غلبة الروحانية ملتحق بالملك، فالكامل هو الذي يرى في مرآته جميع الصور بحسب التجليّات الإلهية المختلفة، ثم الهلاك إمّا بالاضطرار؛ فذلك إهلاك الباقي بالطبع؛ وهو الموت الطبيعي، وصاحبه مقهور مردود إلى الله تعالى بالقهر الجلالي كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨] بضم التاء: أي تُردُّون ردًّا عنيفًا.

وإمَّا بالاختيار؛ فذلك هلاك الفانين عن الطبع؛ وهو الموت الفنائي، وصاحبه مجذوب إلى الله تعالى بالجذب الجمالي كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ [البقرة :٢٤٥]. بفتح التاء: أي رجوعًا خفيفًا، وكل منهما مقبوض من الكثرة إلى الوحدة، ومن الفرع إلى الأصل، ومن الواحدية إلى الأحدية، ومن التفصيل إلى الإجمال؛ وهو السرُّ في قيام الساعة؛ لأن كل شيء يرجع إلى أصله.

فالهالك الاضطراري؛ كالعبد الآبق يرجع إلى مالكه، وهو مغلول، والهالك الاختياري؛ كالقادم من الحج مثلاً يرجع إلى أحبابه، وهو ملتفت منظور، فعليك بعلاج المرض الباطني؛ ليصحَّ روحك بالانقطاع من التعلُّقات، والانفصال عن الميل إلى الكائنات؛ حتى يكون قدومك إلى الله تعالى قدوم الغائب إلى أحبِّ أهله.

وذلك ان العافية من التعلُّقات تُصحِّح المناسبة الذاتية؛ لأن التجلّي الإلهي الساري في الموجودات صاف خالص عن الكدورات، وإذا اتحدَّ بالمحلِّ في تلك الصفوة لم يبقَ له سوى الجمال؛ إذ الجلال إنما ينشأ من الكدورات الحاصلة من التعلُّقات، وغلبة الجمال تُقابل الجلال الذي يحصل بالموت؛ لأن العبد يكره الموت بالطبع، فإذاً ليس للإنسان الحقيقي الأنوار الجمال، وسرُّ الكمال، وليس له نار القهر والجلال؛ ولذا كان حاله أيسر من حال غيره في الانتقال من موطن إلى موطن، وإن كان أشدَّ البلاء على الأصفياء في النشأة الأولى، فذلك لا يؤثّر في بواطنهم؛ لكونهم مع الله تعالى معلوبين، والله المعين.

وارد في المرسلين(١)

(١) انظر: التمهيد (ص١٠٤)، وشرح الأصول الخمسة (ص٥٦٣، ٦٠٠)، وتثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار، والتوحيد (ص١٧٦)، وأصول الدين للبغدادي (ص١٥٣، ١٨٣)، والإرشاد للجويني (ص٣٠٢، ٣٥٧)، ولمع الأدلة (ص١٠٩، ١١٢)، والعقيدة النظامية (ص٦٣، ٧٦)، والاقتصاد في الاعتقاد (ص١٦٣، ١٧٥)، وتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي (٤٨٣/٢، ٥٨٥)، =

اعلم أن المرسلين على أنواع:

فمنهم: مَن أرسله الله تعالى إلى الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ إذ فيه سلامتهم في الدَّارين، فيسري سلامة المرسلين إلى المرسل إليهم؛ فالكل سالمون داخلون تحت الاسم السلام؛ لأن المطيع لَمن أرسله السلام سالم، وهؤلاء المرسلون هم الأنبياء عليهم السلام، وإرسالهم إرسال حقيقي من الوجهين الخاص والعام؛ وهم مؤيدون منصورون، إمَّا بالحُجة والسيف جميعًا، وإمَّا بالحجة فقط.

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩]، ومنه يُعلم إن المقصود الأصلي: إلزام الدين بالبرهان.

وإمَّا السيف: فإنما هو لدفع شر الأعداء، ولولاه ما ظهر السيف في العالم أبدًا؛ لأن الإنسان بُنيان الله، فلا يُهدم إلا بناء على ضرورة قوية.

ومنهم: مَن أرسله الله تعالى إليهم أيضًا لذلك المعنى؛ وهم أيضًا سالمون بفضل الله تعالى، وهم ورثة الأنبياء، والعلماء بالله، وإرسالهم إنما هو من الوجه الخاص فقط؛ لأن المَلك لا يُرسل من الوجه العام إلا إلى النبي، فدعوتهم كدعوة الأنبياء كما قال: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

ودعوتهم إلى التوحيد الأفعال، والصفات، والذات، وإن كانوا لا يجابون إلى جميع هذه المراتب في كل زمان بحسب اختلاف المشارب، وضعف الاستعدادات إلا ورثته هذه الأمة المرحومة؛ فإنهم أهل المراتب جميعًا، ولهم دعوة مطلقة، وإجابة مطلقة إلى آخر الزمان لقوة استعداد الأمة، وكمال قابليتها، ولله درهم في كل عصر

=

وبحر الكلام له (ص٥٩)، ونهاية الأقدام في علم الكلام (ص٤١٧، ٤٧٧)، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ص٢٢١)، والأربعين في أصول الدين للرازي (ص٣٠٢، ٣٨٤)، وأصول الدين للرازي أيضاً (ص٩١، ١٠٥)، وغاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص٣١٥، ٦٣٠)، والمسامرة بشرح المسايــرة للكمال (ص١٧٨، ٢١٢)، وشرح المقاصد (١٢٨/٢، ١٥٣)، ونشر الطوالع (ص٣٣٠، ٣٤٥)، وشرح الفقه الأكبر (ص٦٩، ٧٠، ٧٩)، ومختصر شرح العقيد الطحاوية (ص٣٧، ٤٣)، والأساس لعقائد الأكياس (ص١٢٥، ٢٤٣)، ورسالة التوحيد (١١٤، ٢٠١).

كثَّرهم الله تعالى، وإن كانوا تحت القباب مستورين، فهؤلاء المرسلون داخلون في المرسلين من طريق الإشارة، والعبارة، والإشارة واحدة عند أهل الإشارة.

وإنما جعلوا كلماتهم من طريق الإشارة صيانةً لأنفسهم، وكلماتهم من الأعداء؛ وهم أهل الرسوم الطاعنون الخارجون عن حدود الله، وحدود العقول أصلحهم الله تعالى.

ومنهم: مَن أرسله الله تعالى من نومه الحسي؛ لإحياء الليل، فلهم في ذلك سلامة؛ لأن الروح يتخلَّص به من الأمراض المعنوية، إذ المناجاة، وما يفيض من الله تعالى من العلوم والآثار تُحيي النفوس؛ فيكون اليقظة الحسِّية مؤيِّدة إلى اليقظة المعنوية، فويلٌ للغافلين النائمين، وطوبى للمتيقّظين في الأسحار من العارفين العابدين.

ومنهم: مَن أرسله الله، وبعثه من نومه المعنوي؛ وهم أهل الحياة الباقية، والتجليَّات العالية، فوصلوا إلى صباح التجلّي، وإشراق النور في ليل البشرية، وظلمة الطبيعة؛ فكانوا في الدنيا كأنهم في الآخرة؛ لأنهم في مقام صدق عند مليك مقتدر، فكان كل من المتيقّظين سواء كانوا متيقّظين من النوم، أو من الغفلة، سالمين من شرور النفوس، وكدورات الطبيعة.

والثاني أقوى من الأول؛ إذ ليس كل متيقّظ صورة من أهل المناجاة، ومن أهل النجاة مطلقًا بخلاف المتيقّظ معنى، ولكل من هؤلاء المتيقّظين آثار وعلامات يُعرفون بها كما قال تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم**﴾ [الفتح:٢٩]، فالوجه واحد، والنظر متعدد؛ لأن الفراسة الحقيقية لم تُعطَ الكثير من الناس، وإنما لهم الفراسة الطبيعية؛ بل ليس لكثير منهم فراسة ونور أصلاً؛ ولذا لا يُبصرون أهل النور، والسرور، والحبور.

وارد في الأذكار المقبولة

استغفر الله[1]: هذا طلب المغفرة، والستر للمعصية إن كان المستغفر من أهل

(١) الاستغفار: هو طلب المغفرة من الله تعالى للذنوب فإن العبد إذا أذنب ذنبا فقال: رب اغفر لي يقول الله تعالى قد علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له وأحسن أوقات الاستغفار الأسحار فإن الرب يتنزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا فيقول: «**هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟**»
=

الشريعة. وطلب المغفرة والستر للتلوين إن كان المستغفر من أهل الطريقة.

وطلب المغفرة والستر للهيئات المظلمة إن كان المستغفر من أهل المغفرة.

وطلب المغفرة والستر للوجود الخلقي الفرقي إن كان المستغفر من أهل الحقيقة.

ومنه ما في سورة النصر من قوله تعالى: (واستغفره): أي اطلب من ربك ستر

=

ولا يزال يقول ذلك حتى يطلع الفجر.

فيا من رفع السماء بروح قدرته وفتح أبواب المغفرة بأرواح رحمته أسلك المغفرة العامة والستر الجميل وكيفية الاستغفار اللهم اغفر لي وارحمني برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله الذي لا إله إلا إلا هوالحي القيوم وأتوب إليه ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

ومن الأرواح المحمدية روح فرقاني في أرواح الاستغفار: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠] من عادته الغفر فإذا استغفرتموه والاكم بأرواح الغفران وعمكم بأنواع الإحسان فروح الاستغفار فيها روح وصل بذكر الله، وروح فصل عن محارم الله فإن الاستغفار فيه روح كراهة لأرواح الذنوب.

وذلك بروح فصل يفصل الأرواح الظلمانية من الأرواح الشيطانية المتعلقة بالفلك السفلاني وهو فلك المخالفات بأرواح المحرمات والمكروهات.

فانظر ما في الاستغفار من أرواح الأنوار التي يرفع الله بها أرواح العذاب عن أرواح الأحباب؛ فإن أرواح المستغفرين من أرواح المتطهرين والله لا يضيع أرواح المحسنين ولو بالاستغفار في روح من ليل أو نهار، وفي روح الثلث الآخر من الليل له روح طلب من الله ففي الروح المحمدي، والفضل الأوحدي: «**ينـــزل ربكم كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه**».

روح نعيم بعد روح تخصيص فإن روح التائب على روح القبول طالب فهو سائل من الرب الرحيم الخلاص من روح الجحيم والمستغفر طالب لروح الغفران لأن روح الجناية من أرواح العصيان والسؤال أعم فهو من الأرواح العامة في أرواح الحاجات وأرواح الأعظم قد تكف بأرواح القبول لأرواح الدعوات.

ففي روح الاستغفار روح وصل بروح العطف، وروح فصل من الأرواح الظلمانية، وروح حركة باللسان وروح سكون بالجنان إلى روح الغفران.

الوجود الخلقي الفرقي، فإنه قد تمَّ أمر التبليغ، وانقطعت العلاقة بينك وبين الخلق، ولو كان الخلق سبّحك الشريف اللطيف النوراني الروحاني، فكن بعد ذا معي بالوجود الحقي الجمعي؛ لدنو انتقالك من عالم الملك، ورجوعك من الصورة إلى المعنى، ومن الجسد إلى الروح.

وهكذا حكم الكُمَّل من الورثة، إذ انتقالهم من هذه الدار إلى الدار الآخرة، ولما كان السين للطلب، والطلب قد يكون باللسان، وهو لا يتم إلا بالرجوع القلبي حقيقةً أُضيف إلى الاستغفار التوبة.

فقيل: استغفر الله وأتوب إليه على ما نطق به القرآن، حيث قال تعالى في سورة المائدة: ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٤]، وعلم ما قرَّرنا أن الاستغفار، ورد لا ينقطع، ولا يسقط إلى آخر العمر، لا عن نبيٍّ، ولا عن وليٍّ، فإنه أمر جارٍ في كل مقام بحسب كل حال.

سبحان الله(١): تنـــزيه لله تعالى عن ملابسته للكون، وملابسة الكون له، وهو

---

(١) فصل بروح وصل في روح سبحان الله وبحمده: ففي الروح المحمدي من قالها في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أي في التتابع والكثرة التي لا يقدر على أرواح إحصائها البشر روح بيان في هذا الروح المحمدي المسبح لما ذكر الله بأرواح التنـــزيه عن الإحاطة بأرواح عظمته فمعنى سبحان الله أن الله لا تحاط عظمته وأثني عليه بكل حمده.

فإن معنى وبحمده وأقدسه بكل حمده الذي يستحقه على كل حال وهذا تعميم في أرواح التعظيم التي لا تحد فكان روح هذا الذاكر يستحق روح نعيم من الغفران لذنوب لا تحد من أرواح العمل فاعرف مقدار ذكرك يعظم روح شكرك في المائة مرة في روح من الكثرة فتوافقت الأرواح في التفكير والله على كل شيء قدير.

ففي سبحان الله وبحمده روح فصل لأرواح الخيال بصور الإحاطة بعظمة الله وأرواح مواهبه، وروح وصل بأرواح التفكير وحركة باللسان بعظم هذا الشأن وسكون عن التعلق بغير هذا الميزان الثابت الرجحان.

ففي الروح المحمدي: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

=

في تجلياته غنيٌّ عن العالمين، فالله هو هو، الأشياء أشياء، فالله لا يكون عبدًا، كما أن العبد لا يكون ربًّا.

ولذا قال بعض الأكامل: كُنْ عبد رب، ولا تكنْ رب عبدٍ، إشارة إلى التنفير عن الظهور بالصفات الإلهية بين الخلق، كما عليه أهل المكر، ولا يعرفه إلا أهله: فقد اختار الكُمَّل الستر، وترك التصرف، والظهور بالعجز والضعف والافتقار.

والحمد لله: أي على إظهار كماله في تجلّي ألوهيته؛ إذ به يظهر المراتب لكل متقدمٍ ومتأخرٍ ومسخرٍ ومسخرٍ له، وبه ينتظم أمر العالم، ويتم النعمة.

ولله الحمد على ذلك، فإن كل ما أظهره وأوصله فنعمةٌ محمودةٌ محبوبةٌ، وليس فيه أمر مكروه إلا بحسب الطباع، وذلك لا يستلزم كراهته في نفسه، وكونه مكروهًا بحسب الطباع من الحكمة الإلهية؛ إذ به يظهر مقام الصبر، كما أنه بالمحبوب يظهر مقام الشكر.

ولا إله إلا الله: أي في كل مقام التسبيح والتحميد والتنـــزيه والتشبيه، والخلق والحق، فمن كان محققًا أخذ بالتوحيد والتجريد والتفريد، ومن كان خلافه وقع في الإلحاد والتقليد، وما نجا إلا المحقق، فعليك بطريقه، والأخذ من ثمرات تحقيقه، فقد كنت واصلاً إلى سر وحدة الوجود، وأدمت الشهود، وأقمت السجود.

والله أكبر: أي له الكبرياء الزائدة البالغة، وله العظمة الكاملة الجامعة، ومنه قول المصلّي: الله أكبر في جميع الأفعال والانتقالات؛ إشارة إلى تنـــزهه تعالى عن التقيد بالقيام والقعود، ونحو ذلك، فإن التقيد يوهم التغيُّر، ولا تغير على الله في ذاته وصفاته. ولا حول: أي عما سوى الله، ولا قوة: أي على الإقبال إلى الله. إلا بالله[1].

=

وما كان محبوبا إلى الرحمن عمته رحمته وفازت بأرواحه أرواح الذاكرين والله يحب المحسنين بكل الأذكار فلا يبقي عليهم روحا من الأوزار.

(١) قال سيدي ابن سبعين: اعلم أن لا حول ولا قوة إلا بالله. يجب عليها الأدب والاستغفار عند الخواص إذا تمت على سدادها، فيكف قول أنت أنت لمن إذا أطلق القول عليه مع العدم بترادف =

فإن أعانك فلك التحول والإدبار، ولك القوة على الإقبال، فإن كل كمال إنما هو بالله، كما قال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧]، العلي ناظر إلى ظرف التنـــزيه، وجانب الكبرياء العظيم ناظر إلى ظرف التحميد والأُلوهية، فاعرف.

لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله، الجلالة مع الاسم محمد، كقوله تعالى: رسل الله، الله، وإن كان الاسم (محمد) مقدمًا على الرسول، فإن المعنى واحد في صورة التقدُّم والتأخُّر.

فإن قلتَ: ما ذكره لمساعدة الإعراب.

قلتُ: هذا الذي ذكرته من قبيل الإشارة الخارجة عن اعتبار الإعراب، لا من قبيل العبارة المقتضية لذلك، نحو قول صاحب القصيدة البردية: أمن تذكره، فإنه في صورة آمنت الذي هو المطلوب؛ لكون الناظم مقلّدها، فمثل هذه الصورة يعتد بها عند أرباب الإشارة، وأهل النقول.

وسرٌّ هذا دقيق لا ينتهِي إليه إلا الأولياء، وذلك أن أصل محمد أحمد: وأصل

=

يسأل عنه المتكلم؛ لأنه أضاف بعض المعلومات على رأي بعض الناس إلى شيء لا ينسب لشيء من هذا كله عند كل الناس! فإن كلمة: «لا حول ولا قوة إلا بالله» إن كان قالها وهو لم يعلمها إلا وقت همّه وامتحانه، فهذا فيه ما فيه، وإن كانت المحنة هي التي ذكرته فأنحس وأخس، وإن كان استعان بالله على بعض أفعاله فهو من الأمور المضحكة، وإن كان قالها عبادة، فأمره يتحمل وينحط عن رتبه الخواص. وإن كان قالها دون شيء ولا لها معتبر إلا مفهوم الذكر، فذاته أولاً.

وبالجملة: هي كنـــز من كنوز الجنة، وكنوز الجنة هي من بعض أسباب بعض منّه.

واعلم أن الذي يطلب الجنة ولا يعتقد أنها سبب القرب إلى رؤية الله، فأهل النار أحسن منه بالنظر إلى همته ومن جهة تعظيم المطلوب لا بالنظر إلى سخط الله.

والجنة من جملة الخيرات التي تراد لغيرها، هذا عند الضعفاء وفي سلوك الأرواح وهم بعض المجردين.

وبوجه آخر لا يهمل الوجود على أي وجه كان وفي أي مظهر تصور، ولا يتنوع في ذاته الموجودة، والتقديم والتأخير لا يغتبط به السعداء من نصح، وأجاب، فهم من الضعفاء، وإلا أن تكون النصيحة من بعض أخباره المهملة، والناصح ضد ذلك الناصح.

أحمد أحد، فما فرق بينهما إلا ميم الإمكان، وبهذا الميم الإمكاني كان أحد أحمد، وأيضًا أحمد محمد، فمحمد رسول الله، وأحمد هو ولايته، ونبي الله، فإنه انباء الله ووحدته، وأيضًا من كمالات نفسه، وذلك في عالم الأرواح.

كما قال: «**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**»[(١)]، فإن كل نبوة لا يستلزم الرسالات، بخلاف العكس.

أمَّا أحد: فهو الله لا رسول الله، ولا يكون أحد رسول نفسه، إلا بالاعتبار، والجهتين المختلفتين كما ينبئ عنه قوله ﷺ: «**السلام عليك أيها النبي**»[(٢)]، فإنه يسلم من جانبِ ولايته على جانب نبوته، ومن ملكيته على بشريته، ومن جمعه على فرقه، ومن أصله على فرعه، فلا يلزم منه التعدُّد إلا بالاعتبار.

فإذا عرفت هذا السرَّ العظيم، والمعرفة الجليلة، فاعلم أنه كما أن الله تعالى واحد بالوجود والأُلوهية، فكذا محمد ﷺ واحد بالوجود والرسالة، فإن وجودات الأنبياء عليهم السلام قبله، إنما هي صور وجوده الشريف، وهممهم في حكم أمته لا حقيقة لتقدم زمانهم، وكذا نبواتهم ورسالاتهم صور نبوته ورسالته؛ لأنه ما من شريعة من الشرائع الأول، إلا وسرها موجود في القرآن الذي هو معدن هذه الشريعة الناسخة.

فكما أنه لا إله إلا الله، فكذا لا رسول إلا محمد، وكما أن صور الكُمَّل مظاهر الحق فكذا صور الأنبياء مظاهر محمد الرسول، وإنما ظهرت نبوته ورسالته فيهم بحسب استعداداتهم ومراتبهم، كما أن نور الشمس إنما يتجلَّى في القمر بحسب جلائه، وكذا نور القمر إنما تجلَّى في سائر النجوم بحسب مراتبها.

ومنه يُعرف سر قوله ﷺ: «**أنا من الله، والمؤمنون من فيض نوري**»[(٣)]، فالقمر شمس، لكن قيل له: قمر، باعتبار خصوص التجلِّي والإشراق، وهو أيضًا سراج؛ لأن نوره ممدود من نور الشمس، كامتداد نور الفتيل من الزيت.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (٢/١٤٤)، وذكره الهيثمي في الزوائد (٢/١٤١).

(٣) تقدم تخريجه.

وكذا الشمس، فإن نورها مستفاض من نور الله تعالى، فالأصل إذًا واحد، والفروع متعددة، والنظر إنما هو للأصل في صورة الفرع.

ولذا ورد: «**طوبى لمَن رآني، ولمَن رأى مَن رآني، ولمَن رأى مَن رآني**»(١).

فإذا وقفت على هذا عرفت أن لله ألف اسم كوني أيضًا هي الأسماء المحمَّدية، وأن جميع الموجودات الخارجية راجعة إلى وحدة كونية، هي وحدة الوجود المحمَّدية، كما أن جميع الأسماء راجعة إلى اسم واحد وحدة حقيقية، هي وحدة المسمَّى، فانظر فإنه ليس في الوجود الحقيقي إلا الله، وليس في الوجود الكوني إلا محمد رسول الله.

وارد في كلمة التوحيد
لا إله إلا الله(٢)

نفي أُلوهية الغير مع أنه لا تحقق لها في نفس الأمر، إنما هو بالنسبة إلى الأوهام نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١]، فإن إثبات الأحدية إنما هو نفي لزعم المشركين من الشركاء، وإلا فقوله: (**هُوَ اللَّهُ**) بل لفظ (**هُوَ**) منفردًا يكفي في إثبات المقصود، ولذا قالوا: إنه ليس في العالم إلا سر الوحدة، سواء علمه الخلق وأثبتوه، أو جهلوا به، فإن من جهله لا يتغير الأمر عما هو عليه، ولما خلق الله النور الأحمدي.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٩٦/٤)، والديلمي في الفردوس (٤٤٥/٢).

(٢) أول وظيفة من وظائف الشريعة: هي كلمة لا اله إلا الله، وتتضمن أن لا فاعل إلا الله، فكل موجود في الكون الله أوجده من حيث هو فاعله، والفاعل لا يفارق مفعوله، وهو معه بالإيجاد والإبقاء، ولا وجود للشيء إلا به، فهو الأصل الضروري في وجود كل شيء، ولكل شيء حقيقة، وهو وجوده الذي هو به ما هو ووجود كل شيء، الذي هو به ما هو هو به، ومنه وعنه وإليه، هو حقيقة كل شيء وماهيته ووجوده؛ فالله: هو الحقيقة الجامعة، كما تقدم من قول سيدنا ﷺ.

فإذا كان هو حقيقة كل شيء، فالأشياء كلها هي به على ما هي عليه، فهو الحقيقة الموجودة في كل حقيقة، وهو الذات المستحقة بذاتها لكل ذات، فهو مع كل شيء بوجوده؛ فلا غيبة ولا حجاب، والغيبة والحجاب: هو الجهل بهذا الاتصال والاستحقاق الذي ذكرناه، والغفلة عن ملاحظته وشهوده في كل شيء بل شهوده ولا شيء معه.

فإن أول ما قال: لا إله إلا الله، شرَّفه الله تعالى بأن يقول: محمدٌ رسول الله، فظهر أن الرسالة إنما هي تعيينٌ من الله تعالى، ونحوها الخلافة المتوارثة بين أهل الطريقة، فإنها إنما تتعيَّن من الله تعالى، إما بلا واسطة وذلك نادرٌ، وإما بواسطة وهو الشيخ؛ لأنه صورة النبي ﷺ، فأمره أمرٌ من الله، ومن الرسولﷺ، فإنه تعالى قال: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فإن الرسول يدخل فيه ورثته من طريق الإشارة، ثم إن إثبات الأُلوهية ماض من أول دور السنبلة إلى آخره، وهي جمعة من جميع الآخرة.

وأما إثبات الرسالة المحمَّديَّة بخصوصها، فلا يجري إلا في الألف الأخير من السبعة، وقد يتحقَّق واحد من هذه الأمة المرحومة ببعض الأسرار، فيكون في حكم من عاش من أول الزمان إلى آخره، فيكون ورده في تلك المدة: لا إله إلا الله، وفي الألف الأخير: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

فانظر ما أشرف هذا المقام، فالعمر القصير قد يمدَّه الله ويبسطه، بحيث يستوعب الدهر، والله على ما يشاء قدير، فالآخر يحيط بالأول، والآخر دون الأول، وإن بعض الأولية سارية في الأزمنة كلها، ولذا عمل الشافعي بقوله أول الوقت: رضوان الله، فبكر بالصلوات غير المغرب، فاعرف هذا الشيء الجليل.

لا إله إلا الله

نفي الأُلوهية عن الغير يستلزم وحدة الوجود؛ لأنه إذا كان الإله متعددًا كان الوجود أيضًا كذلك، فصحَّ أن المعبود بالحق إله واحد، لا إله غيره، ولا وجود سوى وجوده، وهو سرُّ قول مَن قال: ليس في الدار غيره ديار.

ومَن ألحق هذا القائل بالنصارى فقد تنصَّر في المعنى؛ لأن من رضى لأخيه المؤمن ما رضي فقد اشترك فيه، وعلى ما ذكرنا يدور سرُّ قول مَن قال من الأكامل: (عقد الناس في الإله عقائد)، وأنا اعتقدت لجميع ما اعتقدوا.

فإن مراده ليس إثبات الشريك لله تعالى، بل إثبات أن الأشياء مظاهر الأسماء، فالأُلوهية ثابتة لله تعالى، وليست هذه النسبة لغيره، ومن نسبها إلى غيره ألحد وأشرك، ولم يعرف أن المسمَّى إذا كان واحدًا كانت الأسماء كلها خدامه، ومن

مظاهره بحسب المراتب، فالوزير اسمٌ من أسماء السلطان، ولا يلزم منه أن يكون السلطان متعددًا، فإن الوزارة مرتبة من مراتب السلطنة، وكذا الفتوى والقضاء.

فإن الاسم العليم الذي اتصف به المفتي، والقاضي الذي اتصف به الحاكم، كل واحد منهما من أسماء السلطان في الحقيقة، وإنما ظهر حكمهما في ملخصين مختلفين؛ إظهارًا للمراتب التي يقتضيها مرتبة السلطنة الجامعة، فكثرة الوجودات لا تغرنك، فإن تحتها وحدة إمَّا إضافية، وإمَّا حقيقية، وأردنا بالوحدة الإضافية التي تقتضيها كل كثرة، وبالحقيقة الوحدة التي تجمع الوحدات كلها، فالوزير مثلاً واحد بالنسبة إلى سائر المراتب، لكن مرتبة السلطنة التي وحدها وحدة حقيقية، تجمع وحدته ووحدة غيره، ونظيره أيضًا النواة، فإنها نواة واحدة حقيقية، وبدن الشجرة واحد إضافية، وكذا الأغصان كلها، وقد آل هذا التكثر إلى وجود الوحدة التي هي النواة في كل ثمرة.

فظهر أن كل ثمرةٍ مثمرة تحوي نواة نواة على حدة، ووحدة النواة الأولى هي وحدة كل نواة متفرعة على ذلك، فمن رأى بالنظر الظاهري ما رأى في ظاهر الشجرة إلا الكثرة، ومن نظر بالنظر الباطني ما رأى في باطن الشجرة إلا الوحدة، فإذا الوجود وجود واحد ظاهر في صورة الكثرة، كما إذا قام إنسان في بيتٍ من زجاجٍ، فإنه يرى من كل جانبٍ، مع أنه لا يقدح في وحدته، وعلى هذا سرٌّ التمثلات الواقعة من الروحانيين، فتلك التمثلات بمنـــزلة الظل لذي الظل، فالظل مع أنه يُرى اثنين، وليس الظل معه إلا في صورة الخيال.

وإنما قلنا في صورة الخيال؛ لأن الكون خيال، وهو حقٌّ في الحقيقة، يعني في مرتبته؛ لأنه من التجليات، ولا باطل في التجليات إلا الباطل الإضافي؛ إذ الباطل الحقيقي هو عدم الحض.

ومن هنا قال الحلاَّج: أنا الحق؛ لأنه رأى الحق في صورة الخلق، وذلك الظل في صورة الظل، فسجد، ومن آثار سجدته أنه أثبت إلهًا واحدًا، هو إلهية الظاهر، فهو: أي المتصور خارج من البين، وإنما الظاهر صورة العين، كشف الله عن بصائرنا وبصائركم الغبن، وحفظنا وإيَّاكم عن الرَّين.

وارد

الورقة النشافة غير مقبولة؛ لأن الكلمات الواقعة تُبطل، وتؤدي إلى بطلان المعاني المقصودة، فلا بُدَّ من النجابة؛ ليتطابق الإنسان وأجزاؤه في الخارج، وذلك أن نور التجلي في الأصل نور شعشعاني، فلا يضبطه الروح الإنساني إلا بكثافة الجسد، ولذا خلقه الله تعالى من العناصر الكثيفة.

فالجسد كالظل الذي على ظهر المرآة، فإنه لولاه لم تقبل المرآة صورة للطافتها، وهكذا الأوراق ونحوها، فهذا من أسرار الله تعالى في العالم، قل من اهتدى إليه من بني آدم، والله اللطيف الخبير الأعلم بما يشاء وأعلم.

وارد قبل صلاة عيد الفطر

ورد قبل صلاة العيد الفطر، وأنا في الجامع الأموي في الشام:

«**إن مَن لم يشهد الله، خسر الدنيا والآخرة**»(١)؛ والمراد الشهود المعنوي بالبصيرة.

أمَّا خُسران الدنيا: فلأن الشهود مبني على المعرفة الإلهية؛ إذ لا شهود للجاهل، ولو شهد لم يُعتدَّ به؛ لأنه غافل عن المشهود، كما إذا رأى أحد السلطان، وهو متنكر، فإنه لا يعرف أنه السلطان، فلا يزال يطلبه، ويشتهي رؤيته، ثم المعرفة الإلهية إنما تحصل في الدنيا إذ ما لم يحصل من الكمال في الدنيا لم يحصل في الآخرة.

فظهر أن مَن لا بصيرة له؛ لا معرفة له، ومَن لا معرفة له؛ فقد خسر الدنيا؛ لأن [التحصيلات] الأخروية مبنية على تحصيل تلك المعرفة، فمَن لا معرفة له؛ لا تجارة له ولا فائدة من عمره؛ وهو عين الخُسران.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام:١٢].

أي: بالكفر والمعصية والحجاب.

وأمَّا خُسران الآخرة: فلأنه إذا لم يكن له معرفة في الدنيا؛ لم يكن له شهود في الآخرة.

---

(١) لم أقف عليه.

فظهر أن الشهود: شهود في الدنيا بالبصيرة، وشهود في الآخرة بالبصر، والثاني مبني على الأول، وكذا الأول مبني على المعرفة الإلهية(١).

ولذا قالوا: ألذُّ الأشياء؛ معرفة الله تعالى مع أن ألذَّ الأشياء هو مشاهدة الجمال، وحالة الوصال لِما ان ذلك موقوف على المعرفة(٢).

---

(١) اعلم أن المشهود المحقق يقضي على المشاهد بالشهادة على المشهود؛ أنه من كونه مشهودًا بشهود محقق واحد؛ لكن هذه الشهادة شهادة حالية لا تعقُّلية؛ إذ لا تعقُّل في الشهود ولا تميز، وحصول هذا المشهودُ المحقَّق مشروطٌ بتوحُّدِ المشاهد من حيث توجُّهه، واستهلاك كثرته في وحدته الأولى، فإن الأولية في كل شيء هي الوحدة، والكثرة متعلِّقة في الرتبة الثانية.

ثم إن للمشاهد المحقق بعد التحقق بالمشهود المذكور والاتصال بالوحدة المشار إليها عودة ثانية من تلك الوحدة على مرتبة العلم الذي هو ثمرة ذلك المشهود من وجه، وفي هذه المرتبة العلمية تذكر نفسه، والتمييز المحكوم بثبوته في نفس الأمر القاضي بالتعدُّد؛ إذ المشهود لا يقضي بتعدُّد ولا يبقى للمشاهد ما يدرك نفسه أو غيره.

وإذا عرفت هذا وفهمته عرفت معنى قولي: التوحيد صفة الشهود، والتمييز من حكم العلم، وعرفت أن الحق سبحانه بأي اعتبار يُقال فيه أن علمه عين ذاته، وبأي اعتبار يُضاف عليه العلم في المرتبة الثانية من الذات الموصوفة بالأحدية، فافهم والمرشد الله.

(٢) قال الشيخ الأكبر قُدِّس سرَّه: (المعرفة محض الإيمان، ومشاهدة الإحسان) أي: المعرفة التي هي صفة للعارف باسم الله أحدية جمع الأسماء كلها الذي هو صاحب القلب الحاصل من رحمة الله ورأفته ولطفه في اصطلاح هذه الطائفة؛ لأن تعينات الأشياء في العلم **بالفيض الأقدس** ووجوداها بالفيض المقدس وكلاهما من الأسماء اللطفية الجمالية، **فهي محض الإيمان** الكامل بالله وصفاته وأفعاله، ومشاهدة الإحسان الوارد في الحديث النبوي حيث قال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، ومشاهدة أن يكون هذا عيانًا له لا علمًا واعتقادًا، أو محض الإيمان بمعنى الإيمان المحض أي الخالص المنـزه عن الشرك الخفي بأن لا يكون داخلاً في الذين تصدق عليهم الآية: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يوسف: ١٦٠]، وهو إيمان أهل القلوب الذين يعرفون بتقلب الحق في الصور بالتحول إليها، فلا ينكرونه في صورة من الصور، وأهل القلوب هم الذين يؤمنون بالله وحده؛ لأنه الغيب عندهم والبواقي من أركان الإيمان من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره ليست مما أمنوا به؛ لأن المؤمن به يجب أن يكون غائبًا والمذكورات غير غائبة عنهم؛ لأنهم يشاهدونها عيانًا فافهم، المؤمنون حقًا =

فظهر أن المعرفة في الأصل معرفة واحدة وهي معرفة الله تعالى المؤدِّية إلى الشهود في الدنيا؛ وهو الشهود الحجابي الباطني القلبي المؤدِّي إلى الشهود الكشفي الظاهري القالبي؛ لأن القلب يتصوَّر في الآخرة بصورة القالب، فيكون الشهود بالقلب والقالب جميعًا، وذلك للطافة الأبدان بلطافة العناصر والأركان بخلاف الأبدان الدنيوية، فإن العناصر فيها لا تخلو عن الكثافة، والحجاب.

ومصداقه أن الغيب إذا انكشف، وورد الموارد منه، فقد لا يسع القلب، ويرجع بعضه إلى ما بدأ منه، ولا يعرفه إلا أهل الذوق، ومن الله تلطيف العناصر، وترقيق الباطن والظاهر(١).

=

يؤمنون بكلّ شيءٍ، ولا ينكرون عن شيءٍ، والمعرفة هي العلم بالله الذي لا غاية له في العارفين يقفون عندها، فلا يزيد عليها بل شأن العارف في كلّ زمان يطلب الزيادة؛ لأنه كلما زاد علمه يستعد لعلم آخر فيقول: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه:١١٤]، فإذا حصل له ما يستعده يستعد لآخر أيضًا فيقول: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ وهكذا إلى ما لا يتناهى.

ولهذا قال قُدِّس سرَّه: (**المعرفة علم ألي، وكشف كلّي**) أي: المعرفة المذكورة علم ألّي أي: إلهي من تجلّي الحق تعالى ولا نهاية للتجلّي فلا نهاية للعلم، وأيضًا المعرفة كشف كلّي لا كشف فوقه؛ لأنه لا كشف فوق كشف العرفان، وقد مرَّ بحث الكشف تفصيلاً وتوضيحا ثم عَرَّف الشيخ بغير ما عرَّفه به سابقًا اعتناء بشأنه، وتنهيضًا للسالك الطالب القاصد للمسلك التام.

(١) قال الحكيم الترمذي: في تفاوت المعرفة والإيمان والتوحيد وما يشبه ذلك.

المعرفة إذا عرف الله بقلبه واطمأن إليه فاستقر قلبه، فهي معرفة، ومبدؤها من الله- تبارك اسمه والموحِّدون استوجبوا اسم العارف، إلا أنهم تفاوتوا في تصديقه بالعمل والخدمة، فأكثر وفاء بها أوفرهم حظًّا منها، وأخلصهم في ذلك أصدقهم.

وأمَّا كمال المعرفة، فإذا زالت المعرفة لم يبقَ معه شيء والخائف علي نفسه محمود؛ لأن النفاق عزل الإيمان.

ورد: «**والغيلان سحرة الجن**»، فكما أن الغيلان يسحرون الآدميين حتى يضلوهم عن الطريق في المفاوز، فكذلك النفاق يدخل من حيث بصائر الهدى حتى يضله، والسرور للمذنب والمطيع غرور؛ لأن المذنب لم ينكشف له الغطاء عن حكم الله ﷻ فيه، والمطيع لم ينكشف له عاقبته، فالسرور علي ماذا؟ هذا علي الأغلب، وقد يكون أن يتريه في بعض الحالات ما يرى من تدبير الله فيُسرُّ به، وإن

=

خاتمة الكتاب

حرَّره الفقير المذنب العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة ربه، الغفور الحاج حافظ محمد منيب من تلاميذ الشيخ علي المصري -غفر لهما ذنوبهما ولجميع المؤمنين والمؤمنات- سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف من الهجرة مَن له العزّ والسعادة والشرف(١).

=

كانت نفسه معه فقيرٌ مأمون في السرور.

وأمَّا ما ذكرت من حقائق الخصال التي ذكرت من الإيمان والتوحيد والاستغفار والحمد وما أشبه ذلك، فإنما يعرف حقائق هذه الأشياء أهلها، فإذا وصلوا إليها شهدت العقول لهم بتلك الحقائق، وعلامة حسن الاستماع أن يُفرغ فؤاده لقول القائل، وأن الله- تبارك وتعالي اسمه- صنع للموحِّدين صنعًا جميلاً أن قيَّد نفوسهم بحسن تخوُّف العقوبة وخوف العاقبة، فالمدبِّر والمطيع لن يخلو من ذنبٍ واحدٍ قد اقترفاه، فاستوجبا بذلك الذنب الواحد عقوبة، فطوي عنه خبر العقوبة في هذه الدار.

هذا قيَّدوا بهم عليهم العاقبة، حتى إذا أرادت النفس أن تنفسح في الأمل والرجاء للموحِّدين قيَّدها باتهام العاقبة، فالخوف أصلح للنفس، فإذا جمع الله لعبد الخوف والآخرين؛ فقد صانه وربط الأسد الذي في جوفه، فالصادقون في هذا المحل منه، والصدِّيقون كذلك خَوفهم أشد وأحزانهم أدوم، ثم إن لله خاصة من عبيده أعلى من الصدِّيقين، وهم أقل في أرضه من عدد الأصابع، قد احتشمت قلوبهم منه وبه، فهم أُسارى في قبضته، ولولا ذلك لهاموا، فهو يعللهم في قبضته بقصر الأمل.

وهو قول رسول الله ﷺ: «**إني لأرفع، فما أظن أن شفري يلتقيان حتى أُقبض**».

فهذا إنما يقصر أمله في القبضة، ولا يقدر علي هذا إلا هذه الطبقة، فهم أهل السرور بالله، وأهل تربية القبضة، يغذوهم بلطفه.

وهو قول رسول الله ﷺ: «إن لله عبادًا تحسبهم في عافية، وتمسيهم في عافية، وتغدوهم رحمته، نصرهم عن الأسقام والأمراض، وينأى بهم عن الذبح، كما ينأى أحدكم بكريمة إبله عن الذبح، يقبضهم علي فراشه، ويقسم لهم أجور الشهداء».

(١) قلت: تم بحمد الله وتوفيقه هذا العمل المبارك في الخامس عشر من شهر جمادى الأول من سنة ١٤٢٧ هـــ، بدارنا الحقيقة المحمدية لتحقيق تراث السادات الصوفية، وكتبه: أحمد فريد المزيدي الأكبري المصطفوي، القاهري (٠١٠١٤٦٣٠٢٧).

الصور النُّورانية الدَّقائق
المشاهدة بمرآة الحقائق

لشيخ الإسلام العلامة المفسر سيدي إسماعيل حقي البرسوي
المتوفى ١١٣٧ هـ

- صورة الإنسان الكامل.
- صورة البرزخ المثالي الذي بعد الموت وهو من عالم الابتلاء .
- صورة التجلي للنور الأحمدي.

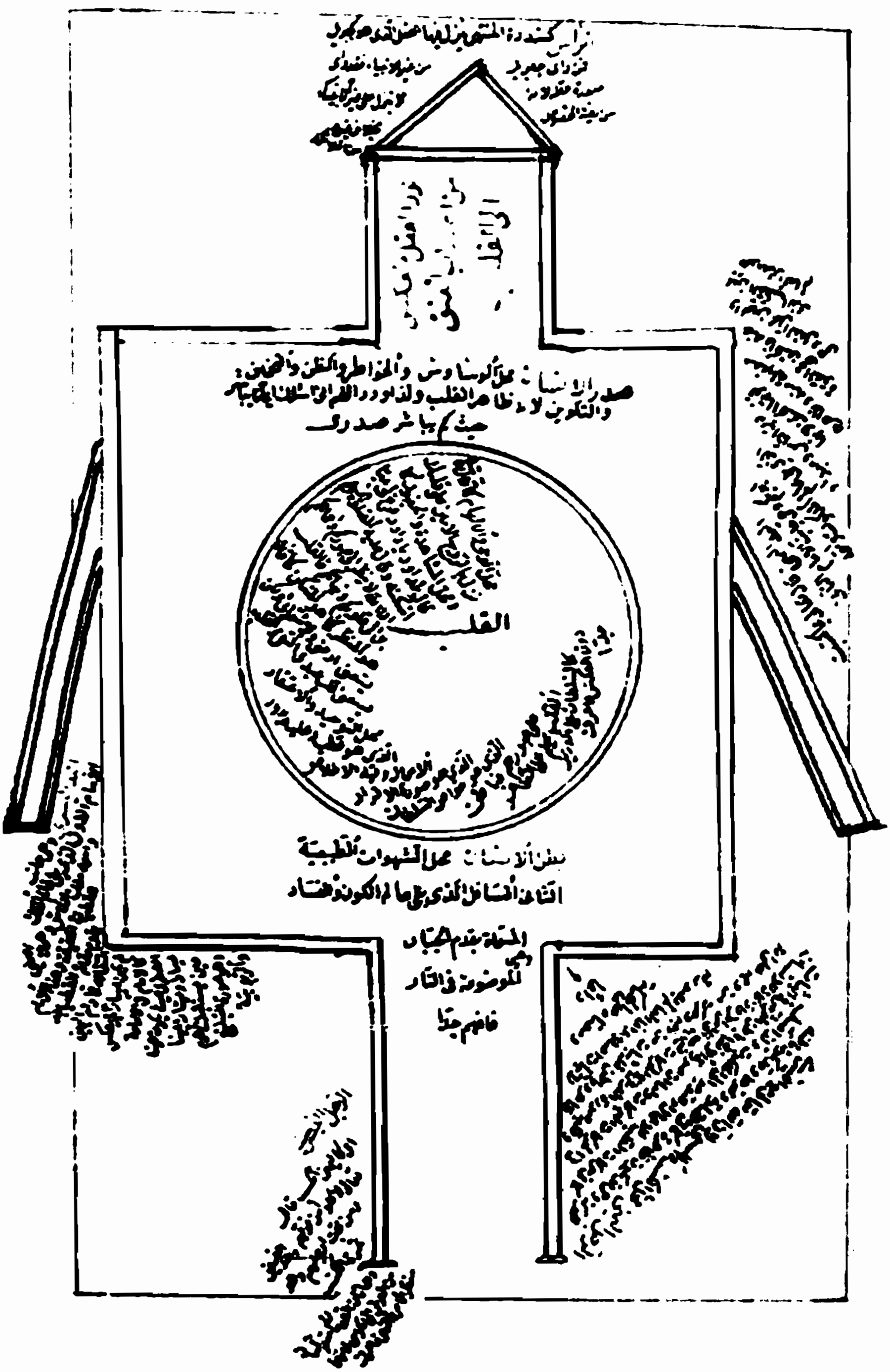

القلب
فافهم جدا

هذا بحر الأزل الذي انفصلت منه قطرات الأكوان الظاهر منه الأرواح والأجسام بحق الاسم النور ولا ابتلاء
في هذا العالم الأزلي إذ لا إيمان هناك ولا كفر وكذا عالم الأرواح بخلاف عالم الأجساد

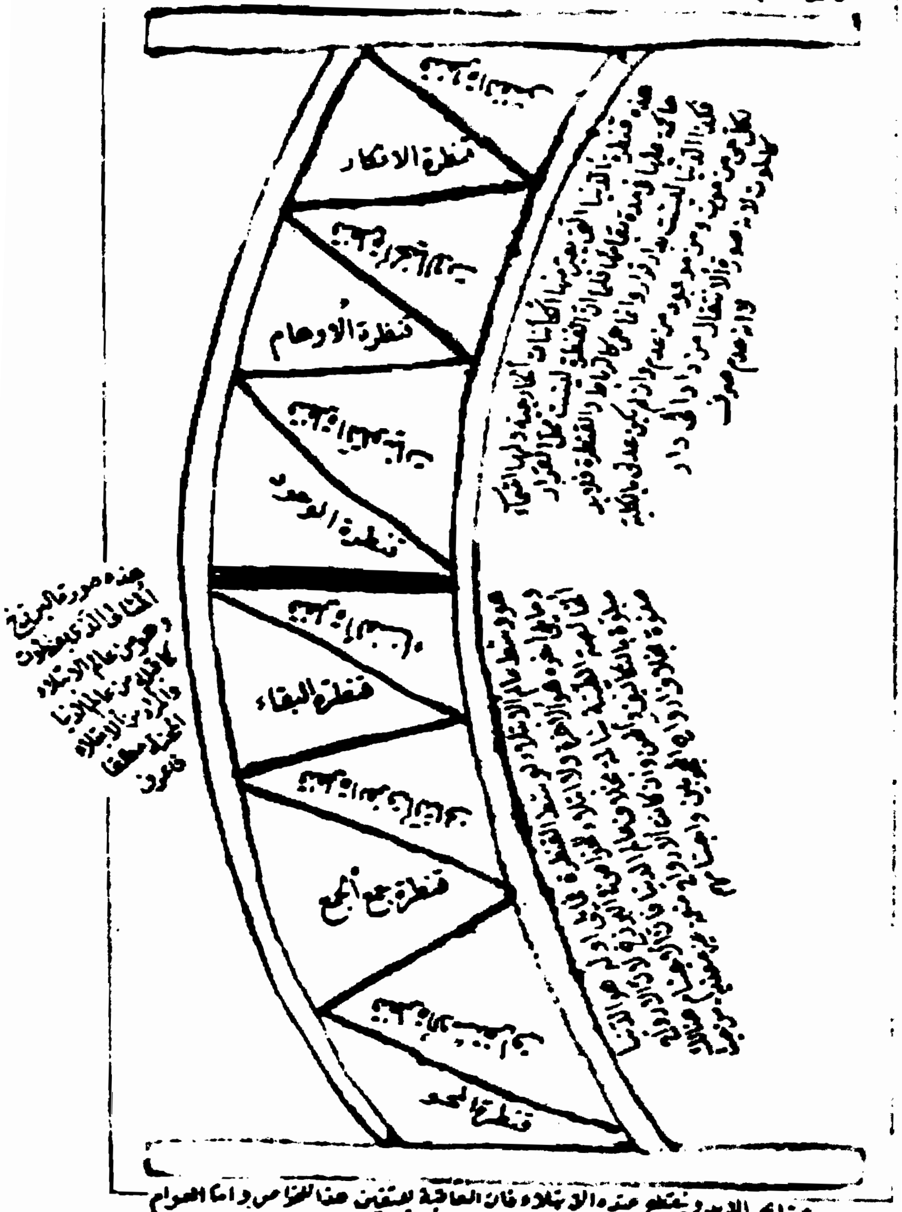

هذا بحر الأبد وينقطع عنده الابتلاء فإن العاقبة لتعين هنا الخواص وأما العوام
فقد يجتنون ببعضها لكن بقيتها حجاب

ظهرت هذه الصورة ليلة الجمعة الاولى من صفر
من سنة تسع وعشرين ومائة والف

الانسان الكامل

جل جلاله

لانه جليل بالجلال الله تعالى
لانه تعالى لاجله يجعله مظهر الاشياء
والتجليات والقاء عليه رداء
الكبرياء والجلالة فهو حق
فهو من اعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللطائف فيما جرى على لسان الشيخ عثمان من المعارف

بعض الكلمات الواقعة بين المصنف سيدي إسماعيل حقي وبين حضرة شيخه سيدي عثمان الفَضْلي الجلويّ

قال المصنف: اعلم أن لي زيارات كثيرة لحضرة الشيخ سأذكرها من الكلمات في هذا الفصل[1]، وهي كلمات الزيارات السبع الواقعة في أواخر عمره.

بعضها في بلدة «أدرنة».

وبعضها في القسطنطينة.

وبعضها في جزيرة قبرص حين كان منفيًّا في قلعة «ماغوسة» المشتملة هي عليها، فجاءت عدد الأسماء السبعة.

***

(١) أي: الفصل الأخير من مخطوط «تمام الفيض» للمصنف، وقد اقتطعت هذه اللطائف منه لتمام الفائدة والمعرفة، مع التهذيب اليسير ليحصل التيسير بفيض من الله العزيز القدير.

الزيارة الأولى

وقعت هذه الزيارة في بلدة «أدرنه»، وكان حضرة الشيخ مدعو من طرف السلطان محمد الرابع للوعظ والتذكير، وكنت وقتئذ في قصبة «استرومجة» من القصبات الرومية كما سبق تفصيلها فأرسل إليّ ورقةً فاستدعاني إلى أدرنه فلما قدمت مرضت من الحمى أيامًا لكثافة الهواء، فلم يتفق لي الصحبة على المراد لما أشير إليه بنقلي وهجرتي إلى بلدة «بروسة» أشار بالعود إلى القصبة، ونقل البيت منها إليها؛ ففعلت وحين مجتازي بـــ «أدرنه» أقمت عند حضرة الشيخ نحوًا من ثلاثة أشهر أقرأ عليه «الفصوص» كل يوم، وجرى بيننا كلمات من المراتب فما كان منها للسر سترته، وما كان بخلافه أبرزته وأظهرته كما قال في «المثنوي»:[....][1].

قال حضرة الشيخ: الحياة طبعها الحار، والعلم طبعه الرطب، الإرادة طبعها البارد، والقدرة طبعها اليابس فهذه الطبائع الأربع لها حكم وأثر في هذه الصفات والأسماء الإلهية عند أهل الحقائق، لكن الصفة التي طبعها الحرارة مثلها تشتمل على باقي الطبائع ولو بالقوة؛ فالحرارة في الحياة الظاهرة غالبة، والباقية باطنة مغلوبة، وكذا التي طبعها الرطوبة بالنسبة إلى باقي الطبائع، وعلى هذا قياس الآخرين، ولكون هذه التعينات مظاهر هذه الطبائع والصفات بحسب الغلبة، والعقل، والمغلوبية، والقوة جاءت مختلفة الآثار.

ألا ترى أن بعض الأولاد صورية أو معنوية جاء قابلاً مستعدًا لغلبة الحرارة والرطوبة في منشئه، وبعضهم بخلافه لغلبة البرودة واليبوسة فيها، وعين ما اقتضاه عينه الثانية، ولذا أظهر الله في هذه النشأة على ما هو عينه من الحال في عالم العلم، ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّه وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [البقرة:١١٧].

قال حضرة الشيخ: الألسنة ثلاثة: لسان ظاهر، ولسان حال، ولسان استعداد؛ فلسان الظاهر في الفم، وسؤاله السؤال اللفظي، ولسان الحال في الروح وسؤاله السؤال الروحي، ولسان الاستعدد في أعيان الثابتة وسؤاله السؤال الاستعدادي، فهذه مراتب الألسن، ومراتب الأسئلة، فلكل سؤال مقال.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ**﴾ [الحجر:٢١] وهي الأعيان الثابتة فلا يفيض شيء إلا منها، فارجع في سؤالك إلى عينك الثابتة؛ فإن

(١) كلام تركي.

كنت ممن وقف على سر القدر، وما سألت إلا ما اقتضيته، وإلا فما بعثك على السؤال إلا استعمال الطبيعي.

والمراد بالقدر هو القضاء الإلهي، والشأن الغيبي، ويسره ما اقتضته العين الثابتة.

قال حضرة الشيخ: إن الصور الحسية مظاهر الصور المثالية، وهي مظاهر المجردات، وهي مظاهر الصور العلمية، وهي مظاهر الأعيان الثابتة، وهي مظاهر الأسماء، وهي مظاهر الصفات، وهي مظاهر تجليات الذات الأحدية؛ فالحقيقة كانت جمعًا قبل هذه الآثار، وصارت فرقًا بعدها ثم كانت جمعًا في آدم عليه السلام؛ لأنه المظهر الكامل الجامع بين الجمال والجلال.

ثم كانت فرقًا في أولاده ألا ترى أن قابيل كان مظهر الجلال، وهابيل مظهر الجمال، ثم ظهرت الجمعية الأولى في شيث عليه السلام، ولذا جعله آدم عليه السلام وصيًّا.

فسنة الله مذ تجليه بأسمائه وصفاته إظهار الباطن، وإبطان الظاهر، إلى انتهاء العالم، فآدم هو الكون الجامع، وهو بمرتبة الذات الأحدية، وحواء بمرتبة الصفات، والأولاد بمرتبة الآثار، فالأثر يقع مرة جامعًا بين سوء الأبوين، ومرة فارقًا بعينه بأن تكون الغلبة في نشأته للذات أو الصفة، والجمال، والجلال، والذات الأحدية لها المرتبة العليا، والصفة لها الفضيلة العظمى، ومرتبة الجمع لها الجمعية الكبرى؛ فلآدم عليه السلام المرتبة العليا؛ لأنه بمنـــزلة الحمد لله، ولحواء الفضيلة العظمى؛ لأنها بمنـــزلة رب العالمين لتربية رحمها، وشرف الصفة أيضًا لا يخفى.

ولذا ذهب أهل الحقائق إلى أن المرأة وإن كانت عند أهل الشريعة ناقصة لا يصح الاقتداء بها لكنها عند أهل الحقيقة كاملة وإلى كمالها يشير قوله تعالى في قصة حفصة وعائشة -رضي الله عنهما: ﴿**وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ [التحريم:٤] حيث جعل الله تعالى نصرته، ونصرة جبريل، وصالح المؤمنين، والمقابلة تظاهر امرأتين، وهو من شواهد كمالها، وقدمها في الغاية.

قال حضرة الشيخ في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١] المثل عند أهل الظاهر زائد لئلا يستلزم وجود المثل له تعالى، وليس بزائد عند أهل الحقيقة، فإن الهاء إشارة إلى الهوية الذاتية، والمثل إشارة إلى التجلي الأول أي: تجلي حضرة الاسم الجامع جميع الأسماء والصفات؛ فإن أول مثال من هذه التمثلات آفاقية

ونفسية فالمعنى ليس كالتجلي الإلهي الذي هو أول التجليات شيء إذ هو محيط بكل التجليات الباقية المرتبة، وهي كلها تحت حيطه.

واعلم أن تعين التجلي الذاتي من الحضرة الإلهية لا من الذات الأحدية؛ فإنه لا رسم ولا اسم فيها.

قال حضرة الشيخ: ورد في القرآن:﴿**خلقت**﴾، و﴿**خلقنا**﴾، و﴿**جعلت**﴾، و﴿**جعلنا**﴾ بالإفراد والجمع.

وسرُّه: أن الإفراد بالنظر إلى الذات، والجمع بالنظر إلى الأسماء والصفات.

وقال حضرة الشيخ: الولاية المطلقة تختم بعيسى عليه السلام وعند ذلك يتسارع الفساد إلى عالم الكون لكن بقاء الكفار أيامًا بعد عيسى عليه السلام إنما هو لقرب مفارقة الكون من الروح الذي هو الإنسان الكامل.

ألا ترى أن الجسم يبقى أيامًا في القبر بعد مفارقة الروح لقرب عهد المفارقة، فالبقاء من تأثير الروح، ثم يتسارع إليه الفساد فيبلى يومًا فيومًا، وتنحل أجزاؤه إلى أن يصير كأن لم يكن شيئًا مذكورا، وأمرًا موجودًا معلومًا.

قال حضرة الشيخ: إن أبا بكر رضي الله عنه لما تصدق بجميع ماله في غزوة تبوك حين حث النبي عليه السلام الأصحاب على الصدقة، وتجهيز الجيش، وجاء النبي عليه السلام وليس عليه إلا سترة خَلقَة من السرة إلى الركبة، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ فقال: الله ورسوله**»، ثم جاء عمر وقد تصدق بنصف ماله، فقال له النبي ﷺ ما قال لأبي بكر، فقال عمر: أبقيت نصفه، فقال عليه السلام: «**ما بينكما كما بين كلاميكما**»[(١)].

ومنه يُعرف فضل أبي بكر رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه لكن الفاضلية من وجه آخر ألا ترى أن أسارى بدر رأى أبو بكر فيهم أخذُ الفدية منهم والإطلاق، ورأي عمر فيهم ضرب رقابهم فأنــزل الله الآية موافقة لرأي عمر وهو قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ** ﴾ [الأنفال:٦٧] فظهر من هذا الوجه فضل عمر على أبي بكر، ومن هذا الباب قصة تأبير النخل، فانظر التقدم والتأخر في رتب العلم بالله لا في الكشف والكرامات الكونية، وإصابة الرأي في

(١) رواه أبو داود (١٤٢٩)، والترمذي (٣٦٠٨)، والدارمي (١٦٠١).

الأمور، وظهور الفراسات.

أقول: العلم بالله أعلى من كل كشف وكرامة، ويكفيه شرفًا للولي سواء صدر منه خارقا للعادة أم لا؛ فإن صدوره ليس من وظائف الولاية، وأكثر ما يصدر من أهل البرازخ، ومن هنا يقع لهم اليقين من جهة العامة لمكان المناسبة بينهم ولو في الجملة بخلاف العلماء بالله أهل الفناء؛ فإنهم لما انقطعوا عن علاقة كل اسم ووصف، وتجاوزوا عن حد الجمهور، ومجانستهم انقطعت العلاقة بينهم وبين العامة، فإن اتفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال.

قال الشيخ: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فأخذت أمص من فيه ﷺ حتى شبعت، قال: فبينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ إذ طائفة من الهرات وبجنبها طائفة من الكلاب فأخذت الهرات تشير بأيديها إلى كلمة الشهادة، والكلاب ساكتة، فعرفت منه سر قوله ﷺ: «**حُب الهرة من الإيمان**»[1] وسر إخراج الكلب من البيت، وعدم الاعتناء به؛ لأنه ظهر منه أن الهرة مؤمنة بالله وبرسوله ﷺ ولذا كان حبها من الإيمان؛ لأن حب المؤمن من الإيمان، وأن الكلب خلاف ذلك، ولذا أمر بالكراهة، وعدم الحب؛ لأن بعض أهل البدعة والكفر أيضًا.

قال حضرة الشيخ: أهل الدعوى وهم المتشيخون سوف يغشيهم الحياء يوم تُبلى السرائر، ويرهق وجوههم قترٌ وذلة؛ فإنه لا معنى لادعاء التحقيق بما ليس له.

قال: انظر إلى كلمات حضرة الشيخ الهدائي -قدس سره: حيث لا دعوى أصلاً، ولا رائحة إلا نية قطعًا، وقد كفي الله مؤنة الإظهار في حق الأخيار من غير دعوى وإقرار.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾ [البقرة:١٢٤] ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ**﴾ [ص:٢٦] فما عرف من عرف إلا إظهار الله وعلائمه.

قلت: ما معنى قول الهدائي في بعض إلهياته التركية:[...][2].

قال: هو ليس بدعوى بل هو كالشرط والجزاء، والمراد هو الجسد فكما أن الميت المقبور في لحده قد فنى ذاته وأفعاله وصفاته فلا يصدر منه لفظ ولا ينبئ عن

---

(١) ذكره علي القاري في «المصنوع» (١/٩١)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/٤١٥).

(٢) كلام تركي.

شيء فكذا الحي المقبور في جسده، وهو الذي مات بالاختيار قبل الموت الاضطراري ولم يبق له أثر من ذاته وصفاته وأفعاله، بل وصل إلى عالم المحو والمحق، لكن لما أخذ الله منه الفناء أعطى بدله البقاء، فذهبت الحياة الحيوانية، وجاءت الحياة الحقانية، وفي اعتبار الوجود، وبقي الوجود عين الجود، وانطمس آثار الصفات البشرية النفسانية، وتجلت أنوار الكمالات [الربانية].

قال حضرة الشيخ: ينبغي للعارف أن ينظر إلى الخلق بنظر الجمع والتوحيد، وإلى نفسه بنظر الفرق والشريعة، فإذا فعل ذلك سلم من المكر، والأذى؛ فإن هذا النظر يمنعه عن الإطالة، فيسلم الناس من لسانه ويده، وينظرون أيضًا إلى فرقته وشريعه فيسلمون من الاعتراض، فيحصل النفع لكلا الجانبين، هذا مما ينبغي أن يحفظ بين أرباب الطريقة.

قال حضرة الشيخ في قول حضرة الشيخ الشهير بـ اقتادة - قدس سره- في بعض إلهياته التركية: [أهل عرفان ديديلرسن جقما ينجه اره دن بلمزسن كيمدد كندنى ينهان ايلين][1].

المراد بقوله: «سن» الإضافة إلى الكون، والمراد من قوله: «جقما ينجه» إسقاط تلك الإضافة؛ لأن التوحيد إسقاط الإضافات مطلقًا وجودًا وذاتًا، وصفةً وفعلاً، فافهم.

وأيضًا المراد بقوله: «سن» هو النسيان كما هو مذكور فيه بطريق التضمن، وهو برزخ بينك وبين المعرفة، فإذا خرج من البين ظهر العين وانفتح العين وارتفع العين، وليس للعبد حجاب غير الغفلة والنسيان.

قال حضرة الشيخ: الجمع في قوله: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾ [آل عمران:٥٤] هم مظاهر الأسماء الجزئية، وجملة هذه تحت حيط اسم الله؛ فمكر الله غالب؛ لأنه يحيط ويحير؛ لأنه يمكر من حيث لا يدري الممكور، والممكور يمكر ولا يدري أنه يأخذ ذلك المكر من الماكر الحقيقي فأين هذا من ذلك!

قال حضرة الشيخ: التوحيد جحود في الحقيقة وإنكار؛ لأن توحيده سبحانه يوهم أن يكون له شريك ونظير وليس الأمر كذلك، فالنفي في كلمة:(لا إله إلاَّ الله) نفي الموجود المتوهم من الكثرات، أما في نفس الأمر فلا نفي ولا إثبات، ورأى

(١) كلام تركي.

بعض أحباب حضرة الشيخ في المنام حضرة الهدائي فقال له: إن قولنا (لا) بالنسبة إلى عالم الفرق، فليس له أي: لـ«لا» وجود في الحقيقة؛ لأن النفي متوهم.

قال حضرة الشيخ: النفس مطية كل سالك، وحق المطية أن يُعطي علفها في الليل والنهار بعد قطع الطريق في النهار، وكذا النفس يُعطي حظها من الغذاء على الاعتدال في الليل والنهار بعد الإمساك في النهار.

فالمطية الأولى تقطع الطريق الصوري على أقدام الصورة فتصل إلى المنزل.

والمطية الثانية تقطع الطريق المعنوي على أقدام المعنوي فتصل إلى المطلوب، فلا بدَّ من الحركة؛ فإن الفرق في السكون.

كنت عند حضرة الشيخ في ساحل النهر في دار السلطان محمد الرابع قبيل المغرب، وكان مدعوًا للوعظ والتذكير، فقلت: الحمد لله على أنه ليس لي رائحة لدعوى أصلاً وإنما بضاعتي الآن العجز والافتقار.

فقال حضرة الشيخ: نعوذ بالله من النفس ودعواها الجلية والخفية، فتفطنت على الفور أن في كلامه هذا نوعًا من التأديب لي خفيًّا، وذلك لأن مكر النفس وحيلها أخفى من دبيب النمل على الصخرة الصماء، فالدعوى عدم الدعوى، و«القول ما قالت حذام» (١).

قال حضرة الشيخ: من عرف نفسه من حيث إنه إجمال لتفصيل العالم، وفيه ما فيه، وعرف أن الأكوان صور الأسماء الإلهية عبارة عن الذات المطلقة عرف ربه عرفانًا لا يتداخله وهم ولا خيال، ولا يعتريه شرك ولا ضلال.

وقال حضرة الشيخ: التلوين تلوينان: تلوين قبل التحقيق وهو تلوين أهل الحجاب، وتلوين بعد التحقيق وهو تلوين أهل الكشف.

والتمكين أيضًا تمكينان: تمكين في التحقيق بعد التلوين وهو تمكين أهل الفناء، وتمكين في التلوين بعد التحقيق وهو تمكين أهل البقاء.

قال حضرة الشيخ: إن المريد في الشريعة من لا إرادة له؛ لأن الشريعة تثبت الإرادة لغير الله تعالى، والمريد في الحقيقة من لا إرادة له لأن الحقيقة في الباطن، وأثبت ما أثبتته الشريعة في الظاهر، ونفي ما نفته الحقيقة في الباطن حتى يكون عبدًا معتدلاً متوسطًا على مشرب الأنبياء العظام، ومذهب الأولياء الكرام من السابقين

---

(١) انظر: جمهرة الأمثال (١١٣١)، والمستقصي (٤٧٣).

المقربين، لكن اجتهد في أن تكون مريدًا في الحقيقة فانيًا عن إرادة الدنيا والعقبى مطلقًا حتى تكون عبدًا مخلصًا وفانيًا عن إرادة المولى حتى تكون عبدا مخلَصًا بالفتح، فإذا كنت كذلك كنت عبدًا حقًا مطلقًا حرًّا عن الرق جميعًا معدومًا بنفسه، موجودًا بربه، وكيلاً له ربه في الإرادة مطلقًا، يريد له ربه الدنيا والعقبى والمولى ،ويحصل له الكل بلا احتمال هلاك، ولا خطر، ومن كان كذا فأولئك هم المفلحون الفائزون الناجون مطلقًا، وهم الخالصون المخلصون ﴿أَلاَ للَّه الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر:٣] ﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥] وهم الذين ورد فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢].

قال حضرة الشيخ: إن إبراهيم عليه السلام له التحقق بجميع مراتب التوحيد من الأفعال، والصفات، والذات، وذلك؛ لأن الحجب الكلية ثلاث هي: المال والولد والبدن، فتوحيد الأفعال إنما يحصل بالفناء عن المال، وتوحيد الصفات بالفناء عن الولد، وتوحيد الذات بالفناء عن الجسم والروح، فتلك الحجب على الترتيب بمقابلة هذه المقامات عن التوحيد، فأخذ الله عن إبراهيم المال تحقيقا للتوحيد الأول، وابتلاه بذبح الولد تحقيقًا للتوحيد الثاني، وبجسم الروحي حين رمى به في نار نمرود تحقيقًا للتوحيد الثالث؛ فظهر من هذا كله فناؤه في الله، وبقاؤه بالله.

قال: واستلام الغنم أقوى من استلام سائر الحيوانات، وكذا كان الكبش فداء إسماعيل عليه السلام، ولذا أيضًا من رأى في المنام شاة من أرباب النهاية والوصول فرؤياه تدل على كمال الانقياد والتسليم، ومن رآها من أرباب البداية، فذلك يدل على حال الطبيعة والشهوة؛ لأن الطبيعة غالبة في الشاة، ومن رآها من أرباب التوسط؛ فإن أردت أن يحصل له الترقي والانجذاب إلى ما فوق مرتبته فعبرها بالاستلام، وإن أردت أن يحصل له الطهارة والتزكية فعبرها بالطبيعة.

ومثل هذا من اللطائف الجارية بين المريد والمرشد فشاء المريد الاستلام التام لشيخه كاستلام الشاة للذبح حتى ينال الفيض والحياة الحقانية.

قال حضرة الشيخ: جميع الأطعمة والأشربة يعبر بما هو كثيف ولطيف، فالكثيف إشارة إلى العلم الظاهر؛ لأنه مكون كالقشر من اللب كثيف، واللطيف والألطف إشارة إلى العلم الباطن؛ لأنه كاللب من القشر لطيف، ووجه التعبير بذلك هو أن الأغذية الجسمانية تقوي البدن على الأعمال والطاعات.

والأغذية الروحانية تقوى القلب والروح على التوجه إلى حضرة الذات.

والعلم الصوري كالغذاء الجسماني من حيث إن نفعه في ظواهر الأحكام.

والعلم الحقيقي كالغذاء الروحاني من أن نفعه في بواطن الأمور، فشرب اللبن في المنام بالنسبة إلى علماء الرسوم يعبر بزيادة العلم من حيث الظاهر، وبالنسبة إلى علماء الحقيقة يعبر بزيادة من حيث الباطن، ويعبر النفس اللبن بالنسبة إلى الطائفة الأولى، والزائد المشتمل هو عليه بالنسبة إلى الثانية.

قال حضرة الشيخ في قوله تعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا**﴾ [الحديد:٢٧]: إن السنن النبوية مستنبطة عن الكتاب، وسنن أهل الولاية من السنة، والمقصود من الكل استكمال النفس علمًا وعملاً.

فإن قلت: ما وجه الزيادات الصادرة من مشايخ الطريقة؟

قلت: لأنه لما تباعد العهد منه ﷺ بعدت الأفهام عن درك الحق، وتضاعفت الحجب، وقست القلوب، وضعفت الاستعدادات، فزادوا هذه الزيادات عونًا للضعفاء على تحصيل مطالبهم، وإرشادا إلى ابتغاء الوسيلة بحسب المراتب، وما فعلوها من عند أنفسهم بل بإلهام الله تعالى، ولذا قال بعض الكبار: ما يصدر عن الواصل من الأفعال شريعة، وكذا الباقي فاعتبروا حفظ الإجمال لتنقل منه إلى تفصيل الحال.

قال حضرة الشيخ: المرئي في المرآة هو الوجود الظلي، والمرآة مجلاة، لكن الوجود الظلي أيضًا مرآة لحال المرآة من الاستدارة والاستطالة وغيرهما، فكما أن الوجود الظلي لا يدرى إلا في المرآة، فكذا لا يشاهد حال المرآة إلا في الوجود الظلي، ومن هنا قال العلماء بالله: إن الأكوان مرائي للوجود الظلي للأعيان الثابتة، فلا يشاهد فيها إلا ظل تلك الأعيان.

وكذا الموجودات الظلية مرائي للأكوان فلا تعطي إلا حالها وصورها، والوجود واحد في كل مظهر، لكن بحسب الرائي تختلف الأحوال فاختلافها لا يستلزم اختلاف الوجود، فكل من الوجود الظلي ومرائي خيال معدوم في حد ذاته كالمرآة والمرآة فيها، وإنما الوجود الحقيقي للأعيان بل للذات الأحدية فافهم.

ولا يتوهم أن الوجود قد انتقل من الأعيان إلى الأكوان والمرائي هو الوجود

الحقيقي؛ فإن الأعيان على ما كانت عليه، وليس في البين إلا الظل والخيال.

وقال حضرة الشيخ: أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكانت مدتها ستة أشهر على ما هو أدنى مدة الحمل، ثم جاء الملك فعبر عن المثال المقيد إلى المثال المطلق، ولذا نقول: إن تعبير الرؤيا إنما هو في النفس الأمارة واللوامة، فإذا وصل السالك إلى المهمة قل احتياجه إلى التعبير؛ لأنه حينئذ يكون ملهمًا من عند الله كما هو صريح قوله تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس:٨] فمرتبة الإلهام له كرتبة مجيء الملك للرسول عليه السلام.

ويقال لعالم الرؤيا: عالم المثال المقيد بالنوم لتمثل الأشياء فيه، ويطلق على عالم الأرواح أيضًا لكنه لطيف بالنسبة إليه، كما أنه لطيف بالإضافة إلى عالم الأجسام.

واعلم أن الخيال هو في لسان القوم هو الحقيقة، فالخيال المطلق، والمثال المطلق شيء واحد، وهو ما تراه في اليقظة بالبصر، وهو العرش وما دونه من العناصر والمواليد، وكذا الخيال المقيد والمثال أمر واحد وهو عالم المنام وعالم الانسلاخ وعالم البرزخ، والانسلاخ قرن المنام في الرتبة؛ فإنه حال الكُمَّل.

ثم كان رسول الله ﷺ لا يأخذ الوحي إلا في حضرة الخيال المطلق أو المقيد بالانسلاخ، إلا أنه لا يبقى لأهل الانسلاخ إحساس لمعنى عنده أصلاً، ويعرض لجسده فتور، فإذا تم الأمر رجع إلى حاله وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ**﴾ [البقرة:٢٤٥] فالقبض إشارة إلى الانسلاخ، والبسط إلى العود إلى الحياة الأولى، فإذا قبضه بالانسلاخ بسط في حضرة المثال القيد، وإذا بسط بالرجوع قبضه في حضرة المثال المطلق، أو نقول: يقبضه من المثال المطلق، ويبسط في القيد، ويقبض في القيد، ويبسط في المطلق.

سألت حضرة الشيخ عن التوفيق بين قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:٥٦] وبين قوله: ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ**﴾ [الملك: ٢٢] الآية.

فأفاد أن الأول إطلاقي حقيقي، والثاني تقييدي إضافي بالماشي مكبًّا على وجهه على صراط مستقيم في الحقيقة، يمشى به ربه إلى غاية ما، وإن كان في الصورة على الضالية دون الاستقامة.

والحاصل أن الفرق يعتبر الضلال، والجمع يرفع الإشكال، والأول بحسب البداية، والثاني بحسب النهاية، ولا يلزم من الضلالة في البداية عدم الهداية في النهاية، فإن البداية والنهاية واحدة، كما أشار إليه قوله:«**سبقت رحمتي غضبي**»(١).

وقول حضرة الشيخ الهدائي في بعض الإلهيات التركية: [...](٢) وفيه تفصيل عجيب يحال على الذوق، فافهم، واثبت على الصراط المستقيم، ولا تكن من المكبين على وجوههم، واعتبروا الضلال ضلالاً، والهدى هدى؛ فإن الشريعة هادية إلى كل منهما، وإياك وسوء الظن في حق الصوفية؛ فإن مقالاتهم تحصيل معاني لا تدرك بالعقول، وإن كانت مستنبطة من النقول، والله الهادي، وعليه اعتمادي واستنادي.

قال حضرة الشيخ في قوله ﷺ: «**إن الله فرد يحب الفرد**»(٣): إن مقام الفردية يقتضي التثليث، فهو ذات وصفة وفعل، وأمر الإيجاد يبتني على ذلك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [النحل: ٤٠] إرادة وقولا، والقول بعد الإعلان باللقاء، فليس عند الحقيقة هناك قول، وإنما هو لقاء الموجِد -اسم فاعل- بالموجَد -اسم مفعول- وسريان هويته إليه، وظهور صفته وفعله فيه، فافهم هذه الدقة، فإنها إرادة عن مقام الحقيقة.

قال حضرة الشيخ: إذا قلت: **لا إله إلا الله**، فشاهد بالشهود الحقاني فناء أفعال الخلق، وصفاتهم، وذواتهم في أفعال الحق سبحانه، وصفاته، وذاته وهذا مقتضى الجمع والأحدية، وتلك الكلمة في الحقيقة إشارة إلى هذه المرتبة.

وإذا قلت: **محمد رسول الله** فشاهد بالشهود الحقاني أيضًا بقاء بأفعالهم وصفاتهم وذواتهم بأفعاله تعالى وصفاته وذاته، وهذا مقتضى الفرق والواحدية، وتلك الكلمة أيضًا في الحقيقة إشارة إلى هذه المرتبة، فإذا كان توحيد العبد على هذه المشاهدة فلا جرم أن توحيده يكون توحيدًا حقيقيًا حقانيًا لا رسميًا نفسانيًا، وفي تحت هذه العبارة من الإشارات الخفية ما لا تعد ولا تحصى، هدانا الله وإياكم إلى فتحها وذوقها.

وقال حضرة الشيخ في قول الهدائي- قدس سره - في بعض إلهياته التركية:

---

(١) رواه البخاري (٦٩٩٨)، ومسلم (٤٩٤٠).

(٢) كلام تركي.

(٣) ذكره المصنف في تفسيره (٢٥/٧)، (٤٢١/١١).

[غالب اولوب حب وطن، وحدت دیارنه کیدن، صيغمز ارایه جان وتن سريله سیرایتمك كرك] (١) المراد بلفظ «جان»: عالم الأرواح، وبلفظ «تن»: عالم الأشباح، وبلفظ «السر»: عالم الأمر الإلهي الذي يقابل الخلق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٤] أشباح من الأجسام لكثافتهما بالنسبة إليه فلا يمكن سيره والدخول فيه إلا بعين السر أو القدم، فلا يصل إلى اللطيف إلا الألطف.

قال حضرة الشيخ: الليل إشارة إلى النفس الأمارة، والصبح الصادق إلى اللوامة، والإسفار جدًّا إلى الملهمة، وطلوع الشمس إلى المطمئنة.

وآية الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣].

وآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢].

وآية الثالثة قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ [الشمس:٨].

وآية الرابعة قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧].

ولا يصل السالك إلى مرتبة النفس المطمئنة إلا بعد التجلي اليقيني الذي هو كطلوع الشمس، فكما عند طلوعها لا يبقى أثر من ظلمة الليل أصلاً فكذا عند التجلي العيني لا يبقى أثر من ظلمة النفس جدًّا بل تنكشف الحقيقة كما هي، وتطمئن النفس اطمئنانًا تامًّا كما قال عليّ -كرم الله وجهه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا»(٢) وذلك؛ لأن غطاء الكثرة لا يحجب الواصل عن مشاهدة الواحدة؛ لأنه قيامه دائمًا، وأنه يرى عرش الرحمن بارزًا، والنعيم والجحيم ظاهرًا، فالتجلي العيني يعطى هذا الكشف والشهود بخلاف التجلي العلمي؛ فإن له برازخ كثيرة، وصاحبه لا يأمن العاقبة؛ لأنه لم يتخلص من ظلمة ليل النفس **قطعًا** فله بقية النفس مطلقًا، وإذا تيقنت هذا، فاعلم أن سلوك الأنبياء -عليهم السلام- النفس المطمئنة إذ آخر مراتب الولاية أول مقامات النبوة، ولا يكون الولي وليًّا إلا بعد التجلي العيني، وهو مرتبة النفس المطمئنة، وهذا لا ينافي أن تكون نفوسهم أمارة بالقوة.

ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]،

---

(١) كلام تركي.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/٢٠٣)، وذكره علي القاري في «المصنوع» (١/١٤٩).

وقول نبينا عليه السلام: «**فإن شيطاني قد أسلم**»[(١)] وكل منهما قرين الآخر.

أقول: زلت في هذا أقدام أكثر السلاك، ويؤيد ما ذكرنا ما في «التأويلات النجمية» عند قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ [آل عمران:١٥٩] وهو أن النفس أمارة بالسوء، وإن كانت نفس الأنبياء -عليهم السلام- انتهى.

وكذا قول المولى الجامي في قوله تعالى:﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ [الفرقان:٧٠] يعني: في الحكم؛ فإن الأعيان أنفسها لا تتبدل، ولكن تنقلب أحكامها، انتهى.

أي: كما ينقلب النحاس عن النحاسية إلى الفضية، والفضة منها إلى الذهبية بعلم الإكسير والعين واحدة، ومن فهم هنا رزق علمًا كثيرًا، هذا، ولا مراء مع أهل المرية، وليس وراء عبادته قربة.

قال حضرة الشيخ: الكامل الواصل إلى الله الفاني والباقي به مجرد عن كل لباس ومع ذلك فهو عند أهل لباس جسمانيين أو روحانيين، وهو التفاوت الحقيقي الذي صاحبه في الدرجة العليا من الجنة، كما أن صاحب النفاق الأصغر الحجازي في الدرك الأسفل من النار، وبين رفيع الدرجات وخفيض الدركات تقابل تام.

فإن قلت: ما معنى النفاق الحقيقي؟

قلت: إظهار الوجود المختلفة للتعينات المتكثرة بحسب نشأته، وإحاطة أسمائه وصفاته كما أن النفاق الشرعي إظهار الإيمان بوجه آخر.

قال حضرة الشيخ في قوله تعالى: ﴿**فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً**﴾: إن الله تعالى كان عنده، وهو وكيله، وخليفته في جميع أموره مما يأتي به ويذر، ومقتضى آداب العبودية أن يترك التصرف لله تعالى، ولا يتحرك بهمته إلى شيء لا إلى جانب وجوده، ولا إلى جانب عدمه، فاشتغال بعض الرجال بالاسم القهار مثلاً لحصول بعض آثار القهر كهلاك شخص ومرضه ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة، والمطالب النفسانية ذهول عن حقيقة الأمر، ونزاع الملك، والعياذ بالله تعالى.

أقول: اتفق لي مرة في دار السلطنة القسطنطينية أن أجلس مجلس الوعظ في مجمع عظيم من مشايخ وفيهم حضرة الشيخ فصدر مني كلمات زاجرة تكلم منها النفوس والقلوب القاسية، فتألم منها بعض أهل الدعوى من الشيوخ الذين لهم

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٣٣١).

الشهرة التامة الكاذبة.

وقال: أما يخاف هذا الواعظ الشاب وله شيبة من توجهنا المستأصل له، فبلغني ذلك منه.

فقلت: ما أخاف؛ فإن المحيي والمميت هو الله، ودمر الله الباطل منا، فلم يلبث الخبيث كثيرًا حتى نفاه السلطان محمد الرابع بعد أن أراد قتله لكلمات كفرية صدرت منه ثم اهلكه الله، ودفع ابتلاء الناس به فإنه كان قد أفسد قلوب كثير من المسلمين.

قال حضرة الشيخ في القول الشهير: «من لم يؤدبه الأبوان أدبه الملوان»: الليل بمثابة الأم كما قيل: الليلة حبلى، والنهار بمنـــزلة الأب، فالليلة كأنها حاملة، فإذا أصبحنا فكأنها ولدتنا، وسلمنا إلى تربية النهار، فلا يزال المرء يتقلب في نهاره على أنواع من التربية إلى مجيء الليل، فمن لم يؤدبه أبواه في الليل والنهار يؤدبه الحق فيما يقتضي الجمال والجلال.

سأل المولى خليل الشهير بـــ«عرب زاده» من علماء بلدة «أدرنة»: لم كان الكمال الملكي حضوريًا، وحصوله وقعيًّا خلقيًّا لا مكتسبًا والكمال الإنساني تدريجيًا اكتسابيًّا؟

فأجاب حضرة الشيخ: بأن كمال الإنسان بجميع الجمال والجلال، دون كمال غيره، وأسماء الله تعالى إما جمالية متعلقة باللطف، وإما جلالية متعلقة بالقهر، وظهور أحكام الأسماء في الإنسان الكامل تدريجي لا دفعي ألا ترى أن الله تعالى لما تعرف لآدم بالإيجاد ناداه: «يا قدير» ثم تعرف له بتخصيص الإرادة، فناداه:«يا مريد»، وهكذا فكمال الإنسان كمال تدريجي يعني بالنسبة إلى النشأة العنصرية دفعي بالاعتبار إلى النشأة الروحانية، ومنه يعرف كون العلم حضوريًّا وحصوليًّا؛ فإن كونه حضوريًا بالنسبة إلى مرتبة الروح، وكونه حصوليًّا بالنسبة إلى مرتبة الجسم، وإلى الأول يشير قوله تعالى حكاية عن إقرار العبودية: ﴿**قَالُوا بَلَى**﴾.

قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة :٣١]؛ فإن هذا التعليم تذكير لما نسبه بعد تعلق الروح ببدنه ونـــزوله من عالم الأمر إلى عالم الخلق، فالعلم والكمال موجود بالفعل في الروح بالنسبة الأولى، وبالقوة بالنسبة الثانية، وبالكسب يتوصل إلى إخراجه بالقوة إلى الفعل.

ثم سأل: لماذا يطلق على النطفة الملقاة في الرحم نفسها جنينًا؟

فأجاب حضرة الشيخ: بأن من أسمائه حينئذ الأحد الجامع، والظاهر، والخالق، والباري وغيرها مما يناسب لتعينها، ونعني بالنطفة ما فيها من المادة الإنسانية قدر خردلة؛ فإن تلك الحبة هي التي يحصل منها العلوق، ولولا ذلك في أجزاء النطفة ما تكون الولد، وكذا عجب الذنب، وهو جزء من الأجزاء الإنسانية قدر خردلة بل أصغر لا يبلى ولا يفنى، وإن فنى سائر الأجزاء، ومنه يبدأ التركيب في النشأة الآخرة؛ فسبحان القادر القوي أنشأ الإنسان في النشأتين من جزء لا يتجزأ إشارة إلى أحديته، وتطبيقًا للآخر بالأول.

وإلى هذه الحبة إشارة في قوله تعالى:«**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف**»[1] فإن لفظ «**حببت**» مشتمل على الحبة، ونفي بالحبة ذلك الجزء قدر أصغر خردلة.

قال حضرة الشيخ: المعرفة والمحبة يتفاضل أحدهما على الآخر بالاعتبار، فبينهما فرق، وذلك أن المعرفة بحسب التنزل الرحماني كما يشير إليه قوله:«**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف**»[2] «قوله» تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] «لي» تفسيره بـــ «يعرفون»؛ فكونه تعالى معروفًا باعثًا للمحبة، وعلة غائبة للخلق، والمحبة باعتبار الترقي الإنساني، وكون المرء عبدًا حقًا، ولذا كان رسول الله ﷺ حبيب الله فلا رتبة فوق كون العبد محبوبًا لأن المحبة باعتبار الفناء، والمحبوب باعتبار البقاء، وللبقاء فضيلة عظمى.

قال حضرة الشيخ: الفرق والجمع على مراتب، فأهل الغفلة والحجاب في الفرق الأول، وهو شهود الخلق بلا حق بعد الجمع والفناء الأول، وهو شهود الحق بلا حق، ثم بعده الفرق الثاني والبقاء الأول ثم بعده جمع الجمع والفناء، والبقاء الثاني وهو شهود الخلق في الخلق، وشهود الخلق في الحق من غير احتجاب بأكثر عن الوحدة وبالعكس، وعنده يظهر سر قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ [الشرح:١] وهذه - أي: مرتبة جمع الجمع- مرتبة جمع الذات والصفات، والأفعال بالفعل، والتحقق بأسرارها.

قال حضرة الشيخ: إن إسرافيل مظهر الحيــاة، وجبرائيــل مظهــر العلــم، وميكائيل مظهر الإرادة، وعزرائيل مظهر القدرة، وكذا الحرارة والرطوبة والــبرودة

---

(١) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١٧٣/٢)، والمناوي في «التعاريف» (٥٦٨/١).

(٢) سبق تخريجه.

واليبوسة على الترتيب والحياة بمنزلة الذات بالنسبة إلى سائر الصفات؛ لأنه لا واسطة بينها وبين الذات، والباقي تابع لها.

واعلم أن أكثر الأسماء إضافية، فالأول باعتبار الآخر، وبالعكس، وعلى المظاهر باعتبار الباطن وبالعكس، والمنتقم باعتبار العفو والغفور وبالعكس، وعلى هذا، وفي الحقيقة لا اسم ولا رسم ولا نعت، ومن هنا يقال: البحت والمجهول المطلق، وغير ذلك.

فإذا حصل للسالك الكمال التام، ووصل إلى مرتبة المخلصية بالفتح تجرد عن جميع الألبسة المعادية، وتعرى عن جميع الأسماء، ولكن المجازية فذاته إذ غنية عن العالمين لأنه عبد من كان غنيًا عن العالمين، ومن كان عبد الغني فلا جرم يكسب من غناه غنى يستغني به عما سواه، وإذا ارتفع الكثرات اتحد الحضرات، وإذا اتحد الحضرات ارتفع الظهور والخفاء فكان في عماء ما فوقه هواء ولاً تحته هواء، وصلنا الله وإياكم من العلم والغنى، وجعلنا وإياكم مجمع البحرين، وكشف عنا وعنكم غطاء الوجود، وحققنا وإياكم بحقيقة الشهود، فإنه مفيض الخير والجود.

وقال حضرة الشيخ في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]: إن كل ما دخل تحت الوجود من الجماد والنبات والحيوان والمَلَك والجن والإنس وغيرها فهو مرسل من الله تعالى، أرسله بالفيض الأقدس الأقدم أي: عالم المعاني ثم بالفيض المقدس المقدم إلى عالم الأرواح والمثال والأجسام، فأهل التوحيد والشهود لا يفرقون في الحقيقة بين أحد من هذه الرسل؛ لأنها آثار، والآثار تستند إلى الأفعال، وهي إلى الصفات، وهي إلى الذات المرشد، فلم يبق إلا الهوية السارية في جميع الموجودات سريان المطلق في المقيد، لا على جهة الحلول والاتحاد، فلا موجود إلا هو.

قال حضرة الشيخ: في قول الهدائي - قدس سره - في بعض إلهياته التركية: «ايتمزسنك عاشقلرك ملك سليمانه تظروا»[1]: إنما لا يتعلق نظر العاشق الصادق إلى مُلك سليمان لأنه لا يليق بشأنه أن يؤثر المفضول على الفاضل، والسوى على المولى؛ فإن آثر فقد زاغ بصره وطغى، فلم يتحقق بالمعراج الحقيقي الأعلى في مقام: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:٩].

---

(١) كلام تركي.

أقول: وداود عليه السلام لم ينظر إلى ملك سليمان، ولذا رجح التسبيحة على ملكه العظيم، فهو في ملكه في عين التجرد، وأما التلبس بحسب الظاهر، فقد كان بإرادة الله تعالى، ومن دخل في أمر الحق فهو بالحق دائمًا فلا يشغله شأن عن شأن.

وأما صاحب المحمدية: [دانه كيم يدى كركوهرا ولسه ياتميم، ايتميم هركز نظر كوررايسم زرين جبال] [1] فلا يقدح في شأن آدم عليه السلام كما يزعمه بعض العامة.

والمقصود من هذا الكلام بيان همته العالية، وكذا قول الحافظ: «يدرم روضة جنت بدوكندم بفروحت ناحلف باشم لكز من بجوى نغروشم» [2]، فإنه يشير إلى أن المطلب الأعلى هو الوصول إلى الله تعالى، فمن كان مطمح نظره ذلك فهو لا يلتفت إلى الجنة ونعيمها، فضلاً عن الدنيا ونسيمها؛ فإن ما سوى الله لا قدر له عند الله إلا قدر ما أذن الله، فافهم. ومنه يعرف معنى قول الشيخ الشهير بـــ«يونس أمره»: [جنت جنت ديدكلرى برقاج اوله، برماج حورى اسنينه وبرسون إلى بكاسنى كرك سنى] [3]. فإن مراده تعظيم المولى الذي أنشأ ما شاء، لا تحقير الجنة، فمن قنع بالدنيا خسرت تجارته، ومن قنع بالآخرة ربحت صفقته، ومن قنع بالله عظمت بضاعته، واتسعت دولته، واستغنى غناء يستصغر عنده الدهر وقيمته، وإياك والطعن في أولياء الله؛ فإن تحت عباراتهم معاني مقصودة، وإن كان تنبئ بعض العبارات على غير ما ينبغي بالاعتبار الظاهر.

قال حضرة الشيخ: كان السلف يعدون سوء أخلاق نسائهم من سوء أخلاق أنفسهم، وذلك لأن المرأة إشارة إلى الطبيعة، والنفس والرجل إلى القلب والروح، والقلب قطع الوجود الإنساني، فمتى صلح، صلح الجسد بجميع قواه، ومتى فسد فسد الجسد كله بجميع قواه أيضًا، فسوء الأدب من طرف المرأة إشارة إلى بقية الوجود في طرف الرجل، فيحتاج إلى المجاهدة القوية إلى أن تحصل التزكية المعنوية والموافقة الأنفسية والآفاقية، ألا ترى أن النبي عليه السلام لما قوي توجهه بروحه إلى التسبيح والتحميد، سرى ذلك إلى أعضائه وقواه في الخارج، فلا جرم كانت تسبح تسبيحه عليه السلام.

---

(١) كلام تركي.

(٢) كلام تركي.

(٣) كلام تركي.

قال حضرة الشيخ الأكبر - قدس الله سره الأطهر: قد يظهر من الخليفة الأخذ لحكم من الله ما يخالف حديثًا ما في الحكم فيخيل أنه من الاجتهاد وليس كذلك، وإنما هذا الإمام لم يثبت عنده من جهة الكشف ذلك الخبر عن النبي، ولو ثبت الحكم به، وإن كان طريق الإسناد العدل بمقصوم الوهم مبدأ السهو والنسيان، ولا من النقل على المعنى الذي هو مبدأ التأويلات والتحريفات، فمثل هذا يقع من الخليفة اليوم، انتهى كلامه.

قال حضرة الشيخ في هذا المقام من كلام الفصوص: إن المريد الحقيقي لا يتخلص عن حقيقة الاعتراض إلا بعد إيمانه الكامل بأن مرشده هذه الخلافة والكشف؛ فانه يجوز أن يكون المرشد ممن له حظ أوفى من هذا المقام، فما يأتي ويذر إلا بما أعطاه الكشف الصحيح.

أقول: ذكر أن حضرة الشيخ المدعو بـــ «وفا القسطنطينية» - قدس سره- كان يصلي الظهر في آخر وقتها، وكان يجهر بالبسملة في الجهرية مع كونه حنفي المذهب لكن شأنه العالي يأبى أن يخالف الظواهر، فإنما فعل ما فعل بحسب الكشف الإلهي لا من عند نفسه، وكان فوق الكل في زمانه، فالطعن لمثله لا يثمر إلا التعب في الدنيا، والتنـــزيل في العقبى، عفا الله المولى.

قال حضرة الشيخ: الكلام مقلوب الكمال فآخر الكمال الكلام، كما أن أول الكلام الكمال؛ لأن أول التعينات الإلهية هو الهوية الذاتية، وآخرها الكلام، ولذا يقال الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام على الترتيب إلا أن أول ما يبدو في الجنين حسن السمع، ولذا منع في الشرع من وطئ الحامل المطلقة أو المتوفى عنها زوجها إلى أن تلد؛ لأن بالوطئ يزداد حس الجنين، فيكون كالسقي لحرث الغير، ثم بعد أن ولد يظهر حس البصر والكلام فآخر ما يظهر بعد الولادة هو البيان [...][1] يجرى في عالم الغيب، ومن فقد حسًّا فقد علمًا، ومن فقد علمًا فقد عيانًا، ومن لا عيان له لا حضور له، ومن لا حضور له لا حلاوة لطاعته.

قال حضرة الشيخ: النور والنار حقيقة واحدة إلا أن النور إذا اشتد ظهوره يسمى نارًا، فالنار مؤنث، والنور مذكر، وكما أن في آدم وحواء -عليهما السلام- سر البطون والظهور، وإن اختلف التشخص، فكذا في النور والنار، وإن تنوعت

(١) بياض بالأصل.

الصور، يعني أن حواء بطنت في آدم ثم ظهرت بزيادة صفة، والنار بطنت في النور ثم ظهرت كذلك، واختلاف صورهما لا يقدح في كون أحدهما عين الآخر في الحقيقة، وهنا سر عظيم في حق أهل النار ينفهم من قوله: «**سبقت رحمتي غضبي**»(١) ففي النار والغضب بطن النور والرحمة؛ لأنه في الفرع ما في الأصل، فافهم.

قال حضرة الشيخ: إن سهل بن عبد الله التستري - قدس سره- تمّ له أمر السلوك في صباوته لكمال لطافة حجابه، فلم يحتج إلى مدة طويلة بمجاهدة ورياضة عريضة، فإنه يختلف السلاك في الوصول إلى الله سرعةً وبطئًا بحسب لطافة الحجاب وكثافته، فروح الكامل سريعة التعلق ببدنه في التنـــزيل الرحماني، فلا يمكث في العوالم مكث أرواح الناقصين ثم إذا تعلق ببدنه لا يسرع له الانتقال إلى المقصود من غير تعب، كما قال حضرة الشيخ الأكبر -قدس سره-: المجذوب من اختار الله له في الأزل البلوغ إليه بلا كسب ولا تعمل فوقع مفطور مع الفطر إليه بلا اجتهاد بدفع غيره عن مقتضى قصده، والمجذوب بعد السلوك هو من شغلته الأغيار عن الله زمانًا فلم يزل في علاج وجودها بتوفيق الله حتى أفناها، ولم يبق له سواه سبحانه، انتهى الكلام الأكبري في كتاب «تلقيح الأذهان».

قال حضرة الشيخ: الجلال عند الصوفية ما جاء من حيث لا يحتسب، بحيث لم يكن في حصوله حركة لا صوريه ولا فكرية، ولا يشترط فيه أن يكون من صالح أو غيره، وإليه الإشارة بقول حضرة الهدائي: [كله بريسنه كيم من غير طلب اى حقدن بيلور ارباب ادب](٢).

قال حضرة الشيخ في قول الهدائي في بعض إلهياته التركية: [كجوب فرما نيله بونجه عوالم كنوركن عالم انسانه كلدك](٣): إن الإنسان يعبر إلى المنازل حين نـــزوله إلى هذا العالم، ويتعين بتعينها، ولا يقدح هذا التعين في حقيقته، ومثاله الأصلي، وآخر ما يصير إليه بعد عبوره من المولدات النطفية، والمتعين بتعينها، ثم يسوية الله بتركيب خاص في رحم الأم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كلام تركي.

(٣) كلام تركي.

قال حضرة الشيخ الأكبر - قدس سره الأطهر: قرأ بعض أصحابه «إحياء العلوم» في مكة المكرمة، وأنه خطَّأ الإمام الغزالي في موضع من الإحياء مما يتعلق بالاعتقاديات، لكن يدل هذا التدريس والقرآن على عظم شأن ذلك الكتاب ومؤلفه، ولا يقدح فيه القدح المذكور بناء على تفاوت مقامات العارفين، وقد شهد له في بعض كتبه بأنه من رؤساء هذه الطريقة.

قال حضرة الشيخ: الاسم الثاني مجازي من حيث كونه ملفوظًا ومكتوبًا، وحقيقة الأطعمة والأشربة والمعاجين المتخذة للمريض من العقاقير المختلفة، كما أن قطب الوجود نفسه هو الاسم الأعظم في الحقيقة؛ فإن الاسم في الحقيقة هو التعين، والله تعالى مبجل في كل تعين بما يناسبه من الأسماء والصفات.

أقول: من أعجب ما قيل في هذا الباب قول «يونس أمره» الذي شهد له الرجال بالكمال في بعض كلماته التركية: [بتوردم يوسفي كنعان ايلنده بولندى يوسفم كنعان بولنمز](١).

فإنه يريد بهذا الكلام أنه قبل أن ينكشف عنه الغطاء كان محجوبًا عن إدراك جمال يوسف الحقيقي في أرض كنعان الكثرة، فلما ارتد بصيرًا بإلقاء قميص تجلى أنوار الجمال على وجه يوسف، ورأي جماله المنير، وغابت عنه كنعان يعني لم ير بعد هذا التجلي في المظاهر إلاَّ الهوية السارية في جميع الموجودات، ففقد ما وجده، ووجد ما فقده، بل كان المفقود عين الموجود، والموجود عين المفقود، وما ثم إلا كشف الغطاء، وإزالة الحجاب.

أقول: ضرب لهذا مثل، وهو أن الحيتان قال بعضها لبعض: سمعنا أن في المحل الفلاني حوتًا رأى الماء، فاجتمعت عنده، وسألت عنه: إنه قيل في حقك أنك رأيت الماء؟ فقال: أروني أن في هذا المحل غير الماء حتى أُريكم، فافهم الإشارة؛ فإنه ليس وراء عبادان قرية.

واشتكيتُ إلى حضرة الشيخ يومًا عن كثافة الحجاب فقال - من وجه العتاب: هذا ليس من كلام أهل الطريقة، وإنما اللائق بك أن تنظر إلى قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩] فتعبده وأنت عبدٌ حق لا أن تعبده لإزالة الحجاب، وظهور الحرارة للقلب، وحصول الكشف والعلوم والأذواق؛ فإن دنيا أهل

(١) كلام تركي.

الطريقة العلم الظاهر من القوانين والرسوم، وآخرهم العلم الباطن من الأذواق والكشف والتقيد بكليهما.

حجاب الأول: حجاب ظلماني.

وحجاب الثاني: حجاب نوراني، وأهل كل منهما محجوبون عن الحق، فإن الدنيا والآخرة حرامان على أهل الله، وإنما المنع والعطاء بيد الله، وينبغي لعبد الحق أن يكون المنع والعطاء سواء عنده، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] فإن جذب المحبوب، ودفع المكروه من الشهوات عند أهل الله، فاترك التصرف بتصرف الحق فيك بما أراد، اللهم اجعلنا عبيدًا مطلقين، وبحقيقة العبودية متحققين.

قال حضرة الشيخ - بطريقة التوجه: عليك بالصوم كل يوم؛ فإنه طريقة أهل الحق، وحافظ على أوقاتك لا سيما الغدو والرواح فلا تغفل عن التوجه الإلهي عند الصباح إلى وقت الضحى، ومن العصر إلى وقت المغرب بمقتضى ظاهر قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الإنسان:٢٥].

فإذا جاء زمان الإفطار افطر بما تيسر لك من الحلال الطيب، ثم صلِّ المغرب صلاة الأوابين، ثم لا تشتغل بعدها إلاَّ بالذكر والفكر بالقلب الهيولاني الوجداني، وأخِّر الأكل إلى أن يقوم أهل الغفلة عن مائدهم، وعنده كُلْ قَدر ما يعتدل به مزاجك، ويسكن قلبك، ويقوى بدنك عن الطاعة إلى المساء الآتي، وما بين العشائين وقت شريف وزمان فتح وفيض ينبغي أن يصرف إلى المعاد لا إلى المعاش، وأن مخالفة الجمهور في وقت الطعام فهي مفيدة لنا إذ لا بدَّ من مخالفتهم في عاداهم وأحوالهم؛ فإن طريقنا طريق الأصحاب ﷺ لا طريق أهل العرف.

قال حضرة الشيخ: إني إذا وصلت إلى مدينة «بروسة» فالزم مكانك ثلاث سنين وأخِّر الزيارة إلى تمام هذه المدة؛ فإن في التثليث سر الفردية ومن ثبت نبت.

أقول: كان يوصى بهذا جميع الخلفاء رعاية لهذا السر، وربما نسخ هذا بحسب المصلحة كما سيجيء، ووصَّى أن يكون وردي كل يوم جزءًا كاملاً من القرآن على ما هو عادته الشريفة، وهذا ما عدا الأوراد التي عينها لي حين المبايعة، وسمعت منه قبل وفاته بشهور أنه قال: لم أترك إلى الآن الورد الذي ألزمنيه شيخي، وأنا الآن كما كنت في خدمته قبل ولا أعرف لنفسي رتبة وفضلاً، وإن طال الأمد وكان ما

كان.

أقول: انظر إلى هذا الكامل كيف نظر إلى نفسه بالنظر الأول، وكيف حافظ على العهد المأخوذ إلى آخر العمر، فإن الطريق طريق النفس، وملازمة العلم والعمل واتباع الشيوخ وفي مدة العمر.

وفي الحديث: «**أفضل الأعمال أدومها وإن قل**»(١).

قال حضرة الشيخ: إذا تمَّ الحركات يحصل السكون، وعنده يعد السالك كاملاً؛ لأن أول الأمر كان سكونًا محضًا، وإلى أوله يرجع آخره قال تعالى في الحديث القدسي: «**كنت كنـــزًا مخفيًّا، فأحببت أن أعرف؛ فخلقت الخلق**»(٢) فالخلق إنما يكون بحركة معنوية، فمنه يعتبر الحركة، وأما ما قيل لم يصل إلى سرِّ المبدأ.

واعلم أن عبارة السكون والحركة إنما هي للتفهيم وإلا فليس هناك شيء منها.

* * *

(١) رواه البخاري (٥٩٨٣)، ومسلم (١٣٠٥).

(٢) سبق تخريجه.

الزيارة الثانية

هذه الزيارة وكذا ما بعدها وقعت بعد استيطاني في بلدة «بروسة»؛ فإن حضرة الشيخ استخلفني منها، وحدد الزيارة ثلاث سنين، ثم لما مضى سنة ونصف نسخ ذلك وأشار إليَّ بالقدوم، فسرت إلى جانب القسطنطينية فلما وصلت إليها لم أجده - قدس سره - في داره، وصادفتُه في ساحل القلعة المعروفة بـــ«حصار روم إيلي» وهو يتهيأ لدخول السفينة لحضور دعوة في بعض السواحل؛ فلما رآني تبسم واستبشر ورحب ودعا لي بالخير هنا؛ فقبَّلت يده الشريفة، ودخلت معه في السفينة، ثم سرنا إلى المقام المعروف بـــ«يوشع» والحديقة المعروفة بـــ «توقات» وسأل عن أحوالي وأحوال أهالي بروسة؛ فشكرت الله في ذلك، فقال: لا تكن زمانيًا ولا مكانيًا ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، وسأل عن كيفية الوعظ، فقلت: تبعثني نفسي في بعض الأحيان على مقابلة بعض الوعاظ في مقالاتهم الفاسدة، قال: لا تفعل؛ فإن الله هو الذي يتولى الرفع، فادفع العمل باختيارك، وفوض أمرك إلى الله تعالى، ولا يصح إليهم ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]، فإذا جاء الوقت يرتفع الكدر بالكلية بأمر الله، دخلت مع حضرة الشيخ والمخاديم الكرام، وبعض الخواص في السفينة بعد العصر لزيارة بعض المقامات الساحلية فلمَّا غربت الشمس، قال: هذا الوقت إشارة إلى التنـــزل من المطمئنة إلى مرتبة الملهمة، وما بين العشائين إشارة إلى التنـــزل إلى مرتبة اللوامة، ثم ما بعده إشارة إلى التنـــزل إلى مرتبة الأمارة، ووقت الشافعي إشارة إلى الترقي من الأمارة إلى اللوامة، ووقت الحنفي إشارة إلى الترقي إلى الملهمة، ووقت الطلوع إشارة إلى الترقي إلى المطمئنة بحسب مراتبها إلى أول الغروب، ثم يعود الأمر على ما كان عليه، قال: آخر الليل إشارة إلى السكون الذاتي، والنهار إلى الحركة الصفاتية؛ فعند الليل يحصل التنـــزل الجمال الذاتي، وعند النهار يحصل الترقي الصفاتي؛ لأن كل شيء يترقى من السكون إلى الحركة.

قال حضرة الشيخ. اعلم أن الخلق في إثبات ما سوى الله ونفيه على أربعة

أقسام:قسم يثبتونه مطلقًا اعتبارًا وحقيقةً على أنه غير الحق مطلقًا أي: على أنه ليس الموجود أصلاً لا حقيقةً ولا اعتبارًا، وهم العارفون المكاشفون، وقسم ينفونه حقيقةً، ويثبتونه اعتبارًا على أنه أصل الحق سبحانه، وهم المشاهدون والمعاينون، وقسم ينفونه حقيقةً، ويثبتونه اعتبارًا أيضًا لكن على أنه عين الحق سبحانه، وهم المحققون الواجدون، وهذا من مزالق الأقدام قبل التحقق بحقيقة هذا المقام هدانا الله وإياكم إلى قوم سبيل السلام، وبيده أزمة الأمور والأحكام.

قال الشيخ: كن هيولانيًا ووحدانيًّا ثم انتظر الفيض الإلهي، ولا تنظر إلى شيءٍ أصلاً حتى مقامات الأنبياء والأولياء؛ فإنها تجليات بحقيقة، بل توجه إلى عالم الإطلاق، وصف باطنك عن علاقات الأنفس والآفاق؛ ليحصل تجلي الجزيل بحسب استعدادك، وأفض من الظاهر قدر مبلغ علمك كالبحر المالح، وأفض من الباطن حسبما يساعده عرفانك كالبحر العذب، ولكن كُن غنيًا عن الجملة غير الله تعالى ألا ترى أن الله تعالى أفاض على كلّ شيءٍ من الأشياء الموجودات ما هو مستعد له بحسب مرتبة مع أنه غني مطلق.

قال حضرة الشيخ: المرشد الكامل كتاب ناطق فما دام أمكن الوصول إليه وإلى صحبته ينبغي أن يكتفي بالكتاب الساكت؛ فإن تأثير الناطق أبلغ، وشكوت عن سوء الحال، فقال: لا تقل فإني تفكرت مرة في أحوال الكُمَّل فهان عليّ نفسي، واستولى عليّ الخوف العظيم، واستمر مقدار شهرين، وقيل لي وأنا في سُنة الجمعة: لا تخف؛ فإن الله تعالى لو لم يرد بك الخير لما وفقك لرؤية جمال وليه، وقد كنت خادم نعله زمانًا، وصحبت به أعوامًا، واعتقدته اعتقادًا تاما فذلك من العناية الأزلية في حقك يا حقي، فزال عني ما بي من الخوف الغالب، واعتدل حالي، والحمد لله تعالى، وأراد بالولي من هو مستغن عن التعريف - أعني: حضرة الشيخ قدس سره.

قال حضرة الشيخ: هذا الزمان زمان سكوت؛ فإنه قلمَّا يوجد من يصلح للمكالمة من الفناء والصرف، ونظر إلى الأشجار في حول البحر؛ فقال: إن هذه الأشياء على ما كانت عليه في القدرة العلمية لا يجوز أن يكون على خلاف ما هي

عليه فيها، لكن كان ظاهر الحق باطنًا في الحضرة العينية، وباطنه ظاهرًا فظاهر الخلق باطن الحق، وباطن الخلق ظاهر الحق، ثم قال: انظر إلى هذه الأشجار؛ فإنها ثابتة في مكانها منذ ما خلقت، وهي على هذه الحالة إلى وقت فنائها، فلا بدَّ من ترك الحركة الإرادية في طريق الحق، ذكر حضرة الشيخ مراتب النفوس ومثَّل لها بالأوقات المخصوصة من الليل والنهار ثم تلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فقال: المراد بالذكر القيامي توحيد الأفعال، وبالقعودي توحيد الصفات، وبالجنوبي توحيد الذات وتحقيقه أن القيام المستلزم الحركة إشارة إلى ما أشار إليه النهار، والقعود والاضطجاع المستلزمين للسكوت إشارة إلى ما أشار إليه الليل وقد سبق.

وسرنا إلى حصار روم أيلّي في القسطنطينية، فأمرني حضرة الشيخ بالوعظ والتذكير في جامع في السواحل فامتثلت، ثم لما تمَّ المجلس وكان حاضرًا فقَبّلت يده الشريفة فدعا لي بالخير ثم دخلنا السفينة، فجاء وقت المغرب فخرجنا إلى بعض السواحل فأشار إلي الإمام، ولما فرغنا من الصلاة أخذ يتكلم من المعارف، وأنجز الكلام إلى ذكر السلطان، واختلال الزمان بالظلم والعدوان والفساد والطغيان، وقرب زمان المهدي، وانقراض السلاطين العثمانية، فصلينا في جامع الحصار الذي بناه السلطان محمد الفاتح على شكل اسمه محمد، وأمر حضرة الشيخ خليفة الشيخ حسين أن يعظ الناس في ذلك الجامع ففعل فلمّا جئنا إلى المنـــزل أحضر الشيخ جملة الإخوان، وقرأ عليهم رسالتي التي ألفتها في حق حضرة مخدومه السيد محمد الجودي -أبقاه الله تعالى- فسرَّ واستبشر، ودعا لجملة الإخوان بالخير والسعادة، ثم قال مخاطبًا الخليفة المذكور: أنتما كعيني هاتين، وأشار بيده إلى عينيه المباركتين، ثم أمرني بقراءة القرآن ثم بقراءة بعض الإلهيات الهدائي، ثم بالتلاوة ثانيًا ففعلنا فلمّا جاء وقت الدعاء توقفت فيه، وعرضت ذلك على جنابه حتى يكون هو الداعي والباقي هو المؤمن، فقال: لا تفعل فإني استخلفتك، ومن مواضع الخلافة مثل هذا الدعاء؛

فقبلت، وكان له في ذلك اليوم زيادة انبساط، فكان يوم عيد لنا أعطاني حضرة الشيخ ريحانة، وقال: فكن روحًا وريحانًا إلى أن قال: تكن بالله إنسانًا، ورمى حضرة الشيخ إلى بعض الوادي حصاة، وذلك بعد الإياب من بعد السير، فرميت أيضًا حصاة تحقيقًا للمتابعة والاقتداء جعلني الله تعالى وإياكم من السابقين في عبادة الاتباع، وساقني وإياكم إلى منازل الاتفاق والاجتماع.

واعلم أني لم أكتب في هذه الزيارة إلا قدرًا يسيرًا لقصر المدة؛ فإن حضرة الشيخ إنما استدعاني للملاقاة المحضة ثم أشار بالعود بعد ثلاثة أيام مع أن الكلمات ما هو مطوي عن البين لله الحمد [كده جان من معتكف حضرة....][1].

* * *

(١) كلام تركي.

الزيارة الثالثة

وقت هذه الزيارة في أوائل شوال من سنة ثمان وتسعين وألف، ووجدت حضرة الشيخ في البيت الفوقاني من مسكنه الجناني، فقال ما قال من المعارف، والنصائح الجليلة بعد سؤال الخاطر، وأفاد أن السلطان محمد رغب له وهو رغب عنه، وإن التعزز والتمدح بالملوك وصحبتهم لا يغني شيء؛ فإن العزة لله ولرسوله، ولن تمسك بما أمر به لا للمعرضين عن الحق والقاصرين نظرهم إلى ما سواه أقول كان أكثر علماء القسطنطينية المنتسبين إلى السلطان مفتخرين به غافلين عن الله حتى ألقوا على التزين بالزِّي المتلونة في مراكبهم وملابسهم ومساكنهم، ورأيت منهم من يقيم في داره ليلاً ونهارًا؛ ليجدوه عند الطلب من قبل السلطان ولوزرائه أحد يقول مفتخرًا: هذا البساط اللطيف مثلاً أعطانيه السلطان أو الوزير، والحمد لله على تجرد حضرة الشيخ؛ فإنه لم يقبل من أحد شيء ولو حصيرًا فإنه بلى حصير البيت الخارج فأراد بعض الزوار أن يجدده فلم يقبل فبقي إلى أن مات -روح الله روحه- وإنَّ السلطان محمد أراد أن يبني له خانقاها فلم يقبل، فقال: يكفيني ما أنا فيه من المسكن، وإن بعض أمراء البحر كلفه مرة بأن يدخله في سفينته الصغيرة المخصوصة به فلم يدخل لكونها مزخرفة منقشة بماء الذهب، وأنواع الأصباغ، وقال: يدخل فيها مَن كان حظه من الاسم الظاهر أوفر كالأمراء والأعيان، ولم أره قد ركب مركبًا وحوله جمع من الصوفية احترز عن الاحتشام واحتقار الدنيا، ولا قدر لها ولأهلها عند الله تعالى.

قال حضرة الشيخ: اكتب ما لاح ببالك، ولكن احترز شهرة الكلام والكتاب؛ فإن الخاطر بالبال يقتضي الظهور في وقت من الأوقات كالمطر سواء وقع في بلدة طيبة أو لا فلك إظهاره فقط.

قال حضرة الشيخ: إنَّ الكدر لا يرتفع عن الدنيا، وإنما يرتفع الكدر من قلوب أهل الحضور والصفاء. مثلاً: إن النار لا يرتفع إحراقها، وكذا الماء وإغراقه كما في حق إبراهيم وموسى - عليهما السلام - ثم تلا قوله تعالى: **﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾** [البقرة: ٣٥] المراد بآدم وحواء - بطريق الإشارة- هو آدم: الروح، وحواء: الطبيعة، وقد نهاهما الله عن التقرب من شجرة تدبير النفس في قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾** [الأعراف:١٩] فإنه ظلم، فظلمه كما قال تعالى:

﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] فإن تدبير النفس تدبير سيئ وتدبير حسن فلا بد للسالك من أن يخرج عن تدبيره، ويكل الأمر إلى الله فيعرض عن المعاش، ويقبل إلى المعاد تمسكًا بالشريعة، وإلا فالعارف مجرد عن الأدبار في نفس الأمر.

وقال: إذا وقع القحط والغلاء؛ فإن الله تعالى يفتح من خزائن غيبه قدر ما يكفيه كما كان يفتح له حال الرخص؛ فإن المنة لله تعالى، ولا ينبغي للعبد أن يتوكل في فكر المعاش، ويغتم له؛ فإنه من الفضلة.

قال حضرة الشيخ: إنه محيط بالعوالم كلها، وهو أول ما ينكشف للسالك، قال: إنَّ سورة الإخلاص إشارة إلى حال النــزول، وهو حال المجذوب فأولاً بقول: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ...﴾ [الإخلاص:١-٤] إلى آخر السورة، وحال الصعود يعتبر من الأخراني، جانب، «هو» فيقول أولاً: ﴿لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤] ثم يترقى إلى أن يقول: «هو» لكن لا ينبغي للسالك أن يكتفي بوجدان هو في القرآن بل ينبغي له أن يترقى إلى القرآن الفعلي فيشاهد هو في القرآن.

عرضت على حضرة الشيخ بعض اللوائح فدعا لي، وقال: جعل الله خيالك ولسانك مورد الكلام الإلهي، ولكن احترز أنت عن شهوة الكلام، قرأ القوال عند حضرة الشيخ الهدائي في بعض الإلهيات التركية: [كجوب صحراى عالمدن كذر قيل عرش اعظمدن خلاص أول درد ايله غمدن دكل ياهو وبامن هو] (١)

فقال: المراد من العبور من صحراء العالم هو التجاوز عن عالم الملك وسيره، وهو العالم الظلماني، ومن المرور من العرش الأعظم هو التجاوز عن عالم الملكوت وسيره، وهو العالم الروحاني، والكل من الكون في التعبد بكل منها كدر وغم لكونه ما سوى الله، والحضور في الوصول إلى المولى، والتجاوز إلى حضرة اللاهوت، ولذا قال: [خلاص أول دردله غمدن] (٢) ثم مدح حضرة الشيخ الهدائي، وأقواله الجامعة، وأثنى عليه بما يليق بمقامه، ثم أنجز الكلام إلى أن قال: إن النفس الإمارة نفس النفس الكافرة، والمؤمنون من أهل العموم ترقوا منها بإيمانهم إلى اللوامة، وعلماء الظاهر من أهل النظر والاستدلال عمومًا بقوا في اللوامة والملهمة، ولم ينحطوا إلى المطمئنة؛ لأنها

---

(١) ألفاظ باللغة التركية.

(٢) العبارة باللغة التركية.

نفس الأنبياء وكمل الأولياء، فإنهم تشرفوا بالوصول إليها، وإلى الراضية المرضية والصافية والفانية والباقية ثم تلا قوله تعالى:

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٩-٣٠]، وقال: المراد من دخول الجنة: هو بقاء نفوس الكُمَّل لكونها فانية في الله باقية بالله هي النفوس الباقية، ولا أقول شموسهم في الدارين.

وقرأ البعض قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة:١١٥]؛ فقال: أي: المشرق الروحاني والمفرد الجسماني فأينما تولوا وتوجهوا وجوهكم من تنسمك بالجهتين مشمة ذاته المتجلية بجماله وجلاله.

قال حضرة الشيخ: من ولد في الليل يكون مظهر الذات الأحدية؛ لأن الليل محل الفناء والسكون، ومن ولد في النهار يكون مظهر الصفات؛ لأن النهار محل الظهور والحركة، وقد اختلف في أن رسول الله ﷺ ولد في الليل أم في النهار.

ثم قال: اليمين مظهر سر النهار؛ لأن أكثر البطش والأخذ بها، واليسار مظهر سر الليل، ولذا قل عملها وكفا الجنة مع النار والبدن مع الروح حيث إن الجنة والبدن مظهر الظهور في النار، والروح مظهر خلافه؛ فافهم جدًّا.

قال حضرة الشيخ: لا تحصل هذه الطريقة بالفنون بل بالجنون، ولا بد للسالك من الموت قبل الموت، والدخول في البرزخ والحشر والجنة حتى يحصل البقاء، ثم قال باللسان التركي: [بيلمك بولمق، والمق][١].

الأول: علم اليقين، والثاني: عين اليقين، والثالث: حق اليقين.

سأل بعض الجلساء عن أحوال السفر؟

فقال حضرة الشيخ: النصر بيد الله ثم تلا قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران:٢٥]، وقال: إن لفظ «من» عام يتناول المؤمن والكافر، فتارة يمتحن المؤمنين، وتارة يشدد البلاء على الكافرين، وفي كل ذلك حكمة ومصلحة كما قال الله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦]؛ فإنه لا شر بالنسبة إلى الله تعالى إنما هو بالنسبة إلى العباد، وجاء رجل يدعي تكميل الفنون؛ فسأل عن قوله ﷺ في دعاء الاستخارة: «**إن كنت تعلم**»[٢].

---

(١) ألفاظ باللغة التركية.

(٢) رواه البخاري (١/٣٩١).

فقال حضرة الشيخ: إن هذا الشك بالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى الله؛ فإن العلم بالنسبة إليه وجد إذ لا رابط لا يطرأ عليه النسيان والشك.

ومعنى العبارة المذكورة: إن تعلق علمك وإرادتك، فلمّا كان تعلق هذا العلم مشكوكًا بالنسبة إلى العبد عبر بكلمة الشك فسكت المدعي المنصف كأن القمر الحجر الصلد[1]، وفي فتح الباري: قوله: «**اللهم إن كنت تعلم**»[2] فيه إشكال؛ لأن المؤمن يعلم قطعًا أن الله تعالى يعلم واجبه بأنه تردد في عمله ذلك أهل له اعتبار عند الله تعالى أولاً فكأنه قال إن كان عمل ذلك مقبولاً فأجب دعائي انتهى.

فما فضلوكم بهما من الغدوة تلا حضرة الشيخ قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر:٩٩].

وقوله تعالى: ﴿**يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾ [الأنفال:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾ [الإسراء:٧٩] فقال: إن الله تعالى أشار في هذه الآيات إلى ما يعود إلى جانب العبد حيث أسند إليه العبادة والتقوى والتهجد، وإلى ما يعود إلى جنابه تعالى، وهو إتيان اليقين منه والجعل والبعث؛ فلا بد للسالك من التقيد بما أمر به سواء حصل الموعود وهو مضمون الجزاء، ولم يحصل، مثلاً لو فرض أن عمره ألف سنة وأمر بالعبادة خمسمائة سنة ولم يحصل في هذه المدة اليقين في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر:٩٩] ينبغي ألا يجد لذلك في قلبه كدرًا أصلاً لمقتضى قوله تعالى: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ**﴾ [الحديد:٢٣].

ولو حصل له ذلك في الخمسمائة الأخرى إلى تمام الألف ينبغي ألا يجد لذلك صفاء قطعًا، بوفق قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ [الحديد:٢٣] فالمنع والعطاء بيد الله، وليس للعبد إلا العبودية المحضة، ثم قال: ولقوله: ﴿**حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر:٩٩]، وأمثاله فائدة، وهي التشريف.

قال حضرة الشيخ: علم الظاهر دنيا أهل السلوك، وعلم الباطن عقباهم، فلا بُد من الفناء عن الكل؛ لأن مطمح نظر أهل الله هو الله بل لا مطمح هناك؛ فإنه القيود، ثم قال: أهل الدنيا كثير وأهل العقبى قليل، وأهل المولى أقل من القليل وذلك

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) تقدم تخريجه.

كالسلاطين والملوك فإنهم أقل بالنسبة إلى الوزراء، وهم أقل بالنسبة إلى الأمراء، وهم أقل بالنسبة لسائر أرباب الجاه، وهم أقل بالنسبة إلى الرعايا.

جاء حضرة الشيخ إلى حجرتي التي عينها لي مدة إقامتي في داره العالية في هذه الزيارة وذلك يوم الخميس بعد العصر، فجلس إلى قريب من المغرب، وقال ما قال من المعارف العربية، ثم قال في آخر المجلس: قلت محبة مني إليك، ولذا جئت هناك يشدني بإرشاده يكفيني في الدنيا والآخرة، ودعا لي بالخير، ورأى حضرة الشيخ عندي مجموعة فيها بعض منظومة لي فقال لي: ما هذا؟ قلت: إنه لا مضايقة لي للكلام المنظوم والمنثور إلا أنه مزخرف؛ فقال: لا تقل هكذا؛ فإنه كفران للنعمة التي أنعم الله بها عليك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]، وقال: كل ما خطر ببالك من علم[1] فاكتبه منظومًا أو منثورًا، ولكن لا تلتفت إليه، فإن المطلب غيره: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:٥] وتخلص من مصائب الطلب.

قال حضرة الشيخ: لا علي إلى صحبة أحد إلا أن يكون الإقبال من جانبه فاصحب به حينئذ لكن دع في الصحبة ما يليق بمقامه من الكلام وغيره؛ فإن الحضور فيه، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

جلس حضرة الشيخ مجلس الوعظ والتذكير في جامع السلطان سليم الأول يوم الجمعة من شوال لسنة ثمان وتسعين وألف؛ ففسر قوله سبحانه وتعالى:

﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]؛ فقال: أمر الله تعالى حبيبه ببيان عدم مساواة الخبيث، وهو المال الحرام بالطيب، وهو الحلال؛ لأن الحرام مردود، والحلال مقبول فهما لا يستويان أبدًا فكما أنهما كذلك فكذا طالبهما إذ طالب الخبيث خبيث، وطالب الطيب طيب، والله تعالى يسوق الطيب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث كما قال: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦] والله تعالى لا ينظر إلى قلة الخبيث والطيب، ولا إلى كثرتهما، وإنما ينظر إلى الجودة فالطيب جيد وإن كان قليلاً، والخبيث رديء وإن كان كثيرًا.

ثم قال: والإشارة أن من العلوم والأخلاق والأعمال ما كان خبيثًا وما كان

(١) في الأصل: من غير تعمل، وبآثار المخطوط كشط.

طيبًا فلا يستوي ما كان منها خبيثًا بما كان طيبًا كالعلم الغير النافع والنافع، والأخلاق الحسنة وغير الحسنة والأعمال الصحيحة والفاسدة.

ثم قال بعد كلام طويل: إن الطيب في عرف أهل التصوف ما كان بلا فكر ولا حركة نفسانية سواء سبق من طرف صالح أو من طرف طالح لأنه ذَوق من حيث لا يحتسب وهو مقبول وخلافه مردود، ولا يعد في هذا الآن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ثم قال: رائحة الجنة تُشم من مسيرة خمسمائة عام، ولكن مجرد الشم لا يستلزم دخول الجنة، وكذا جنة الحقيقة تُشم رائحتها من بعيد وبمجرده لا يلزم الوصول إلى الله تعالى؛ فإن بداية هذا الأمر ترى نهايته مع عدم التحقق بحقيقة بعد، والخلاص من النفس والشيطان على الحقيقة إنما يحصل في الدائرة السابقة وهي النفس الفانية، وهذا إنما يحصل في أربعين سنة، فلا تظنوا أيها الصوفية أن الأمر سهل.

أقول: كان المجلس روضة من رياض الجنة وأرجو من الله ألا يحرقني بنار الجلال، فإن داخل رياض الجنة ينبغي أن يكون أمينًا على كل حال.

قال حضرة الشيخ في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ**﴾ [يوسف:٣٩]: هذا ترتيب أنيق؛ فإن الذات الأحدية تدفع بوحدها الكَثرة، وبقهرها الآثار فيضمحل الكل فلا يبقى سوى الألوهية.

قال حضرة الشيخ: أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض، وإنه يفعل من قبيل لا علة ويرد لا لعلة ويتوهم القاصرون من ترتب بعض الأمور على بعض من حيث الظاهر كونها معللة لكن الأسباب لا تعتبر عند الحقيقة؛ لأن الأمور أسبابها مقدرة أزلاً فلا تأثير للأسباب الاستقلال.

قال عند ذكر بعض الحاضرين امرأة محبوسة في السجن: فأفاد أولاً أن كونها محبوسة مقدر أزلاً وإن لم يكن لها جرم، والحبس وإن كان له سبب صوري عند العوام لكن لا علة له عند الخواص.

ثم قال ما قال حضرة الشيخ في قوله: إذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه مثلاً إذا أراد الله نصرة قوم يجعل لهم وزيرًا له قابلية الغالبية وكذا أتباعه، وإذا أراد هزيمتهم يجعل لهم واليًا له قابلية المغلوبية.

ثم قال: إذا وقع الفتح والنصرة ترى الناس فرحين مستبشرين، وإذا وقع خلافه

تراهم مغمومين منقصين وليس لهم في الحقيقة إلا الشكر عند ظهور اللطف والجمال والصبر والاستغفار عند ظهور القهر والجلال؛ فإنهم مأمورون بهذا لا بالفرح والغم على خلاف غيرها.

ثم قال: هذا آخر الزمان الذي يغلب الجلال فيه على الجمال، ولا حضور فيه إلا للمجرد رأى لصاحب تجريد وتفريد وهو الكامل المنتهي في المراتب؛ فإنه ينظر إلى القضاء الأزلي، وإن الله تعالى يحكم في ملكه دون ملك غيره وأنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء، ويقول الناس: إن مرادنا لم يحصل من جهة الفتح، وينقبضون من وقوع خلاف مرادهم مع أن الدافع من الكون مطلقًا هو ما تتعلق به الإرادة الإلهية فيلزم الاتباع بمراد الله تعالى فإنه خير محض كما قال تعالى: ﴿**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنــزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾ [آل عمران: ٢٦] أراد بالخير ما سبق من الإيتاء والنــزع والإعزاز والإذلال فالكل بالنسبة إليه تعالى خير محض وإن كان الإيتاء والإعزاز خيرًا بالنسبة إلى الناس والنــزع والإذلال شرًّا.

قال حضرة الشيخ في قوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (١)

(١) قال الشيخ المصنف: أي: بالقتل والصلب وقطع الأعراق كما فعل بابن منصور، قالوا: وكان قد جرى من الحلاج -قدس سره- كلام في مجلس حامد بن عباس وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر فأفتى بحل دمه، وكتب خطة بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء، وقال له الحلاج: ظهري حمى ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه وإنما اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة -رضى الله عنهم- ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين، فالله الله في دمي، و لم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه وانفضوا من المجلس وحمل الحلاج إلى السجن وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس، فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله، فليسلم إلى صاحب الشرطة وليتقدم بضربه ألف سوط، فإن مات وإلا فيضرب ألف سوط آخر، ثم ليضرب عنقه فسلمه الوزير إلى الشرطي، وقال له ما رسم به المقتدر. وقال أيضًا: إن لم يتلف بالضرب يقطع يده، ثم رجله ثم يحز رأسه وتحرق جثته، وإن خدعك، وقال لك: أنا أجري لك الفرات ودجلة ذهبًا وفضة، فلا تقبل منه ذلك ولا ترفع العقوبة عنه فتسلمه الشرطي ليلاً، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة من سنة تسع وثلاثمائة، فأخرجه إلى باب الطاق وهو يتبختر في قيوده واجتمع من العامة خلق لا يحصى عددهم وضربه الجلاد ألف سوط و لم يتأوه، ولما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة، ثم جزَّ رأسه، ثم أُحرقت جثته، ولما صار رمادًا =

[الأنعام: ٦٥]: لم يقل ليذيق الكافرين بأس المؤمنين، أو ليذيق المؤمنين بأس الكافرين، أو ليذيق الكافرين بعضهم بأس بعض أو ليذيق المؤمنين بأس بعض، بل أطلق في النظم ليتناول كل فريق، فإن الكل في ملكه، وهو يحيي ويميت أيًّا من كان في أي بلدة كان، فالمؤمنون والكافرون كاليدين لا ترجيح لإحداهما على الأخرى، ولا تأثير في الغلبة إلا بمرجح، فالله تعالى تارة يشدد المحنة على المؤمنين، وأخرى على الكافرين لحكمة ومصلحة كما قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤١] أي: ليميز المؤمنين من الكافرين والمخلصين من المنافقين على حسب أحوال بمقتضى علمه الأزلي القديم.

ثم قال حضرة الشيخ ليلة بعد الطعام: هذا الطعام ينبغي أن يراه العين وقت الأكل، ولا يخطر بالبال قبل الحضور إلا لكان شركًا خفيًّا، وربما رأى في المنام ما يتعلق بالمعاش، ولا يظهر أثره لكون مبناها الحركة الفكرية، وهي خفية جدًّا فربما ينكرها لخفائها، ذكر بعض الخلفاء بلدة صوفية وكون بعض النفوس الشرر متسلطًا على أهاليها؛ فقال حضرة الشيخ: إن التسخير مكر لأهل الشر خير لأهل الخير أقول في عبارته الوجيزة لطافة؛ لأن المكر قلب الكرم.

قال حضرة الشيخ: حروف التهجي بمرتبة الوجود في الشأن الغيبي، والحروف المركبة إلى أبجد بمرتبة الوجود العلمي، وأبجد بمرتبة الوجود في عالم الأرواح، وسائر المركبات بمرتبة الوجود في عالم الأجسام.

=

ألقاه فى دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل ولكن ألقى شبهه على عدو من أعداء الله تعالى، كما وقع فى حق عيسى -عليه السلام- والأولياء ورثة للأنبياء. يقول الفقير: لهذا التشبيه والتخييل نظائر فى حكايات المشايخ يجدها من تتبع قصدي ومرادي: بيان جوازه لا اعتقاد أنه كان كذلك، فإن قلت من حق ولاية الحلاج ألا يحترق ولا يكون رمادًا.

قلت: ذلك غير لازم فإن الأجساد مشتركة فى قبول العوارض والآفات، ألا ترى إلى حال أيوب ويحيى وغيرهما من الأنبياء- عليهم السلام- وقد ذكر أهل التفسير في أصحاب الرسِّ أنهم قتلوا الأنبياء المبعوثين إليهم وأكلوا لحومهم تمردًا وعنادًا ورسوا بئرهم بعظامهم، نعم قد يكون فى هذه النشأة أمور خارجة عن العادة خارقة كأحوال بعض الأنبياء والأولياء الذين قتلوا مثلاً، ثم أحياهم الله تعالى واما فى القبر فقد ثبت: أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ومن يليهم. وانظر: تفسير روح البيان (٣/٤٥٥).

قال حضرة الشيخ: سلوك بعض السالك مرتب كما في بعض الرسائل للشيخ الأكبر وسلوك بعضهم غير مرتب فالانفتاح أولاً على تقدير الترتيب يبدأ من عالم الكون والفساد واستماع كلام الجماد والنبات والحيوان وحركات الأفلاك والملائكة ثم يظهر عالم الغيب، والمعاني والمعتبر هو هذا الظهور الثاني؛ لأن ما عداه يتعلق بكون، فلا لطف في الكثافة بل هو قيد للأكثر.

ثم قال: وقد وقع سلوكي على غير ترتيب حيث انفتح أولاً حقائق الأفعال والصفات والذات وسر الحياة السارية في جميع الأكوان.

قال حضرة الشيخ: النار ترق في صورة التنــزل؛ لأن باطن الجلال جمال فأهل النار أحديون، والجنة تنــزل في صورة الترقي لأن باطن الجمال جلال، فأهل الجنة صفاتيون؛ لأن التنعم من مرتبة الصفات، وهي دون مرتبة الذات.

قال حضرة الشيخ في شرح بعض أهل الذوق جَفْر سيدنا على رضي الله عنه وكرم وجهه- وقع الاتفاق على أن الله تعالى «**يبعث في رأس كل مائه سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**»(١) كما في الحديث، وهم أهل الخير والتقى، وصاحب السيف، قال: إذا ظهر صاحب السيف يدفع فتنة القوم أولاً ثم الكفار، وأراد بالقوم السلطان وأتباعه السفهاء الأشقياء الظالمين المصادرين.

قال الشيخ: إن آدم كاشف عن شأنه الذاتي فسلك طريق الأدب حيث قال: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا**﴾ [الأعراف:٢٣]؛ فأسند الظلم إلى نفسه.

وأمَّا إبليس فلم يكن له ذلك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾ [الأعراف:١٦] حيث أسند الإغواء إلى الله مع أن تلك العداوة كانت تأتيه في عينه العلمي وشأنه العيني فاقتضت فلذا أظهرها الله، ومن المحال أن يظهر الله ما ليس بثابت ولا مقدر.وقولهم: السعادة الأزلية والعناية الرحمانية قولُ من طريق الأدب، وجاء على طريق التفهيم وإلا فالاقتضاء أن تظهر لا محالة من الأزل إلى الأبد يعمل على شاكلته.

قال حضرة الشيخ: لا يصح الاقتداء بالجُنب، ويكره بالأعمى لعدم شرائطه وإنما يصح بالجنب الباطني، والأعمى بصيرته لوجود الشرائط في الظاهر، وقد ورد:

---

(١) تقدم تخريجه.

«صلوا خلف كل برٍّ وفاجر»(١).

قال حضرة الشيخ: الجيش جيشان؛ جيش في الظاهر، وجيش في الباطن، فجيش الظاهر صنفان؛ مؤمن وكافر فهما على التقابل والمقاتلة دائمًا.

وكذا جيش الباطن نوعان: ملك، وشيطان، ونفس فهما أيضًا على التضاد مهما يجد أحدهما الفرصة في ميدان القلب يستولى عليه.

قال حضرة الشيخ: سرُّ الإنسان يلزم من طور إلى طور إلهيا كان أو كونيًا إلى أن يتعين سويًا ويأخذ من جميع الأطوار خواصها وكيفياتها، وينصبغ بانصباغها فهذا هو النـــزول الأول، وفيه غفلة لغلبة الأحكام إلى الصبغ بها في مردوده على الأطوار ثم السالك الموفق يترقى من طور إلى طور، ويؤدي في كل طور ما أخذ منه قبل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ [النساء:٥٨] ويصل إلى الفناء في الله وهو الخلوة مع الله، ومنه طريق الخلوتية فمن واقف هناك كأبي يزيد البسطامي، ومن نازل، والنازل أعلى من الواقف وبالعكس فعند نـــزوله يسير الأطوار كلها لكن بالوجود الحقاني فيحرز في مرتبة فنائه مرتبة الله أحد، وهي في بقائه مرتبة الله الصمد، فالفناء هو الجمع والبقاء هو الفرق الثاني، ويقال للمرور الأول على الأطوار: التحصيل؛ لأنه ينحل عن وجوده جميع ما عقد عليه قبل من الخواص، وللنـــزول الثاني: التقييد؛ لأنه يعقد عليه جميع ما حل عنه قبل، ثم مَثَّل مثالاً بالهلال؛ فإن أول ما يبدو إشارة إلى الفناء، وكذا البدر إلى البقاء، ولا يزال في كل شهر من كونه هلالاً وبدرًا، وكذا لا يزال الكامل من الفناء والبقاء والصدر والنـــزول فحاله عين مظهر التجليات فيه حال الجلال حيث ينمحق عنه آثار الخلق وحين أفاقته وعوده منها حال البدر.

وقال: إن الكامل ينـــزل من الفناء إلى البقاء، ويقال له: الخلق الحقي، ثم قال بطريق اللطف: فاجتهد أنت يا حقي حتى تكون هكذا، ثم تبسم، وقال: إن شاء الله لا يضيع مخلصك الخفي، وفي كونك متلقبًا به حكمة ومصلحة.

وقد كنت قرأت عليه شيئًا من المعارف فأخذ يقرر الأسرار من العصر إلى صلاة المغرب حتى امتلأت القلوب والصدور بالذوق الروحاني والحمد لله تعالى.

قال حضرة الشيخ: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن يا إبراهيم، خف مني

(١) رواه مسلم (١٦٨/١).

كما تخاف من السبع الضاري- وذلك أن السبع الضاري يفترس من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ومن غير مبالاة، والله تعالى إذا قدر شيء وأمضاه في الأزل؛ فإنه يجريه في عالم التدبير من غير مبالاة، ولو علي ولي أو نبي عند تنفيذ قضائه يستوي الكل، ثم تلا حضرة الشيخ قوله تعالى: **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾** [الإنسان: ١].

فقال: الحين حينان: أزلي وأبدي فهو لم يكن شيئًا مذكورًا في الحين الأزلي إلا أنه لا ينافي كونه شيئًا غير مذكور، يعني أنه وإن كان مذكورًا إلا أنه كان شيئًا ولذا أرسله الله تعالى إلى حين الأبد ليكون شيئًا مذكورًا.

قال حضرة الشيخ: عبد الله فوق عبد الرحمن، وهو فوق عبد الرحيم، وهو فوق عبد الكريم، ولذا جعل رسول الله ﷺ عبد الله، وكذا عبد الحي وعبد الحق أفضل الأسماء؛ لأن بعض الأسماء الإلهية يدل على الذات، وبعضها على الصفات، وبعضها على الأفعال، والأول أشرف من الثاني، وهو من الثالث.

قال حضرة الشيخ: بعضهم يسكر من الشرب من بيت الخمر، وبعضهم من رائحة الخمر، وفرق بين من يسكر من الخمر عينها، وبين من يسكر من رائحتها؛ فأهل البداية من أهل المكاشفة لم يسكر من الرائحة، وكذا كثير فيهم المدعون.

قال: الأفعال حجب ظلمانية، والصفات نورانية، والمتجاوز عن كلها واصل إلى الذات.

قال: ولا سلامة إلا في علم الصوفية؛ فإنه حق كله، بخلاف ما عداه؛ فإنه مشوب بالصواب والخطأ، وأكثر من ضلّ من الفرق الضالة فهم أبعد من الحق خصوصًا المعتزلة، وأقرب من الحق هم المتكلمون.

قال حضرة الشيخ: ليس كل من رأى رسول الله ﷺ وكان مخاطبًا عرف حقيقة المراد منه، وإنما عرفه الخواص فكيف من بعد من القرون الأولى فجاء في آخر الزمان وأواخر القرون فاستشمامه رائحة الحق، ووصوله إلى السر المطلق بعيد إلا من ساعدتُه العناية الأزلية.

قال حضرة الشيخ الأكبر: إن حضرة القرآن قد بقي بكرًا ومراده بالنسبة إلى علماء الظاهر؛ فإن الذي فهموه من القرآن إنما هو ظاهره ومفهومه الأول وأما علماء الباطن فانتقلوا من المعاني الأول إلى الثواني ثم إلى الثوالث ثُمَّ وثُمَّ إلى أن وصلوا إلى الباطن السبعين، وعلماء الرسوم يحتاجون إلى ترتيب المقدمات فعلمهم تفكري،

وعلماء الحقيقة لا احتياج لهم إليه فعلمهم تذكري، ثم مثّل مثالاً بأن الطالب للماء، فإما أن يصل إلى الماء أو لا، فإن وصل فإما أن يكون ذلك الماء مالحًا أو عذبًا، فعلى تقدير كونه عذبًا فليس كالمطر بلا أسباب؛ فإنه طيب خالص فالأنبياء والأولياء ملهمون من عند الله تعالى ولا خطأ في الوحي والإلهام، ولذا نقول: إن علم التصوف هو العلم الصواب الحق كله ثم وصَّى بخلوص المحل وألا يكون العبد أجيرًا بل عبدًا محضًا كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٠٩] فالعبد الحق لا يرجو الأجر من عمله ولا يترقبه، بل من ربه، والأجير يرجوه من عمله ولو علم الأجير أنه لا يعطي لترك العمل ولو علم العبد ذلك لا يترك فهو من الخدمة والعبودية سواء أعطي أو منع.

قال: ومن السالك من يأخذه الله في أوائل عمره، وبعضهم يجذبه في أواسطه، قلت لحضرة الشيخ: ذهب العلماء إلى صدور بعض السهو عن النبي عليه السلام كما نقل تلك الغرانيق الأولى، وأن شفاعتهن لترتجي ونحو ذلك، فقال: يفعل الله هم ما يفعل: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، ولم يقع سهو منه عليه السلام في الحقيقة، وكونه سهوًا بالنظر إلى أرباب النظر لا يستدعي كونه سهوًا بالنظر إلى أصحاب الأعيان.

جاء حضرة الشيخ إلى حجرتي في داره العالية، وكنت مفطرًا بعذر الضيافة فجاء بعض المسافرين، ووضع كوز الماء في جنبي، فثقل ذلك علي، وأحسَّ الشيخ منه كوني مفطرًا، ثم لما حضر الطعام بعد المغرب وجلست جنب حضرة الشيخ على الوجه المعتاد، قال في أثناء الطعام مخاطبًا لهذا الفقير: كُلْ من الطعام على نية الصوم، والصلاة، وإحياء الليلة فعرفت أن فيه تأديبًا لي وتنبيهًا لطيفًا.

قال المولى الجامي: [....][1].

قال الشيخ: الآخرة قلب الدنيا، فالبصيرة الباطنة ظاهرة، وسألت عن قولهم في قوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣] أي: ببشريتك ووجودك؛ فقال: إن البشرية تنافي الرؤية، وموسى عليه السلام سأل الرؤية بالنظر إلى ظاهر البشرية والوجود وهي لا يمكن أبدًا بل لو تعلقت الرؤية بذات الله تعالى لتعلقت حالة الفناء في الله، واضمحلال الوجود والبشرية.

---

(١) عبارة تركية.

فقلت: يرد عليه ما وقع ليلة المعراج؛ فقال: إن حبيب الله ﷺ رأى ربه في تلك الليلة بالسر والروح في صورة الجسم هناك؛ لأنه تجاوز في سيره من عالم الأجسام كلها بل من عالم الأرواح حتى وصل إلى عالم الأمر، فقلت: يرد أن الأنبياء والأولياء مشتركون في الرؤية بالبصيرة حالة الفناء فلا فرق إذًا بين موسى ﷺ ومحمد ﷺ فأي فائدة في قوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣].

وأيضًا في عروجه ﷺ إلى ما فوق العرش؛ فإن تلك الرؤية تحصل في مقام العينية والقلبية لا في الغيرية والقالبية؛ فقال: إن أمر الرؤية وإن كان محتاجًا إلى الانسلاخ التام عن الأكوان مطلقًا إلا أن الانسلاخ بالقلب والقالب مختص بنبينا ﷺ؛ لأن موسى ﷺ لو رأى ربه بالانسلاخ رأى وقالبه في عالم العناصر، وأمَّا محمد ﷺ فقد تجاوز بالقلب والقالب عن عالم العناصر، ثم من عالم الطبيعة فأنى يكون هذا الخيرة، وفي هذا المقام تحقيق آخر جرى بيني وبين حضرة الشيخ، وذلك أن حضرة الهدائي - قدس سره - قال في مجلسه الشريف: استدل المعتزلة على مذهبهم بما ورد في الصحيحين عن أبي موسى: «جنتان من فضة لبنتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه[1]».

قالوا: إن الرداء حجاب بين المرتدي والناظرين فلا يمكن الرؤية، ولكنهم حجبوا من أن المرتدي لا يحتجب عن الحجاب إذ المراد بالوجه الذات، وبرداء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للخلائق الإمكانية والإلهية والرداء هو الكبرياء وإضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذي يلبسه عقول العلماء بالله فافهم انتهى كلام الهدائي في نفائس المجالس.

وحله على ما تلقفت من حضرة الشيخ أن قوله: ولكنهم حجبوا من أن المرتدي يحتجب عن الحجاب معناه أن المرآة لا تكون حجابًا للناظر، كما أن اللباس كذلك بالنسبة إلى البدن نفسه إذ لا واسطة بينهما، فالرداء من المرتدي بمنزلة المرآة من الناظر، وكذا المرتدي من الرداء بمنزلة الناظر من المرآة، إذا المراد بالوجه الذات بطريق إطلاق اسم الجزء على الكل كما في علي - كرم الله وجهه - ونحوه فالمرتدي هو الذات لا يحتجب عن حجابه عن الغير كالقناع للعروس، فإنه كشف

(١) رواه البخاري (٦/٢٧١٠)، ومسلم (١/١٦٣).

بالإضافة إليها إذ لا حائل في البين وحجاب بالنسبة إلى غيرها لكونه مانعًا عن رؤية وجهها وبرداء الكبرياء هو العبد، وهي الحقيقة المحمدية التي هي حقيقة الحقائق، ولكل موجود حصة من تلك الحقيقة بقدر قابليته لكنها في نفسها حقيقة واحدة إذ الواحد لا يصد عنه إلا واحد، وهي الوجود العام الشامل والهوية السارية في جميع الموجودات كالحيوان الناطق؛ فإنه معنى واحد عام شامل لجميع أفراد الإنسان، وكثرته بالنسبة إلى الأفراد لا تنافي وحدته الحقيقية وبالاستثناء في قوله عليه السلام:

«وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء على وجهه» صورة إنتاج تفيض المقدم على تقدير استثناء نقيض التالي؛ فمعناه إلا رداء: الكبرياء إن كان ذلك حجابًا لكنه ليس بحجاب فما بينهم وبين النظر حجاب أصلاً أي: لا حقيقة كل منهم التي تجلى الذات فيها بحسب صفاء مرآتها ومعرفتها وتلك حقيقة ليست بحجاب بين القوم وبين الذات الأحدية إذ ما وراء تلك الحقيقة مع قطع النظر عن التجلي فيها وكونها مرآة له إطلاق صرف لا يتعلق به رؤية راء أيًّا كان فكل ناظر ينكشف له جمال الذات من حقيقة ينظر إليه من تلك الحقيقة، وهي ليست بحجاب للنظر ولا للذات إذ هي كالمرآة للناظر فالنظر الظاهري قيد تام، وما وراء تلك الحقيقة من الذات إطلاق بحت فلا مناسبة بينهما بوجه من الوجوه، وتلك الحقيقة بين التقييد والإطلاق برزخ جامع لها كما قال عليه السلام:

«**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[1] فالعارف إذا لم يتعلق عرفانه بنفسه الكلية وحقيقته الجامعة لا يتأتى منه عرفان ربه؛ لأن ربه مطلق عن القيود والنسب، والإضافات، وهو بهذا الاعتبار لا تتعلق به المعرفة.

وأمَّا نفسه المتجلي فيها الرب بحقائق أسمائه فيتعلق بها تلك الرؤية من حيثية التجلي، فيكون حقيقة نفسه ومعرفتها مرآة ربه ومعرفته هذا، وإنما غلط من غلط بقياس الغائب على الشاهد، وهو ممنوع باطل إذ فرق بين الملك والملكوت، وكذا بين الملكوت والجبروت واللاهوت والكبرياء رداؤه الذي يلهمه عقول العلماء بالله أي للتفهيم لا لمعنى آخر، فلا رداء هناك حقيقةً، والعجب أن مثل هذا الإطلاق التشبيهي كثير في القرآن والحديث، وقد فهمه العرب بسليقتهم و لم يترددوا في ذلك أصلاً، ثم إن أهل الاعتزال قالوا لعمي بصيرتهم وسوء فهمهم ما قالوا، فأولئك هم المحرومون من الجمال الحقيقي إلا أنهم في مرية من لقاء ربهم.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٠٨).

الزيارة الرابعة

الزيارة في شوال من سنة تسع وتسعين لما دخلت السفينة من قصبة «مدانية» غلبني القيء، فعرفت أن زيارة حضرة الشيخ كما أنها سبب لزوال الأمراض الباطنة، كذلك سبب لزوال الأمراض الظاهرة؛ لأنه يحصل لي من قيء الصفراء المجتمعة على خفة بدن واعتدال مزاج.

ولما دخلت على حضرة الشيخ وذلك وقت تهيئة للجمعة قبيل الزوال عامل معاملة جميلة وذهبت معه إلى جامع السلطان سليم، فلما خلع نعليه عند باب الجامع أخذهما بيديه ورفعهما ووضعهما تحت الكرسي، وذلك من دأبه في أكثر الأيام فأشار به إلى أمور.

الأول: أنه فعل ذلك توصفًا كما فعل مثل هذا رسول الله ﷺ على ما هو اللائق بخلقه العظيم.

والثاني: إرشاد في رفع الكبر.

الثالث: تربية لمن خلفه من الصوفية فكان ذلك صورة غضب لما أن بعضهم تحادثوا خلفه و لم يك ذلك من الآداب، ولما جلس مجلس الوعظ قال عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال:١٥]: إن المراد هو الإيمان المطلق سواء كان رسميًا بيانيًا أو شهوديًا عيانيًا.

فالأول: إيمان أهل الشريعة.

والثاني: إيمان أهل الحقيقة، وكلاهما معتبر مقبول يمنع لصاحبه عن الهالك.

وقال أيضًا: القيام الصلاتي إشارة إلى التقدير الأزلي، وهو التفويض والركوع إشارة إلى التدبير الأبدي، وهو التسليم والسجدة إشارة إلى الفناء الكلي عنهما إذ كما لابد من التخلق بمثل هذه الصفات لا بد من الفناء عنها.

دعاني حضرة الشيخ يوم السبت قبل الظهر إلى بيته الفوقاني، فسأل عن أحوالي فأظهرت الشكاية عن ضعف البدن وبعض الموانع الصورية؛ فقال: إن هذا حكم الوقت، والشيء إذا ثبت ثبت بلوازمه، وكل ذلك من لوازم ذلك.

ثم قال: اجتهد في طريق الحق حق الاجتهاد، وقُلْ كما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

وكُنْ يوسف ثانيًا؛ فإن تفرقك سبب لانتظامك وجمعيتك، وما دبَّر الله لك

من الاضطراب فيعود إن شاء الله إلى السكون ويكون عاقبتك خيرًا.

عرضت على حضرة الشيخ بعد طعام العشاء قدومه الشريف إلى مدينة بروسة؛ فقال: لا، لا والنفس، وإن كانت تأمل ذلك وتحتظ منه إلا أنه ليس من حظ الروح وإلى الآن لا يقدم لي إلا الإقامة في داري وقد حصل لي ملال من الخروج؛ فقلت: أحبابكم منتظرون، فتبسم، وقال: من الأحباب فاتهم؛ لأنه واحد لا اعتبار لهم، ثم قرأ قول حضرة الهدائي في بعض الإلهيات التركية [...] فقلت: كلامهم حق، فإن أهالي بروسة وإن كانوا على محبة في الظاهر لكن ليس في هذا الزمان قابل الألفة والاختلاط، فقال: منتقلاً إلى أسلوب أخر: لا نرجو الألفة والأنس من الخارج؛ فإنها لا تفني شيء بل تضمحل جميعًا، واجتهد أن تجد ذلك في نفسك؛ فإن من وجد ذاته واستأنس به لم يبق له حاجة إلى الخارج أصلاً بل يفنى عن السموات والأرض وما فيها ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**إن الله اتخذني خليلاً**»(1) وهو في الحقيقة اتخاذ ذاته في ذاته خليلاً ووجد أن ذلك الحضور في باطنه.

سأل حضرة الشيخ عن الأولاد، وقال: لِمَ لَمْ تجيء بولدك إسحاق؟

فقلت: إن والدته تمنعني من ذلك لصغره ولأنها لها علاقة به، ولقد كان لي علاقة بابنة لي، وكان يخطر ببالي إلى أن رأيت الانكسار من كل وجه، ووجدت كل ألم في الدنيا غير ألم موت الأولاد وانكساره، فماتت تلك البنت أيام هذه الخاطرة، فوجدت منه ما وجدت، فقال: تلك الخاطرة كانت من الرحمن؛ فإنه يحرك القلب ويفيض إليه أشياء، ويصدقه بعد ذلك وله الحكم في كل أمر.

قال حضرة الشيخ: الطريق الأسلم هو أن تحسن الظن إلى كل أحد، فإن كنت صادقًا فهو صادق، وإن كان كاذبًا فقد نجوت أيضًا وهلك هو.

قال حضرة الشيخ: الوصول في هذه الطريق لا يحصل إلا بالإخلاص ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر:٣]، قال: ابن الوقت لا بدَّ له أن يلازم وقته ولا ينظر إلى ما بين يديه وما خلفه، والسالك وإن كان يلاحظ التحرز عن كل شيء ولكن لابد له من وقت في المستقبل فما دام لم يجئ وأنه لا يتخلص عن الاضطراب فالاضطراب واقع، ولكن السكون مرهون بوقته لا يحصل قبله وإن قاسى كل شدة فإذا كان بالوقت فله التصرف في كل شيء والزمان تابع له حينئذٍ،

(١) رواه مسلم (١/٣٧٧).

وشكوت عن تعنت أهل البيت، فقال: إن الله يحملك على الصبر، والتحمل، فإذا تزكى نفسك عن الرذائل، واتصفت بالفضائل يرتفع الموانع مطلقًا.

سألت حضرة الشيخ أحوال أولاد المشايخ الكرام وأحفادهم حيث إنهم يقولون: إنَّا أولاد فلان العزيز فهل لهم فائدة في الافتخار بمجرد كونهم ذوي القربى من غير أن أحسابهم كأنسابهم؟ فقال: أما تعرف قوله تعالى في حق كنعان بن نوح: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦].

وفي المثنوي في حقه: [....][١].

قلت لحضرة الشيخ: هل يكون خليفتان في محل واحد؟

قال: ليس هذا من دأب السلف؛ لأنه كنفخ روحين في جسد واحد.

أقول: هذا إذا كان الخليفتان لشيخ واحد، وإذا كان لشيخين فلا بأس.

قلت لحضرة الشيخ: يجب الهجرة في رأس المائتين؛ لأنه يقرب فناء العالم حينئذ.

قال: الأصح أنها في رأس المائة الثالثة بعد الألف.

وقال: إن أمر الدنيا كالبدر وكالهلال من آدم إلى نبينا ﷺ ثم امتلأ الهلال فصار بدرًا، ثم عاد إلى مرتبة الهلالية قليلاً قليلاً، ولهذا ترى العالم على الاضطراب والفناء والزوال.

وأظهر حضرة الشيخ وجع السنّ والنـــزلة؛ فقال: إن الله ابتلاني به منذ ثلاثين سنة، وذلك من تجلي الجلال.

فقلت: إن حضرة الشيخ الشهير باقتادة - قدس سره - ابتلي بوجع الكعب إلى آخر العمر، فقال: إن الله تعالى مرة يتجلى بالجمال، وأخرى بالجلال، وكلٌ من بديع صنعه محبوب بكل وجه.

قال حضرة الشيخ: الكامل لا يخرج عن حكم الطبيعة والقلب والروح كسائر الناس لكن لا تلذذ بالنسبة إليه، ولا تألم بل هو مجرد عن القيود مستقر في مقام السر المحيط بالكل، قال: أول الأمر تجريد وآخره تجريد بل تفريد، ولا تخلق شيءٌ أصلاً إلا أن يكون أهل برزخ وحجاب فيعلق.

قلت لحضرة الشيخ: أريد أن أقرأ عليكم «مفتاح الغيب» للصدر القونوي -

---

(١) كلام تركي.

قدس سره- فقال: لا حاجة فإنه للتشريف، وقد أعطاك الله الفهم والذوق فعليك بمطالعته.

قلت لحضرة الشيخ: إن الجلوتية في بروسة خلطوا الدور والرقص بطريقتهم فغيروها عن أصلها، فهل يكون دور الصوفية في هذا الزمان ورقصهم توحيدًا على الصفة التي كانوا عليها؟ فقال: لا فإن من لا أهلية له للدور مثل المرد وأهل الهوى كيف يكون فعلهم توحيدًا؟ وقد خلطوا الهوى بالهوى فاسد منه الحال.

أقول: كان حضرة الشيخ يرى الدور، ولكن ينكره في هذا الزمان، ويقول: قلَّ الأهل من القوال، وأهل التوحيد. ولذا ترك الكل في أواخر عمره، فلم يلتفت لا إلى الأقوال، ولا إلى عقد مجلس الذكر والتوحيد.

قال حضرة الشيخ: إن التمكن والسكون بعد اليقظة والوصول، فأهل الغفلة والدعوى يضربون الحديد البارد وتلذذهم مشوب بحكم الطبيعة والنفس، وهو حرام ولا اعتبار للعلم والعرفان القالي بل للحالي، وتقليد أهل الحقيقة في حكم الطبيعة مقبول؛ لأنه لدين مستحسن مجرد عن الحظوظ بخلاف تقليد أهل الطبيعة في حكم الحقيقة، فإنه مردود؛ لأنه تلوين مستقبح مشوب بالحظوظ، والتلوين غير جائز.

قال حضرة الشيخ: من كان متوجهًا إلى الله فالإمامة والخطابة ونحوها قيد له مانع عن توجهه، ومن استأنس بالحق تعالى لم يحتج إلى الاستئناس بالخلق؛ فالواعظ المعرض عن الحق يطلب كثرة الخلق في مجلس الوعظ، وكذا المدرس في حلقة درسه وكذا غيرهما، وأمَّا المقبل إلى الحق فليس له حاجة إلى الخلق أصلاً سواء قبلوا أو لم يقبلوا.

أعاد حضرة الشيخ وجع سنه، وقال: إن الله تعالى حفظني عن الأمراض مطلقًا إلا وجع السن فابتلاني؛ لأن به وفيه حكمة بالغة له فانظر من أين يجئ هذا الوجع؟ وكيف يجئ؟ وكيف ظهوره في أسنان الإنسان؟ فقد أسهرني ثلاث ليالٍ بحيث ما نمت قط إلى الصباح.

قال حضرة الشيخ في حق خليفة الشيخ حسين الفرائضي: وقد كان هاجر مع أهل بيته وقت استيلاء الكفار على [البلاد الرومية][(١)] فاستخلفه في قصبة إزميدان الآن في علم المجاهدة وحكمة التجلي بالقبض، فإذا جاء وقت البسط يبسط الله بحيث

(١) في الأصل باللغة التركية، وتم ترجمته.

يسخر الروح، والنفس إذا كانت مغصوبة بقي فيها أثر غصب لا يخلوها عن الانقباض، وإذا كانت مرحومة بتوسع رزقها من الاسم الرحمن.

قال حضرة الشيخ في وعظه عند قوله تعالى: ﴿**إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ**﴾ [المائدة: ١١]: لما أن الله تعالى كف شر الأعداء عند همتهم على الأنبياء، كذلك كف عن الأولياء فلكل ولي حصة من هذه الآية، وهو داخل في حكمها.

أقول: قرر حضرة الشيخ المقام بحيث أنفسهم منه أن ظلمة الزمان لا يقدح دون أن يهموا إليه بالقتل وكان كذلك؛ فإن الله عصمه من كيد الأعداء إلى آخر عمره مع زيادة جسارته على الكلام الحق من غير تفرقة بين وزير وسلطان وقاض وأعيان، ولذا كان يمدحه بعض الوزراء في خلواتهم بالشجاعة.

فإن قلت: كيف عصمه الله، وقد نُفِيَ في آخر عمره ومات منفيًا؟.

قلت: حفظُ البدنِ كاف في العصمة، وقد اضطر النبي ﷺ الهجرة مع العصمة والورثة كالرسل في أكثر الأحوال.

قال حضرة الشيخ بعد الطعام والدعاء ليلة الجمعة: مرضت مرة في سالف أيامي فرأيت كأن الروح تخرج من الجسد، فكان هو في محل والجسد في محل، ورأيت أن العلاقات جميعًا انقطعت عني وأن القوانين والعلوم الرسمية، فارقتني فلم يبق في دائرة الوجود شيء يشار إليه، وهكذا يكون وقت الاحتضار؛ فإن الرسوم تفنى وقتئذ بالكلية، وما يقال: حسن الخاتمة وسوء الخاتمة؛ فهو إشارة إلى الأُنس والوحشة عن الله فلا بدَّ من التجرد عما سوى الله بالكلية، وهو ما كان غير الذات مطلقًا سواء كان من التعينات الإلهية والكونية، فإن التعينات الإلهية يقال لها أيضًا ما سوى ولو بالنسبة فكل ما يطلق عليه ذلك قيد في نفس الأمر، ويظهر كونه قيدًا ولو بعد حين.

قال: وأنا نرى أكثر أهل الطريق في هذا الزمان ممكورين بحسب الأتباع والكراسي والوظائف والخانقاهات [......][1] ولم يتخلص إلا الذين جازوا الأوهام إلى العلوم، ومن المعلوم إلى العرفان، ومن العرفان إلى العيان، ومن العيان إلى العين، ومن العين إلى الحق؛ فما دام لم يصل السالك إلى الحق اليقين فهو ناقص، وإن كان

---

(١) بياض في الأصل.

كاملاً بالإضافة إلى غيره، والكامل والأكمل الذاتي هو أهل الهناء والبقاء فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون فتح العلم والعرفان الغير الحالي ثم تبسم، وقال قول الهدائي في بعض إلهياته[....][1] .

وقال: فأنت يا إسماعيل حقي تسمى نفسك سمي الذبيح، فهل كنت كذلك؟ ثم تبسم، وقال: تكون كذلك إن شاء الله تعالى.

قرأ حضرة الشيخ قوله تعالى: ﴿**مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دينه فَسَوْفَ يَأْتي اللَّهُ بقَوْمٍ يُحبُّهُمْ وَيُحبُّونَهُ أَذلَّة عَلَى الْمُؤْمنينَ أَعزَّة عَلَى الْكَافرينَ يُجَاهدُونَ في سَبيلِ اللَّه وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائمٍ**﴾ [المائدة:٥٤] ثم قال: انظر كيف ذكر الله الموصوف وهو القوم فوصفه بالمحبة المطلقة وبغيرها من الأوصاف الجميلة وتخصيصها يستدعي أن أهل الحق هو من اتصف بها وخلافه من تخطاها.

ذكر حضرة الشيخ كرامات بعض الأولياء حتى قال: يحكي أنه في مرقد إبراهيم بن أدهم - قدس سره - ثقبة يخرج منها نحل، ويدخل غيره، فإذا أراد بعض ظلمة البلدة بسوء يتسلط ذلك النحل عليه إلى أن يتوب ويرجع عمَّا كان نوى وضع الله عجيب.

قال حضرة الشيخ بعد تلاوة قوله تعالى: ﴿**لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً**﴾ [الحج: ٥]: إن السالك إذا وصل إلى الحق لا يبقى له سوى الحق ويصير علمه جهلاً فيضمحل عنه اعتبار ما سوى الله تعالى وهو أرذل العمر في الحقيقة، فما دام لم يفن السالك عن القيود والاعتبارات، فهو ليس بهالك ولا يرى له كل شيء هالك، ثم قرأ قول الهدائي في بعض إلهياته التركية [......].

﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨].

قال: المراد بالملك ملك الذات وملك الوصلة؛ فإنه لا يقدر أحد خذه عن يد صاحبه، ثم قرأ قوله أيضًا [..............].

وذكر حضرة الشيخ وفاة أبيه وحاله عند الاحتضار؛ فقال: بلغ إلي حيث لم يحس من نفسه أصلاً، وكانت والدتي تقطر في فيه بقطن مبلول ففتح والدي عينيه، وقال: يكفي يكفي مرتين؛ فإن الأنفاس قد نفدت، ثم قال: يا الله، وقبض تلك الساعة، قال: في الوجود الإنساني بذل خفي من الشهوات يظهر الشيطان عند

---

(١) كلام باللغة التركية.

الاحتضار ويمنيه نعوذ بالله من ذلك إلا أن يكون قد قطع عرق كل هوى وشهوة فلم يبق له تمنٍ أصلاً.

قال حضرة الشيخ: جاءني بائع من مدينة إزمير يحكي أنه وقع فيها في هذه السنة زلزلة عظيمة وإحراق كثير، وانهدام الأبنية بحيث بقى الخمس منها تحتها عشرون ألفًا من الرجال والنساء، قال: هذا من آثار قوله تعالى: **﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً﴾** [الإسراء: ٥٨]، والقهر الإلهي لابد منه إذا قدر مضيه ونفاذه، وأهل التسليم لا يرون إلا القضاء والقدر.

وقال حضرة الشيخ: أحب لجميع الناس ما أحب لنفسي حتى أني أرضى لنفسي ولم ينبغي من الأهل والعيال الجوع والفقر، ولا أرضى لسائر الناس، فقد امتلأ بهذا المعنى صدري، ولا أقول إلا حقًّا.

قال حضرة الشيخ: ففوض أمرك يا بُنيّ إلى الله تعالى لكن على حقيقة الإسلام والإيمان لا على مجرد العلم والعرفان؛ فإن الشيطان قادر على أن يفسر القرآن سبعين مرة مع أنه لا يغني عنه ذلك شيء ثم تلا قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩] عين حضرة الشيخ خليفة هو عثمان الجانيقي للقصبة التي يقال لها- بكى شهر- في نواحي بروسة، وقال لي بطريق المزاح: اذهب به إلى بروسة، وطهره تطهيرًا، وقد فوضت أمره إليك فاكسر أنف نفسه بالتربية.

قال حضرة الشيخ لبعض خدامه من الصوفية: قد يجيء إلى هنا بطريق الزيارة، بعض الناس المتعممين بالسواد، فلا تردوهم على أعقابهم خائبين، وكانوا كالبحر في التحمل ولا يضرنا بمجيئهم.

أقول: وجه هذا أن بعض المتعممين بالأسود ممن له شهرة كاذبة كان يجيء حضرة الشيخ أحيانًا فدفعه بعض الصوفية مرة أو مرتين فشكا هو إلى الشيخ من معاملة الخدام فقال ذلك.

قال حضرة الشيخ: حادث كل شخص مبني على قديم فلا انقباض أصلاً، قال: الكامل من الإنسان يحيط بجميع المراتب فتارة يدخل في الظلمات وتارة يخرج إلى النورمع أنه لا يتقيد بشيء من ذلك أصلاً.

مثلاً: ينـــزل إلى مرتبة الطبيعة والنفس، وهي ظلمة ويترقى إلى مرتبة القلب

والروح، وهي نور مع أنه مطلق من الكل؛ لأن الله تعالى مطلق بالإطلاق الذاتي الحقيقي فلو تجلى على هذا الإطلاق لم يظهر وجود بل هو يتجلى على حسب حال المتجلي له.

وقال: الكامل لو لم يدخل في مراتب أهل القيود بل جلس في مرتبة الإطلاق لم يظهر تربية وتكميل أصلاً.

وقال: لو أن الله تعالى أدخل الليل في النهار، فجعل كل زمان نهارًا وكذا لو أدخل النهار في الليل فجعل كل وقت ليلاً لم يحصل للإنسان الكامل تلذذ ولا تكدر أصلاً؛ فإنه مطلق عن الكل قاعد في مقام التسليم.

قال حضرة الشيخ: قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّه أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] إن جعل التنوين للعوض يكون المعنى: ورضاء العبد من الله تعالَى أكبر.

* * *

الزيارة الخامسة

سببها أن حضرة الشيخ دعاني على العجلة إلى جنابه، وذلك في أوائل جمادى الآخرة لسنة مائة وألف؛ فلما قدمت وجدته قد ذهب إلى جامع السلطان سليم للوعظ والتذكير فوقفت عند الباب حتى جاء؛ فقبَّلت يده التي هي يمين الله، ثم صلى العصر وسألني عن الشيخ إبراهيم خليفة في قصبة بودانيه، فقلت: إنه مات مقتولاً في محاربة حسين باشا مع كدك باشا في الجبل الذي وراء بروسة، فأشار بيده إلى أن كونه مقتولاً قد كنت رأيت على اللوح الأزلي، ثم قال: قد حملني على دعوتك الاشتياق إليك، ولكن إنما أحبك حقيقة إن كسرت صنمك ثم كسر الله صنمك ثم تبسم، وقال: هلا تدعوني بهذا الدعاء أيضًا، قرأ قوله تعالى: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال حضرة الشيخ: لا ينبغي في ديارنا أكل السخلة قبل إدراك الموسم الذي يقال له: روز خضر؛ لأن لها مع أمها علاقة كلية فذبحها قبل وقتها قبيح.

وسئل عن حضرة الشيخ هل يحل أكل حرام يتبدل وصفه؟.

قال: إن تبدل الوصف وإن كان في تبدل العين في الفتوى، فإذًا يحل أكله لكن عند التقوى خبيث؛ لأن تبدل الخبيث خبيث.

وسُئل أيضًا: إن التكاليف السلطانية التي يأخذونها من الناس هل تقع موقع الزكاة إذا نواها أصحابها؟ قال: إن كان بطريق الكره والغصب كما في زماننا يصرفون إلى من ليس بمستحق له.

قال حضرة الشيخ: هل لك علاقة من بروسة أم أنت بائن منها؟

قلت: أسعى في البينونة والفراق عن كل شيء سوى الله تعالى، قال: كن هكذا وليكن علاقتك صوري بحسب الاقتضاء.

قرأ حضرة الشيخ قوله تعالى: ﴿**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾ [النحل: ١١٣] ونرجو منه تعالى أن ينـــزعه، ويلبس لباس الأمر.

أقول: وجهه، وقع القحط في القسطنطينية سنين ثم رفعه الله، ووقع استيلاء الكفار على البلاد الرومية فلم يندفع إلى هذا الجمع.

قال حضرة الشيخ: أنا راض عنك أشد الرضا منذ قدمت إلى بلدة بروسة؛ لأنك اخترت طريق الفقر وتركت الترفه والتنعم، وطريقتنا هذه ليست طريقة الزينة

والشهرة والعيش والعشرة؛ فإن بقيت على هذه الحالة فسترى ما ترى.

أقول: لما أراد الشيخ أن يستخلفني في بلدة الإسكوب من الديار الرومية، وهي بلدة كبيرة كما سبق، دعاني ودعا لي ووصى لي بوصايا غريبة حتى تلا قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] فقال: أنا أوصيك بالحق والصبر كما أوصى بها السلف، ولا أقول لك: اذهب إلى الإسكوب واطلب المعاش، واتخذ الضيعة والحديقة والرحى، وابني خانقاها، وأكثر الأتباع، وكن إمامًا أو خطيبًا أو نحوهما؛ فإنه ليس بطريق الأصحاب – رضي الله عنهم - بل أقول لك: كُنْ على الحق واصبر كما صبر واظفر كما ظفروا؛ فإن انسدت طرق المعاش فاخدم للناس بالأجرة قدر ما يندفع به الضرر، وكن مستغنيًا عما في أيدي الناس، وعليك بالإبكار في كل مادة، فإن وسع الله عليك الدنيا فالبس من الحلال ما شئت بعد أن كان لباس الطريقة التجريد، واجعل زينتك لباس التقوى، وإني أرجو منك خدمة في باب الدين عظيمة.

ولما قدمت بلدة الإسكوب ساق الله إليّ أرزاقًا كثيرة من حيث لا احتسب، وكنت وقتئذ ابن ثلاث وعشرين فأخذت ألبس لباس الرخصة على ما رخص لي حضرة الشيخ بمقتضى الحداثة والشبيبة، وصبوة الشبيبة، واستمر ذلك عشر سنين إلى أن زرت حضرة شيخي في بلدة أدرنه، وعليَّ ثياب جُدد وألبسة فاخرة، فأراني يومًا شرحه على مفتاح الغيب للقونوي، وقال: طالع هذا إلى آخره؛ فانكشف لي أثناء المطالعة بعض المعاني الغيبية، وأخذني مرض مجهول، فكنت لا أقدر على الحركة أيامًا، وأراني الله وقتئذ رؤيا غريبة متعلقة بسر الخلافة، فكتبتها كتابة غريبة على ورقة، وعرضتها على حضرة من بيده بعد الخلفاء إذ كنت في بيت آخر بسبب المرض، فاستحسنها غاية الاستحسان، وتعجب من حسن الاستعداد، ومدحني عند الحاضرين لطفًا وكرمًا، وقال: ما أشغلته بها عن الله إلا أنه له حب الزينة الآن، فبلغني ذلك؛ فقلت: قد كان أجاز لي قبل عشر سنين من لباس الرخصة، فأخذت بقوله، فإن هو أمر بالترك و لم يرض بالزينة، فأنا عامل بإشارته قائل بوصيته، فنويت إن عافاني الله من مرضي إذ أستبدل بما علي الذي هو خير منه، فلما شفاني الله وعدت إلى مهاجري ومراعي قصبة «استروبجة» خلعت ما علي كله، واخترت العباء ثم لما هاجرت إلى مدينة «بروسة» ووقعت الزيارة القبرصية كما سبق.

قال حضرة الشيخ: لا يخرج من هذه العباء على آخر العمر، وكان عليٍّ عباء أسود أكاسي بالكسوة البالية، وتحت عبائتي همم عالية، وإن ثيابي صوف من المثال، وهمته كالدرة الغالية.

ونقل حضرة الشيخ حسد الأعداء له حين كان بمدينة (فلبه) حتى اجتمعوا له مرارًا فلم يغن ذلك منهم شيء، ثم بين ما أضره من الفقر مع مجيء النقود والهدايا من الأطراف وأنه لم يقبل من الدنيا غير عباءة بالية.

قال حضرة الشيخ: ترك أبناء الزمان خصوصًا منهم المشايخ العمل بالكتاب والسنة وجعلوا قراءة الإلهي بدلاً من تلاوة القرآن وإلى الأمر على أن كل شاعر أخدان ينشئ إلهيًّا، فاقتضى الحال أن نترك السنن التي كانت شعارًا لأهل البدعة والهوى والعرف والعادة، قال: ولذا تركت الرسوم.

قال حضرة الشيخ: الفرق بين الولي وغيره هو أن الولي كالمتيقظ الذي يحفظ متاعه من السارق فكذا أهل الغفلة.

قال حضرة الشيخ: الإنسان الكامل كالبحر فمن أذاه واغتابه أو قصد إليه بسوء فإنه تحمله، ولا يكون مراعاة خاطره مغيرًا منه، ألا ترى أن البول إذا وقع في البحر فالبحر لا يتنجس منه، وكذا من أجنب إذا دخل واغتسل فيه؛ فإنه يطهر ولا يتغير البحر فهو حاله في الطهارة.

قال: قد شابت لحيتنا فلا يليق بنا أن نتألم من شيء أصلاً، قال: ليكن مطمح نظرك الحشر؛ فإنك ترجع إليه ثم ليكن الصراط لأنك تعبر عنه، ثم ليكن الجنة لأنك تدخلها، ثم ليكن الكثيب الذي يكون عنده الزيارة الكبرى فهو الغاية ثم اجتهد أن تكون في دائرة الفناء التام فإن المقصود هو المعية مع الله لا بالجنة وغيرها.

قال: من أخذ السلوك يكون غريبًا في العالم كما قال ﷺ:

«كنت يتيمًا في الصغر، وغريبًا في الكبر فطوبى للغرباء»(١).

وقد انتخب النبي ﷺ الخلفاء الأربعة، ثم انتخب منهم الوزيرين، ثم أعرض عن الكل؛ لأن الله تعالى اتخذه خليلاً فلم يبق إلا الله.

قلت لحضرة الشيخ: أنا قد رأيتكم لكن رؤية اعتقاد، لا رؤية عمل وحال، قال: هذه الرؤية باب لرؤية العمل والحال والمقام؛ فإن العمدة هي الاعتقاد التام، فإذا حصل للمرء فقد وصل.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

قلت: أنا لا أطلب الاستقلال في الدنيا والآخرة، ويكفي لي شرفًا أن أكون تحت لوائكم، قال: إن الاستقلال مخصوص بالله تعالى، والشرف في الاتباع، ولا زمان بدايتي اشتغل به الآن، وأنا الآن كما كنت في خدمته قبل، قال: الاعتقاد أمر عظيم حتى أن المرء يعرف الله ولا يعرف البشر، ومن سبَّ الله تعالى ربما تقبل توبته ولا يقبل توبة من سبَّ النبي ﷺ، والله تعالى يعرف بوساطة دلالة الأنبياء والأولياء، وحقيقتهم لا تعرف إلا بعد الوصول إلى الله، ثم قال: من عرف نفسه فقد عرف ربه، ناظر إلى الصورة والظاهر، وأمَّا في الحقيقة فمن عرف ربه عرف نفسه إذ لا يعرف النفس إلا بعد معرفة الله.

قال: إن الله إنما ستر الأولياء وحجبهم عن أبصار الخلق رحمة منه لهم، إذ لو عرفوهم لوجب عليهم الاعتقاد والإقرار والاتباع بهم، وعلى تقدير عدم القبول يلزم الهلاك ففي كونهم محجوبين عنهم رحمة لهم.

قال حضرة الشيخ: هل لك حضور في بروسة وأُنس بأهلها؟.

قلت: كان في اعتقادي أن أموت فيها، ولا يقع هجرة أخرى، وقد أذنتم في المهاجرة إلى المدينة أو مكة -شرفها الله تعالى- قال: ليكن القسطنطينية وبروسة وغيرها للخلائق، واجتهد ألا يكون لك أُنس بغير الله، وليكن نظرك إلى هنا، وأشار إلى صدره المنشرح؛ فإن ألهمك الله الإقامة فأقم وإلا فهاجر؛ فإن العمل في الطريقة بالإلهام والاستخارة لا بوساوس النفس الأمَّارة.

قلت لحضرة الشيخ: لم يبق لي ابتلاء غير المرأة وسُوء خُلقها، وأنا لا أريد أن أخلو عن الابتلاء بالمرأة؛ فإنه من باب التربية، قال: نعم فاصبر؛ فإن الصبر مفتاح الفرج.

قلت: فقد انقطع عني داعية التأهل منذ ما قلتم في السنة الماضية اختر التجرد أن تحب أهلك.

قال: ذلك من فضل الله حيث وفقك الله لقطع التعلقات، وجذبك بجذبات العناية، فأنت غالب على شهوتك، وهو مُراد الله تعالى.

قال حضرة الشيخ: إنكار العوام للأولياء كالشرك الجلي، وإنكار الخواص - يعني: أتباع المشايخ - كالشرك الخفي والاجتناب واجب عن كل منها، ولا يصدر مني إلا ما يتعلق بمرتبة كل أحد؛ فإن بعضه من بعض في صدر أتباعنا، غلب عليه إنكار لنا، فلذا وجب السر.

قلت: حفظني الله تعالى من عنفوان عمري عن إنكار شيء من أقوالكم وأفعالكم؛ فإنه قيل: كل ما يصدر عن الواصل فهو شريعة، فاعتقادي على أن كل ما يصدر منكم فهو شريعة جديدة، قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾ [المائدة:٤٩] وكيف لا نقبل هذه الشريعة الجديدة؟ وقد فضّلنا الله بإرسالكم إلينا، فتبسم حضرة الشيخ، وقال: أنت من هذه الطريقة على حقيقة فلا نكتم منك شيئًا.

قلت: كلامكم معي من تربيتي فيجوز أن تكتموا ما فوقها، وهو مرتبتكم، فتبسم أيضًا، وقال: الواصل هو الحاصل عند الله، وهو حقيقة الوصول وكل سالك إنما يتصور مرتبة الوصلة بقدر معرفته وحاله واستعداده، وأمن له فوت ذلك؛ فإن معنى الحصول لا يعرفه إلا من تحقق بهذه الرتبة، وكثير من السلاك يحل له العلم والعرفان، ولكن التحقق بالمقامات أمر آخر لا يتيسر إلا لواحد بعد واحد والمقصود هو المعرفة لا مجرد المعرفة.

قال حضرة الشيخ: الإيمان هو الله تعالى؛ لأنه اسم، وقد أعلم الله في هذا الشتاء كفري على الحقيقة.

قلت: هذا الكفر مما يغبط به أهل الإيمان قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ**﴾ [البقرة:٢٥٦] فتبسم، وقال: إن مرتبة الصلاح مرتبة عظمى ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٦].

قال حضرة الشيخ: لا يزول الابتلاء ما دام الإنسان في عالم الإمكان قال تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**﴾ [الأعراف:١٦٨] فكما أن الإمكان لا يزول فكذا الابتلاء لكن محله الدنيا فالإمكان لا يزول عن الممكن ولو كان في الجنة إلا أنه لا ابتلاء فيها، فباطن الإنسان الكامل وإن كان على سير غير سير العوام لكنه في الظاهر دائرهم، فلذا يبتلى بما ابتلوا به من الأمراض والأوجاع والموت والحشر.

جاء حضرة الشيخ إلى حجرتي التي عينها لي في داره العالية، فجرى ما جرى من الصحبة، ثم قال: هل لك مسواك؟ قلت: نعم، قال: إن لم يكن لك مسواك أعطيتك مسواكًا رقيقًا لطيفًا يناسب ظرافتك ولطافتك؛ فإني أستعمل غليظًا.

قلت: أعطوني فإني أتبرك به بل أوصى بأن يجعل في كفني بعد وفاتي تبركًا؛

فإنه قد مس يدكم المباركة التي حرمها الله على النار؛ فقال ما قال، والحمد لله الملك المتعال أقول: ذلك المسواك الشريف النظيف عندي الآن جعلت عليه علامة ليجعل في كفني، قال في «الأسرار المحمدية»: لو وضع شعر رسول الله ﷺ أو عصاه أو سوطه على قبر عاصٍ لنجا ذلك المذنب ببركات تلك الزخيرة من العذاب، وإن كان في دار إنسان أو بلدةٍ لا يصيب سكانها بلاء ببركاتها، وإن لم يشعروا به ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة أستار الكعبة والتكفن فيها.

قال الإمام الغزالي: إذا أردت مثالاً في الخارج؛ فاعلم أن كل من أطاع سلطانًا وعظم، فإذا دخل بلدته ورأى فيها سهمًا أو سوطًا له، فإنه يعظم تلك البلدة وأهلها فالملائكة يعظمون النبي عليه السلام فإذا رأوا زخائره في دار أو بلدة أو قرية عظموا صاحبه، وخفضوا عنه العذاب، ولذلك السبب ينفع الموتى بوضع المصاحف على قُبورهم، ويُتلى عليهم القرآن ويكتب القرآن على القراطيس، وتوضع في أيدي الموتى انتهى.

قال حضرة الشيخ: العلم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:٢٨].

وفي قوله عليه السلام: «**العلماء ورثة الأنبياء**»(١) مصروف إلى الفرد الكامل، وهو علم الشريعة والحقيقة معًا؛ فإن حقيقة الخشية وحقيقة الوراثة إنما تحصل من جمع بين العلمين فهو العالم حقيقة ومن سواه من علوم الرسوم عالم صورة، والعالم الحقيقي يرى جميع ما في الكون كأعضاء بدنه فلا يقصده بسوء ولا يحسده؛ لأن المرء لا يرضى أن يعرضه آفة على عضو من أعضائه، وأن يزول نعمته، والعالم الصوري ليس كذلك.

وعظ حضرة الشيخ في جامع السلطان بايزيد الواقع في القسطنطينية فحقق قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم**﴾ [التوبة:١١]، ورغّب الناس إلى الجهاد ترغيبًا بليغًا، وقال: إن الله تعالى جعل ذاته مشتريًا، وعباده المؤمنين لا الكافرين بائعين، والأنفس والأموال سلعة بيعه والجنة ثمنًا، ووعد وهو لا يخلف وعده كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ**﴾ [التوبة:١١١] ولا كلام فيه، وإنما الكلام في وفاء العباد؛ فإنهم قبلوا هذا العقد في عالم الأزل والأرواح ثم نقض من نقضه.

---

(١) رواه أبو داود (٣/٣١٧)، والترمذي (٥/٤٨)، وابن ماجه (١/٨١).

قال: لا يكفي للمرء أن يقول: أصف بالله تعالى بدون أن يحقق إيمانه بما أمر به من قبل الله تعالى من الجهاد وغيره؛ فإذا امتثل إلى الأمر، وخرج إلى الجهاد، ووفى بعهده فقد خرج عن عهده الذي ألزم عليه فحاسب نفسه قبل أن يحاسبه، فلذا لا حساب على الشهيد ولا سؤال؛ لأن الملكين أنما يسألان الشخص عن دينه وما يتعلق به، فإذا كمل دينه لم يبق للسؤال وجه أصلاً.

قال حضرة الشيخ: العرش وما حواه من العوالم كلها تعينات جسمانية، وما فوقه تعينات روحانية وكل منها حادث، وما فوقها مرتبة الأعيان الثابتة، وما وراءها عالم الغيب والشئون، قال: الهوية المنفهمة من قوله تعالى «هو» في: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١]، وهو الله محيط بالكل إحاطة لا يحيط بها إلا أهل المكاشفة والمشاهدة والمعاينة، لكن لا تعين ولا تعين في الحقيقة؛ فإن الله تعالى منـــزه عن كليهما كما قال حضرة الشيخ الهدائي في بعض إلهيات التركية[...].

قال المولى الكبير الشيخ محمد الجودي ابن حضرة الشيخ مخاطبًا له: يا أبي إن إسماعيل حقي يُشير إلى هذا الفقير قد وعظ اليوم في جامع سلطان سليم مقامكم كما أمرتم، قال داعيًا: جعله الله مباركًا وأيده وقواه وجعله من أهل عنايته، ثم التفت إليّ فقال: كنت قبل الهجرة إلى بروسة في طرف يمني والآن في سويداء قلبي، يعني: كملت العلاقة والمحبة بسبب تلك الهجرة، وأخذك بطريق الفقر والفناء، والمأمول منك هو الخير يعني: الإيمان والإسلام الحقيقي، فاجتهد حتى تتخلص عن القيود الظاهرة والباطنة، وكُنْ فانيًا عن جميع ما سوى الله، ثم دعا لي مرارًا، وقال: إن شيخي قد دعا لي، وقال مرة: يجيء منك أنفاس الشيخ الأكبر - قدس سره - والحمد لله تعالى قد يسر الله لسان الشيخ، وأسلكني مسلكه، ثم قال مخاطبًا لي: جعل الله حالك وقولك فوق هذه وأشار إلى حاشية في يده المباركة، وهي حاشية تفسير الفاتحة للقونوي كما سبق.

قال حضرة الشيخ: راع المراتب مما سماه الله تعالى غيرًا، وعلى التعينات والظهورات فسمِّه أنت أيضًا غيرًا، وما سماه الله تعالى عينًا، فسمه أنت أيضًا عينًا، ولا يخلو أحدهما بالآخر، وراع الجمع والفرق حتى لا تقع في ورطة الإلحاد والزندقة، ثم قال: أيدني الله تعالى من أول سلوكي إلى الآن بالكتاب والسنة؛ فعلمي هو العلم الظاهر والباطن لا غير، ولم يقع مني بفضل الله إلحاد غير أنه وقع لي مرة محو الفرق

في الجمع، وكان مقدار طرفة عين، ثم أُيدت من عند الله، فجئت إلى الفرق، ثم قال: فإن كنت تسأل عن شيخك وحقيقته، فإن له كرامات علمية لا مكاشفات كونية فليس لي اطلاع على أحوال أهل القبور، ولا على الضمائر ونحوها، ولا أعرف مني بعزل السلطان أو الوزير أو غيرهما ومتى يموت، ولا أعرف ماذا يكون غدًا؟ قال: إن واحدًا من السادات أراد أن يعلمني علم الجفر فلم أرد؛ لأنه لا بفائدة في معرفة ما سيقع بعد أربعين سنة، وكان حضرة الشيخ الأكبر جفارًا وفاقًا جدًّا لو كان حيا، وأراد أن يعلمني الجَفْر والوفْق ما طلبت؛ لأنهما وأمثالهما لا يتعلقان بالعلم الإلهي، ولم يخلق الله في قلبي ميلاً إلى مثل هذا أصلاً.

قال حضرة الشيخ: إني لا أرى رؤيا حسنة إلا قليلاً، رأيت النبي ﷺ مرة، ورأيت حضرة الشيخ الهدائي مرتين، قال في الأولى: أنا راضٍ عنك يا بني؛ لأنك أحببت طريقي ومسح يده بظهري، سألت في الثانية عن قوله في بعض إلهياته التركية: [............].

قال حضرة الشيخ: إذا أراد الله أن يُخلّص عبدًا من الأغيار يؤيده ويفتح له الطريق وإن لم يكن له مرشد، وإنما بغى من بغي في وسط الطريق وفي الحيرة لعدم الاستعداد للأخذ من الله بلا واسطة، قال: اختر الفناء التام؛ فإني الآن كالذي كنت زمن شيخي في بابه، إني معترف بعجزي وقصوري فمن وفق لهذا العجز فسيهديه الله وإلا فلا، ثم قال: هذه الحاشية، وأشار إلى حاشية على تفسير الفاتحة في يده، ليست عندي كجناح بعوضة، وإنما أذن الله لي في ذلك، فكيف ثم لا يخطر ببالي أصلاً؟

قال: إن الشيخ الأكبر وابنه صدر الدين القونوي - **قدس سرهما** - لا يجيء مثلهما أبدًا، وإن كان الله قادرًا على مثلهما، وتفسير الفاتحة بديع جدًّا في أسلوبه وترتيبه ومعانيه وحقائقه، وإنما علقت عليه الحاشية بحسب مرتبتي لا بحسب مرتبته.

قال حضرة الشيخ: الأولياء متفاوتون بعد الوصلة كالسلاطين بعد الجلوس؛ فإن منهم من له سطوة غالبة وقدرة كاملة ومعرفة كلية مثل السلطان محمد الفاتح والسلطان سليم الأول والسلطان سليمان الثاني من الخواقين العثمانية، ومنهم من ليس له ذلك كسلطاننا، وأشار إلى السلطان سليمان؛ فإنه كان على الفتور والضعف في ضبط الممالك، وحفظ الأقطار، وتفتيش الأمور، وتمييز الخير والشر؛ لقلة عقله ورشده.

طلب الابن الكبير لحضرة الشيخ جرموقًا جديدًا وألح؛ فقال حضرة الشيخ: إن هذا الإلحاح باطل، فقال ابنه مشيرًا إلى الفقير: إن الحقي يشفع في هذا، فقال حضرة الشيخ: الحقي منسوب إلى الحق لا إلى الباطل، فقاموا إلى صلاة العصر.

قال حضرة الشيخ: نسبة الخلوتية إلى «لا إله» ويندرج فيه الإثبات، ونسبة الجلوتية إلى «إلا الله» ويندرج فيه النفي.

ومعنى الخلوة: ترك ما سوى الله، ونفيه، واندرج في النفي الصفات السلبية.

ومعنى الجلوة: التنَور بنور الله، واندرج في إثبات الصفات الثبوتية.

قال حضرة الشيخ مخاطبًا لهذا الفقير: قد كتبت حاشية تفسير الفاتحة بخط خفي، فكيف تقرؤه إذا صرت إلى الشيخوخة؟ قلت: لا احتياج حينئذ إلى القراءة من الكتاب، قال: تكون أنت كتابًا إن شاء الله تعالى، قال: صلى بنا حضرة الشيخ صلاة المغرب، وبعد الفراغ منها ومن صلاة الأوابين دعا، ثم تأوه فقام وخاطبني، وتلا قوله تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال: فليكن نظرك إلى هاهنا، وأشار إلى الصدر، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ**﴾ [الشرح: ١-٢] ثم ذهب إلى جانب الحرم.

أقول: قول الهدائي عامة وخاصة؛ فالعامة هداية الكافر إلى الإيمان، والعاصي إلى التوبة، وهو الإيمان والإسلام الصوري، والخاصة هداية المؤمن المطيع إلى الإيقان والمشاهدة والعيان، وهو الإسلام الحقيقي، يعني: أن الله إذا أراد أن يهدي عبدًا من عباده إلى جنابه؛ يشرح صدره للقبول والتسليم، ويجعله على صراط مستقيم، فبذلك الشرح يرتفع عند الانقباض والاعتراض، فيقبل على الحق بالقبول، ولا يطرأ له إنكار أصلاً فيكمل انقطاعه، فيتصل بالله تعالى.

قال حضرة الشيخ: الجلوتية - بالجيم: ثمرة الخلوتية بالخاء المعجمة؛ لأن التجلية بعد التخلية، وكلا الطريقين واحد في الحقيقة إلا أن المقلد كثير، والمحقق قليل، قال: لا إلحاد ولا زندقة في طريق حضرة الهدائي - قدس سره- وقال: إن الوصول إلى الله لا يحصل إلا بالتقلد لمذهب إمام من الأئمة الأربعة فكل ولي لا بد له من التقلد، قال: إن الشيخ الأكبر وابنه صدر الدين القونوي - قدس سرهما - أفضل الأولياء، وكتبهما أدق الكتب، وقد عرفني الله لسانهما بعد ثلاث وثلاثين سنة.

قال: إن محبتي إنما هي إلى القرآن والحديث، وإرشادي أيضًا بهما، فعلمنا هذا أي علم حقائق القرآن لا يحصل لكل سالك ولا اعتبار بالكرامات الكونية، وعدم الاحتراق، والغرق في النار والماء، والمشي في الهواء ونحوها ليس بشيء عند أهل الله تعالى؛ لأنه يقدر عليه الشيطان والكافر.

قال حضرة الشيخ: إن لنا ميراثين من أبينا آدم عليه السلام؛ العصيان والاستغفار، فإذا عصينا يلزم علينا التوبة والاستغفار، وأكثر الناس يعصون ولا يستغفرون، نسأل الله الطهارة الكبرى والعناية العظمى.

***

الزيارة السادسة

وقعت هذه الزيارة في جمادى الآخر من سنة إحدى ومائة وألف.

خرجت من السفينة يوم الأربعاء بعد العصر، فوصلت إلى دار حضرة الشيخ قريبًا من المغرب فلما صليت المغرب في الغرفة التحتانية أقبل حضرة الشيخ، وجامل في المعاملة، وسأل عن السفر وحال البحر؛ فقلت: بهمتكم العلية دخلت السفينة وقت الضحى، وخرجت بعد العصر من هذا اليوم، فاستبشر ثم سأل عن التنور الذي كان قد أرسله من صوفيا في دفع تكاليف داري في بروسة، فقلت: قد وصل، فقال: هل كان معمولاً به؟ فقلت: نعم، استبشر به أهل المدينة كلهم فضلاً عن أهالي المحلة، ثم أقبل إلى خليفة بودانية المسمى بـ «قُرة مصطفى أفندي» وكان رفيقي في هذا السفر، فسألت عن حاله ثم ذهب إلى حرمه.

ولما كان يوم الخميس دعاني بعد الإشراق إلى غرفته، فقبلت ركبته، فأشار إلى بالجلوس إلى جنبه، فكان أول كلامه: دينك غالب أم دنياك؟ فقلت: بل دنياي؛ فقال: جعل الله دينك غالبًا على دنياك، وسأل عن صيامي وقيامي؛ فقلت: صومي صوم الدهر إلا أن يقع الإفطار بعذر، وقيامي دائم إلا إذا ضعف البدن يمنعني من طول السهر، فقال: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها**[(١)]».

فإذا كنت أدمت هذا، فقد حصل المقصود، ثم سأل عن أحوال الدرس والوعظ.

فقلت: قد رفعت الدرس من قدومي إلى بروسة فهو من عنايتكم الكبرى؛ لأنه غسل التعلق بالعلم الظاهر عن لوح الخاطر، وازداد التوجه إلى تلاوة آيات التوحيد مع أن الوجود ليس الوجود الأول، فقد ضعفت الأركان والقوى.

وأما الوعظ فقد تركته مقدار شهرين لأختبر تعلق نفسي به، فلم أجد الميل إليه والحمد لله، فاستبشر حضرة الشيخ وحمد الله، ثم قال: كيف تجدك؟

فقلت: أجد نفسي ألا تعلق لها لا بالخانقاه ولا بالوظائف ولا بالصوفية والأحباب، ولكني أبكي دمًا من أخلاق النفس، فقال: إصلاح الأخلاق مما يتعلق بالباطن وهو صعب جدًّا، ثم أنجز الكلام إلى ذكر أهل البيت.

فقلت: شكايتي منهما كلية عظيمة، وإنما أشتكي إليكم لا إلى الغير، فقال:

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦٧/٦)، وأبو نعيم في المسند المستخرج على مسلم (٣٧٥/٢).

اصبر قليلاً؛ فإن الله تعالى سيجعل لك فرجًا ومخرجًا، فإن هذا الوقت وقت الصبر، فإن من ذهب بغير صبر يكون بعده متأسفًا على فواته، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ [النساء:١٩].

وقال: إن الله تعالى لم يرد بك إلا خيرًا فلو رفع هذا الابتلاء لابتلى بنوع آخر، وإني الآن تزوجت سبع عشرة وثماني عشرة فلم أجدهن عليَّ إلا ابتلاء، ثم دعا فقال: ليجعل الله بلاءك مباركًا، ومعنى المبارك: أن يكون موفقًا لصبره؛ فإن البلاء الغير المبارك هو البلاء الفارغ لصبره.

ثم قال: مات الشيخ السيد عبد الباقي في أدرنة، وهو أول خلفائه.

فقلت: كيف وجدتموه عند مجتازكم إلى أدرنة من صوفيا؟

قال: كان قد نحل جسمه، وضعف من وجع الصدر، وظني أن له حسن الخاتمة لبعض الأمارات من الانقطاع والاستسلام.

فقلت: قد كان بيني وبينه تباغض قديم مع أنه كان أستاذي سبع سنين.

قال: إني أعرف ذلك أنه لم يكن من جهة نفسك بل من جهة الغيرة الإلهية؛ فإنه كان له بعض أمور متفرقة.

قال: كُنْ شاهدًا أني وهبت له جميع الحقوق من حيث أني أستاذه وشيخه، وإني لا أريد أن يكون معذبًا أو مسئولاً لأجلي؛ فإني أريد أن أدخل الجنة بفضل الله لا بأخذ الحق من الناس، وقد شاب رأسي ولحيتي فلا يليق بمن في هذا السنِّ أن يكون بصدد طلب الحقوق.

قال: وأشهد أيضًا أني وهبت لك ما كان قديمًا وحديثًا من الحقوق بل إلى آخر العمر، فلا تكن مسئولاً من جانبي أصلاً، فقبَّلت ركبته.

وقلت: أرجو شفاعتكم، وقد قام ديني ودنياي لكم.

قال: شفاعتي الدعاء بالخير، والمتصرف في الكل هو الله، وما أنا إلا واسطة من الوسائط، وحقيقة الأمر أنك إن شئت كن مقرًا أو إن شئت منكرًا، فلا احتياج لي إلى الإقرار والإنكار، واللائق أن يكون المرء بريئًا مما سوى الله لكنك أشكر الله على نعمة الوفرة في حقك، فقد هداك إلى الإيمان بطريقة أهل السلوك، وكشف القناع في هذا، والإيمان أمر عظيم.

قلت: أجد الانسلاخ من الكون صعبًا.

قال: إذا كان الله جعلك طالبًا له فهو يتولى الصالحين، وسينتهي الطلب والبرهان إلى المطلوب والعيان، لكن الأمور مرهونة بأوقاتها والمزيد في الشكر فكن شاكرًا راضيًا.

قلت: إني أظن أن يقع لي الهجرة خامسة؛ فإن هجرتي إلى بروسة رابعة.

قال أيضًا: إني كذلك قد هاجرت أربع مرات لكني الآن لست بمأذون إلى الخروج إلى أرض الحجاز أو غيرها؛ فإن أذن الله في ذلك بشيء جريت عليه فكن أنت أيضًا على ذلك، وأخرج من الباطن فكر الغير؛ فإنك الآن في أرض السلامة، ومن فعل أمرًا بنفسه لا بإذن من الله وجد عقيبه ابتلاءً عظيمًا.

قال حضرة الشيخ: العلم قيد، والحكمة إطلاق.

أعني بالعلم: علم الشريعة والأدب، فإذا نظرت إلى اللغو والعبث أي: بنظر العلم كنت منكرًا، وإذا نظرت بالحكمة كنت سالمًا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً**﴾ [الفرقان:٧٢]، ذكر حضرة الشيخ شيخه عبد الله أفندي الشهير بذاكر زاده، ومدح تقريره وتفسيره عند الوعظ والتذكير، وقال: إنه كان غالبًا في ذلك على الشيخين أعني: محمد باقتادة، ومحمود الهدائي - قدس سرهما، **قال**: ولكنه لم يوفق للتحرير.

وقال: إن الله يعامل بعض عباده بالفضل فيبسط له التقرير والتحرير، وبعض عباده بالعدل فيقبض له ذلك، والمعتبر هو العلم بالله؛ فإن علم الظاهر وسيلة لعلم الحقيقة، وهو مقصود بالفرض كالإيمان، وعلم الحقيقة مقصود بالذات كالسلف ولا يعلم الذات حقيقة إلا الذات الأحدية فمن عرف أن نسبة العلم له عرضة سَلِمَ، ومن ظن أصالتها هلك، فإذا سلّم السالك الذات إلى الذات، والصفات والأفعال إلى الأفعال كان فانيًا عن الكل ومؤديًا أمانته إلى صاحبها، فإذا جاء الموت الصوري لم يبق له سؤال ولا حساب ولا أخذ ولا إعطاء؛ فإنه دخل في ديناه في الجنة المعنوية، واستراح من كمد المكاليب.

قال: إن السالك لا يصل إلى الله حقيقةً إلا بعد أربعين سنة؛ فإن الخلاص عن الأكدار مطلقًا، إنما يحصل بعد هذه المدة كما أن كمال العقل وتحصيل الصوري أيضًا إنما هو بعدها، ثم وصى بالمجاهدة إلى أن يأتي اليقين، وهو الموت ثم تلا قوله

تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِه مُهَاجِراً إِلَى اللَّه...﴾ [النساء: ١٠٠] الآية.

قال حضرة الشيخ: إن إبليس لما أبى عن السجود، قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥]، قال إبليس: قضاؤك، قال الله: لو شاهدت سر القضاء قبل الوقوع لقبلتك، ولما كان قولك هذا بعده.

قال حضرة الشيخ: انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] كيف أثبت الشركة في البشرية، وجمع ثم فرق بالوحي، فالإلهام جبريل الأولياء وتميزهم غيرهم من الأغيار، وعن أحكام أهل البشرية الغالبة.

قال حضرة الشيخ: إن الواصل إلى الله تعالى لا يتكدر من شيء أصلاً، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كيف علل عدم الحزن بالمعية فهي دافعة للحزن أينما كان المرء من سهل أو إلى جبل أو بر أو بحر أو حديقة أو شوك فعلى المرء ألا يطمع في شيء سوى الحضور مع الله؛ فإنه لو لم يكن مع الله لم يحصل له مطلبه.

قال حضرة الشيخ: إن الموجود موجود، والمفقود مفقود؛ فمن فرق بينهما فرقًا تامًا و لم يثبت للموجود فقدًا ولا للمفقود وجودًا واصل إلى الصفا والحضور، وتخلص عن الكدر والشرور.

قال حضرة الشيخ: سمعت مرة من أقول ابن الأشرف الأزنيقي: [ينم أول دائم وباقي كورندم صورتا إنسان[١]] وكنت وقتئذٍ في بلغراد، وكان الحال غالبة علي فكوشف لي بسر قوله:

«قال الله تعالى على لسان عبده: سمع الله لمن حمده[٢]».

وهو قرب الفرائض بحيث امتلأ وجودي من نور ذلك التجلي ثم غلبني البكاء الشديد بحيث تحير الحاضرون في المجلس، قال: ولعل ابن الأشرف قال القول المذكور عند غلبة الحال، ومثله لا يبحث عنه إلا في الخلوة وعند أهل الحضور والقبول؛ فإني أتنفر عن كلام الحقيقة مع الأغيار أشد من تنفر من النجاسة.

---

(١) كلام تركي.

(٢) رواه مسلم (٥٨٨/٢) بنحوه، وأبو داود (٢٧٦/١).

قال: وكان شيخي يتكلم من المعارف عند الوعظ بقدر ما يقبله العقول، ولا يذكر شيء في مجلس في بيته، سألت حضرة الشيخ عن النوافل التي يشتغل بها الصوفية؛ فقال: المعتبر عند كبار السلف كما رأيت في وصايا الفتوحات أن صلاة التهجد اثنتا عشرة ركعة، وصلاة الإشراق أربع، والضحى ثمان، وصلاة الأوابين ست، لكن مع سنة المغرب على الاختلاف الواقع فيها، قال: إن أهل الأدب يشتغل بالعمل إلى الموت؛ فإن طريق العمل الأنبياء والأولياء، وليكن بشرط حضور القلب، وأدنى الحضور في الصلاة أن يعرف ما يقرأ، قال: إن بعض السلف كان لا يخطر خاطر كوني أصلاً لغلبة الخاطر الإلهي فاللازم على المتوجه عند وجود الوسوسة رفعها من طريقه؛ فإن الحضور روح العمل، ولا خير في جسد لا روح فيه.

قال حضرة الشيخ: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]: هي الأبديات، ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]: هي الأزليات.

قال حضرة الشيخ: هذا زمان الاضطرار؛ فادع الله بالاضطرار خصوصًا في أمر ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النمل:٦٢]، ودعاء الاضطرار إنما هو بالذلة والافتقار، ودعاؤنا مشوب بالعزة، ولذا لا يظهر أثر الإجابة.

ثم حكى قصة الجنيد مع امرأة حيث جاءت إليه، فقالت: يا شيخ، قد أسر ولدي، فماذا ترى؟ فقال: اذهبي واصبري [فمضت، ثم عادت فقالت له مثل ذلك] إلى أن جاءت مرة، وقالت: يا شيخ، لم يبق لي طاقة بعد هذا، فقال: إن صدقت فقد جاء ولدك؛ فذهبت فوجدت ابنها في البيت(١).

أقول: وفيه تعريض لهذا الفقير؛ فإني كنت قد اشتكيت إلى حضرة الشيخ قبل أيام سُوء خلق أهل بيتي، وادعيت أنه قد بلغت القصوى في المحنة، فأمر حضرة الشيخ بالصبر، قال: اصبر؛ فإن هذا زمان فسيجيء زمان متأسف فيه على عدم صبرك حين يذهب الله بليتك.

قال حضرة الشيخ: كل كلمة تخرج من فَي الواعظ تحفظ وتنشر صحيفتها بين يديه يوم القيامة، وأقسم بالله أنه لو عرفت قبل عشر أو عشرين أن الأمر هكذا،

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية (٢/٥٢٦)، وروضة الحبور (ص١١٠) بتحقيقنا، وكتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص٢٠٠).

وأن أمر الآخرة فوق ما يعرفه عامة الناس لما قبلت الوعظ، ولا الشيخوخة، وقد عزلت نفسي منها إنما أدري إذا يطلب الناس مني، وأنا من أفراد الناس عاجز.

أقول: شدد في الأمر حتى تبرد في قلبي من الموعظة والتذكير، وعزمت على الانقطاع التام، وكان حضرة الشيخ قال ما قال من إرشاد إلا أنه خائف من البرازخ.

قال حضرة الشيخ: إن الله تعالى سلب من قلبي الميل إلى اللسان الفارسي منذ أربعين سنة، وملأه بالعربية، فأنا الآن لا أدعيه أصلاً.

قال: إن المكروه طبعًا بداية يكون محمودًا حقيقة نهاية؛ فعلى المرء أن يتقيد بالصبر والهضم ولا يجري على مقتضى طبعه.

قال: بلغني عنك قول مستحسن هو أنه واحد من أتباع خليفتنا في صوفيا أراد أن يكون عندنا فلم يرض الخليفة، فقلت له أنت: إنك يا شيخ لا ترضى أن يكون مرادك مريدًا لشيخك، فمتى تكن أنت مريدًا له، ثم قل هذا القول منك إلهام من الله وكلهم حق والأمر كذلك، ثم خاطب ابنه الكبير محمد الجودي بأن تعلم الفارسية أنت، وكن معمورًا من كل جانب، ثم استأذنه ابنه أن يذهب إلى بروسة ويقيم هناك شهرًا بطريق التفرج والزيارة فلم يرض حضرة الشيخ.

وقال: ليس هذا أوانه؛ فإنه زمانه الطلب لا زمان السير فإذا جاء أوان السير فلتفعل.

قال حضرة الشيخ: لا راحة قبل الموت، فإذا جاء الموت ارتفع الكدر، ألا ترى إلى حال أهل القبور ليس لهم انقباض ولا انبساط، ولو كان العالم مملوء منهما.

سألت حضرة الشيخ عن غاية الأمر أن اختلاف الزمان بالظلم والهزيمة إلى ماذا ينجر، هل كَتَبَ علماء الحقيقة شيئًا يفصح عنه غاية الأمر ولو تقريبًا؟

قال: يا ولدي سلب الله من قلبي الميل إلى مراجعة الكتب في مثل هذا، فالله يفعل ما يشاء وإنَّا نفرُّ من قهره إلى لطفه، فإن كان القضاء هو القضاء المطلق فيدفعه الله عنا، وإن كان هو المبرم فلا دافع له ألا ترى إلى أهل الابتلاء من الأنبياء والأولياء كزكريا ويحيى والحسن والحسين وأمثالهم –عليهم السلام– لكن الاحتياط لازم في مرتبة الشريعة، وقد فقد الناس السلطان في هذا الزمان ونصبه واجب عليهم جعلوا السلطنة ميراثًا مع أن لها شرائط ولوازم، ولفقدانها وقع ما وقع من كل بلاء.

قال: وقد رأيت المكتوب المرسل إلى السلطان من جانب أمير الكفار المسمى بقرال، وفيه: أيها السلطان، إن كان لكم عسكر كثير، فحسبنا الله ولا اعتماد لنا على عسكرنا، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

ولا شك أن هذا إنطاقٌ من الله تعالى؛ فإن الكفار، وإن كانوا مردودين في مرتبة الشريعة لكن محركهم في الحقيقة هو الله.

قال: إذا أراد الله شيئًا لا يحول بينه وبين مراده شيء فيجري قضاؤه على الأنبياء والأولياء فلا يمنعه عزيمة أولى العزم، ولا رسالة الرسل، ولا معرفة العرفاء، ولا إيمان المؤمنين اليوم، وهو يوم الإثنين آخر جمادى الآخرة من سنة ألف ومائة وواحد.

ونكح حضرة الشيخ عندي وعند خليفة إزميد الفرائضي وابنيه محمد ومصطفى من زوجته المطلقة، وهي الوالدة الكبيرة والدة ابنه الكبير محمد الجودي، وكان طلقها قبل أربعة أشهر لسبب يطول شرحه، وجعل المهر اثنا عشر ألفًا.

قال حضرة الشيخ: ظهور النبي ﷺ وانشقاق القمر من الأشراط الأولى، وهذه الأشراط التي ظهرت في زماننا هي الأشراط الوسطى، لكنها قريبة من الآيات الكبرى، وكان الناس قبل هذا اليوم بقدر، والقسطنطينية، وإرامة سلامة، فلهذا كانت المهاجرون من الأقطار إليها، وأما الآن فيرتحلون عنها إلى الأطراف.

قال: وفتنة هذه البلدة لا يقاس عليه فتنة أخرى؛ فإنها تشابه الحشر والنشر، فقال خليفة الشيخ حسين الفرائضي: كنا نرى حين الهجرة من [أينة بختي] أن كثيرًا من الناس طرحوا أولادهم على الطرق لاشتغالهم بنفوسهم، فقلت: لعل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير:٨]؛ لأن هاهنا خطرين، وهلاك الأولاد ليس بأهون من هلاك نفسه، فقال حضرة الشيخ: نعم ينبغي للآباء والأمهات أن يسعوا في إخراج الأولاد من المهلكة بأي وجه كان، وإني لرعاية جانب الأولاد أقيم الآن في هذه البلدة، ولولا ذاك ما أقمت ساعة، لكني إلى أين أذهب مع الأولاد والجم الغفير؛ فنسأل الله العفو والعافية.

قال حضرة الشيخ: ما وقع في هذه السنين من القتل والهزيمة في جانب المسلمين قصاص لما فعلوه سنة الخروج إلى طرف قلعة «بج» فإنهم أسرفوا وقتئذٍ في القتل بغير موجب شرعي.

وقد قال تعالى: في سورة بني إسرائيل:

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾ [الإسراء: ٣٣]، فلا يسرف في القتل أنه كان منصورًا.

قال حضرة الشيخ: رأيت في بعض كتب الشيخ الأكبر - قدس سره - أنه قال: لكل نبي دعاء مخصوص به، والدعاء المخصوص بنبينا ﷺ قوله تعالى في آخر البقرة: **﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** [البقرة:٢٨٦].

قال حضرة الشيخ: ما يقال في ألسنة القوم مرتبة الإنسان هي عدم وقد تجلى الله للإنسان في تلك المرتبة بالوجود فكما أنه ليس مثله تعالى في القوة والبطش، فكذلك مثل الإنسان في العجز والضعف، فوجوده ظلي، فكما بسط الظل كذلك يقبض، فأهل الشهود يرى الحركة في القبض والبسط من الله؛ فإنه هو الفعال فلو أراد أيضًا يكون كل ذرة مظهر اسم القهار، ولا يمنعه شيء.

قال: وقد أمر الله بالصبر حيث قال: **﴿وَاصْبِرْ﴾** [النحل:١٢٧]، ولكن قال بعده: **﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾** [النحل: ١٢٧].

فأشار بالأول إلى الوجود الظلي الذي يرى منه الحول والقوة.

وأشار بالثاني إلى أن الصابر في الحقيقة هو الله تعالى، فتارة يجذب عبده إلى عالم القدس فيخلع عنه كل صورة.

وتارة يرسل إلى أسفل السافلين وهو عالم الحس والدنس فيبتليه بأدنى حيوان ذلك العالم كالبعوض الداخل أنف نمرود فعلى العاقل ألا يستند إلا إلى الله.

ويقول دائمًا لا ملجأ ولا منجى إلا منك.

قال: قوله تعالى: **﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾** [البقرة:١٣١]: هو أمر بالصفة والحقيقة، وكذا قوله تعالى في الجواب: **﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾** [البقرة:١٣١] فوجد المجازات الكاملة بين الصفتين في الظاهر والباطن، ولذلك رُمي بالمنجنيق، ولم ينفعل أصلاً فلو أراد العبد دفع القضاء المبرم لا يجد إليه سبيلاً فلا سبيل إلا الاستسلام.

قال حضرة الشيخ: تجلى الله في آدم بالولاية، والنبوة تعين خاص، وكان لبعض عباده سمعًا وبصرًا، فشاهد العوالم بعد مرتبة علم بتلك السمع والبصر، ولكن

كذلك لا يدفع القضاء المبرم ألا ترى أن حبيب الله لم يكن له عديل في مرتبة الحقيقة مع أن ذلك لم يدفع عنه إشقاق العقب، وكسر السن في غزوة أحد.

قال: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩]، وإنما أعرف الآن، قال: ورد إذا جاء القضاء عمي البصر، فإذا جاء القضاء يفعل الله بعبده فلا ينفعه نبوته ولا ولايته إذ كل مقضي لا بد أن يكون، ثم أنشد قول الهدائي في بعض إلهياته التركية [.....][١].

قال: إن أهل البصيرة والشهود يرتعدون عند ميدان القضاء كالأوراق وقت الخريف لمّا يعلمون كمال بطشه وقوته، وأما أهل الغفلة فلا قدرة لهم على مشاهدة الجلال في صورة الجمال اليوم وهو اليوم الثاني من رجب سنة إحدى ومائة وألف.

دعا حضرة الشيخ كاتبًا من طرف نائب محكمة أخي جلبي الواقع في القسطنطينية ليكتب حجة متعلقة بابنته الصغيرة السيدة خيفة، وذلك أن حضرة الشيخ كان زوجها الحاج صالح من أتباعه، ثم صدر منه قبل الدخول خيانة عظيمة فأراد الشيخ تطليقه لابنته فاختفى ولم يفعل، فشهد خليفة الشيخ عبد الله الساكن في القسطنطينة وهو أعلم خلفائه وأزهدهم، وكذا الابن الكبير لحضرة الشيخ أن الحاج صالح كان قد صدر عنه ما يوجب تجديد النكاح قبل أيام، فراجعنا في تجديد النكاح، فلم يتفق لنا ذلك بحسب الموانع، فبقي الأمر على حاله إلى الآن، فلا ضرر في اختفائه، فإن زوجته كانت مطلقة قبل مجيء الكاتب، فادعى حضرة الشيخ ذلك، وشهد شاهدان بذلك فكتب حجة بالأخبار؛ فقلت للشيخ عبد الله: ما فائدة هذه الحجة الإخبارية؟ قال: فيها ثلاث فوائد:

الأولى: أن فيها حفظًا للمقال أي مقال الحاج صالح بأنه قد صدر مني ما يوجب تجديد النكاح.

والثانية: أنها حل لها التزوج إلى آخر.

والثالثة: أن فيها إلقاء الرعب في قلب الخصم.

قلت: أهم حضرة الشيخ في باب البيت المذكور حتى أرسل مكتوبًا من جزيرة قبرص حين نفى إليها في آخر عمره، وفيه عدم رضائه بإنكاحها إلى الحاج المذكور بحيث إنه فعل ذلك حضرة الشيخ في حبيبه يوم القيامة.

---

(١) كلام تركي.

قال حضرة الشيخ: هل لك مرض جسماني؟ قلت: نعم، قال: إن الصحة الكاملة تسقط المرء إلى المرتبة الطبيعية والنفس، وأنا مبتلي من قديم بريح البواسير، قال: العبد عبد ليس فيه شوب من الربوبية، والرب رب ليس فيه شوب من العبودية؛ فالكامل الأكمل الذي فرق بينهما فرقانًا ما و لم يخلط بين المراتب، ولذا كان الأكمل أعجز العاجزين صورة فكما كان بصيرته وروحانيته في غاية العلو هكذا كانت جسمانيته في غاية السفل، فهو لا يدري أوضع من نفسه وعجز في الخلائق؛ فالفيض الكامل يعطي التعبير بالشريعة والأدب بحيث يجد صاحبه لذة كاملة في العبادة لا يشبهها شيء من اللذات، ثم مَثَّلَ الفيض؛ فقال: كما أن صاحب الزراعة ينبغي له التقيد بكِراب الأرض، وهو لا يدري حتى ينــزل المطر فكذلك صاحب المجاهدة ينبغي له التقيد بالأعمال والأخلاق، وهو لا يدري حتى ينــزل الفيض؛ فإذا نــزل يصيب محزَّة، فمن تجل في آن غير منقسم لكنه يعطى علومًا غير متناهية، ومن تجل في يوم وأسبوع وفي شهر وفي أزيد يعني يمتد، وكل ذلك ليس في يد العبد، فكما أن في المطر الصوري رعدًا وبرقًا، فكذا في الفيض المعنوي ما يشبهها، والتجلي على أنواع؛ فتارة ينكشف أسرار النسخة الإلهية، وتارة أسرار النسخة اللفظية المكتوبة المنقولة عنها بالقرآن اللفظي، فهذه أربعة مصاحف غايتها الرابعة، فلذا ترى الكُمَّل لا يشتغلون في أواخر أعمارهم إلا بالقرآن، وليس شيء يصلح أن يكون مورد فيضهم وعلومهم سُوى القرآن.

ثم قال: وقد أعطاني الله في هذا الكتاب إيمانًا كاملاً بحيث لو اتفق الملأ الأعلى والأسفل على خلافه ما زاغ قلبي ما دام التثبيت من الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً**﴾ [آل عمران:٨].

قال: إن شيخي كان رجلاً ساكنًا متأدبًا لا يغره بما يغر به أرباب الدعوى في هذا الزمان، وهو المقبول عندي أيضًا.

قال حضرة الشيخ: إن بعض الناس يطلب مني خارق العادة، وليس عندي غير الكرامات العلمية الباطنية وبعض من الخواص يعطي له الطرفان لكن المقبول هو ما يتعلق بالباطن والإله، لا بالظاهر والكون، فمن أراد أن يكون مريدًا إلي فليقبلني بهذه المرتبة، ومن أراد الخوارق والكشوف فليطلب من غيري، فإني لست بشيخ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ**﴾ [الأحقاف:٩].

قال: ما أدري ما يتعلق بالكون إلا أن يشاء الله، وأنا في ذلك كسائر الناس.

قال حضرة الشيخ: المريد والمرشد لا يتفقان في المشرب غالبًا، وإن كان بينهما نوع مشابهة كما أن الابن لا يكون عين الأب من جهة الصورة، وإن كان بينهما نوع مماثلة فكل شخص لا يعطى إلا بقدر حاله واستعداده الأزلي والمرشد واسطة في البين وله التربية والعقول.

قال حضرة الشيخ: فرق بين الحضور والاستحضار، فالحضور لأهل النهاية والاستحضار لأهل البداية؛ فإنه لا نسيان للفرقة الأولى أصلاً فلهم الجمعية الكبرى، وأما الثانية فإذا طرأ عليهم النسيان يستحضرون، وعلامة الحضور مطلقًا الانجذاب من طرف الخلق والكون إلى طرف الحق والإله ومصداقه بالعبودية الكاملة فمن لا تعبد له فهو نسيان كامل لا حضور معه أصلاً فله سوء الخاتمة وهو فكر الغير، وخروج الروح معه، ومن له تعبد ناقص فهو في حضور ناقص وأهله على خطرٍ أيضًا، ومن له تعبد كامل بلا تكلف فله حضور تام، وكيف لا يكون له الحضور الباطني يعطى ذلك التعبد بالأعمال والأخلاق في الظاهر ثم وصى بالعبودية إلى أن يخرج الروح من الحلقوم.

وأمرني حضرة الشيخ بالإمامة في صلاة الرغائب ليلة الجمعة الأولى من رجب لسنة إحدى ومائة وألف، فلما صلينا المغرب، قال مخاطبًا للحضّار من الخلفاء أو غيرهم: ما تقولون في حق القرآن؟ فقلت: تخفيفًا لبعض الضعفاء، فقرأ في الأولى الفاتحة وسورة القدر، والثانية بسورة الإخلاص مرة، وهكذا إلى أن تم اثنتا عشرة ركعة.

وقال بعض الخلفاء مخاطبًا لحضرة الشيخ: رأيته يعلمكم سورة القدر ثلاث مرات، وسورة الإخلاص اثنتي عشرة مرة، وذلك في كل ركعة منها.

فقال حضرة الشيخ: هذا على وجوه لكن المختار الأولى والأقوى الذي هو العزيمة والتقوى فأمر بما كتبه؛ فقال بعضهم: هل يلزم المنذر؟ قال: لا، بل هو لإسكات العوام لكن لا بأس بالنذر فصلوا بأي وجه شئتم، فصليت على هذا الوجه إمامًا لمن تبعني ممن حضر في دار حضرة الشيخ من الخلفاء وغيرهم، فلما تمّ الصلاة والدعاء، قال حضرة الشيخ: تقبل الله ووصّى أيضًا لوكيله في جامعه قبل أن يصلي هذا الصلاة هناك.

ثم قال حضرة الشيخ: صلّ بنا بعد العشاء صلاة التسبيح.

فقلت: نعم، فصلينا بالحمد لله، والرجاء الواثق على أن هذه الليلة كانت ليلة المغفرة والرحمة لأنا قد وجدنا ببركة حضور الشيخ خفة في الأبدان، وتوجهًا في الأرواح، ورقة في القلوب، وطمعًا في عفو الذنوب، واعلم أن صلاة الرغائب والبراءة والقدر صلاها العلماء الكرام والمشايخ العظام إلى هذا الآن، وحكم الإمام الغزالي باستحبابها، وأمر السلاطين في منشور أوقافهم أن يصليها أئمة جوامعهم بعد الإجماع من علماء زمانهم، والأمة لا تجتمع على الضلالة، و«**ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن**[1]»، فلا يضر بك الألفاظ المموهة لأهل الإنكار؛ فإنهم يزيدون في طنبورهم في كل عصر نغمة وصوت الطبل، وإن كان يبلغ بعيد الكنه مجوف خال.

قال حضرة الشيخ: أصل السماع حق، ولكن هذا الوقت ليس وقت السماع. قال: هلا نكتب شرحًا على الطريقة المحمدية لمحمد البركوي، ثم قال: لا حاجة في هذا الزمان، فسكت من كان عنده، وقال: الحق ظاهر لأهله، قال: أهل الحق لا يرى الباطل، والدنيا عند أهل الحقيقة تبقى في مقام الاعتبار لا مقام الحقيقة.

أرسل حضرة الشيخ دراهم إلى الفقير في محلته، فقال: إن هذا وقع في قلبي هذه الليلة، فهذا الرزق لها من الوجه الذي لا يحتسب، فهو حلال طيب.

ورأيت هذا الصباح يوم الإثنين كأني صليت الترويح في جامع كبير على رأس جسر عظيم، فخرج حضرة الشيخ من الجامع فتبعته، فلما أخذنا نجرُّ إلى الجسر التفت إليّ، وقال: أنا أريد منك أن يكون خدمتك لي كخدمة الأولياء للأنبياء فتفكرت أن الخدمة أشق فوجدتها متابعة الشيخ، وذلك؛ لأنه كان من دأب الشيخ أن يصلي التهجد فيه ثم يخرج عابرًا الجسر إلى البلدة العظيمة التي كانت مقره، وهي في الرأس الأخير من الجسر، فعزمت على أن أتابع حضرة الشيخ في الصلاة والقيام ثم الخروج معه إلى تلك البلدة من ذلك من الجسر، فلما قرب انتهاء الجسر ورؤى البلدة التي وراءه استيقظت، والحمد لله على ما في هذه الرؤيا من بشارة المتابعة التي هي دين الأنبياء والأولياء أجمعين.

قال حضرة الشيخ: من عرف نفسه فقد عرف ربه: صعود.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقولنا في العكس: من عرف ربه فقد عرف نفسه: نـــزول.

فالأول إشارة إلى حال الفناء، والثاني إلى حال البقاء.

قال حضرة الشيخ: للمريد أن يتزوج بنت شيخه شريعة وطريقة، وأما نكاح زوجته مطلقة أو متوفًّى عنها زوجها؛ فهو وإن كان له مساغ شرعي لكن ليس له مساغ طريقي، ولا يجد الناكح ميمنة في ذلك النكاح أصلاً في الدنيا والآخرة ومثله الأستاذ في الصناعة؛ فإن الأستاذ والشيخ هو الأب المعنوي، وقد قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال حضرة الشيخ الأكبر - قدس سره- في أواخر «مواقع النجوم»: احترام الشيوخ واجب، ومن احترامهم ألا يلبس ثيابهم، ولا يقعد في مكانهم، ولا ينكح المريد امرأة شيخه إن طلقها أو مات عنها، ولا يرد في وجوههم كلامًا، ويبادر لامتثال ما يقولون، ومن احترامهم تعظيم من عظموه، فعظم من عظم شيخك، وتلمذ له إن قدم عليك، وإن كنت أعلم منه؛ فإن الشيخ أعرف بالمصلحة لك منك، ولا يحجبك ما ترى من بعضهم عن تقديم الشيخ له عليك وتهذيبه انتهى.

قال حضرة الشيخ: يا إسماعيل، إنك ذبيح، ولا بد في الذبيح من التسليم، وليس لنا حقيقة التسليم لكنا نجتهد إلى الموت، ومن مات في الطريق؛ فقد وصل.

قال حضرة الشيخ: في هذا الباب شيخ وخادم؛ أما الشيخ فحقه التربية، وأما الخادم فشأنه الخدمة بالصدق والخلوص، ثم قال: إن شيخي أراد مرة أن يرسل واحدًا من المريدين إلى الكرم فاختفى كل واحد منهم كراهة للخدمة، فخرجت من الحجرة؛ فقلت: أرسلوني، فقال شيخي: يا سيدي، إن لك درسًا فيضيع وقتك، فقلت: لو علمت أن جميع العلوم تنكشف لي اليوم ما اخترت إلا الخدمة، فاستبشر ودعا لي واستخدمني، فكان ما كان بمقابلة هذا الخلوص والصدق.

قال: والرضا لا يدركه إلا من حصل له ثمرته، ثم قال: إن محمد دده كان رجلاً معتمدًا عليه في أوائل حاله فاستصحبه الشيخ حين خرج إلى الغزو، فلما وصل إلى بلدة صوفية وقع محمد دده في الطمع، فأخذ ليلة سرق دراهم من كيس حضرة الشيخ.

قال حضرة الشيخ: فاطلعت عليه وهو قد ظنَّ أني نائم فأمسك بيده، فخجل، ثم انقطع عن الشيخ، وتغير حاله، وذلك أن بعض الأمراء كان قد أسرت له

بنت، فوعد لمحمد دده حين كان في خدمة الشيخ أن يزوجه بنته أن خلصها الله من الأسر فخلصها الله تعالى وأنجز الأمير وعده لكن ماتت البنت قبل الدخول؛ فلحق محمد دده ببعض القرى، وتغير دينه ودنياه نعوذ بالله، وقد سبق نظيره.

قال حضرة الشيخ: رأيت في بعض الكتب أن حضرة شيث -عليه السلام- مرض مرة، فأرسل إليه حُورية بطبق من مأكولات الجنة، وزوجها إياه؛ فوُلِدَ، فكان أصل العرب جميعهم.

فقلت: هل يقع الازدواج بين أهل الدنيا وأهل الجنة في هذه النشأة كما يقع بين الإنس والجن؟ قال: نعم.

أقول: الملائكة والحور والجن أرواح لطيفة بينها وبين الكثيفة نوع تباعد؛ فالازدواج بين الإنس والجن والحور يحتمل أن يكون بعد التلبس بملابس هذه النشأة كما أن حكومة الملكين هاروت وماروت كذلك.

وأما آدم عليه السلام كان يأتي حواء في الجنة، وأن قابيل كان من أولاد الجنة؛ فليس بصحيح عندي إلا أن يحمل الجنة، على الجنة الأرضية كما عليه أهل التحقيق إذ الأولاد إنما كانوا بعد الهبوط والعلوق للتعارف الذي لا يحتمل النشأة الجنانية، ويدل عليه أن حواء كانت لا تعرف ما المنكر قبل الهبوط كما في روضة الخطبية.

كلف حضرة الشيخ خليفته الشيخ حسين الأزميدي أن يقرأ في محضر شريف ابنه الكبير السيد محمد الجودي الفارسي فتوقف ولم يجسر عليه، وزعم أن النسخة مختبطة، فجرى ما جرى من الكلمات بيننا حتى قال الشيخ متبسمًا: إنكم أشغلتمونا، وكان السيد المذكور يقرأ: «يندعطار» فبدلوا بالنسخة السقيمة المستقيمة، أو «يندعطار بوستان، أو كلدستان» أو غيرهما؛ فقال بعضهم: إن في «يندعطار» يمنًا وبركةً؛ فإن' تواتر على أن حضرة الشيخ ابن العطار - قدس سره - دعا لمن ابتدأ الفارسية بكتابة ذلك: أن يكون عارفًا في ذلك اللسان.

فقال حضرة الشيخ: بخٍ، بخٍ؛ فقام إلى الحرم.

فقال حضرة الشيخ: بعض الناس وقع لي الهيبة فاستولى عليه الخوف، وبعضهم في الأنفس فاستولى عليه الرجاء والاعتدال إلى أن يكون المرء بين الخوف والرجاء لكن الله تعالى يفعل ما يشاء، استأذن بعض الفقراء في الذهاب إلى مكة المكرمة فدعا له بالرشد، وقال له: قل حين خروجك:

﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وحين النـــزول: ﴿رَّبِّ أَنـــزِلْنِي مُنـــزلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنـــزِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٩]، وهكذا في كل مرحلة، ثم قال ممثلاً: إن أهل التجريد الصوري كالذباب يليق بفمه من غير تلطيخ رجليه فتسليم فإذا لطخ رجليه منع الطيران؛ فأهل التجرد يطير إلى حيث شاء كالذباب، قال: قيل للحطاط أرجل؟ فوضع أبرمة على رأسه فرجل، ولو حيل بلا جواب الذي علق بلباس بدنه اخلع لباسك، هان عليه ذلك؛ فإنه تعلق به كالغير.

قال: التجرد الصوري مدار للتجرد المعنوي، وأما قوله: لا يضر التعلق الصوري إذا وجد تعلق المعنوي فسقط من وجه.

ثم قال: أنت من أهل الهداية حيث كنت وراء البحر، ونحن من أهل الخبرة حيث كنا هاهنا، والخوف غالب علينا؛ لأن هذه البلدة محل الخطر الآن.

أقول: هذا الكلام صدر منه بحسب المقام فليس له خوف عمًّا سوى الله.

قال حضرة الشيخ بعد صلاة العصر مخاطبًا لابنه الكبير السيد محمد الجودي: إن الأب أصل، والابن فرع، والأب فرد، والابن جمع، والأب مظهر يد الله، والأبناء مظاهر الأبد والأيدي، وإن كانت في غاية القوة بحسب التظاهر والتجمع لكنها إنما يستفيض القوة كأغصان الشجرة من الأصل كما قال الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]؛ فخافوا من الأب، فإن الحل والعقد والرد والقبول في يده بالنسبة إلى الأبناء لا في أيديهم أقول هذه الكلمات، وإن جرت بحسب الملاطفة لكنها في نهاية المعنى.

قال حضرة الشيخ: إن الدنيا دار ناز يعني: من طرف الله، ودار نياز يعني من جانبك والجنة دار ناز، فلك ناز، ومن الله نياز يعني: الإنعام والإحسان، والمتوجه إلى جنابك هكذا قال: ناز باللسان الفارسية.

قال حضرة الشيخ: رأيت في بعض الكتب المعتبرة أن الغزو فرض والحج فرض إذا اجتمعا يرجح الأول، ثم تلا قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

قال حضرة الشيخ: ذلة الأنبياء -عليهم السلام- وافتقارهم أشد من غيرهم،

فهم الكُمَّل الظاهر في الباب والأعز مُنهم وأقدرهم أشد خوفًا من الله من غيرهم ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]؛ فقال: إنما ينهى عن الخشية من الناس؛ لأنهم صور وأشكال ولا ينبغي الخوف من الصور، وأما الله سبحانه فهو المحرك بتلك الصور فينبغي الخشية منه؛ فإنه إذا أراد أن يوصل البلاء من وجه ذرة وبعوضة، وهو على ما يشاء قدير.

قال حضرة الشيخ: دعاء العبد إنما هو لإظهار العبودية والذل والافتقار والامتثال لأمر الملك الغفار لا لحكم على أحكام الله ومداخلة أمر من أموره؛ فإن الله لا معقب لحكمه، ويفعل ما يريد.

قال حضرة الشيخ مخاطبًا لخليفة الشيخ حسين الإزميدي: إن اللسان شريعة، والجنان حقيقة، والنظر إلى الظاهر في مرتبة الشريعة؛ فمن ادَّعى من أهل بيتك محبة الله ومحبة رسوله وأجرى كلمتي الشهادة على لسانه فاحببه أنت، سواء أحبك أو لا، ومن لم يحب الله ورسوله بل أبغضهما فابغض إليه أنت، سواء أبغضك أم لا؛ فالأول: هو الحب في الله، والثاني: هو البغض لله؛ فمن أحببته لحبك، فهذا هو الحب للنفس لا لله، ومن أبغضته لبغضه لك؛ فهو البغض للنفس لا لله، وكلاهما مذموم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]؛ فالخالص هو الأولان، والمشوب هو الأخيران ثم فرق بين الخالص، والمخلِص بكسر اللام، والمخلَص بفتح اللام ورجح الأول؛ لأنه خالص أصلي بالنظر إلى أنه ثلاثي، والمجرد مقدم على المزيد، وهو المتخلص والمخلص.

ثم قال: صبيان الحقيقة كالخنثى فله ذكورة وأُنوثة، واللائق أن يكون المرء من الرجال لا الخناثي والإناث ثم تلا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤].

وقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء:٣٢]، وبعد بسط كثير الكلام[1].

---

(١) قال الشيخ المصنف في تفسير هذه الآية ما نصه: «فإنه صريح في جريان التمنى بين فريقي الرجال والنساء، والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده، وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره، فإن =

قال حضرة الشيخ: هذه الكلمات ببالي وقت السلام الصلاتي، فأردت أن أخاطبك بها يعني هذا الفقير ثم صرفت العنان إلى الشيخ حسين، أقول ذلك؛ لأن الشيخ حسين كان ضجورًا متنفرًا من أهل بلدته إزميد، فأراد حضرة الشيخ تربيته بهذه الكلمات فخاطبه، وكان الشيخ حسين مهمومًا من حيث إن واحدًا من أتباعه كان ذهب إلى مدينة أدرنه لمصلحة له مهمة فعند تكلم الكلمات ورد البشير والورق بأن المصلحة قد تمت، فاستبشر حضرة الشيخ والحاضرون، فقرأ حُسين أفندي قوله تعالى: ﴿**هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: ٤٠].

وقوله: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾

=

ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمنى المذكور ﴿واسألوا الله من فضله﴾ أي: لا تتمنوا ما يختص بغيركم ﴿إن الله كان بكل شيء عليمًا﴾ فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان، ففضله عن علم وحكمة وتبيان، وفي الحديث «لن يزال الناس بخير ما تباينوا» أي: تفاوتوا «فإذا تساووا هلكوا» وذلك لاختلال النظام المرتبط بذلك. وقد يقال معناه أنه لا يغتم لتفاوت الناس في المراتب والصنائع بأن يكون مثلاً بعضهم أميرًا وبعضهم سلطانًا وبعضهم وزيرًا وبعضهم رئيسًا وبعضهم أهل الصنائع لتوقف النظام عليه. واعلم أن مراتب السعادات إما نفسانية كالذكاء التام والحدس الكامل والمعارف الزائدة على معارف الغير بالكمية والكيفية كالعفة والشجاعة وغير ذلك، وإما بدنية كالصحة والجمال والعمر الطويل فى ذلك مع اللذة والبهجة، وإما خارجية ككثرة الأولاد الصلحاء وكثرة العشائر وكثرة الأصدقاء والأعوان والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبًا لقلوب الناس حسن الذكر فيهم فهي مجامع السعادات، والإنسان إذا شاهد أنواع الفضائل -حاصلة لإنسان ووجد نفسه خاليًا عن جملتها أو عن أكثرها، فحينئذ يتألم قلبه ويتشوش خاطره، ثم يعرض هاهنا حالتان إحداهما أن يتمنى زوال تلك السعادات عن ذلك الإنسان، والأخرى ألا يتمنى ذلك بل يتمنى حصول مثلها له والأول هو الحسد المذموم، لأن المقصود الأول لمدبر العالم وخالقه، والإحسان إلى عبيده والجود إليهم وإفاضة أنواع الكرم عليهم فمن تمنى زوال ذلك فكأنه اعترض على الله فيما هو المقصود بالقصد الأول من خلق العالم وإيجاد المكلفين وأيضًا ربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الإنسان فيكون هذا اعتراضا على الله وقدحا في حكمته وكل ذلك مما يلقيه في الكفر وظلمات البدعة ويزيل عن قلبه نور الإيمان وكما أن الحسد سبب الفساد في الدين فكذلك هو سبب الفساد في الدنيا، فإنه يقطع المودة والمحبة والموالاة وينقلب كل ذلك إلى أضدادها فلهذا السبب نهى الله عباده عنه بقوله ﴿ولا تتمنوا﴾ الآية فلا بد لكل عاقل من الرضا بقضاء الله تعالى. كما في روح البيان (٢/٤٥٣).

[يونس:٥٨]. قال: تمّت مصلحتك ولو لم تكن مهمومًا لها تجده خيرًا لك؛ فإن الأمر بيد الله، وتدبير النفس لا يغني شيئًا وما تعده عسيًرا فهو يسر بالنسبة إلى الله تعالى، بل العسر واليسر بالنسبة إلى العبد واللازم على العبد تفويض الأمر إلى الله تعالى فلو أدخله في الجحيم ينبغي أن يعدها نعمة؛ لأنه بصنع الله الذي هو المبتلي لا بصنع الغير.

قال حضرة الشيخ في قوله تعالى: ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١]: من جهة المال في مرتبة الشريعة كذلك من جهة العلم في مرتبة الحقيقة؛ لأن الذكر الحقيقي هو أهل الحقيقة الوارثون لعلم الظاهر والباطن والأنثى الحقيقية هي الشريعة الوارثون لعلم الظاهر فقط فالرجال حقيقتهم الذكورة وإن كانوا في صورة الإناث كمريم وآسيه وفاطمة وخديجة - رضي الله عنهن - ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ**﴾ [التحريم:١٢] حيث لم يقل: من القانتات إشارة إلى بلوغ مريم مبلغ الرجال.

ثم قال: إن الله يفتح لبعض الأولياء من العلم اللدني ما لم يفتحه للأنبياء، ولكن لا يلزم من ذلك كون الولي أفضل من النبي؛ لأن كماله كمال من وجه دون جميع الوجوه، ولا يوجب إلى ذكر عائشة - رضي الله عنها، وكلام الشيخ الأكبر - قدس سره - في حقها، وفي حق سائر الصحابة - رضي الله عنهم - فقال: إن الشيخ مأذون في الكلام في حق الكُمَّل أنبياء أو أولياء، وليس لغيره ذلك الإذن.

قال حضرة الشيخ: عالم الدنيا خيال بالنسبة إلى عالم الآخرة، وهو أيضًا خيال بالنسبة إلى عالم الأمر؛ فاليقظة في الدنيا نسبية وكذلك في العقبى واليقظة الحقيقية وراء ذلك، وإنما قيل: لعالم العقبى عالم اليقظة من حيث إنه ناظر إلى عالم الأبد باق كبقاء الأرواح وإلا فالإمكان لا يزول، وإن كان المرء في الجنة.

قال حضرة الشيخ: ليس لله تعالى ند ونظير إذ هو عين واحدة وشيء واحد، ولا وجود للأعيان والأشياء والأعيان، وإن كانت متضادة من حيث التعينات لكن ليس بين التعين والتعيين ضدية كالموصوف له أوصاف يضاد بعضها بعضًا لكن لا

تضاد بينها وبين الموصوف فإذا لم يكن في الوجود سواه تعالى فيكف يوجد له نظير وند، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَاۤ إِنَّهُمۡ فِی مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَاۤءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ [فصلت:٥٤] أي: لقاء العين بالمتعين وغافلين عن ذلك، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَاۤىِٕهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠] لأن صور الموجودات تعيناته تعالى لا تعينات الغير نسأل الله اليقظة والشهود والوصول إلى معرفة وحدة الوجود، أقول: هذا المعنى قد انكشف لي سابقًا فعرفت به بطلان قول من قال: إن الله عالم بالكليات لا بالجزئيات، وذلك لأن الآثار المختلفة مستندة إلى التعينات، وهي ملاقية بالتعين الذي هو الفاعل الحقيقي فلا يعزب عن دائرة علمه وإحاطته تعالى مثقال ذرة في السماوات والأرض، فكما أن الله يعلم ذاته فكذا صفاته المتجلية بها في صور الموجودات مطلقًا وأفعاله الصادرة عنها في كل زمان وهو كل يوم في شأن، وهذا مذاق معنوي عياني لا مدرك عقلي برهاني، ومن هنا يعرف وجه كمال هيبة الأنبياء والأولياء وخشيتهم من جلال الله تعالى ولو في صورة الفطرة والذرة إذ هي كالبحر وكالشمس مجلي ومظهر لسانه من الشئون الإلهية، فلذا كانت مراقبتهم دائمة باقية، ثم إنه لا بد للسالك من الله بين هذا الموجود الساري فيه لئلا يرد وما هو أخس المظاهر الكونية مع أنه قيل لا تنكر البال في طوره؛ فإنه بعض ظهوراته فافهم؛ فإنه من مزالق الأقدام.

فرق حضرة الشيخ بين الكسب وبين أكل الوظيفة المتعينة، فرجح الأول على الثاني؛ لأن الأول يقول حين تعوده في حانوته مثلاً: يا رب أرسل إليَّ من يشتري متاعي، فيذكر الله دون غيره.

وأما أهل الوظيفة فيعدون الأيام، ويعمدون على ما عين لهم من المال، ولا يتكلمون على فضل الله الملك المتعال.

قال: رأيت في «شرح المناسك» للشيخ على الفناري أنه قال: ارتحل أهل الله من الحرمين منذ ظهرت صلاة السلاطين للفقراء السالكين حينما صلى حضرة الشيخ صلاة المغرب والأوابين ليلة المعراج من سنة إحدى ومائة وألف؛ فقال مقبلاً على الأتباع: ليجعل الله ليلتكم هذه مباركة عليكم فرددناه بما قال.

وقال: أوصلنا الله إلى سرِّ المعراج، وهل تدرون ما سره؟ مثلاً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩].

وقال: قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ إشارة إلى العروج والوصول ليلة المعراج، وقوله: ﴿فَتَدَلَّى﴾ إشارة إلى النـــزول والرجوع.

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ بمنـــزلة النتيجة إشارة إلى الوصول إلى العالم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢].

وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ إشارة إلى الوصول إلى عالم الذات المشار إليها بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، وذلك في سورة الإخلاص.

ثم قال: هذا المعراج كان في الليلة دون النهار؛ لأن الليل سر الفناء كما أن النهار سر البقاء، وكان أيضًا في صورة الصعود والهبوط؛ لأنه وقع بالجسم والروح معًا، ثم فصَّل وقال: المعراج إما بالجسم والروح معًا، أو بالروح والعلم، والأول مخصوص بالنبي ﷺ؛ فإنه عرج بروحه ثلاثًا وثلاثين مرة، وبجسمه وروحه مرة، والثاني يوجد في الأولياء أيضًا إلا الضعفاء؛ فإنهم يعرجون في المنام والأقوياء في اليقظة حال الانسلاخ التام، ومنهم من لا ينفك عن المعراج كل لحظة، وذلك بالعلم الإلهي الكلي؛ فإنه تعالى يكاشف عن أسرار آياته الأنفسية والآفاقية؛ فيريها له كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت:٥٣]، والرائي في المعراج الروحاني عين البصيرة لا عين البصر فإن للكاملين عينين ظاهرة وباطنة فيرى بالظاهرة عالم الملك والشهادة ويعطي بها ما يستحقه ويرى بالباطنة عالم الملكوت والغيب ويعطى بها حقه أيضًا مثلاً ينظر إلى أهل الظاهر بالعين الظاهرة ويعاملهم بما يناسب حالهم، وينظر إلى أهل الباطن بالعين الباطنة ويجاملهم بما يناسب بحالهم فلا يحجب بواحدة منها عن الأخرى كما احتجب أهل الظاهر عن رؤية أهل الحقيقة؛ لأنه ليس له العين الباطنة، وأهل الباطن احتجوا عن رؤية أهل الظاهر؛ لأنه ليس له العين الظاهرة أي: النظر الكامل بمرتبتها والكمال فإن صاحبه ينفق على كل واحد من الفريقين حقه.

ثم قال: المرء إما واصل، وإما غير واصل إلى هذه الأسرار.

أما الواصل فلا كلام فيه.

وأما غير الواصل؛ فإن كانت عزيمته على عدم الانقطاع من المجاهدة إلى الموت فذلك كالواصل؛ لأنه في طريق الوصول.

ثم قال: الصلاة إما لأجل الثواب أو لله تعالى فما كان للثواب لا يكون لله تعالى، وصاحبه أجير، وما كان لله فصاحبه عبد حق وأجره أوفر وأكثر.

ثم قال: أيكم يؤم لنا ويصلي بنا صلاة التسابيح بعد العشاء، وقد قال قبل يوم: أيكم يصلي بنا ليلة المعراج صلاة التسابيح؟ وكنت قد اعتذرت بالزكام فاختاروا هذا الفقير فصليت بهم تلك الصلاة على الرواية الراجحة، وهي التي ليست فيها جلسة الاستراحة بعد السجدة الثانية من الركعة الأولى، والحمد لله تعالى.

ذكر حضرة الشيخ خليفة الشيخ حسين الإزميدي؛ فقال: إنه قد دخله الشك في أمر الرزق والتردد والإنكار في الاعتقاد، ولكن يلزم للمريد الطاعة لأمر الشيخ والثبات في الأرض التي استخلفه فيها؛ فإن الشيخ من أولى الأمر للمريد، ولا بد من المتابعة للقضاء والاقتفاء والتسليم ولا يكون القضاء تابعًا له، والمريد من لا إرادة له والمؤيد من عند الله تعالى، وإن وقع اضطراب من جهة النفس في بعض الأحيان كما يقع لأرباب النفوس البشري لكنه لا يستقر عليه بل يتحول إلى السكون والأنس وهذا غير مضطر في طريقه لقبوله الزوال، وإنما ذلك تربية له، ثم تلا قوله تعالى على هذا التأويل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ أي: بالله عما سوى الله ﴿**إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ**﴾ [الأعراف:٢٠١] إما بحسب الدنيا أو بحسب العقبى، والشيطان، والنفس، والحلال أمر واحد في الحقيقة، لكن الأول بحسب الشريعة.

والثاني بحسب الطريقة.

والثالث بحسب الحقيقة إذ لكل مقام عبادة مخصوصة به ولابد من الاعتبار، فنصوا بحسب الظاهر إذ لا تردد في اعتقاده فقد تمسك ما تمسك باعتبار أنه حق

وصدق واقع بخلاف التردد؛ فإنه مذبذب وليس ذلك إلا بمقتضى استعداده، ثم أخبر عن نفسه فقال: إني كنت ابن سبع عشرة حين دخولي في الطريق، ومنذ قد دخلت انحل العقد الأول بالتقوى لأمر الله تعالى، وأن الله إذا أراد بعبده خيرًا وجذبه إلى جانبه زاد في تجرده وانقطاعه إلى آخر العمر، قال: لا نفع له من إقرار واحد كما لا ضر من إنكاره.

وقال: المريد لا يعرف حال شيخه ولا يعتقده حق الاعتقاد ما دام لم يصل إلى مرتبته إلا أن يعرفه الله قبله، وهذا الشأن لا يكون من خارج بل من داخل فلا بد للعبد من الافتقار ورد التردد والإنكار من العلم والعرفان والشهود والعيان والتذكير والبيان وكثرة الصوفية والإخوان قيد لأهل الحق ولا بد من التجرد من القيود، قال: من وصل إلى الله فهو قائم بالحق، دائر بأمره مستمر، فلو أدخل الله كل الخلائق الجنة دونه لم يتألم منه أصلاً؛ لأن الأنس بالله لا يتفاوت بالدخول والخروج والمقصود هو الأنس.

قال حضرة الشيخ: الابتلاء لا يزول إلى آخر العمر، وإني إلى الآن مرة ابتليت بالبسط ومرة بالقبض والانقباض؛ لأن الكل قضاء الله تعالى، قال في حق موسى عليه السلام: ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً**﴾ [طه:٤٠].

قال أحد العلماء: أي: وطحناك طحنًا، قال: إن يونس عليه السلام كان له إذن في أمر الخروج بحسب الحقيقة لكنه لما لم يكن مقارنًا بالإذن الصوري ابتلاه الله بالحوت فالاحتياط لازم.

قال: إن بعض المريدين بل الخلفاء لو أظهرت لهم ما أنعم الله به عليَّ من الأسرار والحقائق لفروا مني كما يفرون من الأصنام لعدم ثباتهم في أمر الاعتقاد، ولا بد من الفرار إلى الله تعالى من كل قيد وعلاقة وترك الحق خلفه كما قال تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**﴾ [المدثر:١١] فإن الحضور في ذلك.

قال حضرة الشيخ: إن بعضهم يتسارع انكشافه وبعضهم يحصل له على

التأني ثم أنشد قول الهدائي في بعض مفرداته التركية [....].

قال حضرة الشيخ: رأيت شيخي الصغير في المنام، وقلت: هل أنت راضٍ عني؟ قال: نعم، فكررت اطمئنانًا فلم يزل يشير بالرضا ثم أمرني باجتناء من بعض ثمرات حديقة، فاستيقظت.

قال حضرة الشيخ: أولاد العرب أشد كبرًا وفخرًا من غيرهم فمن قابلهم بالتقدم أخروه، ومن قابلهم بالتأخر قدموه، وفيه سر «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله».

فقلت: هذه المعاملة تحتاج إلى سعة الأخلاق؛ فإنه لا يتحمل أوضاعهم إلا القليل من أفراد الرجال، قال: نعم، وجاملناهم غاية المجاملة حين مررنا بمصر في طريق الحج فعظمونا، وبجلونا وشيعنا حين الخروج منها قريب من أربعمائة من شيوخهم وعلمائهم، خصوصًا إبراهيم اللقاني شيخ الحديث، وصاحب السلسلة، ومختار الكل، وبكوا علينا بكاء شديدًا.

وتلا حضرة الشيخ قوله تعالى: **﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [البقرة: ٢٤٩]، وقال: إن أهل الإسلام كثيرون بالنسبة إلى الجانبين كما ترى أن كفار «نمجة» وهم كثيرون بالنسبة إلى كفار فرانسز، فأسوته تشير إلى الجانبين كما ترى، وكما أن كفار نمجة محاربون مع فرانسز، كما كانوا محاربين مع أهل الإسلام، وقد هزموا أهل الإسلام مرات وهزمهم - أي: نمجة - كفار فرانسز مررًا، والكل بيد الله.

قال حضرة الشيخ: ليس الوصلة بيني وبين خلفائي إلا من الوصية؛ فإن الله تعالى يقول: **﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** [العصر: ٣] فالوصية بالحق والصبر لا بد لي منها في حق الكل خصوصًا في حقهم.

قلت لحضرة الشيخ: أصعب شيء عندي أمر إصلاح الأخلاق.

قال: أين نحن من ذلك؛ فإن المصلح هو الله ألا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى:

﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]، **﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾** [النور: ٢١] فالكل من عند الله.

كان حضرة الشيخ قد أشار إلي بالمكث إلى آخر رجب فلما تمت المدة عين يوم السبت للخروج، وهو الرابع من شعبان فقبلت يده الشريفة بعد صلاة الفجر من ذلك اليوم فدعا لي دعاء جامعًا دنياويًّا وأخراويًّا، وقال في آخره: هذه العبارة التركية [.........].

***

الزيارة السابعة

هذه الزيارة آخر الزيارات وهي قبرصية، وقعت في هلال سنة اثنتين ومائة وألف، وقد سبق سببها، وبعض كلماتها على التفصيل فلا نعيده ولا علينا أن نشير إلى البعض الآخر منها.

قال حضرة الشيخ: إن استناد الكفار إلى الأحجار ألا ترى على القلاع والحصون، واستناد المؤمنين إلى لا إله إلا الله ألا ترى أنهم لا يتحصنون بحصن سوى التوكل عليه تعالى وهو يكفيهم، قال: «**لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي**»(١).

قال حضرة الشيخ: إن حسام أفندي المدفون في «استانكوي» من أجلة مشايخ الطريقة، وقد مضى منذ مات قريبًا من المائة، وهو أستاذي المعنوي؛ لأنه قد قرأت منه في المنام.

قال حضرة الشيخ: قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾ [آل عمران: ١٤] الآية إشارة إلى أصحاب الشمال، وقوله تعالى بعده: ﴿**وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران:١٤] إشارة إلى المقربين من أصحاب الميمنة.

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ**﴾ [آل عمران:١٥].

الآية إشارة إلى الأبرار من أصحاب الميمنة، ومقام العندية المأخوذة من قوله تعالى، والله عنده أفضل وأعلى كأنه تعالى أشار بتعقيب الجنة بذلك أنكم أن كان لكم ميل إلى ما سوى المولى فليكن ذلك إلى الجنة لا إلى متاع الحياة الدنيا.

قال حضرة الشيخ: لا ينفخ الروح ما لم يكمل الجسد والجسد هو الشريعة والطريقة والروح هو المعرفة والحقيقة فإذا كمل شريعة السالك وطريقته فليرتقب نفخ روح المعرفة والحقيقة وإلا فلا.

قال حضرة الشيخ: أستاذ المرء وشيخه أعلى وأفضل من الأب الطيني؛ لأن الأب الطيني موجود للكفار وأهل الإسلام مشتركون فيه، ويمتاز المسلمون منهم بالأب الديني، وهو المعلم والمرشد، ثم قال: خير الآباء من علمك، ووصى حضرة الشيخ بأن يقرأ المؤذن بعد إحدى وأربعين الصلوات على النبي ﷺ في أعقاب المكتوبة

(١) رواه القضاعي في الشهاب (٢/٣٢٣)، والديلمي في الفردوس (٥/٢٥١).

على ما في وصايا حضرة الهدائي فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿شَهِدَ اللَّهُ ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٨- ١٩].

و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧] ثم يسبح ويحمد ويكبر، وذلك في دُبر كل صلاة على ما في معالم التنــزيل.

قال المشايخ: اتخذوا الخانقاهات لأجل أن يشتغلوا فيها بإتباعهم بإحياء مثل هذه الأمور، ومعنى الإحياء: ترك الإهمال، والأخذ بالاستعمال، ثم وصى بترك القيل والقال، وترك أسباب الاشتهار، وبأخذ الخمول والمجاهدة مع النفس والطبيعة.

وقال: إن القوى الطبيعية والنفسانية ككفار الإنس والجن، والقوى القلبية والروحانية كمسلميهم، والملك فكما أن الجهاد في الظاهر بين المسلم والكافر ماضٍ إلى يوم القيامة، فكذا الجهاد في الباطن بين القوى، وإن الله لا يجرد العبد من كل علاقة في كل زمان، بل يسلبه في بعض الأحيان، وإن كان إنسانًا كاملاً يبقى على المجاهدة؛ فإن الإنسان لم يترك سدى.

قال حضرة الشيخ: معنى نداء المؤذن: صلوا على النبي ﷺ إحدى عشرة صلاة، أن الأفلاك سبعة وبالعرش والكرسي واللوح والقلم، يصير المجموع أحد عشر، والصلوات بعدها إشارة إلى نــزول الفيض من هذا المذكور، ولا تعين فوق هذا روحانيًا أو جسمانيًا، ولهذا انحصرت الصلوات عند البعض في العدد المذكور، ثم حضرة الهدائي اختار إحدى وأربعين مرة فنحن على الامتثال، ولا شغل لنا غير الطاعات والأعمال؛ فاجتهدوا أنتم حتى تكونوا متبعين لنا في هذا الباب، وحتى يقول الرسول ﷺ يوم القيامة: [خوش كلدك]؛ والله تعالى [خوش كلدك خاصة قوله] فإن المراد بإحياء ما أهمله الناس من السنن والمستحبات أن يكون المرء عبدًا خاصًا صاحب عزيمة وتقوى، والله تعالى قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] إشارة إلى أرباب الرخصة من المؤمنين.

وقال أيضًا: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢] إشارة إلى أصحاب العزيمة منهم فكل ضرر في الدنيا والآخرة إنما يأتي من الإهمال، ثم دعا مرتين دعاءً جامعًا.

وجاء إلى حضرة الشيخ واحد من الأطفال بخبرين فلاطفه، وقال: إن الطفل قريب العهد إلى عالم الذات، وفيه رائحة ذلك العالم، ولذلك يستأنس به الشيوخ، وينـــزلون إلى مرتبته في التكلم وغيره.

جمع حضرة الشيخ الصوفية، وهم أربعة أنفار غير ولده السيد مصطفى والفقير؛ فقال: اعلموا أن أول من ابتلى بالاحتلام أبونا آدم عليه السلام فإذا وقع لأحد منكم فاغتسلوا تحت هذه الغرفة في المحل المهيأ للوضوء والاغتسال، ولا تستحيوا، وارفعوا التكلف من البين في الدخول والخروج؛ فإني لا أرضى بغير ذلك، أقول: إن روح الله روحه تنـــزل نفسه في أواخر عمره منـــزلة واحد من الناس - يعني: عند أتباعه - فلذا رفع الكلفة بل الخدمة؛ فإنه كان لا يستعين أحدًا في وضوئه أصلاً.

قال حضرة الشيخ: إن عالم الفناء عالم القدس، والتجرد بخلاف الرد إلى البقاء؛ فإن الله تعالى يبتلي صاحبه بما يبتلي به أصحاب الطبيعة، والنفس لكنه على اليقظة والعرفان وأصحابهما على الغفلة والجهل يعني: أن المردود إلى البقاء وإن كان مبتلى بأنواع البلايا لكنه على الله مع الله، فلا يعتريه جزع ونحوه بل يحمد على النعمة والمحنة ويستغفر عند الذلة بخلاف غيره من الباقين في الفرق الأول، ثم قال: كما أن الوجود لله تعالى حال الفناء فكذا حال البقاء، وإن كان مضافًا إلى العبد صورة ألا ترى أن من ركب دابة، فقد يقال: إن له دابة لكن ليس له دابة فكما أنه مسلوب عنه تلك الإضافة حال عدم الركوب، فكذا في حال الركوب وهذا من مزالق الأقدام، قلت: هل ترفع الانقباض من أخلاق النفس؟ قال: لا ولو كان نبيًّا؛ فإن الله تعالى لا يدع العبد في الدنيا على يد واحدة وهي الجمال الصرف، وإنما يكون ذلك في الجنة إذ الابتلاء يرتفع هناك، وكل ورد التزم يحتمل السقوط إلا ورد الاستغفار؛ فإنه باق إلى آخر العمر بمكان الابتلاء بالمجاهدة ما دام حيًا ولو عين رسول الله ﷺ الاستغفار كل يوم مرة وعرف أنه يستغفر ربه كل يوم هذا العدد، قال: ومن هذا ظهر أن الاستغفار ليس في ترتيب الأسماء السبعة لعدم خلو كل مقام عنه ولو كان فيه بخلاف نفسه عن بعض المقامات وليس كذلك.

قال حضرة الشيخ: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة:٦] إشارة إلى أهل اليقظة حسناتهم غالبة على سيئاتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة:٨] إشارة إلى أهل الغفلة لما

أن سيئاتهم غالبة على حسناتهم والحكم للغالب في الفريقين فظهر أنهم مشتركون في فعل السيئة ولو بحسب مراتبهم، ولا يرتفع ذلك الابتلاء عنهم، ولذا قال رسول الله ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه:

«**يا عليُّ، إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة**»[1] لما أنه مقتضى اسم الغفور.

وقد كان عليه السلام يعلم أنه يعمل السيئة، ولو في بعض الأحيان، ولو بحسب الفكر، ولذا وصى بالحسنة، وإنما قلنا بحسب الفكر؛ لأن ما يدور في جنان أرباب العزيمة مأخوذ به.

ثم قال: والحاصل أن توارد الليل والنهار إشارة إلى توارد السيئة والحسنة فكما أن الدنيا لا تبقى على الليل وحده أو النهار وحده بل هما على التعاقب دائمًا فكذا العبد المؤمن لا يخلو من نور العمل الصالح وظلمة العمل الفاسد والفكر الفاسد فإذا كان يوم القيامة يلقي الله الليل في جهنم والنهار في الجنة، فلا يكون في الجنة ليل كما لا يكون في النار نهار. يعني أن النهار في الجنة هو نور إيمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته، والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله الفاسد فكما أن الكفر لا يكون إيمانًا فكذا الليل لا يكون نهارًا، والنار لا تكون نورًا فيبقى كلٌّ من أهل النور، والنار على صفته الغالبة عليه، وأما القلب وحاله بحسب التجلي فهو على عكس الحال الغالب؛ فإن نهاره المعنوي لا يتعاقب عليه الليل، وإن كان يطرأ عليه استناد في بعض الأوقات.

قال حضرة الشيخ: في قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال:٢٤]: إن من حيلولته تعالى بين المرء وقلبه أن يحب بعض العباد الشغل بالعلم والمعرفة وغيرهما وبعضهم الشغل بخلاف ذلك ولو عرض على أحدهما شغل الآخر لتنفر وأعرض، وقلب المرء بين أصبع من أصابع الرحمن.

قال حضرة الشيخ: أنا في عالم الغربة عند ست سنين، قلت: ورد فطوبى للغرباء، قال: من هو في عالم الغربة كمن بقي وحده في البحر المحيط، وإلى هذه المرتبة أشار عليه السلام: «**كنت يتيمًا في الصغر، وغريبًا في الكبر**»[2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/١٧٥)، بنحوه عن معاذ.

(٢) لم أقف عليه.

قال: ومعنى الغربة أن ينسلخ عن كل صورة ومعنى وينقبض عن جميع الاستهالات والتنــزلات ليبقى وحده.

قلت: هل شيء وراءها يكون مطمحًا للعارف؟ قال: هي غاية الغايات، ولا مطمح وراءها.

قلت: الغربة كحال النقطة حيث يضمحل عندها تفاصيل تعينات الحروف والكمالات والسطور، قال: نعم وإنما يحصل ذلك فوق التعينات علمية أو عينية، قال: وفقني الله من أسرار الحروف المقطعة على ما لا يوصف، قال: إني ما وجدت علم الظاهر والباطن إلا بخدمة الشيخ، وحسن الاعتقاد؛ فإن تأثير الخدمة وحسن الاعتقاد فوق تأثير المطالعة والاجتهاد.

قال حضرة الشيخ: فسَّر ابن عباس ﷺ قوله تعالى: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه:١١٤] أي: إيمانًا ويقينًا بك[١]، وهو أجل التفاسير وأدقها، وذلك لأن علو الإيمان واليقين به دون غيره، وهو أصعب الأمور.

قال حضرة الشيخ مخاطبًا لهذا الفقير: كيف حالك؟ قلت: طيب.

قال: في السكون أو في الحركة؟ قلت: في الحركة.

قال: البركة مع الحركة، وكنت عند هذه المقاولة أكتب كلماته الشريفة التي سمعتها منه في ذلك اليوم وذلك وراء سبحات الذي كان عينه لي في بيته المنيف توضأ حضرة الشيخ فمسح ذراعيه لأمن إسالة الماء الجديد عليها فخطر ببالي منع الفقهاء من ذلك وأن المناسب بحال حضرة الشيخ وصَّى التقيد بأحكام الشريعة غاية التقيد أن يكون على خلاف ما رأيت منه وهذا قد مر على خاطري من غير اعتراض؛ لأنه لم يكن من شأني الاعتراض قديمًا لكنه لما كان في صورة الاعتراض أراني الله في المنام تأديبًا وتربية كأني مشرف من محل مرتفع، وإذا مدرس مذموم بين الناس استقبلني من الطريق، وأرى أن لحية حضرة الشيخ كأنها مصفرة وكذا لونه، وقد كان أبيض فانتبهت فعرفت الحال، وأستغفر الله الملك المتعال؛ فالمدرس إشارة إلى المسألة الشرعية التي خطرت ببالي، واصفرار اللون إشارة إلى النظر بالنقصان وعلى الله التكلان، ونعوذ به من الخذلان.

---

(١) رواه الطبراني (١٠/١٨٥).

طالع حضرة الشيخ حاشية على تفسير الفاتحة التي نسختها من نسخته المباركة، ثم قال بطريق الملاطفة: شددوني وضربوني مائة سوط؛ فإن الله تعالى أنعم عليَّ بمثل هذه النعمة الجليلة، وأنا على كفران نعمة.

قلت: إن وقع ذلك فقد ذكركم الله نعمة السابقة، فقال: أستغفر الله من الكفران والعصيان.

قال: إن السالك لا يخلو من إجمال وتفصيل إلى آخر عمره، وحقيقة التفصيل تظهر عند احتضاره ثم هذا التفصيل إجمال بالنسبة إلى التفصيل البرزخي وهو إجمال بالنسبة إلى التفسير البرزخي وهو إجمال بالنسبة إلى التفصيل الكشفي الذي يظهر عند الرؤية ثم لا نهاية للتفصيل.

شكوت إلى حضرة الشيخ من أخلاق النفس، قال: لا يتخلص العبد من الانقباض من أخلاق النفس إلا في مرتبة الأحدية الذاتية؛ فإن فلكها واسع وإحاطتها كاملة وعندها ينجلي قوله تعالى: ﴿وَاللَّه وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧]، وكلُّ خيرٍ وشرٍّ تعين في جميع التعينات إلى أن ينــزل إلى تعين جنانه أو لسانه أو أعضائه فيظهر الفكر والذكر والفعل فأصحاب تلك الرتبة الأحدية بدون ذلك ولا يتأذون في صورة الشر؛ لأنه أمر فاشٍ من استعداده خارج من كيس تعينه، والله تعالى لا يتأذى أصلاً، وهو أصبر على أذًى يسمعه فكذا من ذاق من مشرب المرتبة المذكورة، وأما مرتبة الواحدية الصفاتية فليست في الإحاطة كالأولى.

قال: إن حقيقة الإسلام أمر مشكل صعب لا يتحقق به إلا الأفراد فلا تعجل إذا كان إيمان بأرباب هذا الشأن؛ فإن الله تعالى لما عجل في إظهار وجودك في هذا النشأة وكل أمره تدريجي فترقب المقصود ولو بعد حين ويلزم عليك الآن حسن الاعتقاد في الباطن والقيام والصيام في الظاهر فوظيفة الظاهر التعبد بأحكام الشريعة ووظيفة الباطن قطع الميل إلى ما سوى الله، وعند وقوع زيغ أو ذلة يلزم الاستغفار.

قال حضرة الشيخ: إن الله أيدني فلم يصدر مني ما يخالف ظاهر الشرع مع غلبة الحال المحرقة سنين، ثم قرأ قوله ﷺ: «**إن الله أدبني فأحسن تأديبي**»[1].

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/٧٢).

قال: إني أحب سماع تلاوة بعض السور كسورة والضحى والانشراح والنصر؛ فإنها جاءت على حسب حالي، والله تعالى وفقني لمطابقة القرآن أنفسًا وآفاقًا، وأعطاني ما أعطاني من جهة القرآن.

قال حضرة الشيخ: إن الملك والشيطان كالقلمين اللذين يرسم أحدهما بالمداد الأبيض، والآخر بالمداد الأسود وحركتهما مستندة إلى الكاتب، ولا صنع لهما في الحقيقة؛ فالله تعالى يحول بين المرء وقلبه وقلم الخير وقلم الشر بيده والملك والشيطان من قبيل الوسائط لكن الأدب إسناد الشر إلى النفس والشيطان والخير إسناده إلى الله الملك المنان وهذا الفرق لا ينافي ذلك الجمع بل هو عين التوحيد والمراتب متفاوتة فمن مشى على المراتب أمن من العثور.

أقول: رأيت في المنام حضرة الشيخ، وهو يقول: إنه من لم يقاسي مشاق هذه الطريقة فهو يموت بلا دين ولا إيمان.

فقال خادمه القديم علي دده مثالاً لذلك: الحمار يتحمل مشقة الحمل الثقيل مع كونه حيوانًا كذلك الإنسان إذا لم يتحمل المشقة مع كونه إنسانًا يكون أنــزل درجة منه.

قال حضرة الشيخ: رأيت في المنام حضرة الشيخ الأكبر مع ابنه صدر الدين القونوي - قدست أسرارهما - واعتذرت إليهما بأني أريد أن أزوركما لكن لا أعرف مكانكما فأشار أن اثبت في مقامك ومكانك أننا لا نفارقك أين كنت فقلت: رأيت حضرة الشيخ الأكبر بقلنسوة (ناتازيه)، يقال لها بالتركي: [قلياق].

قال: لا ضير إنه مجرد عن كل لباس، وظاهر في كل صورة، وصى حضرة الشيخ الصوفية الحاضرين بالاستغفار قبل الغروب؛ لأن المرء لا يخلو يومًا مما يخالف رضاء الله تعالى، وذلك اليوم شاهد على ما فعل.

قال حضرة الشيخ: حالة النوم وحالة الانتباه إشارة إلى الغفلة ويقظة البصيرة فوقت الانتباه كوقت انتباه القلب في أول الأمر، ثم قال: الحركة إلى الوضوء إشارة إلى التوبة والإنابة ثم التكبيرة الأولى إشارة إلى التوجه الإلهي فحاله ومدة الانتباه إلى هنا إشارة إلى عبوره عن عالم الملك، وهو الناسوت ودخوله في عالم الملكوت، ثم الانتقال إلى الركوع إشارة إلى تجاوزه إلى الجبروت، ثم الانتقال إلى السجدة إشارة إلى وصوله إلى عالم اللاهوت، وهو مقام الفناء الكلي، وعند ذلك يحصل الصعود

الكلي إلى وطنه الأصلي ثم القيام إلى السجدة إشارة إلى البقاء؛ فإنه رجوع الولاء ففي صورة النـــزول عروج وبالعكس فافهم، والركوع مقام قاب قوسين وهو مقام الصفات أي: الذات الواحدية، والسجدة مقام أو أدنى، وهو مقام الذات الأحدية، والحركات الست هي حركة القيام إلى الركوع ثم منه إلى السجدة الأولى ثم منها إلى الجلسة ثم منها إلى السجدة الثانية ثم إلى القيام إشارة إلى خلق الله السماوات والأرضين في ستة أيام فالركعة الواحدة من الصلاة محتوية على أول السلوك وآخره وغيره من الصور والحقائق الدنيوية والأخروية والعلمية والعينية والكونية الإلهية.

قال حضرة الشيخ: أمهات الأسماء سبع وهي: الحي والعليم والقدير والمريد والسميع والبصير والمتكلم، وكل منها ينقسم إلى سبعة باعتبار أنه الحي يؤخذ فيه الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلم لكن لما كان الصفة الغالبة هي الحياة أخذت هي لكونها بالفعل ولم يعتبر المقلوب وبالقوة فإذا كان الحي سبعة بهذا الاعتبار فقس البواقي عليه.

فالسبعة بسبع مرات يبلغ إلى تسعة وأربعين ثم باعتبار الظهور والبطون يكون المجموع ثمانية وتسعين ثم باعتبار المجموع والإفراد يصير تسعة وتسعين ثم باعتبار أحدية المجموع والإفراد يصير مائة؛ فالأول إفراد حقيقة وعدد حقيقي، والثاني والثالث فرد وعدد اعتباريان.

ثم قال: والسماوات السبع بإزاء هذه السبع، وهي ما ذكر في قوله تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾** [آل عمران:١٤].

فهذه الشهوات السبع المفصلة قد جعلها خمسًا في آية أخرى، وهي قوله تعالى: في أواسط سورة الحديد: **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾** [الحديد:٢٠].

ثم جعل هذه الخمس في أمرين وأدرجها في آية أخرى، قال تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾** [النازعات:٤٠] جامع لأنواع الشبهات، فمن تخلص عن الهوى فقد تخلص عن كل قيد مانع للسالك من الوصول إلى المطلب الأعلى.

خاطب حضرة الشيخ هذا الفقير بلسانه أن حاشيتي على تفسير الفاتحة

للقونوي، قد أعجبتني فإني منذ صنفتها لم أطالعها إلى الآن، وإنها جاءت بحمد الله كدرر منظومة بحيث لا تُوصف، وإنها من فضل الله وقد صنفتها في مائة وعشرين يومًا، وبقي ورق من أوراق من آخر التفسير غير محشي؛ لأنه وقع لقلبي الأستار هناك فأمسكت عن التحرير، وكان فيض الله عليَّ حين التحرير بحيث لا يوصف فلم ينقطع عن تلك المدة ولو لحظة.

قال: إني أُحب خطك لتعليقي، لكن هذه النسخة التي بخطي.

قلت: الكل لكم، ثم قلت: قد استغرب حضرة الشيخ الشهير باقتادة - قدس سره - فهم تفسير الفاتحة فضلاً عن تعليق الحاشية عليه، وهذا التفسير من قد صنف، وهو أكثر من أربعمائة سنة بقى بكرًا إلى الآن، وإن الله فتح على يديكم.

ثم قال: إن خلفائي كثيرون بعضهم في الحياة، وبعضهم قد مات، وإن هذه النفَس والتأثير يصل بعدي إليك لا إلى غيرك؛ فإن لك إحاطة بهذا العلم، ولك تحريرًا لطيفًا، قال: وإني وجدت ما وجدت بنفس شيخي ودعائه وقد أعطيتك هذا النفس والدعاء بإذن الله تعالى، فسارعت إلى تقبيل طرف ذيله وأخذت دعاءه ونفسه النفيس ويكفيني شرفًا وسعادة في الدنيا والآخرة، وقد كرر حضرة الشيخ المقال المذكور في مجالس مختلفة في أواخر عمره وعد زياراتي له في جزيرة قبرص من الوراثة.

وقال: إنك لم تبلغ الآن إلى نصف من السلوك ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾ [الضحى:٥]، والحمد لله حمدًا كثيرًا يستوعب الأوقات ويستغرق جميع الحالات.

قال حضرة الشيخ: المجاهدة طريقة مسلوكة لأهل البداية والنهاية، أما أهل البداية فيجتهدون تربية، وأصلاً، وأما أهل النهاية فشكرًا، ولذا قال ﷺ:

«**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» (١) فالفتور في المجاهدة يؤدي إلى تقوية القوى الحيوانية، وتضعيف القوى الروحانية مع أن السالك مأمور بالإمداد إلى طرف الروح؛ فإنه كالإمداد إلى عسكر الإسلام في الظاهر، منهي عن الإمداد إلى طرف الجسم، فإنه كالإمداد إلى جيش الكفار في الظاهر، وكل منها مذموم، وإنما الممدوح إلى ظاهر الدين الحق وباطنه إلى أن يغلب أهله عدوه في الظاهر والباطن، والنشاط

(١) رواه البخاري (١/٣٨٠)، ومسلم (١/١٨٥).

ليس بشرط في المجاهدة، ألا ترى قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١].

قال: وأرى بشرتك غير ما رأيتك قبل.

قلت: وقع الفتور في المجاهدة منذ سنة بسبب أني أفرطت فيها؛ فقيل لي: [هداي أو ليحق تقدير كار ايلمز اكاندبير] (١)؛ فقال: كن على الاعتدال في كل حال من غير إفراط وتفريط وليكن همتك في العبودية التذلل المحض دون ظهور فيض أو غيره؛ فإن العمل الصالح هو ما ابتغى به وجه الله تعالى دون غيره من العلوم والمعارف والأسرار والحقائق وغيرها، وكل نشأة فهو بذر ما يليها كالدنيا؛ فإن من حرث فيها يحصد في الآخرة ومحصول هذا البذر الدنيوي ظهر في النشأة الأخروية، قال: إن كل نشأة فهي بذر ما يليها كالدنيا تخالف ما قبلها وما بعدها؛ فإن الله لا ينشئ شيئًا مرتين في صورة واحدة، فإنه عبث، وهو منـــزه عنه؛ فهذا الظهور الدنيوي إذا ذهب إلى البطون فلا يعود أبدًا بل ينتقل على المثال البرزخي وهو تخيل آخر ثم المثال البرزخي ينتقل يوم النشر إلى الوجود العيني الحشري، وهو غير البرزخي باعتبار إذ اتحاد الحقيقة في كل نشأة كحقيقة الإنسان لا ينقلب إلى حقيقة أخرى لا ينافي الغيرية، ولو من وجه فحقيقة الوجود متحدة، والظهور مختلف فافهم؛ فإنه من مزالق الأقدام، قلت: لم أدرك كيفية الوجود البرزخي هل هو كما في الدنيا؟ قال: نعم؛ وإنما الفرق أن البطون في هذه النشأة يكون ظهور هناك فيكون الغيب شهادة، والشهادة غيبًا.

قال حضرة الشيخ: أصل كل شيء هو الحرف، فإذا انضم إليه خاصتان له يصير كلمة إما اسمًا أو فعلاً أو حرفًا، وهذا التركيب جار في العوالم.

قال حضرة الشيخ: إن الله تعالى ألقاني هنا، ومن قلعة ماغوسة كلمة بديعة له أني كنت أرجو أن يظهر من السلطان أو الوزير أو غيرهما واحد فتنصح بكلامي ويصلحني ويكون سببًا لنظام العالم فالآن عرفني الله أن ليس في سلطان الزمان وأتباعه استعداد لقبول النصح ومداراته لحياة العالم، فجردني عن القسطنطينية وأهلها تجريدًا لا يوصف غير أن الأطفال في البيت يمرون على الخاطر في بعض الأوقات التي لست بمغلوب، وإنما يجيء الخاطر، ويذهب من غير توقف.

قال حضرة الشيخ: بأن الله تعالى رآك لا بقاء بلدة بروسة فاشكر الله؛ فإن

(١) كلام تركي.

العزيز الكبير مدفون هناك، وهو حضرة الشيخ الشهير باقتادة - قدس سره - والعزيز الكبير وهو خليفة حضرة محمود الهدائي الإسكداري القوجحصاري نشأ فيها وقد ورثك الله تحريره ثم دعا دعاء جامعًا حلوًا يحيى من أتباع الفقير رأس حضرة الشيخ يوم الجمعة.

قلت: احتجم[١] النبي ﷺ مرة فشرب بعض الأصحاب - رضي الله عنهم - ما خرج من الدم، وهو ممنوع من حيث ظاهر الشريعة، ولذا حمله بعض العلماء على الإفراط، قال: إن سكت النبي ﷺ بعد شرب الدم؛ فهو إذن له وإلا فإن كان من أهل الفرق ففعل ذلك محظور، وإن كان من أهل الجمع ففعله مباح.

وقد ذكر العلماء أيضًا أن من خصائص النبي عليه السلام طهارة ما هو غير طاهر من غيره ولو كان فضلاته.

وأيضًا إن الله طيب، والرسول أيضًا طيب بجميع أجزائه من غير تفرقة بين جزء وجزء، وظهر من رأس حضرة الشيخ بعض دم من الموسي[٢] فمسحه، وقال: يجيء يوم يبلى هذا الرأس وجميع أجزاء الوجود، فقلت: لا تبلى إن شاء الله، قال: بأي دليل تقول؟.

قلت: لأن التوحيد الحقاني يزيل العفونة البدنية الموجبة للتفسخ، فتبسم، فخطر ببالي أن حضرة الشيخ لو قال: ما علامة الوصول إلى التوحيد الحقاني؟

فإذًا أقول له: فخطر من تلعثم أن نور وجهك المبارك وكمال تعبده بالأحكام الظاهرة وتخلقه بالأخلاق الحميدة الباطنة وكراماته العلمية التي عجز عنها مشايخ الزمان ومشاهيرهم فضلاً عن إتيان مثلها أهل الرسوم فكل ذلك علامة للمقصود، والحمد لله تعالى.

دعا حضرة الشيخ لهذا الفقير بعد رؤية بعض آثاري؛ فقال: جعل الله قلبك واسعًا ولسانك جامعًا، وجاء في هذا اليوم - أي: يوم الجمعة - درويش من الفقراء القادرية بطريق الزيارة، فسأله الشيخ عن أحواله وسياحته، ثم قال: [اكر تلرار لره ايرمش اوتوراتلرار لرايمش][٣] وكون المرء رجلاً كاملاً أولى من كونه واصلاً إلى الرجل الكامل.

---

(١) أي: تداوى بالحجامة، وهي تشريط موضع الألم وتسخينه لإخراج الدم الفاسد منه.

(٢) هو الآلة الحادّة المعروفة بالموس.

(٣) كلام تركي.

ثم قال حضرة الشيخ: الحدث أصغر وأكبر، وهما في الشريعة ظاهران، وأما في الطريقة فالحدث الأصغر هو حب العقبى، والحدث الأكبر هو حب الدنيا، وأيضًا الأصغر حب العلوم الباطنة والتقيد بمرتبتها، والأكبر هو حب العلوم الظاهرة، وأيضًا الأصغر الشرك الخفي، والأكبر الشرك الجلي.

وأيضًا الأصغر الميل إلى التعينات الباطنية الروحانية.

والأكبر الميل إلى التعينات الظاهرة الجسمانية.

وأما في مرتبة الحقيقة فالأصغر الارتباط بالشئونات الغيبية التي هي مرتبة الأحدية، والأكبر التعلق بالتعينات العملية التي هي مرتبة الواحدية كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:٧٧- ٧٨] فالكتاب هي مرتبة الواحدية التي ترتسم في مصحفها نقوشٌ مرتبة الأحدية التي هي القرآن الإجمالي فأهل الميل إلى شيء مما ذكر كونية أو إلهية عينية أو علمية أهل الركون إلى ما سوى الله يلزم ترك صحبة؛ لأنه جنب في مقامه المطلق عن رق كل قيد هو أهل الحق وهم المخلصون بفتح اللام، وهم أعلى من المخلصين بكسر اللام قيد الإخلاص ونسبه إلى نفسه بخلاف المخلص بالفتح بل هو حر عن جميع القيود، فيكون الحق إذا طاب للحق في مرتبة العبد، وعابدًا له في مرتبة فيضمحل جميع النسب فلا يبقى إلا الحق ومجملاً.

ولذا قال حضرة الشيخ الهدائي في بعض إلهياته التركية: [حقي حقله شهودايت أي كوكل] [(١)] فإن الوجود والشهود قيد بالنسبة إلى العبد؛ فإذا فنى عن إضافة الكون كان الشاهد والمشهود هو الله لا غير كما كان هو لا غير، قال تعالى: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] أي: لا يمس الهوية إلا المطهر عن جنابة التعلق بكل من المقامات المذكورة، والمطهر بالفتح لا بد له من المطهر بالكسر، وهو الله تعالى فالعبد لا يطهر نفسه ولا يزكيه، وإنما يطهره الله تعالى ويزكيه، قال: قطع الله عن قلبي كل علاقة حتى أني صاحبت السلطان سنين، وكان انقطاعي في تلك المدة أشد من الانقطاع قبل الصحبة فلله تعالى الحمد على ذلك، وقد غير مثل هذه الصحبة حال كثير ممن تزيًا بهذا الزِّي.

قال حضرة الشيخ: أعجبني حاشيتي على تفسير الفاتحة للقونوي أنها من النوادر.

---

(١) كلام باللغة التركية.

قال: وهذا الفيض فضل الله العظيم عليَّ حيث أنعم بمثل هذا على مثل هذا الفقير، قال: قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنــزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٢٨٥] بالنسبة إلى الوحي الظاهر، وأما بالنسبة إلى الإلهام؛ فنقول: صدق وارث الرسول ما ألهم عليه من ربه، والمؤمنون به.

قال حضرة الشيخ: النظر الصحيح يؤدي إلى معرفة الحق وذلك بالانتقال من معلوم إلى أن ينتهي إلى الحق لكنه طريق التصور والفكر لا يتخلص من الاثنينية، وأما المكاشفة فليس منها الانتقال المذكور وطريقها المذكور، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران:٩١] كيف قدَّم فيه الذكر على الفكر؛ فطريقة الإشراقيين تخالف هذا؟ قلت: إن صاحب الكشاف خاتمة أهل العربية حيث لم يأت بعده بمثل عربيته، قال: نعم، ولكن القشر المجرد لا يفيد كثيرًا؛ فإن العلم هو الذي أخذ من الداخل؛ لأن الخارج علم علماء الرسوم مأخوذ من الخارج، وعلم علماء الحقيقة مأخوذ من الباطن، والمرء إذا لم يأخذ البيان من الله كيف يفسر القرآن ويؤوله بل هو في حجاب وخجل يوم القيامة من مقاله، ولو نجا برأسه لكفى، **قال**: مثل أبي السعود وغيره، له عين واحده لا عينان والمعنى في الحقيقة هو الذي له عينان، **قال**: علماء الرسوم كالعميان يستند بعضهم ببعض.

قال حضرة الشيخ: الابتلاء جار في زمان آدم ﷺ إلى هذا الآن، وإن النبوة عينها معه من الابتلاء، ولا تحول بينه وبين النبي ﷺ، وكذا الولاية ألا ترى إلى حال الحسن والحسين – رضي الله عنهما، قال: إن الشبلي – قدس سره – بكى مرة لوفاة ولده فتنبه أن مثل هذا البكاء إنما يصدر من النساء، فحلق لحيته حياء من الله تعالى، قال: إن الله تعالى إذا أراد لعبده الترقي يتجلى له في يوم واحد بألف صورة ويبتليه بأنواع البلايا، وإذا أراد له التنــزل يبقيه أربعين سنة على حالة واحده.

قال حضرة الشيخ: علم الشريعة يبقى هناك لأن متعلقه على الفناء، وإنما يذهب إلى الآخرة ثوابه بحسب العمل بالإخلاص.

وأما علم الحقيقة فيذهب إلى الآخرة؛ لأنه على البقاء، وهو أزلي أبدي لا زوال له في كل موطن ومقام.

قال حضرة الشيخ: إن الله تعالى الحق هذه الدار أهل اليقظة الواصلين بأهل

الغفلة المحجوبين في التعبد والتقيد بالأحكام والآداب، ولذا وجب الاغتسال من غير تفرقة بين أهل الجمع والفرق.

وأما في الدار الآخرة فعكس الأمر بأن ألحق أهل الحجاب بأهل الكشف في دفع القيد، ولذا لم يُوجب الاغتسال في الجنة، ولو جامع كل يوم ألف مرة.

أقول: هذا من لطائف الأسرار وفَيضه عن الأغيار.

قال حضرة الشيخ: وراء الجسم روح مجرد فوقه عين مجردة، وفوقها سر مجرد، ومنه يظهر قول الهدائي في بعض إلهياته التركية [...].

قال حضرة الشيخ: من قال في حقنا قولاً فاحشًا أو إذا آذنا بفعله أو تركه فهو في حل؛ فإن إرادة الانتقام له أو وقوعه في أمر مكروه من باب الشرك في طريقنا فنحن لا نلتفت إليه أصلاً بل إلى ما دبر الله لنا في علمه، وكل تدبيره خير ومحبوب، وإن كان في صورة المكروه؛ فإنه قد أخفى جماله في جلاله، ولطفه في قهره، ونوره في ناره، ألا ترى إلى حال إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩] أي: التسليم في جميع المراتب بالقلب والقالب واللسان كما قال تعالى: في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ١٣١]؛ فهذا القول بالإسلام إنما كان بالإسلام بالقالب والقلب والروح والسر، وإلا فالإسلام القولي لا يفيد، ألا ترى أن كثيرًا من الناس يقول: إني أسلمت لله تعالى، ولكن عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان؛ فجميع الابتلاءات إما لإظهار الغل والفش، وهو لأرباب التسليم الصوري، وإما لإظهار الخلوص والانقياد، وهو لأصحاب التسليم الصوري والمعنوي؛ فإن بالابتلاء يظهر من معادن نفوسهم جواهر هي عند الله على الجواهر كما أن من معادن نفوس غيرهم يظهر ما ليس عند الله بشيء بل موجب لسخطه وغضبه كالغضب والاضطراب والقول الفاحش بالدعاء لسوء وغيرها.

قال حضرة الشيخ: إذا ما مت فافعل ما بدا لك؛ فإن الأمر إذًا بينك وبين الله، وقد انقطع القيد الصوري، وهو الاستعداد.

أقول: ظهر من هذا أن الشيخ ما دام حيًا، فالرجوع إليه في المهمات فنفسه النفيس كالوحي الظاهر بالنسبة إلى المريد؛ فإن الأنبياء – عليهم السلام – يبلغون الوحي في الباطن من الوجه الخاص أولاً، ثم يجيء جبرائيل عليه السلام من الوجه العام ثانيًا،

وهم ينتظرون ذلك المجيء فالشيخ كجبرائيل للمريد وجبرائيل عليه السلام مرشد لرسول الله ﷺ، ألا ترى أنه أرشده إلى أن انتهى إلى سدرة المنتهى، ثم انقطع ذلك وكان الأمر بينه وبين الله صورة ومعنى؛ فإن سر العبد لا حكم عليه لأحد إلا لله، ولهذا جاء في أدب أهل الطريقة أن المريد إذا أراد أن يذهب لحاجة ولم يجد الشيخ في مكانه يتوجه إلى روحانيته ويستأذن من الباطن، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ولمقصود المتابعة، وهي حاصلة في كلتا الصورتين أي: في صورة وجود الشيخ وعدمه؛ فإن انعدام وجوده في مكانه في الظاهر لا يستلزم عدم وجوده في الخارج، والحاصل أنه فرق ما بين الحياة والممات، وإن كان الأنبياء والأولياء أحياء عند الله في جميع النشئات.

قال حضرة الشيخ: العلم يسوق إلى العرفان، وهو إلى المحبة، وهي إلى التعبد؛ لأن من له محبة الله يجهد في خدمته ويعبده لا لغرض، والمجاهدون في سبيل الله أفضل من القاعدين بالنص، قال: صاحب شيخي بعد ظهور هذا العلم - أي: علم الطريقة والمعرفة لقلبي ثلاث ثم استخلفني فصرت غريبًا وبقيت يتيمًا لكن الله ألبس وأنعم وأغنى وله الحمد، ألا ترى أن أحوال اليتامى في الخارج متفاوتة؛ فمنهم من يبقى على الغداء والجوع، ومنهم من يخلف له من يحتضنه فيراعيه كما يراعى الأبوان أولادهما، وإن الله حفظني عن الرخصة إلى الآن، وذلك في المطعم والملبس وغيرهما، وحبب إليّ الزهد وبغض التجمل، ومع هذا فأين نحن من كبار السلف في المجاهدة من تقليل الطعام والكلام والمنام والتكثير في الصيام والقيام.

قال حضرة الشيخ: إن الله تعالى يبتلي بعض العباد بالطلب من تحصيل المطلوب، وبعضهم يبتلي به مع حصول المطلوب المشروط به إما مقارنًا بطلبه، وإما بعده؛ لأن وقت الدعاء قد يفارق حصول المطلوب فيستجاب الدعاء في وقت ويحصل المطلوب في وقتٍ آخر، وبعضهم لا يبتلي به بل يرسل فيضه بلا طلب ما لا شيء، والثاني طلب وشيء، والثالث شيء لا طلب.

قال حضرة الشيخ: كما أن الرزق الصوري ينقطع عند الموت الصوري وليس بعده إلا الحياة الأبدية كذلك الرزق المعنوي ينقطع عند الموت وليس بعده إلا الحياة الباقية، يعني: أن السالك إذا وصل إلى الفناء الكلي يستكمل حظه من جميع المقامات، ويأخذ نصيبه من جميع التعينات، وهي تجري مجرى الغذاء لروحه؛ فإذا

استوفى من كل مقام حظه كان كأن قد مات وآل إلى صورة أخرى لا تشبه حاله الأولى أصلاً، وذلك إنما يكون بعد أربعين سنة من أول سلوكه حين تسخير قواه الطبيعية والنقصانية بالكلية ومجيء الإمداد الملكوتي فليس المراد من هذا الفناء هو الذي يحصل قبل الفناء بل بعده فافهم.

قال: وهذا كما أن أهل الجنة يصلون لمقتضى الاستثناء الذي هو فعله إلا ما شاء ربك إلى مقام لا يشبه بالذي قبله أصلاً وذلك بعد طول العهد من دخول الجنة وعنده يظهر سر الأزل في مرآة الأبد، فكما أن مبدأ التعينات وهي الشئونات الغيبية هو أزل الأزلين كذلك ما بعد هذا المقام الذي وصلوا إليه بالتجلي المخصوص هو أبد الآبدين فالأبد المضاف هو ما بعد هذا التجلي والمضاف إليه ما كان قبله مذ دخولهم الجنة، وكذا الأزل فإن ما فوق هذا المبدأ هو الأزل المضاف وما تحته هو الأزل المضاف إليه، وهذا السر جار على أهل النار لكنهم أهل الجلال ومقام الفردية، ولذا تزوج لهم ولا تنعم بنعم أهل الجنة أهل الجمال ومقامهم مقام الصفة مقتضاها التنعم والتلذذ؛ فالفرق بين أهل الجنة وأهل النار أن لأهل الجنة ظهورًا بالصفات، وفي الظهور بطون، وهو سر الذات، وأن لأهل النار بطونًا، وليس في البطن ظهر.

قال حضرة الشيخ: إن الله تعالى يُشاهد الأشياء بعين الإنسان الكامل، وإن الإنسان الكامل إذا انتقل إلى البرزخ بالموت الصوري يزداد حظه من مقامه فهو في الترقي أبدًا في كل موطن.

قلت: تأخر ظهور المهدي إلى رأس المائة الثالثة.

قال: أكثر العلماء على هذا؛ فالظاهر أن الله يريح عباده قرنًا وهو إلى ثلاثين سنة ثم يضعف الحال بعد الخمسين إلى أن يظهر ما يظهر إلى ظهور المهدي.

قال حضرة الشيخ: إن أهل الجمال يتنفرون عن أهل الجلال بما اختصوا به من عنايته وبالعكس فكل منهما محجوب عن صاحبه في هذه الدار، وكذا في الدار الآخرة، وأما أهل الكمال فلهم إحاطة وسعة في الدارين ليست لغيرهم، فالمقربون واقفون على أحوال الأبرار ومكاشفون عن مقاماتهم ومواطنهم وهم محجوبون عن حال المقربين وكذا الأبرار واقفون على أحوال أصحاب المشأمة، وهم محجوبون عنهم وعن كل واحد من الأبرار وصاحب المشأمة متنفر عن صاحبه بخصوص مقامه، محجوب عنه بما اختص به.

قال حضرة الشيخ: إن الشيخ في هذا الزمان يرشد المريد إلى طريق العلم والعمل ثم يستخلفه من غير استحكام الحال إذ ليس لأبناء الزمان ملازمة باب المرشد أربعين سنة لعسرها فينتفعون بأقل قليل لكن الخليفة إذا ثبت في طريق الاجتهاد وصل إلى المراد ولو بعد حين، ومعنى زيارة الخليفة لشيخه النصح القولي والفعلي وتجديد النشاط لا تفرج البلدان ونحوه كما يفعله عامة الخلفاء في هذا الزمان، قال: هل وجدت مذ ما قدمت إلى الإسكوب وهو خمس عشرة سنة من يصاحبك على الحق؟ قلت: لا، قال: فعليك نفسك واستر حالك عن الأعيان ولا تكن من الخلفاء الذي يقبل الناس أيديهم، ويطمع لهم في الدنيا فينسون الحال التي كانوا عليه قبل فيردون إلى أسفل السافلين ولا يبقى عندهم من العلوم التي حصلت لهم في البداية إلا الخيال.

قال حضرة الشيخ: إن حاشيتي على تفسير الفاتحة للقونوي لا يضيعها الله وسوف تكون مددًا لأصحاب هذا الشأن إن شاء الله المنان، وإن الله الأكبر أنعم على مثل هذا العبد الأقل الأفقر بمثل هذه النعم الجليلة(١).

قال: وإن أقل وأفقر إلى الله الغنى الكبير؛ فالإضافة إليه لا إلى غيره، قال الإمام عليّ ﷺ: كفاني شرفًا أن تكون لي عزًا أو أن أكون لك عبدًا كما قال تعالى هو خالق العبد، فكذا جاعل للعبد عبدًا، وذلك يرفع هواه لا هو وهذا وقت الأصل، وهو وقت مبارك نسأل الله أن يجعل كل خاطر في المجلس عبدًا له حقيقيًا، ثم قال الفاتحة ثم بكى، وقال: لا تقنطوا من رحمة الله ألا ترون أن الصبي إذا لوث ثوبه وأرادت أمه وأبوه ضربه فإنه يلتجئ إليه لا إلى غيره فيرحمه ويغسل ثوبه ودرنه فنحن نلتجئ إلى الله بالتوبة والاستغفار كل حين وهما طهارة لنا عن كل دنس من الذنوب، ثم بكى شديدًا حتى قام إلى سنة العصر، وكان ذلك المجلس روضة من رياض الجنة، وقد شرف الله الحاضرين بدعائه المستجاب فلله الحمد.

دعا حضرة الشيخ من عنده للإفطار فجلسنا له، وبين أيدينا ماء وكعك مبلول؛ فقال بعد الإفطار: لهذا الخبز روح حقاني فظاهره يرجع إلى الجسد وروحه يرجع إلى الروح فيتقوى به الجسم والروح جميعًا، ولكل موجود روح إما حقاني أو

---

(١) قلت: نعم، فسيأذن الله بفضله ومنته الانتهاء من تحقيقها، وإخراجها إلى عالم النشر والطباعة على يدي العبد الفقير إن شاء الله تعالى، وهو الموفق والمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حيواني؛ فجسد الميت له روح حقاني أي: غير روحه الحيواني الذي فارقه ألا ترى أن الله تعالى لو أنطقه لنطق بإنطاق الله تعالى إنما هو روح حقاني، وقد جاء أن كل شيء يسبح بحمده، وما هو ألا لكونه ذا روح سواء كان حجرًا أو شجرًا أو غير ذلك.

قال حضرة الشيخ عند قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان:٣٠]: إن مشيئة الله وحدة، ومشيئة العباد كثيرة، والوحدة مبدأ الكثرة فكل مشيئتهم من مشيئة الله وتحريك قلة ليس بأهون عليه من تحريك جبل بل الكل عنده سواء.

قال حضرة الشيخ: ميقات الحج إشارة إلى الحد الفاصل بين عالم الملك والملكوت فمنه إلى الحرم ملكوت أفعالي، ومن الحرم إلى الكعبة صفاتي، والكعبة إشارة إلى الذات والحجر الأسود إلى النقطة، والمراتب الكونية مرتبة على ترتيب المراتب الإلهية فهذه الرسوم والآثار موافقة لتلك المعاني والأطوار فالتعين الأول الذي هو تعين بالقوة وهو مرتبة الشأن الغيبي لا غاية وراءه في الإلهيات كما لا غاية للكعبة في الكونيات والتوجه إلى القبلة رعاية للأدب الشرعي، وإلا فالحق مطلق عن الجهات والعارف متوجه بظاهره إلى الكعبة وبباطنه إلى الله تعالى فهو مطلق عن كل قيد في الحقيقة وفات عن إضافة كل مرتبة حتى عن التعين الأول فلا يبقى بالنسبة إليه إلا الله.

قال حضرة الشيخ: الظاهر والمظهر وجود الفارق، وهو الشريعة والعمل ولا فرق في الحقيقة والعلم الشريعة والعمل يصعد إلى جميع الحقيقة والعلم ولا جمعها ينـــزل إلى فرقها وبه يتخلص السالك عن الإلحاد والزندقة ثم ساق كلامًا آخر لا أذكره للعهد المأخوذ.

قال حضرة الشيخ: الشريعة فرقت بين الطيب والخبيث؛ فإن أكل الخبيث عائق من العروج إلى المبدأ، ولذا اختار السلطان التقوى والتزهد في المطعم؛ فإن له نفعًا لأنفسهم ولما ولد من أصلابهم.

قال الشيخ: لا بد للسالك من أن يكون في التجرد كتجرد الجنين في الرحم، وأما الكُمَّل فظهر بعضهم بالاسم الظاهر، وهو بإذن الله، ألا ترى أن حضرة الهدائي – قدس سره – كان في الظهور التام بالنسبة إلى شيخه الشهير باقتادة – قدس سره

- وهو في الخمول، وإنما جاءت الشهرة له من شهرة خليفته وهو الهدائي وظهورهم وتحملهم ليس لحظ النفس إذ ليس فيهم النفس الأمَّارة حتى يكون لها حظ بل الذات الأمارة فافهم، وقوله تعالى: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي**﴾ [ص:٣٥] حكاية عن سليمان ؑ مبني على هذا؛ فإن الله تعالى خلق الداعية في قلب سليمان ؑ لهذا الدعاء فدعا به فاستجاب الله تعالى دعاءه وأعطاه الملك والسلطنة كما أعطاه الخلافة والنبوة، وهو قد امتثل لأمر الله تعالى في ذلك؛ فقيل: في الدنيا، وقيل: دخول الجنة بعد خمسمائة سنة من دخول الفقراء، ولم يطمع في الدخول معهم وامتثل في ذلك لأمر الله.

قال: وأما أنا فقد سلب الله عن قلبي التجلي بالكلية حتى أني لو ركبت دابة ومعي جمع من الصوفية كان ذلك أشد عليَّ من عذاب جهنم؛ لأن الله تعالى لم يخلق الداعية له.

قال حضرة الشيخ تحديثًا لنعم الله تعالى عليه: إن الله تعالى لم يعط لحضرة الهدائي ما أعطاني من الآثار؛ فإن الله تعالى وفقني لتصنيفات في علم الشريعة والحقيقة وبث مني خلفاء يزيدون على مائة كلهم قادرون على الوعظ والتدريس، وإحياء الدين بحسب ظاهره وباطنه بقدر الإمكان وذلك لطف عظيم من الله تعالى إذ كان العلم قد مات في هذا الزمان في أكثر البلدان فأحياه الله تعالى بي؛ فالحمد لله على ذلك.

قال: إن مثلك لم يظهر بين خلفاء الهدائي أقول هذا الكلام إظهارًا للطف في حقي، وأنا بفضل الله أفتخر لا بغيره، وأسأل الله ألا يوقعني في ورطة الكبر والعُجب.

قال تعالى: ﴿**لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ**﴾ [الأحزاب:٨] أي: عنده لا عندهم كذا فسره الجنيد، وهو معنى لطيف؛ فإن الصدق والإسلام عند الخلق سهل، ولكن عند الحق صعب؛ فنسأل الله أن يجعل إسلامنا وصدقنا حقيقيًا مثل حضرة الشيخ التعينات بقوله: إذا قلنا الكلام إما خبرًا وإنشاءً، كان أصل الخبر الكلام، فله تعين بالكلامية لكن الكلام في نفس الأمر مجرد عن هذا التعين في صورة الخبر فقس عليه حال التعين الأول مع التعينات الأُخر.

قال حضرة الشيخ: إن السالك حين صعوده إلى المبدأ الأعلى ينحل عن كل عقد وقع له في المراتب والأطوار، وهو عقد التعين بتلك المرتبة إلى أن ينتهي إلى

التعين الأول ثم ينسلخ عنه فيحصل له الفناء التام؛ فإن أعيد إلى حيث ما ابتدأ منه يتلبس بلباس البقاء ثم يمر على تلك المراتب جميعها فلا يبقى له غير وجود الحي ولكونه عين الحق فيبصر به وسمعه يسمع به وهكذا فالعابد والمعبود والشاهد والمشهود إذا هو الله لا غير.

أقول: ظهر من هذا سر قولهم: الفقير لا يحتاج إلى الله، وذلك لأن مثل هذا الفقير كان غنيًا بالله أو لا وجود له سوى وجود الله فلا غناء له إلا غناء الله فيرتفع إضافة الاحتياج كما أن من كان خزانة السلطان بيده كيف يحتاج إلى شيء بل إلى السلطان غناهما غناء واحد، والشيء لا يحتاج إلى نفسه فافهم؛ فإنه مزالق الأقدام.

قال حضرة الشيخ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] فإذا كان «من» فانيًا فكل ما يتبع «من» فهو فان أيضًا.

ثم قال: [.....] قال: من خدم، أي: خدم في الدنيا والآخرة؛ فإن الله تعالى لا يضيع الخدمة، استأذن يعقوب دده الاسكوبي من أتباع هذا الفقير للذهاب إلى حضرة الكعبة من البحر وقد جاء معي من بروسة إلى زيارة حضرة الشيخ في ماغوسة، فقال حضرة الشيخ: هل لك مائة دينار؟ قال: لا، قال: فاسمع، إن الشيطان إذا لم يقدر على إضلال الإنسان وإذلاله من طريق الباطل؛ فإنه يجيء من طريق الخير مثلاً يعلم لو كلفك بالقتل وشرب الخمر ونحوهما أنك ما تساعده في ذلك فيوسوس في الحج ليقطعك عن طريق العلم والعمل؛ فإنك قبل أن تصل إلى مصر يحصل لك ملال من الطريق فيتشوش البدن والخاطر، ثم يزداد ذلك يومًا فيومًا فيحصل الفتور في العبادات بل تترك بعض الأوراد المعتادة فلو أقمت في حجرتك وكنت على العلم والعمل مواظبًا لكان خيرًا لك؛ فإن ما أردت من ثواب الحج يحصل في تلك الحجرة أيضًا والمقصود العبودية والاشتغال بالعلم والعمل والحضور أعون شيء لذلك.

ثم قال: جاء إلى شيخي مرة واحد من العلماء من أتباعه، يقال له: مصطفى أفندي فاستأذن للخروج إلى مكة كما استأذنت أنت، فقال له: يا مصطفى أفندي ما دامت هذه النفس وصفاتها فيك لا يفيد لك الكعبة، ولو اتخذتها حجرة تسكن فيها صباحًا ومساءً، فالمرء بإصلاح النفس يستريح لا بغيره، ولها مكر خفي لا يقف عليه إلا من وقفه الله تعالى.

قال: احمد الله تعالى يا يعقوب دده على أن وفقك لتلاوة كتابه، وجعل

مشيئتك إلى مثل هذا، وأشار إلى الفقير وجردك عن علاقة الأهل والأولاد في هذا الزمان الهائل.

ثم قال: هل قبلت؟ قال: قبلت، واستسلمت؛ فإن المقصود هو الرضا.

قال حضرة الشيخ: إن الله تعالى إذا أراد إظهار شيء يجعله من جهة المظاهر أي: إن القلم لا يكتب بنفسه، وإنما يكتب به الكاتب فالقلم آلة لظهور فعل الكتابة، فإذا أراد الكاتب تبديل الكتابة بكتابة أخرى يأخذ قلمًا آخر ويترك القلم الأول أو لا يترك بل كتب به غير ما كتب في المرة الأولى.

أقول: أراد أن الله تعالى أرسلني إلى هنا لا لوزير وهو بمنـــزلة القلم في ذلك؛ فإذا أراد نقلي من هنا يجدد الوزير فيكون الجديد بمنـــزلة القلم في الآخر ويليهم إليه من غير تجديد فيجدد الكتابة في حقي بأن يكتب الإثبات بدل النفي.

تلا حضرة الشيخ قوله تعالى: **﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾** [الحديد:٢٠] فدعاني فأراني نباتًا مصفرًا في محل مرتفع؛ فقال: كان هذا قبل قدومك إلى هنا أخضر غضًا يعجب الرائين الناظرين، فآل أمره إلى ما ترى.

أقول: إن قلت: ما فائدة البيان وهو معلوم؟

قلت: إن الرؤية ليست كالإراءة، وفي الإراءة سر قوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾** [فصلت:٥٣] فافرق بين الخبر والنشأة هذه الإراءة.

قال حضرة الشيخ: إن أهل النار يدخلون النار بقدر طاقتهم أي: عذابهم فيها؛ فإن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وليس الأمر كما يزعمه أهل الرسوم.

قال حضرة الشيخ: لا تدعو على أحد؛ فإنك إن تجاوزت الحدَّ فيه فأنت ظالم والمدعو عليه مظلوم، وإن عدلت وساويت؛ فهو رخصة كما قال تعالى: **﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾** [الشورى:٤٠]، وإن عفوت؛ فهو أولى ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾** [الشورى:٤٠]، ولا يجوز الشكاية من الحق إلى الحق ولا من الخلق إلى الخلق واللازم مشاهدة المؤثر الحقيقي؛ فإنه هو الفاعل لا غير.

قال حضرة الشيخ: إن للإنسان أفكارًا مختلفة؛ فإن فكرًا غلب عليه، فهو على صورته يموت ويغلب عليه في حال احتضاره، والإنسان الكامل يختم له بالأُنس بالله

إذ ليس له فكر غير الله، وهو الذي يُراد بحسن العاقبة وحسن الخاتمة.

وهذا آخر كلمات الشيخ روح الله روحه في الزيارة القبرصية، وقد اختصرت في كل زيارة على إنشاء بعض كلماته دون كلها إذ لا نصية الأوراق، وقبل هذه الزيارة أُخر لم أكتب كلماتها أصلاً، وإذا أردت أن أكتب ما هو أُنموذج الكلمات وثمرات معارف الشيخ والقطرة تدل على الغدير، وقد كتب قبلي حضرة الهدائي الكلمات الواقعة بينه وبين شيخه باقتادة البرسوي، لكنها تشتمل على حشو وتكرار كثير، والحمد لله على ما أنعم به عليَّ في الباب؛ فإن كتابي هذا جاء مشتملاً على قواعد كثيرة من أنواع، فإن افتخر الأماثل بشيوخهم وكلماتهم، فأنا أفتخر بفضل الله تعالى، وقد أراني من الأولياء، ولو كان الهدائي وباقتادة في الحياة لكانا أول المبايعين له -فرضي الله عنهم، وعمن سلك مسلكهم، وتابعهم في طريقتهم- وشم رائحة من بساتين معرفتهم وحقيقتهم، وجعلني وإياكم من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر، وأراني وإياكم آياته الآفاقية والأنفسية بالبصيرة والبصر؛ إنه الهادي ومنه التوفيق الخاص، والالتحاق بأهل الاختصاص(1).

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم كثيرًا

* * *

(١) قلت: تم بحمد الله وتوفيقه جمع وترتيب وتحقيق وتعليق وتخريج هذا الكتاب «مرآة الحقائق» للشيخ إسماعيل حقي -قدس سره- في الثالث من شهر شعبان المبارك سنة ١٤٢٧ هـ، على يد العبد الحقير الفقير: أبو الحسن والحسين أحمد فريد المزيدي، وذلك بدارنا الحقيقة المحمدية لتحقيق وبحث تراث السادة الصوفية والله الهادي سواء السبيل (جوال ٠١٠١٤٦٣٠٢٧) القاهرة.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية المشروحة	رقم الآية	رقم الصفحة
الفاتحة	الحمد لله رب العالمين	٢	١١
	الرحمن الرحيم	٣	١٤
	مالك يوم الدين	٤	١٦
	إياك نعبد وإياك نستعين	٥	١٦
	اهدنا الصراط المستقيم	٦	١٦
	صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم .	٧	١٦
البقرة	الم	١	٢١
	ذلك الكتاب	٢	٢٨
	فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق	٢٦	٢٨
	يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم	٥٤	٣١
	إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة	٦٧	٣١
	يختص برحمته من يشاء	١٠٥	٣٢
	ومن حيث خرجت فول وجهك	١٤٩	٣٤
	وإنه للحق من ربك	١٤٩	٣٧
	فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات	٢٠٩	٤٥
	والله يقبض ويبسط	٢٤٥	٤٨
	فمن يكفر بالطاغوت	٢٥٦	٤٩
	وما يذكر إلا أولو الألباب	٢٦٩	٥١
آل عمران	يا مريم اقنتي لربك	٤٣	٦٢
	فأما الذين اسودت وجوههم	١٠٦	٧٨
	وأما الذين ابيضت	١٠٧	٧٨

	كنتم خير أمة أخرجت للناس	١١٠	٨٦
	بما أشركوا بالله ما لم ينــزل	١١٥	٨٨
	فبما رحمة من الله لنت لهم	١٥٩	٨٩
	هم درجات عند الله	١٦٣	٩٥
	إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا	١٧٨	١٠١
	وتوفنا مع الأبرار	١٩٣	١٠٥
النساء	وخلق منها زوجها	١	١٠٧
	وآتوا النساء صدقاتهن نحلة	٤	١٠٩
	أن تبتغوا بأموالكم	٢٤	١١١
	ويهديكم سنن الذين من قبلكم	٢٦	١١٩
	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه	٣١	١٢١
	الرجال قوامون على النساء	٣٤	١٢٥
	كلما نضجت جلودهم	٥٦	١٣١
	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله	٥٩	١٣٣
	فإن تنازعتم في شيء	٥٩	١٣٥
	ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم	٦٤	١٤٠
	ومن يطع الله والرسول	٦٩	١٤٣
	ومن يخرج من بيته مهاجرًا	١٠٠	١٤٧
	ثم يدركه الموت	١٠٠	١٤٩
	ومن يعمل سوءً يجز به	١٢٣	١٥٣
	ويستفتونك في النساء	١٢٧	١٥٥
	من كان يريد ثواب الدنيا	١٣٤	١٦٠
	إنكم إذًا مثلهم	١٤٠	١٦٢
المائدة	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة	٦	١٧٢

	يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة	٢١	١٧٤
	قال فإنها محرمة عليهم	٢٦	١٧٤
	لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا	٤٨	١٧٥
	أذلة على المؤمنين	٥٤	١٧٩
	وإذا جاءوكم قالوا آمنا	٦١	١٧٩
	كلما أوقدوا نارًا للحرب	٦٤	١٨٨
	عليكم أنفسكم	١٠٥	١٨٩
	ما قلت لهم إلا ما أمرتني	١١٧	١٩٠
الأنعام	ألا له الحكم	٦٢	١٩٢
	ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم	١٧	١٩٧
	إن الذين كذبوا بآياتنا	٤٠	١٩٨
	لفتحنا عليهم بركات من السماء	٩٦	٢٠١
	قال لن تراني	١٤٣	٢٠١
	ولو شئنا لرفعناه بها	١٧٦	٢١٣
الأنفال	وما كان الله ليعذبهم	٣٣	٢١٦
التوبة	قاتلهم الله	٣٠	٢٢٢
	ولو كره الكافرون	٣٢	٢٢٤
يونس	ولوشاء ربك	٩٩	٢٢٧
هود	وإنهم آتيهم عذاب غير مردود	٧٦	٢٢٩
إبراهيم	هذا بلاغ للناس	٥٢	٢٣١
الحجر	ربما يود الذين كفروا	٢	٢٤١
	إلا عبادك منهم المخلصين	٤٠	٢٤٣
	فأسر بأهلك بقطعٍ من الليل	٦٥	٢٤٤
النحل	لكي لا يعلم بعد علم شيئًا	٧٠	٢٤٧

الإسراء	فدمرناها تدميرًا	١٦	٢٥٠
	وننـــزل من القرآن ما هو شفاء	٨٢	٢٥١
	وإذا أردنا أن نهلك قرية	١٦	٢٥٣
	تسبح له السماوات السبع	٤٤	٢٥٤
	وإن من قرية إلا نحن مهلكوها	٥٨	٢٥٥
	ويسألونك عن الروح	٨٥	٢٦١
الكهف	وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود ....:	١٨	٢٦٧
	واصبر نفسك	٢٨	٢٧٠
	فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا	١٠٥	٢٧٢
طه	فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها...............	٤٠	٢٧٥
	ولقد قال لهم هارون من قبل	٩٠	٢٧٧
	وإن ربكم الرحمن	٩٠	٢٧٨
	قالوا لن نبرح عليها عاكفين	٩١	٢٨٤
الأنبياء	ومن يقل منهم إني إله من دونه	٢٩	٢٨٥
	لا إله إلا أنت سبحانك إني	٨٧	٢٨٥
المؤمنون	وقل رب أنـــزلني منـــزلاً	٢٩	٢٨٩
	كل حزب بما لديهم فرحون	٥٣	٢٩٠
	ولعلا بعضهم على بعض	٩١	٢٩١
الفرقان	إن هم إلا كالأنعام	٤٤	٢٩٦
النمل	قدرناها من الغابرين	٥٧	٣٠١
القصص	وقتلت نفسًا فنجيناك	٤٠	٣٠٣
	أفمن وعدناه وعدًا حسنًا	٦١	٣٠٤
الروم	فانظر إلى آثار رحمة الله	٥٠	٣٠٧
الأحزاب	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا	١٤	٣٠٩

	قل لن ينفعكم الفرار	١٦	٣٠٩
	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم	٤٠	٣١١
	إن الله وملائكته يصلون على النبي	٥٦	٣١٥
فاطر	والله خلقكم من تراب	١١	٣٢٠
يس	فعززنا بثالث	١٤	٣٢٩
	فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء	٨٣	٣٢٩
	وإليه ترجعون	٨٣	٣٣١
الصافات	فحق عليهم	٣١	٣٣٢
	إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله	٣٥	٣٣٢
الزمر	ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى	٣	٣٣٧
غافر	يلقى الروح من أمره	١٥	٣٣٩
	ومايستوى الأعمى والبصير	٥٨	٣٤٠
فصلت	قل هوللذين آمنوا هدى وشفاء	٤٤	٣٤٢
الشورى	ليس كمثله شيء	١١	٣٥٣
	الله لطيف بعباده	١٩	٣٦٧
الزخرف	فاستخف قومه فأطاعوه	٥٤	٣٦٩
الأحقاف	يا قومنا أجيبوا داعي الله	٣١	٣٧١
محمد ﷺ	فاعلم أنه لا إله إلا الله	١٩	٣٧٦
الفتح	محمد رسول الله	٢٩	٣٧٧
الطور	فإنك بأعيننا	٤٨	٣٩٠
النجم	ولقد رآه	١٣	٣٩١
الرحمن	مرج البحرين	١٩	٣٩٥
	حور مقصورات في الخيام	٧٢	٣٩٦
	تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام	٧٨	٣٩٧

الواقعة	وننشئكم في ما لا تعلمون	٦١	٣٩٨
الحديد	فضرب بينهم بسور	١٣	٣٩٩
الطلاق	ومن يتوكل على الله فهو حسبه	٣	٤٠٣
	سيجعل الله بعد عسر يسرًا	٧	٤٠٤
التغابن	ومن يؤمن بالله يهد قلبه	١١	٤١١
المعارج	إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون	٢٢-٢٣	٤١٣
نوح	إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه	١	٤٢٠
المطففين	كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون	١٥	٤٢١
القارعة	فأما من ثقلت موازينه	٦-١١	٤٢٢
الإخلاص	قل هو الله أحد	١-٤	٤٢٤

فهرس الأحاديث

طرف الحديث المشروح	رقم الحديث	رقم الصفحة
إنما الأعمال بالنيات	١	٤٣٩
حبب إلي	٢	٤٤١
من أبطأ به عمله	٣	٤٤٦
من أخذ شبرًا من الأرض	٤	٤٤٧
من أدرك ماله بعينه	٥	٤٤٩
من اقتنى كلبًا	٦	٤٥٠
من أكل البصل	٧	٤٥١
من أنظر معسرًا	٨	٤٥٣
من أنفق زوجين في سبيل الله	٩	٤٥٤
من بنى لله مسجدًا	١٠	٤٥٥
من ترك صلاة العصر........................	١١	٤٥٨
من تطهر في بيته	١٢	٤٥٩
من تطهر في بيته	١٣	٤٦٢
من توضأ فأحسن الوضوء	١٤	٤٦٤
من حج لله	١٥	٤٦٥
من حج لله	١٦	٤٦٧
من حلف فقال في حلفه	١٧	٤٧٢
من رآني فقد رأى الحق	١٨	٤٩٢
من سأل الناس أموالهم تكثرًا	١٩	٤٩٥
من سأل عرّافًا	٢٠	٤٩٧
يا علي أنت مني بمنزلة	٢١	٥٠١
يا علي	٢٢	٥٠٢
من صام رمضان	٢٣	٥١٠

من صام رمضان	٢٤	٥١٣
من صلى في يوم اثنتي عشرة سجدة	٢٥	٥١٥
من صوَّر صورة	٢٦	٥١٦
من فاتته صلاة العصر	٢٧	٥١٨
من قاتل لتكون كلمة الله	٢٨	٥٢٢
من قال حين يسمع النداء	٢٩	٥٢٣
إن الشيطان إذا سمع النداء	٣٠	٥٤٠
من قال: لا إله إلا الله	٣١	٥٤١
من قال: لا إله إلا الله	٣٢	٥٤٥
من قتل معاهدًا	٣٣	٥٥٢
أنـــزل الله آيتين هما	٣٤	٥٥٣
من كانت له أرض	٣٥	٥٥٥
من كان عنده شيء من هذه	٣٦	٥٦١
من كان يؤمن بالله	٣٧	٥٦٨
من لقي الله لا يشرك به شيئًا	٣٨	٥٧٠
من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله	٣٩	٥٧٢
من منح منحة	٤٠	٥٧٨
من نام على حزبه	٤١	٥٨٠
من نذر أن يطيع الله	٤٢	٥٨١
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	٤٣	٥٨٥
الصوم لي	٤٤	٥٨٧
يعجب ربكم	٤٥	٥٨٩
إن الإيمان ليأرز	٤٦	٥٩٣
إن الكافر إذا عمل حسنة	٤٧	٥٩٥
إن الله يقول: يا أهل الجنة	٤٨	٦٠٣
إن الهجرة قد مضت لأهلها	٤٩	٦٠٧

إن أمثل ما تداويتم به الحجامة	٥٠	٦٠٩
إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء	٥١	٦١٥
إن قلوب بني آدم كلها	٥٢	٦٢٧
إن لكل نبي أمينًا	٥٣	٦٢٩
كنت نهيتكم عن زيارة القبور	٥٤	٦٣٥
المسلم من سلم المسلمون	٥٥	٦٥٤
من سره أن يبسط في رزقه	٥٦	٦٦١
المجالس بالأمانات	٥٧	٦٦٤
مسألة الغنى نار	٥٨	٦٦٨
إن لهذه البهائم أوابد	٥٩	٦٧١
أول ما تفقدون من دينكم الأمانة	٦٠	٦٧٤
نصرت بالصبا	٦١	٦٧٦
سافروا تصحوا	٦٢	٦٧٧
من أهان سلطان الله	٦٣	٦٧٩
الرؤيا الصالحة يراها الرجل	٦٤	٦٨٢
اللهم لا تكلني إلى نفسي	٦٥	٦٨٣
عليك بالهجرة	٦٦	٦٨٤
لا تذهب الدنيا حتى تصير إلى لكع	٦٧	٦٨٤
عليكم بالشام	٦٨	٦٨٥
إن الله في قبلة أحدكم	٦٩	٦٨٧
من ثبت نبت	٧٠	٦٨٩
لا هجرة ولكن جهاد	٧١	٦٩٠

فهرس الواردات واللطائف

فهرس الواردات	رقم الصفحة
وارد المرشد والمريد	٦٩١
وارد الداخل والخارج	٦٩٣
واد المكر	٧٠٥
وارد في وجود الخضر عليه السلام	٧٠٨
جهنم لها سبعة أبواب	٧١١
الجنة لها ثمانية أبواب	٧١٥
وارد في الوصل	٧٣٣
وارد في شرب الدخان والقهوة	٧٣٥
وارد في السفر	٧٣٧
وارد	٧٣٩
وارد	٧٣٩
وارد	٧٣٩
وارد عن الشام	٧٤٣
وارد في الجامع الأموي	٧٤٥
وارد في شأن المرض	٧٤٩
وارد في المرسلين	٧٥٠
وارد في الأذكار المقبولة	٧٥٢
وارد في كلمة التوحيد	٧٥٨
وارد	٧٦١
وارد قبل صلاة عيد الفطر	٧٦١
خاتمة الكتاب	٧٦٤
صور نورانية	٧٦٥
صورة الإنسان الكامل	٧٦٧

صورة البرزخ ٧٦٨
صورة تجلي النور الأحمدي ٧٦٩
اللطائف فيما جرى على لسان الشيخ عثمان من المعارف ٧٧١
الزيارة الأولى ٧٧٢
الزيارة الثانية ٧٩٣
الزيارة الثالثة ٧٩٧
الزيارة الرابعة ٨١١
الزيارة الخامسة ٨١٩
الزيارة السادسة ٨٢٩
الزيارة السابعة ٨٥٣
خاتمة الكتاب ٨٧٤
فهرس الآيات المشروحة ٨٧٥
فهرس الأحاديث المشروحة ٨٨١
فهرس الواردات واللطائف ٨٨٤